

بِجَمْعِ كُتُبٍ وَرِسَائِلٍ وَفَتَاوَى

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رئيس قسم الشؤون الجامعية والإسلامية بالديانة الشيعة بكابل

الطبعة الشرعية الوحيدة

ياذن المؤلف

المجلد الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



3

张其成

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإحسان^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

يستهدف الإسلام أن يطبع حياة المسلمين بالطابع الجميل أن يسود الحياة الإسلامية، وأن يجعلها جوًّا من الإحسان الشامل بكل أبعاده وآفاقه.

أن يعم الإحسان كل عمل وكل تصرف وكل قول على كل المستويات الفردية والجماعية، وعلى مستوى الدولة والأمة في علاقة الفرد بخالقه وأسرته والمجتمع الذي يعيش فيه، وعلاقة الأمة بالفرد، وعلاقة الدولة بالأفراد والجماعات في العلاقة بالله.

فالمسلم حينما يؤدي حقًّا من حقوق الله في أي مجال من المجالات لا سيما مجالات العبادة فليؤدها وهو يتمثل فيها رؤية الله كأنما يرى الله ويشاهده، وإذا لم يصل إلى هذا المستوى فليستشعر أن الله يراه.

وهذا الشعور أو ذاك سيدفعانه إلى إجداد العمل الذي يؤديه وإحسانه وإتقانه. والأمة الإسلامية بكاملها عليها أن تستشعر هذا الشعور: «اعبد الله كأنك

(١) مقال نشر في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (١٥)، في محرم ١٣٩٢هـ، في (ص ١١٦)

تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وفي علاقة المرء بأسرته ومجتمعه عليه أن تقوم معاملته إياهم وترتكز على أساس الإحسان.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

فلو أن الأمة الإسلامية طبقت هذه التعاليم في حياتها، وكل فرد في الأمة الإسلامية عمل على تنفيذ هذا المبدأ: مبدأ الإحسان، وجعل أسرته نقطة انطلاق لهذا الإحسان -بعد إحسانه في عبادة الله- الإحسان بمعناه الشامل في القول والعمل وبالمال والجهد لكانت مضرب الأمثال في السعادة والرفق والسيادة.

وفي علاقة الأفراد والمجتمعات بعضهم ببعض وعلاقة الحاكمين بالمحكومين يأمر الله بالعدل والإحسان بكل أبعادهما: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

إن الإحسان في نظر الإسلام بالمكانة العالية التي يأخذ الله على الأمة الإسلامية المواثيق الأكيدة في القيام به في جملة التكاليف التي يقوم عليها الإسلام وسعادة الأمة.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٨٣].

إلزام بالإحسان في إطار الأسرة ومحيط المجتمع؛ إحسان في الفعال والمقال.

والإسلام يريد أن يجعل من أخلاق الأمة الإسلامية صورة من أخلاق أهل الجنة:

﴿لَا تَلَوْا فِيهَا وَلَا تَتَأَنَّ﴾ [الطور: ٢٣].

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ عَنْهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وَرُبَّ فَعْلَةٍ قَبِيحَةٍ أَدَّتْ إِلَى عَوَاقِبٍ وَخِيَمَةِ مُرَّةٍ التَّائِجِ .

والخروج بالأقوال والأفعال عن مجال الإحسان إلى مجال الفحش والتفحش يوقع المرء تحت طائلة سخط الله وغضبه الذي لا يطاق : «إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ» [أخرجه أحمد] .

فالفاحش كما يقول القرطبي : الذي يتكلم بما يكره سماعه مما يتعلق بالدين ، أو الذي يرسل لسانه بما لا يتبغى ، وهو الجفاء في الأقوال والأفعال ، والمتفحش : المتعاطي لذلك المستعمل له .

ليست الأمانى الكاذبة والمزاعم الباطلة والانتساب إلى دين أو نحلة سيلاً إلى الجنة ، إنما السبيل الأوحى إلى الجنة : هو الإخلاص في الإسلام والإحسان بمتابعة رسول الله وشريعته الغراء .

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٣﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ١١١-١١٢] .

وإن أردت أن يحبك الله ، فاتخذ من الإحسان وسيلة تنل تلك الغاية : ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

وإن كنت منطلقاً إلى الخلود في جنات النعيم والنظر إلى الرب العظيم ، فعليك بالإحسان : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لَسَقَىٰ وَزَيْدًا﴾ [يونس : ٢٦] فالحسنى : هي الجنة ، والزيادة : هي النظر إلى وجه الرب الكريم .

ثم الإسلام يريد أن يشمل الإحسان كل ذي كبد رطبة ؛ قال رسول الله ﷺ : «بينما رجل بطريق فاشتد به العطش ، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه فسقى الكلب فشكر الله فغفر له . قالوا : يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجراً ؟ فقال : في كل ذات كبد رطبة أجر» .

ترى كيف يعلم الإسلام المؤمنين وكيف يربيهم ويدفع نوازع الخير وعواطف الرحمة إلى الإحسان والبر فتشمل كل ذي كبد رطبة ولو كان خسيساً في أخط وأدنى

مراتب الحيوانات ١٢

بينما نرى في الجانب الآخر يحرم الظلم: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، فلا تظالموا».

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله».

حتى ولو كان كافراً في ذمة المسلمين فيحرم الإسلام دمه وماله: «من قتل معاهداً لم يرح رائحته الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً» [أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم].

وعن ابن عمر: «من قتل عصفوراً بغير حق سأل الله عنه يوم القيامة» [صحيح الترغيب والترهيب، للألباني (١٠٩٢)].

«عذبت امرأة هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار؛ فلا هي أطمعتها ولا سقتها حين حبستها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض» [أخرجه البخاري ومسلم].

فلا يجيز الإسلام الظلم بداية من الإنسان ونهاية بالطيور والحيوانات التي لا يؤبه لها، فهذه هي الحضارة الراقية التي يحتّم في ظلها آمناً في كنفها حتى من يعاديه.

والعصفور يُقتل بغير حق يعتبر صاحبه مسئولاً عنه يوم القيامة، وسجن هرة حتى تموت يعذب من سجنها بالنار!! والإحسان يمتد من الإنسان إلى كل ذي كبد رطبة وكل ذي عرق ينبض بالحياة.

فأين الحضارة المادية التي قامت على أساس الكفر والإلحاد وعلى الجشع والطمع فتسحق شعوباً وأمماً لتستأثر بثرواتها وتبتز خيراتها بعد أن تسلبها من مقومات حياتها الدينية والخلقية والاجتماعية ثم تتجاهل كل ما تركبه من جرائم فظيعة ووحشية شنيعة وترمي الإسلام بالتأخر والرجعية وبالظلم والوحشية: «رمتني بدائها وانسلت»!!

أهمية الصدق وضرورته لقيام الدنيا والدين

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإن خلق الصدق من أعظم مقومات الدين والدنيا، فلا تصلح دنيا ولا يقوم دين على الكذب والخيانة والغش، والصدق والتصديق هو الرباط الوثيق بين الرسل ومن آمن بهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [٣٣-٣٤]. وقال في الكذب والتكذيب: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].

ولمكانة الصدق والتصديق بالحق عند الله وفي الإسلام ولدى العقلاء وذوي الفطر السليمة وآثارهما الطيبة، ولخطورة الكذب والتكذيب بالحق؛ أحبت أن أزجي هذا المقال المستمد من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ومن سيرة وواقع بعض الصادقين المصدقين من أصحاب رسول الله ﷺ، والله أسأل أن يعطيني ويوفقني للنهوض بكل ما أستطيع من إسداء للنصح والبيان لإخواني المسلمين، وأسأله أن يجعلنا جميعاً من الصادقين الحريصين على التمسك به والثبات عليه، وأن يجعلنا جميعاً من المحيين للحق والمنحرفين لاتباعه والمصدقين به.

ولعظمة الصدق ومكانته عند الله وعند المسلمين وعقلاء البشر، وصف الله نفسه بالصدق فقال: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥].

فهذا ثناء من الله على نفسه بهذا الوصف العظيم، فهو صادق في أخباره كلها، وفي كلامه كله، وفي تشريعاته، وفيما قصه عن الأنبياء وأممهم، وفيما قصه عن بني إسرائيل أنبيائهم ومؤمنهم وفاسقهم ومن كفر منهم، وعن تحريفهم لكتاب

الله : التوراة والإنجيل ، واتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٨٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَتْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ٧ ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جِذًّا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ ٨ ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَمْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧-٩] .

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغِيهِمْ وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٤٦] .

هكذا وصف الله نفسه بهذا الوصف العظيم : الصدق في الأقوال ، والصدق في الأفعال ، والصدق في الوعد ، والصدق في الوعيد ، والصدق في الأخبار عن أنبيائه وأوليائه المؤمنين ، والصدق في الأخبار عن أعدائه الكافرين .

ولقد وصف الله أنبياءه بالصدق ، وأيدهم بالمعجزات والآيات العظيمة ؛ برهنة على كمال صدقهم ودحضاً لافتراءات وتكذيب أعدائهم .

ومن أعظم ما أيدهم به إهلاك أعدائهم بالطوفان ، وبعضهم بالريح الصرصر ، وبعضهم بالصيحة والرجفة ، وبعضهم بالخسف ، وبعضهم بالغرق مع إنجاء الأنبياء وأتباعهم ، فكل هذا من رب العالمين شهادة بصدق أنبيائه وأنهم رسله حقاً ، وإهانة لأعدائه وأعدائهم .

ومن وصفهم في القرآن بهذا الوصف : إبراهيم ، وإسماعيل ، وإدريس - عليهم الصلاة والسلام - .

قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٤١] .

وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٦] .

فالوصف بالصدقية بيان لتمكنهم من هذا الوصف وهو الصدق ، وأن أقوالهم وأفعالهم ووعدهم وعهودهم قائمة على الصدق .

وكل آية في القرآن الكريم المعجز الذي تحدى به الجن والإنس على أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك أعظم برهان على صدق محمد رسول الله ﷺ، وأنه رسول الله حقاً وخاتم النبيين، وشهادة الله له بأنه خاتم النبيين معجزة عظمى ودلالة كبرى على صدقه - صلوات الله وسلامه عليه -؛ إذ ما ادعى النبوة أحد بعده إلا وفضحه الله وأخزاه، وكشف عواره وكذبه، بل ما كذب عليه أحد في قول نسبه إلى رسالته إلا وفضحه الله وأخزاه ببيان أتباع رسالته الصادقين من محدثين وغيرهم.

قال تعالى - في الثناء عليه وعلى ما جاء به من الحق والصدق - : ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٢٧]، فهذه أعظم منزلة أوتيها عبد الله ورسوله محمد ﷺ.

وقد وصف الله عباده المؤمنين الذين صدقوا في إيمانهم وأعمالهم وجهادهم وعهودهم: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَبُيُوعَكُمْ قَلَّ الْمَشْرِيقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالْفُرْسَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال تعالى في مدح فقراء المهاجرين وكل أصحاب محمد صادقون لا فرق بين مهاجر وأنصاري: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا لِنُصْرَتِهِمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [العنبر: ٨].

لقد زكى الله أصحاب محمد ﷺ وأثنى عليهم كثيراً في محكم كتابه وأثنى عليهم رسوله ﷺ عاطر الثناء في أحاديث كثيرة، ومن أبرز وأجلى صفاتهم التي وصفوا بها: الصدق؛ الذي لا يقوم دين، ولا تستقيم دنيا إلا به، فنقل إلينا هؤلاء الصادقون ووراثهم بكل صدق وأمانة كتاب الله المتواتر وسنة رسوله متواترها

وأحاديثها الصحيحة الثابتة بما في ذلك سيرة رسول الله ﷺ وجهاده وغزواته والكتب الصحاح والمصنفات والجوامع والمعاجم وكتب العقائد وغيرها تزخر بهذه النقول، قد ميّز فيها أئمة الجرح والتعديل الصحيح منها من السقيم، حتى تكون الأمة على صراط مستقيم ومهج قويم وحياة واعية راشدة.

ونقلوا لنا سير الصحابة الكرام ومن قبهم ومحاسنهم التي برروا فيها على سائر أمم الأنبياء، فكأنوا بها خير أمة أخرجت للناس، وكتب فضائل الصحابة ومناقضهم ومساير دواوين السنة تزخر بذلك.

وقد مرّ بنا في هذا المقال ثناء الله العام عليهم بصفات جليلة ومنها الصدق، ومقالي هذا لا يتسع لذكر الأخبار الصحيحة بوقائع صدقهم، غير أنني سأضرب مثلاً بثلاثة منهم تجمعهم حادثة واحدة.

وأرر هؤلاء الثلاثة ذكركم الصحابي الجليل كعب بن مالك، ذكركم الرجل الذي نجاه الله من النار والنفاق ومن سخط الله ومسخط رسوله بالصدق، وقصته شهيرة، وحديثه مشهور وطويل لا يتسع المقام لسرده هنا، لكنني سأختار منه مقاطع تدل على منزلة هذا الصحابي وإخوانه في هذه الواقعة، ويأخذ المسلم منها العبرة والأسوة بهؤلاء الصادقين.

(١) «عن عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تحلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال كعب بن مالك: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غرها قط إلا في غزوة تبوك، غير أنني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدًا تخلف عنه، إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقت على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.

وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قلبها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة معزاهما رسول الله ﷺ في حر شديد

(١) لقد صرّح بأنه لم يكن تخلفه ناشئاً عن فقر وعسر ولا عن عجز وضعف، فقد كان يشارك فيما سبق غزوة تبوك من غزوات وهو في حال دون حاله في هذه الغزوة قال «وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أبي لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قلبها راحلتين قط حتى جمعتها في تلك الغزوة»

(٢) صرح بالأسباب التي نالت من عريمته في الجهاد وهي البحر الشديد والسفر البعيد والمفاوز العريضة لمهلكة بين لمدينة وتبوك، والعديد الكثير من روم وعرب يشايعون الروم، وذكر أن رسول الله جلّى للناس أمرهم؛ ليتأهبوا أهبة غزوهم.

(٣) وصرح بما لعله أهم أسباب تخلفه وهو طيب الثمار والظلال، ثم قال مصرحاً بما قد يسعه إخفاقه ولكن نفسه الصادقة أبت إلا أن يصدع به «فأنا إليه أصعر» أي: أن نفسه مالت إليه، وهذه منزلة عظيمة في الصدق قل جدّاً من يرقى إليها.

(٤) وذكر منازعة نفسه وتردده بين اللحاق بركب رسول الله ﷺ وإحوايه لمحاهدين، وبين قعوده تحت الظلال الوارفة والثمار الطيبة.

(٥) وذكر ما كان يصيبه في هذا التخلف من آلام الحسرة والحزن بسبب أنه لا يرى له أسوة في التخلف إلا رجلاً مغموصاً عليه في الباق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، وهذا من أدلة حياة قلبه وصدق إيمانه.

(٦) فقال كعب بن مالك فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بشي فطفقت أتذكر الكذب وأقول بيم أخرج من سحطه عدّاً، وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادمًا زاح عبي الباطل حتى عرفت أنني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه وصح رسول الله ﷺ قادمًا، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر

لهم، ووكل سرائرهم إلى الله حتى جئت، فلما سلمت تبسم تبسم المغضب، ثم قال تعالى، فحشت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: ما خلقت، ألم تكن قد ابتعت طهرتك؟ قال: قلت: يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدين لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً ولكي والله لقد علمت لئن حدثت اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يمحطت علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عقي الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك؛ فقامت.

وفي هذا المقطع يذكر لنا وضعه الجديد حيث قفل رسول الله ﷺ وقد ظفروا بالعزة والنصر والأجر، فماذا استفاد من هذا التخلف ولو كان من أسبابه طيب الظلال والثمار ومن هم أسوته سوى المعموص عليهم في التفق والضعفاء والمعدورون.

فيعتمر قلبه الحي من قسوة الألم والأسى، وفي الوقت نفسه يذكره الشيطان ويملي عليه أنواعاً من الكذب، لكن ظلمات الكذب والباطل قد انراحت عنه بفضل الله عليه وحسن رعايته له، بسبب صدق إيمانه وإحلاصه لله رب العالمين، موقفه لأعظم أسباب العجة بعد الإيمان وهو الصدق ولا سيما عند الأخطار والأحداث المدلّمة.

قال «ولما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادمًا زاح عني الباطل حتى عرفت أني لن أبجو منه شيء أبداً، فأجمعت صدقه وصبح رسول الله ﷺ قادمًا». وذكر تلك السنة العظيمة التي تكاد تنسى أو نسيت عند كثير من المسلمين، ألا وهي صلاة ركعتين في المسجد عند قدوم المسلم من سفر، وذكر موقف المعذرين -أي المنافقين- أنه الكذب ولتمويه الباطل مؤكداً كذبهم بالحلف، فما يسمع رسول الله إلا أن يقبل علانيتهم، ويكن سرائرهم إلى الله علام الغيوب، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لكن كعباً ﷺ نفقه وعقده أدرك أن الكذب على رسول الله ولو أكد بالإيمان المعلقة لن ينجيه من سخط الله، ثم من سحق رسوله،

أدرك ذلك ببصيرته النيرة وعقده الثقب بعد توفيق الله له، فأبى إلا أن يعجزه بالحقيقة الناصعة.

(٣) قال: «فكعل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال. ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على طهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله ﷺ ما قد ضاقت علي نفسي، وضافت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سماع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قل: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج قال: فآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله عليا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قتل أصحابي مبشرون، وركض رجل إلي فرساً، وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى الحبل فكان الصوت أسرع من الفرس، فمما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى فترعت له ثوبي فكسوتهما يده ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، وسترعت ثوبي، فلبستهما، فانطلقت أنا مع رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوحاً فوحاً بهتوني بالتوبة ويقولون: فثبثك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهما نبي، والله ما قدم رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة، قل كعب فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور ويقول أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قل: فقلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال: لا، بل من عند الله، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استدار وجهه كأن وجهه قطعة قمر، قال: وكنا نعرف ذلك قال فمما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أسحب من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ أمسك بعض مالك فهو خير لك. قال فقلت: فإنني أمسك سهمي الذي بخير».

لقد جاء إلى رسول الله ﷺ لا ليكذبه في العذر، ولكن ليقول الحقيقة بملء فيه؛ لأنه قد راح عنه الباطل واستقر الحق في أعماق نفسه.

فقال رسول الله ﷺ: «ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك» أي: قد اشتريت

راحلة الجهاد وأعددت العدة لذلك؟

فقال كعب: يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أبي سأخرج من سخطه بعدد ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثت اليوم حديث كذب ترضى به عني لبوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثت حديث صدق تجد علي فيه إني لأرحوه عني الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

قال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك.

واعتذر إخوانه مرارة بن الربيع، وهلال بن أمية بمثل عذره الصدق، وقال لهم رسول الله ﷺ مثلما قال لكعب.

وأمر رسول الله ﷺ المجتمع المسلم بمقاطعتهم وهجرانهم، فنفذوا أمر رسول الله ﷺ بدقة بما فيهم أقرب الأقربين إليهم طاعة لله ولرسوله، ويستلث الوحي وتستمر المقاطعة ويتمادي الانتلاء والاختبار، لصعب لمدة خمسين يوماً

وتترامى الأبناء إلى ملك غسان البصراني فيجد في ظنه فرصة إلى استمالة كعب ودعوته إلى اللحاق به ليكرمه في زعمه ويواسيه، فيأبى إيمان كعب بالله ورسوله وتأبى نفسه الآية من الاستجابة لهذه المحاولة الشيطانية، ويدرك بأن هذا أيضاً من لا يتلاء، فيسجر برسالة هذا الكافر التور كما قال ﷺ وجاءهم الفرح صباح خمسين ليلة بتوبة الله عليهم، وهم كما قال كعب ﷺ على الحال التي ذكر الله تعالى قد صاقت علي نفسي وصاقت علي الأرض بما رحبت وامتلاً أصحاب محمد بشري وسروراً بما أفاض الله على إخوانهم من توبة الله عليهم ورضا الله ورسوله عنهم، وتسابق المشرور، منهم من يمشي على رجله فيستبطن فيعلو جبل سلع ويرفع صوته مدوي فيسبق صوته راكب الفرس المدهس له، لحريص على سبقه فيذهب كعب إلى رسول الله وفي طريقه يستقبله أصحاب رسول الله فوجاً فوجاً يهتفون بتوبة الله عليه، ويوجد رسول الله ﷺ ووجهه كالقمر تهرق أسديره من السرور، فيقول له: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك».

وكيف لا يكون ذلك وقد أنقذه الله بالصدق من هلاك ما حق وقع في أتونه من لا ذوا بالكذب والإيمان الفاجرة وقلب الحقائق.

اللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ بَيْعَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالنَّصْرَةِ فِي بَيْعَةِ الْعَقَةِ تِلْكَ الْبَيْعَةِ الَّتِي يَرَاهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمِشَارَكَةِ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ، لَشِدَّةِ فَرْحِهِ بِهَذِهِ لَتُوبَةٍ وَشُعُورِهِ بِهَذِهِ التَّوْبَةِ وَشُعُورِهِ الْعَمِيقَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ أَكَّدَ ذَلِكَ بِمَوْقِفِ الشَّاكِرِ لِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَمْلُغَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ»، ذَلِكَ الْمَدْرُ الْمَغْرِي الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْبَابِ تَحْلُفِهِ عَنِ الْجِهَادِ، هَذَا دَلِيلٌ آخِرٌ مِنْهُ عَلَى صِدْقِ تَوْبَتِهِ وَجَدُّهُ فِي ذَلِكَ.

فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ -: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ». فَمَاذَا صَنَعَ؟ لَقَدْ احْلَغَ مِنْ مَالِهِ بِالْمَدِينَةِ الَّذِي حَبَسَهُ عَنِ الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْقَى سَهْمَهُ بِخَيْبَرٍ، ذَلِكَ الْمَالُ الْبَعِيدُ الَّذِي لَعَلَهُ لَا دَخَلَ لَهُ فِي حَبْسِهِ.

وَيَدْلِي بِالسَّبَبِ الْقَوِي فِي نَجَاتِهِ، بَلْ هُوَ فِي نَظَرِهِ السَّبَبُ الْوَحِيدُ فِي انْقَازِهِ مِنَ الْهَلَاكِ الْمَاحِقِ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي إِلَّا أَحْدَثَ إِلَّا صَدَقًا مَا بَقِيَتْ».

وَيُوفِّقُهُ اللَّهُ لِلْوَفَاءِ بِمَا وَعَدَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبِمَا يَرَاهُ مِنْ أَرْكَانِ تَوْبَتِهِ، قَالَ: «فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنْ أَحْدَثَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاءَ اللَّهِ - أَيُّ: أَسْعَمَ عَلَيْهِ - فِي صَدَقِ الْحَدِيثِ مِنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدَتْ كَذِبَةً مِنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا».

مَا أَرُوعَ الصَّدَقِ، وَمَا أَنبَلَ لِمُصَادِقِينَ، وَيُعَدُّ وَشُحْقًا لِلْكَذِبِينَ فِي أَيِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، كَيْفَ لَا وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ دَعَائِمِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَأَصْعَفِ أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ رِكَائِزِ النِّفَاقِ - عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْهُ وَمَنْ كُلِّ مَا يَسْحَطُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، ثُمَّ يَقُولُ مُتَحَدِّثًا عَنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي مَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ.

(٤) «قَالَ: وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ اللَّهُ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي إِلَّا أَحْدَثَ إِلَّا صَدَقًا مَا بَقِيَتْ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنْ أَحْدَثَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاءَ اللَّهِ فِي صَدَقِ الْحَدِيثِ مِنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدَتْ كَذِبَةً مِنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَعَلَّ أَتْلُتْهُ الْيَبْرُكُ﴾

حَلُّوْهُ حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَلُّوْا أَلَّا مَلْحَأَمٌ مِّنَ اللَّهِ إِلَّا الْيُودُ ثُمَّ قَابَ عَلَيْهِمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ حتى بلغ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٨-١١٩].

قال كعب: «والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ ألا أكون كدبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قل لأحد وقال الله: ﴿سَيَحْمِلُونَ يَوْمَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ إذا أنفستهم إليهم ليعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إتهم ريحس ومأولهم جهنم حرأء بما كانوا يكسبون ﴿١١٥﴾ يحملون لكم ليرضوا عنهم فإن قرصوا عنهم قَابَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْفَوْرِ الْفَيْقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦].

فهذه عاقبة الأفاكين ولو كان إفكهم تملقاً واعتذاراً ولم يغني عنهم استغفار رسول الله ﷺ شيئاً في حياتهم ولا بعد مماتهم قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] ﴿مَا لَكُمْ شَفَعَةً تَشْفِعُ﴾ [المدثر: ٤٨].

وفي هذا عبرة عظيمة للمدين لا يزكون أنفسهم بالتوحيد والإيمان والصدق والأعمال الصالحة، وقد يكون في هؤلاء الكذابين المحادعين من يعتقد أن توصيه بالكذب والحدع إلى تسامح الرسول عنه والاستغفار له ينجي من بطش الله وإهانة الله له في الدنيا والآخرة، فحبيب الله آمالهم وأخزاهم في الدنيا والآخرة، ولم يغني عنهم استغفار رسول الله ﷺ شيئاً.

هذه حقيقة وضحتها القرآن في سورة التوبة وغيرها، وأكدها رسول الله بقوله لقريش بطاً بطاً ولأفراد أسرته: «اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً»؛ فليحذر الكذابين في أي زمان ومكان في إيمانهم وعقائدهم وأقوالهم وشهاداتهم أن يفضي بهم هذا الكذب إلى هوة الهلاك التي تردي فيها هؤلاء الكذابين.

وفيه عبرة وبشرى للصادقين في إيمانهم ورسالتهم وأعمالهم الصالحة وأقوالهم وشهاداتهم بالنجاة من الهلاك، كما نحي كعب وأصحابه ﷺ بالصدق

في طرف يدعو فيه الحال ضعاف الإيمان وضعفاء لموس إلى الكذب قال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَصْعَقُ الْفٰئِدِيْنَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَهَنَّمُ خٰلِدًا فِيْهَا اَلَا بُدَّ اِلٰي رَبِّهِمْ اِنَّهُمْ وَرَوْا عَنْهُ ذٰلِكَ الْغَوْرُ الْعَلِيْمُ ﴾ [المائدة : ١١٩]

ومن ثمار الصدق : في صحيحين عن طلحة بن عبيد الله قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ، ثائر الرأس ، سمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول ، حتى دنا من رسول الله ﷺ فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : خمس صلوات في اليوم والليلة ، فقال : هل علي غيرها ؟ قل : لا ، إلا أن تطوع ، وصيام شهر رمضان . فقال : هل علي غيره ؟ فقال : لا ، إلا أن تطوع ، وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة ، فقال : هل علي غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قل : فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أريد عني هذا ولا أنقص منه ، فقال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق . »

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال : « نهيت أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء ، فكان يعجبنا أو يحيي برجل من أهل البادية يعقل فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد أتانا رسولك فرعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك قال : صدق . قل : فمن خلق السماء ؟ قال : الله . قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله . قال : فمن نصب هذه الجبال ، وجعل فيها ما جعل ؟ قل : الله . قال : فالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال ، أكله أرسلك ؟ قل : نعم . قال : وزعم رسولك أن عليّ خمس صلوات في يوم وليلة قال : صدق . قل : فالذي أرسلك أكله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قل : وزعم رسولك أن عليّ حج البيت من استطاع إليه سبيلاً قال : صدق . قل : ثم ولي . قال : ولذي بعث بالحق لا أريد عليهن ولا أنقص منهن . فقال النبي ﷺ : لمن صدق لي أدخل الجنة . »

هذان سائلان عاقلان أعظم الله عليهما بنعمة لعقل واللفظة وحسن السؤال ولا سيما الآخر منهما ، وقد قيل إنه صمام بن ثعلبة الهذلي ، فأول منهما سأل

رسول الله عن شرائع الإسلام فأجابه الرسول بما فرضه الله على العباد من أركان هذا الدين بعد الشهادتين؛ لأن السائل فيما يبدو كان مسلمًا، فأجابه بأن الإسلام هذه المكتوبات، والسائل يقر بذلك ويلتزمه لأنه يريد أن يعلم هل هناك شيء يجب عليه زائد عما ذكره من هذه الأركان، والرسول ﷺ يقول له «لا، إلا أن تطوع»، فلما فرّق له رسول الله بين الواجبات والتطوعات أقسم بالله أنه لا يزيد على تلك الواجبات ولا ينقص منهن، فأجابه رسول الله ﷺ مبشرًا له ولأمة بالجزاء العظيم لمن يقوم بهذه الواجبات حق القيام: «أفصح إن صدق»، أي: طابق فعله قوله، وذلك هو الصدق، فقلاحه مترتب على صدقه في المقال والفعل وأنعم بذلك.

وأما السائل الثاني، فكان سؤاله أعمق وأبعد مدى من الأول، قال صاحب التحرير وهو محمد بن إسماعيل الأصفهاني السلفي: «هذا من حسن سؤال هذا الرجل وملاحظة سياقه وترتيبه، فإنه سأله أولاً متأكدًا من صدق الرسول الذي أرسله رسول الله ﷺ لدعوتهم إلى الإسلام، هل هو صادق أنك مرسل من الله، فقال رسول الله ﷺ: «صدق»، ثم سأله عن خالق السماء والأرض ومن نصب هذه الجبال؛ لأنه كسائر العرب كانوا يؤمنون بتوحيد لربوبية، فأجابه رسول الله ﷺ بقوله: «الله، الله، الله»، في كل ذلك.

ثم استثنت من كل ما بلغه رسول رسول الله إليهم من شرائع الإسلام: الصلاة، والزكاة، والصيام، والرسول يقول: «صدق، صدق» إلخ. فلما انتهى رسول الله ﷺ من الإجابة عن أسئلته قال لرجل والذي بعثت بالحق لا أريد عليهن ولا أقصر مهر شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة».

فيا لها من ثمرة عظيمة للصدق، الصدق في الاعتقاد، والصدق في القول، والصدق في التطبيق بالعمل المشروع المتلقى عن الله ورسوله.

فهذه بعض ثمار الصدق، يهدون في الحياة الدنيا إلى البر، وهو الجامع لكل خصال الخير، ويفوزون بالمنازل العالية عند الله - تبارك وتعالى - خالدين في جنات تجري من تحتها الأنهار، قد نالوا أعظم مطلوب، وهو فوق هذه المنازل ألا

وهو رضا الله تعالى عنهم .

ومن ثماره : الهدية إلى البر ثم إلى الجنة ، قال رسول الله ﷺ : «إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً» .

ومن ثماره الفوز برضا الله ، ثم الفوز بجنت تجري من تحتها الأنهار ويظهر ويتجلى فيه نفعه ، قال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَمْعُ الصَّدِيقِينَ صَدَقْتُمْ لَمْ يَكُنْ خَيْرٌ مِنْ نَحْوِهَا الْآخِرُ خَالِدِينَ فِيهَا أَلَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٩] .

وفي الصحيحين ، عن أبي سعيد الخدري : أن النبي ﷺ قال : «إن الله يقول لأهل الجنة : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ : أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبُّ وَآيُ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : أَجِلْ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» .

فهنيئاً للصادقين هدا الفوز العظيم والعيم المقيم والرضا الأبدي والخلود السرمدي .

جعلنا الله منهم بمنه وفصله ورحمته ، إنه رؤوف رحيم ، جواد كريم .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه الفقير إلى عفو الله ومغفرته

ربيع بن هادي عمير المدخلي

* * *

﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

وبيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

﴿يَسْتُلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله إمام الموحدين وقائد الغر
الميامين ، محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .
وبعد :

فإن الله العليم الحكيم في خلقه وشرعه وقدره وفي أقواله وأفعاله قد خلق هذا
الكون الكبير . السموات والأرض وما فيها من آيات عظيمة مما يشهد وما لا
يشهد ، وما يعلمه الإنسان وما لا يعلمه ، لحكمة عظيمة وغاية جلية : هي ابتلاء
الناس في هذه الحياة الدنيا واختبارهم أيهم أحسن عملاً ، كما ذكر ذلك في محكم
ذكره : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
يَسْتُلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [مرد ٧]

وهذا الابتلاء هو المذكور في قوله : ﴿الَّذِي خَلَقَ النَّوْتَ وَالْحَبْوَ يَسْتُلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا﴾ [سنت ٢] ، وهو المقصود في قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

ومن هنا يعلم الإنسان مكانته في هذا الوجود ويعرف قيمته ، وأن هذا
الامتحان والابتلاء الذي أعده الله له أمر له خطره بحيث سخر من أجله هذا الكون
العلوي والسفلي ؛ فالسموات بأفلاكها وكواكبها وشمسها وقمرها قد سخرت لك
أيها الإنسان لتقوم بأداء هذا الامتحان على أكمل الوجوه .

قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِهِ بِأَمْرِهِ وَلِئَسَّوْنَ مِنْ
مَصِيرِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

(١) مقال نشر في مجلة الجامعة الإسلامية في العدد (٢٤) في شهر ربيع الثاني لعام (١٣٩٤هـ) في الصفحة
(١٠١-١١٠)

إمكانية الإنسان

وإن الله سبحانه قد زود الإنسان بطاقات ومواهب ترفعه إلى مستوى المستولية التي أقيمت على كاهله وتؤهله للخلافة في الأرض فزوده بما يلي :

١- بالعقل الذي يميز به بين الحق والباطل والضرر والسافع ، وأناط التكاليف وربطها بوجوده ورفع التكاليف عند فقدانه .

٢- وهياً تكوينه وتركيبه الجسمي أحسن تهيئة وأعدده أحسن إعداد وخلقته في أحسن تقويم يتلاءم تمام التلاؤم والموافقة مع ما كلفه الله به من أعمال وواجبات ، فيزاولها ويقوم بها بسهولة ويسر ، فهو يختلف عن سائر الحيوانات بهذا التركيب الجميل ، لامتياز والتقويم الأحسن ، كلفه بالطهارة على اختلاف أنواعها وتكوينه الجسمي يساعده على القيام بها ، وكلفه بالصلاة ، وهيئته قد أعدها الله أحسن إعداد للقيام بهذا الواجب فهو يستطيع كل أفعال الصلاة من قيام وركوع وسجود ، كما يستطيع أن يؤدي كل الأقوال من قراءة وتسييح وسائر الأذكار .

٣- وروده إلى جانب ما ركزت فيه من فطرة الاعتراف بالله بإرسال الرسل وإنزال الكتب التي فيها يترتب تفاصيل وبيان كل الواجبات والتكاليف التي يجب أن ينهض بها ، وما يترتب عليها من سعادة ونعيم وجزاء حسن إن هو قام بها وأداها على الوجه المطلوب .

وقبل هذا زوده إلى جانب ما فُطر عليه من فطرة الله وما يؤيد هذه المعرفة من آيات كونية باهرة يشاهدها بعينه ويسمعها بأذنه ، فتوحي إلى قلبه بما فيها من روعة وجمال وعظمة وإبداع بقدرته خالقها الهائلة وعلمه المحيط الشامل وحكمته العلي التي تصنع كل شيء في موضعه زوده بما يعرف به من صفات خالقه ونعوت جلاله مما يزيد علمه وبصيرة ومحبة وتعلقاً بهذا الرب العظيم .

وعلى صوء ما سبق من ذكر الخالق العظيم الموصوف بصفات الكمال ونعوت الجلال ومن ذكر العبد الذي زوده الله بوسائل عظيمة تؤهله لمعرفة الله وعبادته والقيام بالخلافة في أرضه نستطيع أن نقول : إن توحيد الله الذي جاءت به الرسل ودعت إليه ونزلت لبيانه الكتب السماوية نوعان :

١- توحيد المعرفة والإثبات.

٢- توحيد الطلب والقصد.

فتوحيد المعرفة والإثبات وهو يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله على أساس تربيته عن مشابهة المخلوقين، وهذا المبدأ - وهو مبدأ التثنية - يرتكز على أدلة وبراهين من القرآن العظيم مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَمْ يَسِيعًا﴾ [مريم: ٦٥].

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُّوا أَحَدًا﴾ [الإخلاص: ١٤]

ويتعبر آخر نقول: إنه يجب الإيمان بما ورد في القرآن والسنة من صفات الله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهذا المصحح هو مذهب السلف الصالح وهو الصراط المستقيم الذي يضمن للمؤمن السلامة من التخطئ في ظلمات التشبيه والتعطيل؛ إذ المشبه كما يقال: يعبد صنماً، والمعطى يعدد عدماً.

وأدلة هذا النوع من التوحيد كثيرة جداً نذكر ما يتيسر

قال تعالى ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَأَشْهَدُهُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيبُ الْعَزِيزُ الْحَسْبُ الْكَافِرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢﴾ هُوَ اللَّهُ الْحَيُّ الْقَائِمُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ كُلُّ شَيْءٍ يُسَمَّى لَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

جمعت هذه الآية بين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء

والصفات

وقال تعالى: ﴿سَمَّيْنَاهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٤﴾ لَمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِحَيْثُ وَبُيِّنَتْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٥﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيقُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَدْرَأُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٧﴾ [الحديد: ١-٤].

وقال تعالى: ﴿مَلِكٌ ۝ مَا أَمْرًا عَلَيْكَ أَلْقَمَانٌ لِقَافَتَيْنِ ۝ لَا تَنْصُرُهُ لَيْسَ يَخْشَى ۝ تَرْبِيلاً فَمَنْ حَقَّ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْفَلَى ۝ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا يَسْهَمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ١-٨]

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَيْعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ يُبَيِّرُ الْأَمْرَ مِنْ أَيْنَ شَاءَ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ مَسِيرٍ مِمَّا تَعْدُونَ﴾ [السجدة: ٤-٥].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي آتَى الْقِيَوْمَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [ال عمران: ١-٦].

وقال تعالى: ﴿ثَلْثٌ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَكَ بَلَدٌ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

دلت هذه الآيات على صفات كمال تليق بجلاله وعظمته، وهي الإلهية، وعلم الغيب والشهادة، والرحمة، والملك، والقدوسية، والهيمنة، والعزة، والجبروت، والكبرياء، وكونه السلام المؤمن الخالق البارئ المصور والمختص بالأسماء الحسنى، وخضوع أهل السموات والأرض له، والعزة، والحكمة، والأولية، والتفرد بالإحياء والإماتة، والقدرة الشاملة، والأولية المطلقة التي لم يسبقها شيء، والآخرية التي ليس بعدها شيء، والاستواء على العرش، وكونه في السماء على الوجه اللائق به.

وله صفات أخرى مثل: السمع، والبصر، والإرادة دلت عليها أدلة أخرى من الكتاب والسنة لا يتسع المقام لذكرها، كلها يجب أن يكون موقف المؤمن إزاءها موقف الإيمان الكامل والتسليم المطلق وأن يتدققها بصدر رحيب ونفس مطمئنة لا يتسرب إليها حرج أو شك.

إلا أنه مع الأسف قد لعب الشيطان برءوس أناس اختلفت نظراتهم ومواقفهم من هذه الصفات ما بين غال في الإثبات إلى أن انحدر إلى مستوى لا يليق به؛ فشبّه

اللَّهُ بخلقه ولم يقرأ مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] مما يفيد التنزيه.

وما بين معطل جريء جحد صفات الكمال ونعوت الجلال، وهم ما بين شجاع أعلى هذا الجحد وأبدى صفحته غير هيأب ولا متلثم، وما بين مختف وراء ستار من التحريفات سميت تأويلات.

وبين ذلك الإفراط وهذا التفريط منهج السلف الصالح وعلى رأسهم: رسول الله وصحابته الكرام والتابعون لهم بإحسان وأئمة الهدى، هذا المنهج هو - كما قدمنا - الإيمان بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ولنذكر هنا ثلاث صفات يتجلى لنا من خلال الكلام عليها أن الحق كان فيها حليف أهل السنة والجماعة، وأن طريقهم هو الطريق المستقيم الذي لا يجوز العدول والانحراف عنه:

١- صفتا العلو والاستواء على العرش:

أما صفة الاستواء؛ فقد وردت في القرآن الكريم في سعة مواضع:

١- في سورة الأعراف.

٢- وفي سورة يونس.

٣- وفي سورة هود.

٤- وفي سورة طه.

٥- وفي سورة السجدة.

٦- وفي سورة الرعد.

٧- وفي سورة الحديد.

وأما صفة العلو؛ فقد دلت عليها نصوص كثيرة من الكتاب والسنة مثل:

قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَرَاقِهِ﴾ [الحل ٥٠].

وقوله: ﴿أَإِنْتُمْ مَن فِي السَّكَاةِ﴾ [الملك ١٦].

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [طاهر: ١٠].
وقول الرسول ﷺ للجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء. قال: اعتقها فإنها مومة».

وقصة معراج الرسول ﷺ إلى الله في السماء.

وقد ألفت كتب في موضوع العلو والاستواء؛ مثل: «اجتماع الجيوش الإسلامية» للإمام ابن القيم، و«العلو للعلي الغفار» للذهبي بلغت الأدلة فيها ما يقارب ألف دليل، والواقع أن القليل منها يكفي المؤمن الصادق ويقعه ويفرض عليه الإيمان بهاتين الصفتين العلو والاستواء.

ثانيًا: صفة الرحمة:

قال بعض العلماء وهو ابن الوزير وقد أخذته الدهشة من موقف الأشاعرة كيف تجرءوا على تأويل صفة الرحمة وقد وردت في القرآن أكثر من خمسمائة مرة بأسلوبَي التأكيد التكرار، والتأكيد والتكرار عند علماء البلاغة يرفعان احتمال المجاز لو قل هذا التكرار والتأكيد، فكيف لا يرتفع المجاز عن كلام الله وإن أكد وكرر بالمئين؟!!

فمن ذينك الأسلوبين - التكرار والتأكيد - قوله تعالى في صدر كل سورة ما عدا سورة التوبة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مائة وثلاث عشرة مرة وفي أثناء سورة العمل بعض آية ﴿إِنَّمَا مِنْ سُلَيْمَانَ وَدَاوُدَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الن: ٣٠] ثم اختتام كثير من الآيات القرآنية باسمه تعالى: «الرحيم».

وإنه لموقف مدهش غريب ولون من التناقض غريب من قوم يدعون أنهم هم أهل السنة والجماعة.

وقد ألفت كتب كثيرة جدًا في بيان الطريق الصحيح في الإيمان بصفات الله والرد على المعطلة والمشبهة؛ منها: «كتاب التوحيد» لإمام الأئمة ابن خزيمة، و«السنة» للإمام أحمد بن حنبل، و«الرد على بشر المريسي» لعثمان بن سعيد الدارمي، و«السنة» للالكائي وغيرها من المؤلفات.

وفي تراجم أمهات السنة منها ما هو صريح في الرد على الجهمية وهم المعطلة؛ فتجد مثل الإمام أبي داود يقول عقب حديث أورده فيه ذكر صفة الاستواء والنزول: وفي هذا رد على الجهمية.

وابن ماجه يقول في ترجمة في كتابه أورد تحت هذه الترجمة أحاديث في الصفات قال في الترجمة: باب الرد على الجهمية، ويورد تحتها كثيراً من الأحاديث في الصفات مما يشجع طالب الحق على التمسك بكل ما ورد في الكتب والسنة من الصفات والعص عليها بالنواجذ.

وأما توحيد الربوبية؛ وهو الإيمان بأن الله وحده هو الخالق الرازق المحيي المميت والمدير لشئون الكون فأدلته كثيرة جداً منها ما تقدم ذكره في الآيات السابقة.

ومنها: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [المرم: ٦٢].

﴿مَلَّ مِنْ خَلْقِي غَيْرَ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

﴿إِنِّي اللَّهُ شَنَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَنًا فَأَعْيَنَكُمُ ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ يَسْأَلُكُمْ أَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الملك: ٢].

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّأْفُ ذُو الْقُوَّةِ الْكَبِيرِ﴾ [الداریت: ٥٨].

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ يَرْزُقُهَا﴾ [مرد: ٦].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَسْرَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَدَبَ لَكُمْ أَمْرًا عَلَى اللَّهِ تَفَتُّونَ﴾ [يونس: ٥٩].

والآيات الكونية: السموات وما فيها من كواكب وأملالك، وإبداع صنعها، وروعة جمالها، ونظم سير السيارات منها في دقة مدهشة، والأرض وما فيها من حبال راسية وبحار زاخرة، وما فيها من حيوان وأشجار ونبات وأزهار من أعظم

لأدلة على خالقها العليم القدير الحكيم، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.
وقال أعرابي حينما سئل عن الله: إن البعرة تدل على البعير، والسير يدل على
المسير؛ فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا تدل على
اللطيف الخبير؟!

فهذا النوع من التوحيد من الأمور البديهية المسلّمة عند جميع الأمم وفي
جميع النحل إلا من كابر عقله وفطرته.

وقد قصّ الله علينا في القرآن موضوع رسالات جميع الرسل إنه توحيد العبادة
وإن الرسل إما كانوا يدعون أممهم إلى عبادة الله وحده، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ
بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاحْتَنِئُوا وَظَفُوتُ﴾ [الحل ٣٦].

وحكى عن المشركين أممهم كانوا معترفين بوجود الله وأنه خالق السموات
والأرض ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [القمان: ٢٥].

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّعْيَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ
وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ قَسِبُولُونَ اللَّهُ فَعُلْ أَفَلَا تَنْقَرُونَ ﴿٣١﴾ مَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٣٢].

ومن الأدلة على هذا النوع وأن لهذا الكون خالقاً أنشأه وأوجده: قانون
نسبية، وهو أنه لا بد لكل حادث من محدث، وإليه يرمز قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ
غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور ٣٥] أي: أوجدوا من غير موجد أم هم أوجدوا
أنفسهم؟ أي لا هذا ولا هذا، بل الله أوجدهم.

وطاهرة العناية والحكمة في هذا الكون تدل على الخالق الحكيم وأنه لا
مجال للمصادفة العمياء التي يزعمها عُمي القلوب والأبصار الصم والبكم الذين لا
يعقلون.

أما توحيد العبادة؛ فهو محور جميع الرسالات السماوية، ومعناه: إفراد الله
تعالى بجميع أنواع العبادة والعبادة: هي الخضوع المطلق لله وتوجيه العبادات
والمطالب والرغبات كلها إليه أو بتعبير آخر: هي أمر جامع لكل ما يحبه الله
ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية

وتوجيه أي عبادة لغير الله المعبود الحق يعتبر شركاً به ، ومخالفة دينية لما فرضه الله على عباده ، وانحرافاً شبيهاً عن العاية الرئيسية التي خلق الله الإنسان من أجلها وسحر له ما في السموات والأرض كي يتسنى له القيام بها على الوجه المطلوب .

وإذا استعرضنا القرآن نجد أن مدار جميع الرسالات وهدفها الأصيل هو إرجاع الناس إلى هذه الغاية الخطيرة كلما انحرفوا عنها ؛ قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِذْ قَوْمِهِ فَذَلَّ يَنْفَوِرَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف : ٥٩] .

وقال : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُوتًا قَالِ يَنْفَوِرَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف : ٦٥] .

وقال ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُوتًا قَالِ يَنْفَوِرَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف : ٧٣] .

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُوتًا قَالِ يَنْفَوِرَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف : ٨٥] .

وهذا النوع من التوحيد هو معنى لا إله إلا الله ؛ فإن قولهم جميعاً : ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ هو نفس معنى لا إله إلا الله ؛ والمعنى الحقيقي لهذه الكلمة : لا معبود بحق إلا الله وليس معناها : لا خالق ولا رازق إلا الله كما يتوهم بعض الناس ممن لا يفهم معناها بل معناها ما ذكرنا ؛ لا معبود بحق إلا الله كما نقل ذلك عن ابن عباس وجماعة من أهل التفسير واللغة .

ونرى لزوماً علينا أن نكشف عن معنى العبادة وأنواعها التي هي مدلول لا إله إلا الله وأن صرفها لغير الله يعد شركاً به وإطلاً لمضمون هذه الكلمة .

فمنها : الدعاء ؛ قال تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُتَكِبِينَ﴾ [الأعراف : ٥٥] .

وقال تعالى - زاجراً عن دعاء غيره من ميت وغائب - : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا

يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الطَّالِقِينَ ﴿١٠٦﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ بَيْنِ يَدْعَاؤِهِمْ دُونَ اللَّهِ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْبَيْعَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافُونَ ﴿١٠٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِسَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠٥-١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْجُدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ١٨].

وقول الرسول ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله نذرا دخلا النار».

ومنها: الاستعانة؛ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقول الرسول ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله».

ومنها: الاستغاثة، وهي دعاء في حال الشدة ومن الأدلة عليها ما تقدم في

لدعاء، ومنها قوله تعالى: ﴿إِذْ قَسَتَ فُتُورُ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ [الأنفال: ٩٠].

ومنها: الذبح؛ قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ﴾ [الكوثر: ٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله».

ومنها: الرجاء؛ قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَسْلَمْ مِنْهُمَا صَاحِبًا وَلَا يُشْرِكًا

بِسَادَةِ رَبِّهِ أَلَسْنَا﴾ [الكهف: ١١٠].

ومنها: الإنابة؛ قال تعالى: ﴿وَأَلْبِسُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

ومنها: التوكل؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

ومنها: المحبة؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَخْذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ

كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ومنها: الخشية والخوف؛ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسَ وَخَشَوْا﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى في مدح الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْحَنِاتٍ وَيَدْعُونَهَا

رَعِبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿[الأنبياء: ٩٠].

ومنها: الركوع والسجود؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَسُوا أَوْتَكُحُوا
وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج ٧٧].

ومنها: الخشوع؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْكُمْ وَمَا أُرِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِثَانِيَةِ اللَّهِ ثَمَمًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ١٩٩].

ونستخلص من الأدلة السابقة: أن الدعاء عبادة كما قال رسول الله ﷺ:
«الدعاء هو العبادة».

والاستعانة بالمخلوق في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله عبادة.

والاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله عبادة.

والصلاة، والذبح، والتحر، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والمعة،
والخشية، والرغبة، والرغبة، والركوع، والسجود، والخشوع، هذه الأمور كلها
عبادات لا يجوز أن يتوجه بها العبد إلا لله ولا يصرفها إلا لجلاله، وإن صرفها لغير
الله يعد شركاً به في خالص حقه.

وإن منهاج جميع الرسل وهدف كل الرسالات هو: إفراده سبحانه بالعبادة
التي لم يخلقوا إلا لكي يقوموا بها لله وحده مخلصين له الدين.
وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

سماحة الشريعة الإسلامية
وحب الله تعالى أن تؤتي رخصه
وحت رسول الله ﷺ على ذلك

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فيجب أن نعلم أن هناك رخصاً في شريعة الإسلام؛ تدلُّ على سعة رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، وتدلل على سماحة هذه الشريعة، وعلى المسلمين أن يتقبلوها، ويأخذوا بها؛ لأن الله يحب أن يتقبلها المسلمون.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ يَكُفِّرَ عَنْكُمْ أَلْسِنَكُمْ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْفُسْخَ﴾ الآية [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ الآية [المائدة: ٦].

وقال تعالى: ﴿هُوَ لَحَبَسَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْيَمِينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الآية [الحج: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُوقَ الْإِسْكَ ضَوْيَقًا﴾ [النساء: ٢٨].

وقيد الله الأمور بالقدرة والاستطاعة، والوسع والطاقة، فقال تعالى: ﴿فَانْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ الآية [التغابن: ١٦].

وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ قَسِينَا أَوْ أَخْطَاْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قال شيخ الإسلام رحمه الله^(١) بعد أن ذكر هذه الآيات وغيرها:

«وقد ذكر في الصيام، والإحرام، والطهارة، والصلاة، والجهاد، من هذا أنواعاً - يعني - من الرخص عند وجود الأعذار والمشقات .

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/٤٨-٥٠).

ثم قال - . «وقال في المصهيبات: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَضْطَرُّنَا إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَابٍ وَلَا عَارٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَابٍ وَلَا عَارٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ مِمَّا أَعْطَاكُمْ بِهِ﴾ [الأحراب: ٥].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. هـ.

يعني: أن الله تعالى حرّم الميتة والدّم ولحم المختزير وما أهلّ به لغير الله، فإذا اشتدّ الجوع بالمسلم، فلم يجد ما يأكل ويسدّ به رمقه؛ فقد رخص الله له أن يأكل ما وجد منها، ولا إثم عليه ولا حرج، وإذا وقع المسلم في معصية خطأ منه، أو مخالفة لنص في حال الاحتياج؛ فلا يؤاخذ بذلك، ويسعه عفو الله ورحمته.

وذكر شيخ الإسلام أن الإسلام أن الإسلام جاء بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنه يرجع خير الخيرين، ويدفع شرّ الشرّين، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما.

* أقول:

ورسول الله ﷺ يُحِبُّ أن يتقبّل المسلمون رخص الله تعالى، ويأخذوا بها، فقد بوّب الإمام البخاري رحمه الله باب: الذين يُسَرُّ، وقول النبي ﷺ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»، صحيح البخاري (٢٣/١).

أخرجه الإمام أحمد، عن ابن عباس قال: «قيل لرسول الله ﷺ: أيّ الدّين أحبّ إلى الله؟ قال: الحنيفية السمحة». من طريق يزيد قال: أنا محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما... وذكره في المسند (٢٣٦/١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه. أن النبي ﷺ قال: «إني لم أبعث باليهودية، ولا بالنصرانية؛ ولكنني بُعثت بالحنيفية السمحة». في حديث طويل أخرجه الإمام

أحمد في المسند (٢٦٦/٥).

وفي المسند أيضًا (١١٦/٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «وضع رسول الله ﷺ ذقني على منكبيه؛ لأنظر إلى زفن الحشة حتى كنت التي عللت، فانصرفت عنهم». ثم ساق بسنده إلى عبد الرحمن، عن أبيه قال: قال لي عروة: أن عائشة قالت: «قال رسول الله ﷺ يومئذ: لتعلم يهود أن في ديننا فسحة؛ إنني أرسلت بتحفية سمحة».

وهذه الأحاديث تتعاضد؛ فتصل إلى درجة الحسن إن لم ترق إلى درجة الصحة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته». رواه الإمام أحمد (١٠/٢)، وابن حبان... وغيرهما، انظر: إرواء الغليل (٩/٣-١٣).

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه».

ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله يحب أن تُقبل رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه». انظر الإرواء أيضًا للألباني، وقد صححه بمجموع طرقه.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ مرَّ برجل في ظل شجرة يُرْسُ عليه الماء قال: ما بال صاحبكم هذا؟ قالوا: يا رسول الله صائم. قال: إنه ليس من البر أن تصوموا في السَّفر؛ وعليكم برخصة الله التي رخصت لكم؛ فاقبلوها». رواه النسائي في الصيام (١٧٦/٤)، والطحاوي (٦٢/٢)، وانظر: إرواء الغليل للعلامة الألباني (٥٤-٥٥)، وقد صحَّح الحديث.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «رخص رسول الله ﷺ في أمر؛ فتنزه عنه ناسٌ من الناس، فبلغ ذلك النبي ﷺ؛ فغضب حتى بَانَ العضْبُ في وجهه، ثم قال: ما بال أقوام يَرْعَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لي فيه، فوالله لأنا أعلمهم بالله، وأشدُّهم له خشية». رواه مسلم في الفضائل (١٢٨).

وفي رواية له: «فقام خطيبًا فقال: ما بال أقوام... الحديث».

والرخصة في اللغة هي - : السهولة واليسر . وقيل : النعمة واللين .
وفي الاصطلاح لها تعاريف ، ومن أجودها : «هي الحكم الشرعي الذي عُبر
من صعوبة إلى سهولة لعذر اقتضى ذلك ، مع قيام سبب الحكم الأصلي» (١) .
ومثل لها بالتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه عليها ، كما فعل عمار رضي الله عنه ، وأنزل
الله تعالى : ﴿لَا مَن أَكْثَرُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [الحج ١٠٦]

ومثل للفطر في شهر رمضان بعذر شرعي ، وتيمم المريض الذي لا يطيق
استعمال الماء أو لا يجد الماء ، أو الذي لا يملك ثمن الماء ، فكل من . الفطر
والتيمم رخصة تزول بزوال سببها في هذه الأمور (٢) وأمثالها .
والذي يتنزه من الأخذ بالرخصة ويرغب عنها يأثم . .

والذي يتبع رخص العلماء والمذاهب يأثم . .

والمنهج الحق . أن يؤخذ برخص الله على الوجه الذي رُخص فيه .

١- ولقد رخص الله لمؤمن أن يقول كلمة الكفر في حال الإكراه ، قال الله
تعالى : ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَن أَكْثَرُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن
مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣) [الحج ١٠٦] .
قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة . «وأما قوله : ﴿لَا مَن أَكْثَرُ
أَكْثَرُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ . فهو استثناء ممن كفر بلسانه ، ووافق المشركين
بلفظه - مكرها لما ناله من ضرب وأذى - وقلبه يأبى ما يقول ، وهو مطمئن بالإيمان
بالله ورسوله اهـ .

ثم ذكر قصة عمار رضي الله عنه المشهورة ، وذكر أن الآية نزلت بسببها . تفسير القرآن
العظيم (٢/ ٦٠٥) .

وقال العلامة ابن الوزير رحمه الله : «وقد أجمعت الأمة على العمل بمقتضى

(١) نظر «مذكرة أصول الفقه» (ص ٩٣) ، تحقيق العربي ، للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله

(٢) نظر «لجهد المدلول» للشيخ زيد بن هادي المدحلي - حفظه الله - (ص ٩٣)

(٣) يجوز تسليم في هذه الصورة أن يأخذ بالبرية ، كما فعل سلمان رضي الله عنه ؛ بل الأخذ بالبرية فيها أفضل

البصير في الإكراه، والنسيان، فكَذَلِكَ أَخْوَهُمَا وَثَالُثُهُمَا وَهُوَ الْخَطَأُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى -؛ بل هو أكثر منهما ذكراً وشواهد في الكتاب والسنة، والبلوى به أشد، والرحصة إما تكون على قدر شدة البلوى. إِيْثَارُ الْحَقِّ عَلَى الْخَلْقِ (٤٣٩).

والحاصل: أن في الآية الكريمة رخصة لمن أكره على الكفر أن يقول بلسانه كلمة الكفر؛ لكن لا بد أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، ولا بد أن يُغْنِصَ الكفر وأهله، ولو قالها بلسانه مختاراً لكان كافراً بالله؛ لأنه لا يفعل ذلك إلا وقد شرح صدره بالكفر.

والشاهد: أن المؤمن المستضعف المكره، يسقط عنه أصل عظيم، ألا وهو: إظهار التوحيد، وإظهار العداوة والبغض للكفر والكافرين، ويكفيه أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، وأن يكون مبغضاً للكفر، كل ذلك رحمة من رب العالمين، الذي علمنا أن ندعوه فنقول: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَسَلْنَا عَلَى آلِ يُونُسَ مِنْ قَبْلُ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢ الأصل في باب الولاء والبراء: إظهار العداوة للكافرين، والبراءة منهم ومن معبوداتهم، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المائدة: ٤].

وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَسْتَأْذِنُوا مِنْهُمْ نُسَخْتُ وَحْيِي عَنْكَ وَإِذْ يَسْأَلُكَ اللَّهُ تَعَالَى فَمَا تَقُولُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ بَيْتِهِ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال ابن كثير رحمه الله: «نهى الله - تبارك وتعالى - عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة، ثم توعد على ذلك، فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾. أي: ومن يرتكب نهى الله في هذا؛ فقد برى من الله».

ثم ساق رحمه الله آيات ينهى الله فيها عن موالاة الكافرين، والوعيد والدم لمن

يفعل ذلك .

ثم قال : «وقوله تعالى : ﴿لَا أَنْ تَسْتَفْتُوا مِنْهُمْ نَفْسَهُ﴾ . أي : من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم ؛ فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته ، كما قال البخاري ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال : إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم . وقال الثوري : قال ابن عباس . ليس التقية بالعمل ، وإنما التقية باللسان . تفسير القرآن العظيم (١ / ٣٦٥) .

وفي هذه الآية تحريم موالاة الكفار ، وتكفير من يؤاليهم باطناً وظاهراً ؛ إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم ، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته . .

ومعنى ذلك : أنه يحل له إذا خافهم أن يظهر لهم ما يعصم به دمه من التقية باللسان ، وما تحصل به التقية .

وقال العلامة السعدي في كتابه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص ١٢٨) عند تفسير هذه الآية : «أي : تحافوهم على أنفسكم ، فيحل لكم أن تفعلوا ما تعصمون دماءكم من التقية باللسان ، وإظهار ما به تحصل التقية» .

ومثل هذا لا يمكنه أن يظهر كثيراً من أعمال الإسلام ، ومن يظهر عداوة الكفر والكافرين ، ومثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والله لا يؤاخذه بترك هذه الواجبات والأصول .

٣- هناك أعمار تسقط بها واجبات ، مثل حضور الجمعة والجماعات :

قال الموفق ابن قدامة رحمته الله في المقتع (١ / ٢١٩ - ٢٢٠) : «ويعذر في الجمعة والجماعة : المريض ، ومن يدافع الأخبيين ، والخائف صياح ماله ، أو فواته ، أو ضرره فيه ، أو موت قريبه ، أو على نفسه من ضرر سلطان ، أو ملازمة غريم ولا شيء معه ، أو فوات رفقته ، أو غلبة الناس ، أو الأذى به : المطر ، والوحل ، والريح الشديد في الليلة المظلمة الباردة» .

قال المحشي - وهو العلامة سليمان بن عبد الله ابن الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - :

«قوله (والخائف من ضياع ماله...) إلخ. الخوف يتنوع ثلاثة أنواع: أحدها: الخوف على نفسه: بأن يخاف سلطاناً يأخذه، أو لصاً أو سبباً أو سيلاً... أو نحو ذلك مما يؤذيه في نفسه، أو يخاف غريباً يحبسه ولا شيء معه يعطيه، فإن حبس المعسر ظلم، واستثنى القادر على الأداء، ومن عليه حد قذف أو حد لله.

ثم قال: الثاني: أن يخاف على ماله: من لص، أو سلطان أو نحوه، أو يخاف على بهيمته من سبع، أو شرود إن ذهب وتركها، أو على منزله أو متاعه أو زرع... .

وسرد عددًا من نحوه هذه الأعداء، ثم قال فهذا وأشباهه عذر في التخلف عن الجمعة والجماعة، لعموم قوله ﷺ: «أو خوف» ولأن في أمره ﷺ بالتخلف بالصلاة في الرحال لأجل الطين والمطر مع أن عذرهما أيسر من ذلك تسيبها على جوازها.

وقال: الثالث: الخوف على أهله وولده: أن يضيعوا، أو يخاف موت قريبه ولا يشهده، فهذا عذر في ترك الجمعة والجماعة، وبه قال عطاء، والحسن، والشافعي، ولا نعلم فيه خلافاً.

وقد استصرخ ابن عمر رضي الله عنهما على سعيد بن زيد وهو يتجهز للجمعة، فأثاه في العقيق وترك الجمعة.

وساق الأدلة على هذه الأنواع وغيرها من الأعداء التي تحصل بها الرخصة وقد وُجّه سؤال فقهي إلى أحد العلماء الأفاضل مضمونه: «أن بعض الناس يقول: يجوز التنازل عن الاتجاه إلى القبلة في الصلاة على الدابة ما صححة هذا الكلام؟

فأجاب هذا الفاضل بقوله: «وأما صلاة الدابة على لراحلة إلى حيث توجهت به، فهذا ليس بتنازل عن القبلة؛ لكن قلة الراكب في الناقلة هي حيث ما توجهت به راحلته، وأما قلة غير الراكب وفي الفريضة، فلا بد أن تكون إلى الكعبة؛ لأن استقبال القبلة شرط من شروط صحة الصلاة في الفريضة.

وَأَمَّا السَّافِلَةُ فَأَمْرُهَا أَوْسَعُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ: ﴿وَلِلَّهِ الشَّرْقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴿البقرة ١١٥﴾.

قال بعض المفسرين: هذه الآية نزلت في التنقل في السفر^(١). اهـ.

أقول: في هذه الإجابة تضيق لما وسَّع الله، ورفع فيه الحرج عن أمة محمد ﷺ، فهناك حالات تجوز فيها صلاة الفريضة إلى غير القبلة نص عليها القرآن والسنة، وصرَّح بها المفسرون والفقهاء وأئمة الحديث.

قال تعالى ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَا تُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْسِمُ أَنَّكُمْ مُّكْرَهُونَ﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ الْمُؤْمِنُونَ غَرْبَهُمْ فَأَصْلَحَ بَعْضُهُمْ أَمْرَهُمَا ثُمَّ أَصْلَحَ الْآخَرُ فَبِئْسَ الْفِتْنَىٰ يَخْلُقُونَ ظُهُورَهُمُ الْمَكْرُوهَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَسْمَعُونَ بَلَاغَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾.

١- قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية^(٢): «قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية، لصلاة الخوف أنواع كثيرة^(٣)، فإن العدو تارة يكون تجاه القبلة، وتارة يكون في غير صوبها، والصلاة تارة تكون رباعية، وتارة تكون ثلاثية كالمغرب، وتارة تكون ثنائية كالصبح وصلاة السفر، ثم تارة يصلون جماعة، وتارة يلتحم الحرب فلا يقدر على الجماعة، بل يصلون فرادى، مستقبلين القبلة وغير مستقليها، ورجالاً وركباً، ولهم أن يمشوا والحالة هذه،

(١) ثدك ذكر بن كثير في تفسير هذه الآية حدداً من الأقوال

مها: من بن عباس «أما أول ما سمع» ونقل نحوه عن أبي العافية، ومحسن، وعطاء الخراساني، وعكرمة، وقتادة، وإسدي، وريد بن أسلم

وقال ابن كثير: وقال مجاهد: «﴿فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾» حيثما كنتم فكنتم فنة تستقبلوا بها الكعبة

تفسير القرآن العظيم (١/١٦٢-١٦٣).

وعلى إقوال يسخ هذه الآية تكون الصلاة إلى غير القبلة في الأحوال التي يجوز لها لله ثمة مصوص أخرى. وسأذكر بعضها في هذا البحث

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٥٤٧-٥٥٩) دار المعرفة.

(٣) أوصلها بعضهم إلى عشر صعات، وبعضهم إلى خمس عشرة، وذكر ابن القيم رحمه الله أنها ترجع إلى ست أو سبع. نظراً: «إراد المعادة» (١/٥٣١-٥٣٢).

ويضربوا الضرب المتتابع في متن الصلاة.

ومن العلماء من قال: يصلون - والحالة هذه - ركعة واحدة؛ لحديث ابن عباس المتقدم، وبه قال أحمد بن حنبل، قال المنذري في الحواشي: وبه قال عطاء، وجابر، والحسن، ومجاهد، والحكم، وقتادة، وحمام، وإليه ذهب طاوس، والضحاك، وقد حكى أبو عاصم العبادي عن محمد بن بصر المروري أنه يرى رد الصبح إلى ركعة في الخوف، وإليه ذهب ابن حزم أيضًا.

وقال إسحاق بن راهويه: أم عند المسايقة، فيحزبك ركعة واحدة تومي بها إيماء، فإن لم تقدر؛ فسجدة واحدة؛ لأنها ذكر لله.

وقال آخرون: يكفي تكبيرة واحدة؛ فلعنه أرو، ركعة واحدة، كما قاله الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه، وبه قال جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، وكعب، وغير واحد من الصحابة، والسدي، ورواه ابن جرير؛ ولكن لذين حكوه إنما حكوه على ظاهره في الاجتزاء بتكبيرة واحدة، كما هو مذهب إسحاق بن راهويه.

وإليه ذهب الأمير عبد الوهاب بن بخت المكي حتى قال: فإن لم يقدر على التكبيرة فلا يتركها في نفسه - يعني: بالنية - رواه سعيد بن منصور في سننه، عن إسماعيل بن عياش، عن شعيب بن دينار، عنه، قاله أعلم.

ومن العلماء من أباح تأخير الصلاة لعذر القتال والمتاجزة، كما أخر النبي ﷺ يوم الأحزاب الظهر والعصر، فصلاهما بعد الغروب، ثم صلى بعدهما المغرب، ثم العشاء... إلخ.

* أقول: في هذا الكلام مسائل:

- ١- جواز صلاة الخوف في بعض الحالات إلى غير القبلة.
- ٢- جواز الاقتصار على ركعة عند الإمام أحمد وغيره في حال المسايقة، وعند إسحاق ركعة يومي فيها إيماء.
- ٣- جواز الصلاة في حال الخوف على ظهر الدابة.

٤- جواز المشي وضرب العدو أثناء الصلاة. وفي هذه الصور تارل عن واجبات وشروط وأركان في الصلاة، التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام،

وردد لقول بعض الناس: لا يحوز الصلاة إلى غير القبلة إلا في صلاة المتفعل على الراحلة.

٢- وقال العلامة السعدي رحمته الله في تفسيره (ص ١٠٦) مؤسسة الرسالة، في تفسير قوله: تبارك وتعالى: ﴿حَیْطُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ رِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ [البقرة ٢٣٨-٢٣٩]:

فيأمر بالمحافظة على الصلوات عموماً، وعلى الصلاة الوسطى - وهي العصر - خصوصاً، والمحافظة عليها. أداؤها بوقتها، وشروطها، وأركانها، وخشوعها، وجميع ما لها من واجب ومستحب، وبالمحافظة على الصلوات تحصل المحافظة على سائر العبادات.

وتفيد النهي عن الفحشاء والمنكر؛ خصوصاً إذا أكملها كما أمر بقوله: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾. أي: ذليين خاشعين، ففيه الأمر بالقيام والقنوت، والنهي عن الكلام، والأمر بالخشوع، هذا مع الأمن والطمأنينة.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ رِجَالًا﴾: لم يذكر ما يخاف منه؛ ليشمل الخوف من: كفر، وظالم، وسبع... وغير ذلك من أنواع المخاوف، أي: إن خفتم بصلاتكم على تلك لصفة؛ فصلوها ﴿فَرِجَالًا﴾ أي: ماشين على أقدامكم، ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ على الخيل والإبل وغيرها. ويلزم على ذلك أن يكونوا مستقبلي القبلة، وغير مستقبليها.

وفي هذا زيادة التأكيد على المحافظة على وقتها: حيث أمر بذلك ولو مع الإخلال بكثير من الأركان والشروط، وأنه لا يجوز تأخيرها عن وقتها ولو في هذه الحالة الشديدة، فصلاتها على تلك الصورة أحسن وأفضل؛ بل أوجب من صلاتها مطمئناً خارج الوقت.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ أي: زال الحوف عنكم ﴿فَذْكُرُوا اللَّهَ﴾. وهذا يشمل جميع أنواع الذكر، ومنه الصلاة على كمالها وتمامها، ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ فإنها نعمة عظيمة ومنة جسيمة، تقتضي مقابلتها بالذكر والشكر؛ ليبقي

نعمته عليكم، ويزيدكم عليها» اهـ.

* أقول: في هذا الكلام مسائل:

١- أمر الله بالمحافظة على الصلاة في حالة الأمن بشروطها وأركانها وخشوعها.

٢- والرخصة في حال الحوف عند قتال العدو في الصلاة على حسب ما يستطيعه المؤمن وتيسر له، راجلاً وراكباً إلى القبلة وإلى غيرها.

٣- في حال الخوف:

أ- من ظالم.

ب- من كافر.

ج- من سبع.

د- من غير ذلك من أنواع المخاوف.

أقول: وفي هذا الكلام دليل على سماحة الإسلام وتيسيره، ودليل على سعة رحمة الله لهذه الأمة؛ ولا سيما عند الشدائد؛ فيعفيها من القيام ببعض الواجبات. وفيه: إبطال لقول بعض الناس الذين لا يجيزون التنازل إلا عن السنن فقط، ولا يجوز عندهم التنازل عن الواجبات، وأنه لا يحوز الصلاة لغير القبلة إلا للراكب المتنفل فقط.

٣- وقال الإمام أبو داود السجستاني في سننه "ضمن أبواب صلاة الخوف: باب: من قال يكبرون جميعاً، وإن كانوا مستدبري القبلة، ثم يصلي بمن معه ركعة، ثم يأتون مصاف أصحابهم، ويحيي الآخرون فيركعون لأنفسهم ركعة، ثم يصلي بهم ركعة، ثم تُقبل الطائفة التي كانت مقابل العدو فيصلون لأنفسهم ركعة، والإمام قاعد ثم يسلم بهم كلهم جميعاً".

١٢٤٠- حدثنا الحسن بن عبي: ثنا أبو عبد الرحمن المقرئ: ثنا حيوة وابن

لهيعة قالوا: أخبرنا أبو الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يحدث، عن مروان بن الحكم أنه سأل أبا هريرة: «هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ قال أبو هريرة: نعم. قال مروان: متى؟ فقال أبو هريرة: عام غزوة نجد قام رسول الله ﷺ إلى صلاة العصر، فقامت معه طائفة، وطائفة أخرى مقابل العدو، ظهورهم إلى القبلة، فكبر رسول الله ﷺ، فكبروا جميعاً الذين معه والذين مقابلي العدو، ثم ركع رسول الله ﷺ ركعة واحدة، وركعت الطائفة التي معه، ثم سجد فسجدت الطائفة التي تليه، والآخرين قيام مقابلي العدو.

ثم قام رسول الله ﷺ، وقامت الطائفة التي معه، فذهبوا إلى العدو فقابلوهم، وأقبلت الطائفة التي كانت مقابلي العدو فركعوا وسجدوا، ورسول الله ﷺ قائم كما هو، ثم قاموا فركع رسول الله ﷺ ركعة أخرى وركعوا معه، وسجد وسجدوا معه، ثم أقبلت الطائفة التي كانت مقابلي العدو فركعوا وسجدوا، ورسول الله ﷺ قاعد ومن معه، ثم كان السلام، فسلم رسول الله ﷺ وسلموا جميعاً، فكان لرسول الله ﷺ ركعتان، ولكل رجل من الطائفتين ركعة ركعة».

* أقول: في هذا الكلام من الفقه:

- ١- جواز الصلاة في حال الخوف إلى غير القبلة.
- ٢- الذهاب مشياً في أثناء الصلاة لمواجهة العدو، وكل ذلك من مبطلات الصلاة في حال الأمر؛ لأنها شروط وواجبات وأركان للصلاة؛ لكن الله تبارك وتعالى - يوسع على عباده المؤمنين في حال الشدائد والمعوقات عن استكمال القيام بالفرائض والواجبات.

وفي هذا إيصال لقول من يقول: إنه لا يجوز التنازل عن الواجبات؛ بل فقطع عن السنن المستحبات ذلكم القول الذي يخالف نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة في التسامح في الأخذ بالرخص في الأصول والواجبات، كما يبين ذلك مراراً وتكراراً.

ونقلت فيه أقوال أئمة الإسلام مثل: ابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الوهاب - رحمهم الله تعالى -.

٤ وقال الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي في «المقنع» - مع حاشية الشيخ سليمان ابن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله (ص ٢٤٠) (٢٤١): «فصل: وإذا اشتد الخوف صلوا رجالاً وركباً إلى القبلة وغيرها، يؤمّون إيماءً على قدر الطاقة...».

قال المَحْشِي - العلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ - قوله: «وإذا اشتد الخوف... إلى قوله: قدر الطاقة».

وجملة ذلك: أنه متى اشتد الخوف، والتحم القتال، فبهم الصلاة كيفما أمكنهم رجالاً وركباً إلى القبلة إن أمكنهم، وإلى غيرها إن لم يمكنهم، يؤمّون بالركوع والسجود، ويجعلون سجودهم أخفض من ركوعهم على قدر الطاقة، ولهم التقدم والتأخر، والطعن والضرب، والكر والفر، ولا يؤخرون الصلاة عن وقتها في قول أكثر أهل العلم.

وحكى ابن أبي موسى: أنه يجوز تأخير الصلاة في رواية حال التحام القتال، والأول أصح؛ لقوله ﷺ: «فَإِنْ جِئْتُمْ رِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا».

وقال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالاً قياماً على أقدامهم وركباً مستقبلي القبلة وغير مستقبلها) متفق عليه^(١).

ولأن النبي ﷺ صلى بأصحابه في غير شدة الخوف، فأمرهم بالمشي إلى العدو وهم في الصلاة، ثم يعودون لقضاء ما بقي من صلاتهم، وهذا عمل طويل، ومشى كثير واستدبار القبلة، فإذا حاز ذلك مع أن الخوف ليس بشديد، فمع شدته أولى^(٢) اهـ.

وقال ابن قدامة: «... فإن أمكنهم افتتاح الصلاة إلى القبلة فهل يلزمهم ذلك؟ على روايتين...».

(١) قلتُ: نظر صحيح لبحاري باب: «فَإِنْ جِئْتُمْ رِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا» حديث (٤٥٣٥)، ورواه كلث في باب صلاة الخوف، حديث (٩٤٣) مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وهذا تفسير للآية انكرية وعند مسلم، باب: صلاة الخوف (٨٣٩). وقال ابن عمر: «إذا كان خوف أكثر من ذلك؛ فصل ركباً، أو قائماً تؤم إيماءً».

قال المحشي: «قوله: فإن أمكنهم افتتاح الصلاة... إلخ».
إحداهما: لا يجب. اختارها أبو بكر؛ لأنها جزء من الصلاة فلم يجب كبقية
أجزائها.

والثانية: يجب؛ لأنه أمكنه ابتداء الصلاة مستقبلاً، فلم يجوز بدونه كما لو
أمكنه ذلك في ركعة كاملة اهـ.

وقال ابن قدامة: «... ومن هرب من عدو هرباً مباحاً، أو من سيل، أو من
سبع ونحوه؛ فله أن يصلي كذلك.

وهل لطالب العدو الخائف فواته الصلاة، كذلك على روايتين.
ومن أمن في الصلاة أتم صلاة آمن، ومن ابتدأها آمناً وخاف؛ أتم صلاة
خائف، ومن صلى صلاة الحوف لسواد طه عدواً، فبان له أنه ليس بعدو، أو بينه
وبينه ما يمنعه؛ فعليه الإعادة اهـ.

قال المحشي: «وهل لطالب العدو... إلخ».
إحداهما واختاره الأكثر: أنه له ذلك، روي عن شرحبيل بن حسنة، وقوله
الأوزاعي لقول عبد الله بن أنيس (بعثني النبي ﷺ إلى خالد بن سفيان الهذلي
قل: اذهب فاقتله. ورأيت وقد حصرت صلاة العصر. فقلت: إنني أخاف أن يكون
بيني وبينه ما يؤخر الصلاة، فانطلقت وأنا أصلي أومئ إيماء نحوه). رواه أبو
داود.

وظاهر حاله أنه أخبر بذلك النبي ﷺ، أو كان قد علم جوازه، فإنه لا يُظنُّ به
أنه فعل ذلك مخطئاً؛ ولأن فوات الكفار ضرر عظيم.

والثانية: لا يصلي إلا صلاة آمن صححها ابن عقيل، وقاله أكثر العلماء؛
لأنها مشروطة بالخوف وهو معدوم هنا، وكذا التيمم له، وقاله ابن أبي موسى إن
خاف الطالب رجوع العدو؛ صلى صلاة حائف. وهو الذي في الشرح.

على قوله: «فعليه الإعادة» كذا ذكره الأكثر؛ لأنه لم يوجد المبيح، أشبه من
ظن الطهارة ثم علم بحدوثه، وسواء استند طه إلى خبر ثقة أو غيره اهـ. كلام
المحشي.

* قلت : في هذا الكلام ما يأتي :

١- في الصلاة حال الخوف من العدو تحور الصلاة للمؤمنين رجالاً وركباً إلى القبلة وغيرها يؤمّون إيماءً .

٢- وفي هذا تظهر سماحة الإسلام : فاستقبال القبلة أصل من أصول الإسلام ، من استجاز الصلاة إلى غير القبلة في حال الأمن وبغير عذر ؛ فقد كفر ، والقيام في الصلاة والركوع والسجود كلها أركان من أركان الصلاة ، من أخلّ بواحد منها بغير عذر ؛ فصلاته باطلة ، وفي هذا الظرف - الخوف من العدو - تسقط عنه هذه الأركان وما يتبعها من الواجبات .

٣- وللمصلّين في حال التحام القتال : الكرّ والفرّ ، والطمع والصرب ، والتقدّم والتأخّر . وهذه الأعمال تُنافي الصلاة وتبطلها ، لولا العذر ، أليس هذا التنازل عن هذه الواجبات من أدلّ الأدلة على رحمة الإسلام وسماحته ؟

٤- وللمهاارب من عدوّ هرباً مباحاً ، أو من سيل ، أو سح ، أو نحو ذلك ؛ فله أن يصلي صلاة الخوف ، يسقط عنه استقبال القبلة ، ويجتزئ بالإيماء عن الركوع والسجود ، ويصلي إيماء وهو على الدابة التي يهرب عليها إن كان هارباً على دابة أو غيرها .

٥- أليس في القول بأنه لا يجوز التنازل عن الواجبات ، ولا يجوز التنازل إلا عن السنن فقط حرج وتضييق على المسلمين يُنافي ما تميّزت به رسالة محمد ﷺ من السماحة ؟

هذه السماحة التي تضافرت عليها نصوص الكتاب ، وتطابق الرسول ﷺ وأصحابه الكرام ، ويُنّها وقرّرها علماء الإسلام ، فكيف يُضلل من يقرّرها ؛ إن ذا لمن العَجَب العَجَاب !!

كتبها

ربيع بن هادي عمير المدخلي

٢٠ / ربيع الأول / ١٤٢٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تكملة لبحث سماحة الإسلام

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه ..

أما بعد :

فكلمة سماحة ومشتقاتها كلها تدور على المدح .

قال ابن منظور في لسان العرب : «سمع : السماع والسماحة : الجود ، سمح سماحة ومموحة وسماحا : جاد .

ورجل سمح ، وامرأة سمحة من : رجال ونساء سماع وسمحاء فيهما ، حكى الأخيرة الفارسي عن أحمد بن يحيى .

ورجل سميح ومسمع ومسماح : سمح ، ورجال مساميح ، ونساء مساميح .. قال جرير :

غلب المساميح الوليد سماحة
وكفى قریش المعضلات وساده
وقال آخر :

في فتية بسط الأكف مسامح
عند الفضال نديمهم لم يد

وفي الحديث : يقول الله ﷻ : (اسمحو لعبيدي كما سماحه إلى عبادي) (١) .
الإسماح لغة في السماح ، يقال : سمح وأسمع إذا جاد وأعطى عن كرم

(١) هذا الحديث إسناده ضعيف ، فيه «والان» وهو لا يُعرف .

وسحاء، وقيل: إنما يقال في السخاء: سمح، وأما أسمع؛ فإنما يقال في المتابعة والالتقياد، ويقال: أسمعحت نفسه إذا انقاد، والصحيح الأول، وسمح لي فلان، أي: أعطاني، وسمح لي بذلك يسمع سماحة، وأسمع وسامح، وافقني على المطلوب..

أنشد ثعلب:

لو كنت تعطي حين تسأل سامحت

لك النفس واحلولاك كل تحليل

والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا.

وفي الحديث المشهور: (السماح رباح). أي: المساهلة في الأشياء تريح صاحبها. وسمح وتسمح: فعل شيئاً سهلاً فيه..

أنشد ثعلب:

ولكن إذا ما حل خطب فسامحت

به النفس يوماً كان للكره أذهباً

ابن الأعرابي سمح له بحاجته وأسمع، أي: سهّل له.

وفي الحديث. أن ابن عباس سئل عن: «رجل شرب لبناً محضاً أيتوضأ؟ قال: اسمح يسمع لك».

قال شعر: قال الأصمعي: معناه سهّل يسهّل لك وعليك. لسان العرب (٤٨٩/٢) مادة (سمع).

وإذن فمعاني السّماحة والسماح تدور كلها حول هذه المعاني الجميلة: الحود، والكرم، والسخاء، والمسامحة، والمساهلة.

ومن هنا وصف رسول الله ﷺ شريعته بأنها سمحة، ومن هنا نفى الله عنها الأضرار والأغلال والحرَج.

فتقول للحدادية: هل تعرفون أن في الإسلام سماحة؟!

إن قلتم: لا سماحة فيه! كذبتكم وشوّهتم الإسلام.

وإن قلتم: نعم. فبينوا ما هو مجال هذه السماحة؟
أهو الأصول أم الفروع؟ ثم في السنن فقط كما حصرتم المصالح والمفاسد
في السنن؟! فهات الأدلة الواضحة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على هذا التفريق
والحصر في السنن.

أما أنا فقد بينت ذلك فيما سلف بالأدلة والبراهين، وأن هذه السَّماحة شاملة
للأصول والفروع، ويؤدي في ذلك العلماء الربانيون السابقون واللاحقون.
والقضايا الشرعية لا يناقش فيها بالأكاذيب والافتراءات والتهويلات إلا أهل
الصلال، لا تحاربوا شريعة الإسلام وما فيه من سماحة تميز بها على سائر الشرائع
وأجمع عليها علماء الإسلام، لا تحاربوا هذه السماحة بالأكاذيب والافتراءات
لتي لم تسبقوا إليها، وكونوا صرحاء في رفض نصوص الكتاب والسنة وإجماع
علماء الأمة، أو يتنوا خطأ العلماء في فهم النصوص لتي استدلو بها على سماحة
الإسلام؛ ودون ذلك خرط القتاد (١).

ونضيف اليوم أدلة أخرى في سماحة الإسلام مع كلام العلماء عليها وتطبيقهم
لها:

قال الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٧٣-١٧٤): ثنا سريح بن العمان: ثنا عمر
بن ميمون بن الرماح، عن أبي سهل كثير بن زياد البصري، عن عمرو بن عثمان بن
يعلی ابن مرة، عن أبيه، عن جده: «أن رسول الله ﷺ انتهى إلى مضيق هو
وأصحابه وهو على راحته، والسماء من فوقهم، والبلّة من أسفل منهم، فحضرت
الصلاة، فأمر المؤذن فأذن وأقام، ثم تقدّم رسول الله ﷺ على راحته، فصلى بهم
يومئ إيماء؛ يجعل السجود أخفض من الركوع، أو يجعل سجوده أخفض من
ركوعه».

وقال الإمام الترمذي في سننه (٤١١) (تح. بشار عواد): حدثنا يحيى بن
موسى حدثنا شباية بن سوار: حدثنا عمر بن الرماح، عن كثير بن زياد، عن عمرو
بن عثمان بن يعلی بن مرة، عن أبيه، عن جده: «أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر،
فانتهوا إلى مضيق، فحضرت الصلاة فمطّروا، السماء من فوقهم، والبلّة من أسفل

مهم، فأذن رسول الله ﷺ وهو على راحلته وأقام، فتقدم على راحلته، فصلّى بهم يومئذ إيماء؛ يجعل السجود أخفض من الركوع.

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، تفرد به عمر بن الرماح البجلي، لا يعرف إلا من حديثه، وقد روى عنه غير واحد من أهل العلم.

وكذلك روي عن أنس بن مالك: أنه صلى في ماء وطين على دابته

والعمل على هذا عند أهل العلم، وبه يقول أحمد وإسحاق

* أقول:

فهذا الحديث وإن كان ضعيف الاستدلال؛ فالعمل عليه عند أهل العلم، وهذا مما يقوّي الحديث، وله نظائر مثل حديث: «الماء طهور لا ينجسه شيء» إلا ما غير طعمه، أو لونه، أو ريحه.

وقال سعيد بن منصور في مسنده: (٣/ ٩٢٦)، ط دار الصميعي: حدثنا هشيم قال: أخبرنا مغيرة قال: سألت إبراهيم عن قوله: «فَرَجًا لَا أَوْ رَكْبَانًا» قال: «عند المطاردة يُصلي حيث ما كان وجهه؛ راكبًا أو راجلًا ركعتين، يومئذ إيماء؛ يجعل السجود أخفض من الركوع».

وقال عبد الرزاق في مصنفه (ح ٢/ ص ٥٧٣ ٥٧٤): عن هشام بن حسان، عن أنس بن سيرين قال: «كنت مع أنس بن مالك في يوم مطير حتى إذا كنا باطيط، والأرض فصفاص؛ صلى بنا على حماره صلاة العصر يومئذ برأسه إيماء، وجعل السجود أخفض من الركوع».

وقال ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٥١٦ أثر ٤٩٩٨): حدثنا عبدة، عن سعيد، عن قتادة، عن جابر بن زيد في الرجل تدركه الصلاة في الماء والطين قال: «يومئذ إيماء، ويجعل السجود أخفض من الركوع».

وقال: حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أنس بن سيرين قال: «أقبلت مع أنس بن مالك من الكوفة حتى إذا كنا باطيط، وقد أخذنا السماء قبل ذلك والأرض ضحاصح، فصلّى أنس وهو على حمار مُستقل القملة، وأومأ إيماء، وجعل السجود أخفض من الركوع».

* أقول:

فهذه الآثار عن أئمة لسلف في تطبيق سماحة الإسلام في أعظم ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين؛ ألا وهو الصلاة، فما هو رأي المحالفين الذين يحصرون سماحة الإسلام في السنن فقط؟!!

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٠/٩٩-١٠٠) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكَ فِي الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ﴾:

«أي: ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً؛ فالصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين تجب في الحضر أربعاً، وفي السفر تقصر إلى اثنتين، وفي الخوف يُصَلِّيها بعض الأئمة ركعة كما ورد به الحديث، وتُصَلَّى رجالاً وركباً؛ مستقبلي القبلة وغير مستقبليها.

وكذا في النافلة في السفر إلى القبلة وغيرها، والقيام فيها يسقط بعذر المرض، فيصلِّيها المريض حالاً، فإن لم يستطع فعلى جنبه... إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات؛ ولهذا قال عليه السلام: (بعثت بالحنيفة السمحة) وقال لمعدو أبي موسى حين بعثهما أميرين إلى اليمن (بشراً ولا تنفراً، ويسراً ولا تعسراً)... والأحاديث في هذا كثيرة.

ولهذا قال ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكَ فِي الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ﴾، يعني: من ضيق اهـ.

* أقول:

انظر إلى قول ابن كثير رحمته الله:

١- «وما ألزمكم شيء يشق عليكم؛ إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً»

٢- وإلى قوله: «والصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين تجب في الحضر أربعاً، وفي السفر تقصر إلى اثنتين، وفي الخوف يُصَلِّيها بعض الأئمة ركعة».

٣- وإلى قوله: «وتُصَلَّى -أي: في الخوف- رجالاً وركباً، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، وكذا في النافلة في السفر إلى القبلة وغيرها».

٤- وإلى قوله: «والقيام فيها -أي: الصلاة- يسقط بعذر المرض، فيصلحها المريض جالساً، فإن لم يستطع؛ فعلى جنبه».

٥ وانظر إلى قوله: «إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات؛ ولهذا قال ﷺ: (بعثت بالحنيفية السمحة) وقال لمعاذ وأبي موسى: «... يَسْرًا وَلَا تُعْصِرًا».

أقول: وفي هذا كله مراعاة لمصالح عباده، ولدفع المضار والمفاسد عنهم، وعلى هذا المنهج علماء الإسلام وأئمتهم.

وقارن هذا بمنهج الحداثة القائم على الجهل والهوى والعناد، فكلمة «يسقط» التي قالها ابن كثير لعلها أعظم وأشد من كلمة «تسامح» أو «تنازل».

وقوله: «إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في الفرائض والواجبات» أشد عليهم من الصواعق!!

كيف يقول ابن كثير هذا الكلام الذي يخالف منهجهم الذي يريد للناس التعسير والتضييق والأضرار والأغلال والهلاك؟!!

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣/ ٥٧٥-٥٧٦) في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ أَحْسَنُكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾: «ثم لما كان في التكليف مشقة على النفس في بعض الحالات قال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: من ضيق وشدة.

وقد اختلف العلماء في هذا الحرج الذي رفعه الله.

ف قيل: هو ما أحله الله من النساء مثنى وثلاث ورباع وملك اليمين

وقيل: المراد قصر الصلاة، والإفطار للمسافر، والصلاة بالإيماء على من لا يقدر على غيره، وإسقاط الجهاد عن الأعرج والأعمى والمريض، واغتفار الخطأ في تقديم الصيام وتأخيرها؛ لاختلاف الأهلة، وكذا في الفطر والأضحية.

وقيل: المعنى أنه سبحانه ما جعل عليهم حرجاً بتكليف ما يشق عليهم، ولكن كلفهم بما يقدرون عليه، ورفع عنهم التكالييف التي فيها حرج، فلم يتعبدهم بها كما تعبّد بها بني إسرائيل.

وقيل: المراد بذلك أنه جعل لهم من الذنب مخرجاً بفتح باب التوبة والاستغفار، والتكفير فيما شرع فيه الكفارة، والأرش أو القصاص في الجنايات، ورد المال أو مثله أو قيمته في الغصب ونحوه..

والظاهر: أن الآية أعم من هذا كله، فقد حط سبحانه ما فيه مشقة من التكليف على عباده: إما بإسقاطها من الأصل وعدم التكليف بها كما كلف بها غيرهم، أو بالتحفيف وتجريز العدول إلى بدل لا مشقة فيه، أو بمشروعية التخلص عن الذنب بالوجه الذي شرعه الله.

وما أنفع هذه الآية وأجل موقعها وأعظم فائدتها..

ومثلها قوله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾. وفي الحديث الصحيح أنه سبحانه قال: «قد فعلت». كما سبق بيانه في تفسير هذه الآية، والأحاديث في هذا كثيرة. اهـ.

* أقول: انظر إلى قول الشوكاني رحمه الله:

١- ثم لما كان في التكليف مشقة في بعض الحالات قال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ مِن حَرَجٍ قِيلَ﴾. أي: من ضيق وشدة.

٢- وانظر إلى حكايته الأقوال في الحرج الذي رفعه الله عن الأمة، واحتياجه عموم رفع الحرج.

٣- وانظر إلى قوله: «وقيل»: المراد قصر الصلاة، والإفطار للمسافر، والصلاة بالإيماء على من لا يقدر على غيره.

٤- وانظر قوله: «واسقاط الجهاد عن الأعرج والأعمى والمريض». وكلمة إسقاط عظيمة جداً عند الحدادية، كيف يجرؤ عليها هذا الشوكاني!! ولكننا نريد أن نعلمونا الألفاظ التي يُعبر بها عن هذه المعاني، ونخاف ألا يجدوا؛ لأنهم لا يسمعون بهذه المعاني التي تخالف منهجهم المضاد لسماحة الإسلام!!

٥- وانظر إلى الأقوال التي نقلها في معنى رفع الحرج، وليس بينها شيء يشبه

منهج الحدادية .

٦- وانظر قوله : «والظاهر أن الآية أعم من هذا كله ؛ فقد حُطَّ سبحانه ما فيه مَشَقَّة من التكليف على عباده : إمَّا بإسقاطها من الأصل ، وعدم التكليف بها كما كلف بها غيرهم ، أو بالتخفيف وتجويز العدول إلى بدل لا مَشَقَّة فيه . . »

٧- وانظر إلى قوله : «وما أضع هذه الآية وأجل موقعها وأعظم فائدتها» . ثم ساق الآيات التي تماثلها في رفع الحرج عن هذه الأمة وفي الرأفة بها ، وأن الله لا يُكلفها ما لا طاقة لها به . .

وكل علماء الإسلام النبلاء الذين فقهوا هذا الدين السَّميح وميزاته العظيمة يؤمنون بهذا ؛ فلا آصار ولا أغلال في هذا الدين ، يؤمنون بذلك من أعماق قلوبهم ، وما أشد هذه السماحة والرحمة في الإسلام على الحدادية ، وإنها لتضيق ذرعًا بذكرها ، وتمتلئ همًّا وعمًّا وغيظًا بها ، ونقول لهم : ﴿قُلْ مَوْتُوْا بِمَنِّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ .

هذا حسب ما عرفناه عنهم ، فإن تابوا ورجعوا ؛ فليعدنوا ذلك ، وإلا فإن حالهم كما ذكرنا .

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ (ص ٨٦-٨٧) ، ط الرسالة ، في تفسيره لسورة البقرة آية الصيام ، ومنها قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ :

«أي : يريد الله تعالى أن يُيسِّرَ عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير ، وَيُسَهِّلَهَا أَشَدَّ تَسْهِيلٍ ؛ ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله ، وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله ؛ سَهَّلَهُ تَسْهِيلًا آخَرَ إمَّا بِإِسْقَاطِهِ ، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات .

وهذه جملة لا يُمكن تفصيلها ؛ لأنَّ تفاصيلها جميع الشرعيات ، ويدخل فيها جميع الرخص والتخفيفات» . اهـ .

* أقول : انظر إلى قوله رَحِمَهُ اللهُ :

١- «ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله» . وهذا ما

لم يخطر ببال من يريد أن يجعل الشريعة أصارًا وأغلالاً .

٢- وإلى قوله : «وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله ؛ سهّله تسهيلاً آخر : إمّا بإسقاطه ، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات» . أي : مثل الجهاد عند عجز الأئمة إلى حين توفر القدرة عليه واستكمال الشروط ، أو عن المريض والأعمى والأعرج .

والتخفيف : كالمرض إذا عجز عن القيام في الصلاة يُصَلِّي جالساً ، ويسقط عنه وجوب القيام وهو ركن في الصلاة ، وإذا عجز عن القعود ؛ صَلَّى على جنب ، والمسافر تسقط عنه ركعتان من الرباعية ، وإذا كان الناس بأرض وحلة ؛ صَلُّوا على دوابهم في هذه الحال ، ويؤمّتون بركوعهم وسجودهم إيماءً إلى كثير من التخفيفات . . وهذا ما لا يحيزه الحداديون ؛ لأنَّ السهولة عندهم لا تحصل إلّا في السنن !!

٣- انظر إلى قوله . «وهذه جملة لا يُمكن تفصيلها ؛ لأنَّ تفاصيلها جميع الشرعيّات ، ويدخل فيها جميع الرخص والتخفيفات» .

وهذا ما يزعج دُعاة الفتن والشغب الذين لا يَرَوْنَ التسامح ومُراعاة مصالح العباد وظروفهم ودفع المضار عنهم إلّا في السنن التي يُثاب فاعلها ، ولا يعاقب تاركها !!

«الصائم المتطوع أمير نفسه ؛ إن شاء صام ، وإن شاء أفطر» .

والذين لا يطبقون كلمة «تسامح» أو «تنازل» كيف يتحملون كلمة «إسقاط» !!؟ وهي لا شك أشد من كلمة «تسامح» أو «تنازل» ، واللّه أعلم
وصلّى اللّه على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم
وكتبه

ربيع بن هادي بن عمير المدخلي

١٦/١٠/١٤٢٧هـ

هل يجوز التنازل عنه الواجبات مراعاة للمصالح والمفاسد وعند الحاجات والضرورات؟

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله . . وعلى آله وصحبه وسلم
أما بعد:

فقد كن فالح عبثًا ثقیلاً على الدعوة السلفية وأهلها منذ سلك نفسه في الدعوة إلى المنهج السلفي، لا يُراعي في تصرفاته ومواقفه وأحكامه مصالح ولا مفسد ولا يأبه لها، بل كان زراعًا للمشاكل في أوساط الشباب السلفي متعلماً؛ واضعاً نفسه فوق منزلته، يطعن في العلماء من مثل العلامة الألاني، والشيخ مقل الوادعي . . وغيرهما، ويهضم حقوقهم.

فيغرس شراً وخلاقاً بين طلاب العلم الجزائريين والليبيين واليمنيين والسعوديين ممن يعرف لهم قدرهم وجهادهم، ويعرف فشل فالح، وأنه لا يقدم للسلفية إلا زرع هذه الفتن.

وكنا نحلم عليه كما نحلم على غيره ممن يشكل عبثاً ثقیلاً على الدعوة السلفية؛ ولا سيما هذا البلاء فالح، وكنا نُصبرُ طلاب العلم عليه، ونتلمس له لتأويلات، ثم على مر الأيام زاد تعلماً وتعاطفاً؛ فصار يجازي في أحكامه على لسلفيين وغيرهم بالتبديع والتكفير!! فيطالب بالأدلة على هذه الأحكام المجعفة؛ فلا يجد دليلاً، فيكون جوابه لمن طالبه بالأدلة: ما عليك إلا التقليد، وليس لك أن تسأل عن الأسباب . .

وساقه هواء إلى التلاعب بأصول أهل السنة والحديث من مثل قوله «الكلام على أهل البدع لا يدخل في باب الجرح والتعديل»، فلا يسأل المبدع عن أسباب الجرح!!

ويحكم على بعض الأصول بأنها مبتدعة، وقد أضلت الأمة، ويحكم على بعض الأبرياء إذا لم ينقادوا لأحكامه ب: أنهم قد نسفوا رسالات الرسل جميعاً، وعلى بعض من بدعهم بعدم تقليدهم العلماء إذا خالفوا حكمه هو ب: أنهم قد كذبوا

القرآن، والسنة وكذبوا الإسلام!! وهذا من أشد أنواع التكفير بالباطل . .
 ويتظاهر بأنه ما حكم عليهم بتلك الأحكام إلا لأنهم خالفوا علماء معينين
 كالشجعي، وهم ممن أمر الله بالرجوع إليهم بقوله: ﴿فَسَلُّوا أَسْلَافَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا
 تَعْلَمُونَ﴾ [الحج ٤٣]. ثم لما أدانه هؤلاء العلماء في أصوله الفاسدة وأحكامه
 الباطلة؛ طعن فيهم، وأسقطهم، وأسقط أقوالهم التي كان يُضلل بها أو يكفر من
 خالفهم!!

وقد كان من ورائه عصابة تتظاهر بتعظيمه وتقديسه وتقديس أصوله وأحكامه
 الباطلة؛ فتطعن أشد الطعن فيمن طعن فيهم فالح وحكم عليهم بأحكامه
 البهلوانية، فلما أدار ظهره لأولئك العلماء المنزه عنهم أسقطهم وأسقط أحكامهم
 تابعوه، ونسوا التصليل والتكفير بمخالفتهم، فأصبحوا يحاربونهم بعد أن كانوا
 يتظاهرون بتعظيمهم، ويطعنون فيهم أشد ما يطعن صاحب هوى في أهل السنة؛
 لأن هذا من أهدافهم التي جندوا لها، وحتى هذا المتعالم الذي يتظاهرون بتقديسه
 لو خالفهم وخالف أهدافهم لأسقطوه.

ولما استفحل شره، وبلغ السيل الزبي؛ نصحته بنصيحتين بينت فيهما فساد
 أصوله وأحكامه، وأيد ما تضمنتهما العلماء الذين كان يوجب تقليدهم، ويرى أن
 من لا يقلدهم قد كذب الإسلام، وكذب القرآن والسنة إلخ.

فنسي هو وعصابته تلك المنزلة لهؤلاء العلماء، ونسوا الحماس للتصليل من
 أجلهم، فأصبحوا حرباً عليهم؛ مما يدل دلالة واضحة أن هذه العصابة ليست من
 أهل السنة، وإنما هم من أعدائها، جندوا لبث الفتن والصراعات بين السلفيين،
 وواقعهم الذي يسيرون عليه من حرب السلفيين المستعرة أكبر شاهد عليهم؛ فهنيئاً
 لفالح بالتفاف هذه العصابة حوله ومحاربتها لأهل السنة السلفيين حقاً، فلقد تبوأ
 هو وعصابته عند أعداء السنة منزلة عظيمة؛ حيث فاقوا في حربهم لأهل السنة،
 والكذب عليهم، وتآليب الأعداء عليهم؛ فاقوا كل أهل الباطل والأهواء.

ولما أصيب فالح في مقاتله، وفضح بفساد تأصيله وأحكامه، وظهر جهله؛
 ذهب يتعلق بأشياء ليست أساسية في النزاع؛ ليلهي الناس عن جهالاته الأساسية

وتأصيلاته الفاسدة، وخيل له الشيطان أنه إمام معصوم لا يمكن أن يخطئ، وأن مخالفه جاهل ضال مرجئ، هو وكل من يؤيده، بل غلاة في الإرجاء، بل هم خرافيون!!

كل ذلك بأمور يفتعلها ويفترها عليهم، وأصبح هو وعصايته الجاهلة المدسوسة هم الأثريون، وهم السلفيون حقاً، وهم الذاثون عن منهج أهل السنة والجماعة -أي: منهج فالح-، ولم يفتروا ولا عصايته من الهذيان والإرجاف بهذه المسائل التي افتعلها فالح؛ لنصرة ماهج الحزبيين؛ ولحرب أهل السنة، ومنها:

١- جنس العمل.

٢- التقليد الباطل لأمثاله أو لشخصه.

٣- هل العمل شرط في صحة الإيمان أو في كماله.

وكلها مما بين فيها «ربيع» الحق ومنهج أهل السنة والجماعة فيها، ولكنه يفترى هو وعصايته من الروبضات، ويُقولونه -ومن أيده على الحق- ما لم يقولوا؛ فأصبحوا من أسوأ الفرق كذباً وبهاً وحرماً على السلفية وأهلها.

ومن ألعابهم التي يُلَهون بها الناس، ويشغلونهم عن ضلالتهم الأساسية والحقيقية هذا الأمر الذي سأناقشهم فيه اليوم؛ ألا وهو قولهم: «لا يجوز التنازل عن الأصول»!!

وقد كتب أحدهم مقالاً مستتراً باسم مجهول، ألا وهو: «أسامة سالم»، وقد يكون هو فالح بعنوان: «جمع أقوال السلف في مسألة: عدم التنازل عن الأصول وتخطئة الشيخ ربيع».

وإن لجوءهم إلى هذا الأسلوب -وهو التستر تحت أسماء مجهولة- للدليل على جبنهم وخورهم، وإحساسهم بأنهم على باطل.

ومن أباطيلهم: أنهم يتلاعبون باسم السلف الذي إذا أطلق فلا ينصرف بداهة إلى الصحابة والقرون المفضلة من التابعين للصحابة بإحسان.

فيبدءون من القرن الرابع عشر أو الخامس عشر بذكر أناس سلفيين، لهم

اجتهادات قد يُصيبون فيها وقد يخطئون، ويقعون في مخالفة السلف، وقد يبدأون من أهل القرن الخامس كما في هذا المقال، ثم يقفزون إلى أهل القرن الخامس عشر.

ومن الأعيب شيخهم فالح: أنه كان لا يعترف بالمصالح والمفاسد، ويشكر لها إذا ذكر بها ويرفضها، والآن يدّعي أنه يُراعي المصالح والمفاسد، ويتنصر بمن يُراعيها (١).

ومن الأعيب: أنه كان يدعو إلى التقليد المذموم بطريقة فاق فيها غلاة الصوفيّة ودعاة التقليد، ثم أصبح يدّعي أنه من الدعاة إلى الكتاب والسنة، والحداديون وراءه أينما سار واتّجه على طريقة صاحب غزّة:

وما أنا إلا من غزّة إن غوت ضوئُ وإن ترشد غزّة أرشد (١)
الشاهد: أن عند القوم من التلبّيس والتلاعب بالأصول والمصطلحات ما فاقوا فيه أهل الأهواء، فلما لم يجدوا في كلام السلف في القرون المفضلة ما يسمعهم لنصر باطلهم؛ لجئوا إلى كلام المتأخرين ولو كان في غير صالحهم، لماذا؟ لقصد التستر بهم!!

وإذا كانوا يحتجون بمن يسموهم السلف، وهم في الحقيقة خصومهم؛ فلماذا يُسقطون علماء يعدّون من أتباع السلف قد أيدوا ربيعاً، وكانوا يُضلّون من خالفهم كما أسلفنا، ألا يؤكد هذا أن القوم أهل شغب وفتن وتلاعب.

قال كاتب المقال المستتر تحت (أسامة سالم): قال ابن عبد البر في (الاستذكار) (٦/٦٥). الذي ذهب إليه أكثر العلماء... ٤.

ثم ساق كلاماً كثيراً عن اللجنة الدائمة، وعن الشيخ ابن باز، وعن الشيخ صالح آل الشيخ، وعن الشيخ عبيد...

مؤدّي كلامهم: أن قصر الصلاة إنما هو سنة، وأن صلاة ابن مسعود وراء عثمان بمعنى أربعاً بعد أن أكرر الإتمام على عثمان؛ إنما كانت لأن ابن مسعود يرى أن القصر سنة، وكذلك إنما صلى الصحابة وراء عثمان أربعاً إلا لأنهم يرون أنه سنة.

وأن رسول الله ﷺ إنما تنازل عن هدم الكعبة، ثم عن بائها على قواعد إبراهيم؛ إنما كان من أجل أن ذلك سنة.

والقصد من النقل عن هؤلاء العلماء إنما هو لإثبات أن فالحًا إمام لا يحطى أبدًا، وأن الحق حليفه، والصواب دائمًا أليفه، وأن كل من يخالف فالحًا فإمام حليفه المخطأ، بل والضلال والجهل!!

ونسي القوم أن فالحًا كان يستخف بالعلماء، ويتهممهم بالكتمان والحيانة؛ لأنهم يراعون المصالح والفساد في مواقفهم وتصرفاتهم، وأن فالحًا كان قد اندفع في تبديع جماعات في شتى البلدان تنتمي إلى السلفية بدون أدلة، وبدون موعظة المصالح والفساد التي يراعيها العلماء.

أ قال أحد السائلين لفالح «لكن يا شيخنا، لو تلاحظون أنكم تفردون بكثير من...». وحذف مفرغ الشريط كلامًا صعب عليه إظهاره، لعله من فتاوى التبديع أو الطعن في العلماء..

فأجاب فالح «نحن لا يهمنا، نحن ندين الله، ونطبق أصول أهل السنة والجماعة، فما ندين الله نقول به؛ نصيحًا للأمة؛ وحماية لهذا الدين. (الدين النصيحة، الدين النصيحة)، (من رأى منكم منكراً...) الحديث. نحن نستطيع باللسان، وإخوتنا يريدون منا... - وحذف المفرغ هنا كلامًا لعله في غاية السوء يسألوننا فلا نغشهم ونضلهم، فيه أمور مختلفة، فيه أمور في المصحح، فيه أمور في السنن، والأشياء التي لا يمكننا السكوت يمكن التأخير، أم قضية لعقائد والمناهج فيحددكم من يقول: نسكت في هذا الوقت»

فنظر كيف ينهه السائل إلى تهوره وتمرده بالمجازفات في الطعن والتبديع لأناس يتمون إلى السلفية..

فيجيبه: نحن لا يهمنا!! يعني: أنه لا يبالي بشذوده عن لعلماء، وكثرة تهوره ومجازفاته، ويقول: «نحن ندين الله، ونطبق أصول أهل السنة والجماعة» يعني: وغيره من العلماء لا يدينون الله، ولا يطبقون أصول أهل السنة والجماعة، وهذه فيها إهانة للعلماء و اتهام لهم، ثم هو لا يطبق أصول أهل السنة والجماعة،

وإنما يطبق أصوله الفاسدة التي اخترعها، وطعن بها في أئمة الحديث والجرح والتعديل.

ومن أصول أهل السنة، احترام العلماء، ومراعاة المصالح والمفاسد، وهو لا يقوم بذلك، ثم ما هي القواعد والمناهج التي بينها للناس، وخذع العلماء الناس فيها.

إن علماء السنة الذين يطعن فيهم هذا المتعالم المتهور هم الذين يسيءوا القواعد والمناهج، وواجهوا أعتى طوائف البدع، وبينوا فساد أصولهم ومناهجهم وعقائدهم.

إن فالحاً لا يجيد إلا السب والشتم، والتبديع الطالم بدون حُجج ولا براهين.

ب- قال فالح للسائل: «لا تنزوا بموازين أهل الأهواء»

قال السائل: هي حقيقة، نحن نزن -إن شاء الله- بموازين أهل السنة المحصنة -إن شاء الله-، إلا أن هنا بعض الأمور نظرحها عليكم حتى نجد تفسيراً؛ مثل كثير مما يقول. لماذا مثلاً كبار المشايخ لا يتكلمون؟

فقال فالح: لا يهمني، لا تسأل هذا!

قال السائل: صح.

قال فالح: أسألني أنا، ما دام عندي واحد ساكت ما تكلم أنا لا أتكلم، هدام هو منهج، هنا من شر مثل هذه الأشياء، ومن يحفظها يظن أنها هي منهج أهل السنة والجماعة، وهذه مشكلة.

والواقف على هذه الأسئلة والأجوبة لا يرى علماً، ولا قواعد، ولا بيان مباح، وإنما ظلمات بعضها فوق بعض، وغموض قاتل، وحرب على مراعاة المصالح والمفاسد، وإخراج لها عن منهج السلف، وتجهيل لمن يُنهج عليها.

١- يقول فالح للسائل: «لا تنزوا بموازين أهل الأهواء». والسائل جاهل، ونفسه تنوق إلى سماع كلام العلماء، ومع ذلك يدّعي أنه يزن بموازين أهل السنة، وهو لا يعرف هذه الموازين، وإنما يسمع موازين فالح المجاورة المنطلقة من الجهل

والظلم، والظاهر أنه يقصد بموازن أهل الأهواء: مُرَاعَاةُ أهل العلم للمَصَالِحِ والمَقَاسِدِ.

٢- يقول السائل: «مثل كثير من يقول لماذا مثلاً كبار المشايخ لا يتكلمون. فيقول فالح: لا يهمني، لا تسأل».

ويؤخذ من هذا الكلام: أنَّ هناك كثير من السُّلَفِيِّين استكروا فتاوى فالح، وتهوره في الطعن والتشويه والتشديد لأهل السنة، وتفردوا من بين العلماء بهذه الأمور الخطيرة، فيتطلعون إلى كلام أهل العلم في هذه القضايا، لكن فالحاً لا يهمه هذا التهور، ولا هذا التفرد الخطير، ثم يغرس في نفوس مَنْ يتعلق به عدم المبالاة بالعلماء والاستهانة بهم، ولو كان يحترم العلماء لأحال طلاب العلم إليهم، ليتأكدوا من صحة فتاواه أو عدمها، ولكنه يضرب السُّدود والحجب بينهم وبين العلماء بهذه الأساليب التي يُشعرهم بها بأنه الإمام الوحيد الناصح.

فأين دعاواه الكاذبة!! إنه يدعو إلى تقليد العلماء، وأن من لا يقلدهم قد كذب القرآن والسنة، وكذب الإسلام، أو نسف رسالات الرسل جميعاً والكتب التي نزلت عليهم!!

ألا يدل هذا أنَّ هذا الرجل المتعالم إنما يدعو إلى تقليد نفسه، أو إلى اتباع أصوله الفاسدة، والأخذ بأحكامه الجائرة، وأنه لا يدعو مَنْ يجب عليهم التقليد في أمور الدين إلى تقليد العلماء، لا السابقين ولا اللاحقين!!

ماذا يؤخذ من هذا الكلام؟

إنَّ الناس في حالة استنكار لأحكام فالح ومنهجه وأساليبه، فيتساءلون: لماذا لا يقتدي فالح بغيره من العلماء، ويُراعي مصلحة الدعوة؟ لأنهم أدركوا أنَّ هذا الرَّجُل قد أنهك الدَّعوة السُّلَفِيَّةَ وأهلها، ولا يرحم هذه الدعوة، ولا يُراعي مصلحتها، ولا يرحم أهلها.

فيجيب متعالي مستخفاً بأعماله المهلكة، وبمصلحة الدعوة السُّلَفِيَّةَ، ومستخفاً بالعلماء، راکباً رأسه شأن المستكبرين المتجبرين قائلاً بدون مبالاة: «يا أخي، كل شاة معلقة نكراها...» (!) إلى آخر كلامه الذي يُمجِّد فيه نفسه،

وأنه يعرف الحق، ويعرف مهج أهل السنة والجماعة، وأنه... وأنه لا يسعه ما وسع غيره، وأنه يفرق بين الأصول والعقائد والمناهج.

وهو لم يُبين شيئاً لا في قسمة أمي الحسن، ولا من قبله، ولا من بعده، وسحق أناساً ظلموا وبغياً لم يخالفوا الأصول ولا العقائد ولا المناهج، وإنما خالفوا أصوله العاسدة، فرأى أنه لا بد من سحقهم وإسقاطهم بتبديعه الظالم، ويدّعي لنفسه حماية أصول أهل السنة والجماعة، ولو كان صادقاً فيما يدّعيه؛ ليبين للناس كيف يَرّاعي المصالح والمفاسد، وأنّ فلاناً خالف العقيدة أو العقائد الفلانية، وكيف خالف الأصل أو الأصول الفلانية، وفاقد الشيء لا يعطيه!!

ولعجزه وكسله اخترع قاعدة: «لا يُسأل عن أسباب جرح أهل البدع» وأكثر الذين يصفهم بأنهم أهل بدع أفضل وأرسخ في السلفية منه، وإنما اصطنع هذه العكازة ليحمي بها نفسه من السقوط، وذهب الجهول يحط من شأن أئمة الجرح والتعديل وأصولهم، ويحكم على بعض قواعدهم بـ «أنها قاعدة ظالمة... قاعدة ضللت الأمة»^(١)؛ فرمتني بدائها وانسلت!!

فأي احترام وتقدير عند هذا الأهوج المتهور للعلماء السابقين وقواعدهم؛ فضلاً عن العلماء المعاصرين الذين ما أبقى أحداً منهم.

ثم مع ذلك لما بيئت له فساد ما يدعو إليه من التقيد، وأنه لا يدعو إلا إلى تقليد نفسه، وفصلت فيه على طريقة أهل العلم، وبينت أن أصل دعوة الأنبياء والمصلحين وأئمة السنة والجماعة إنما هو الدعوة إلى الكتاب والسنة، ثم مع ذلك يستنون العاجرين عن فهم نصوص الكتاب والسنة، ذهب يفتري عليّ، ويقولني ما لم أقر، ويدّعي أنني خالفت الإمام أحمد والمسلمين وأئمة الدعوة!! كبرت كلمة تخرج من فيه، والله ما يقول إلا الكذب.

ج وقال له سائل: «لو سمحتم، تكلم الذي معه علم - يعني: هو غير ملزم بالسكوت-».

(١) ردد أحد أساد سبهي أئمة سنية عن تقليد، يقول: إن هذه قاعدة فاسدة وليس

فاجاب فالح : كيف له أن يسكت : «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» . وساق آية . ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ [الباء ١١٥] الآية . ﴿وَيَنْ أَلَيْسَ يَكْتُمُونَ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة ١٥٩] . . .

ثم قال : فكيف لهذا الإنسان يحاكم إلى الآخرين ، ويتبع الآخرين ، ويكون ذليلاً لهم ؟! ما يصلح هذا الكلام ؛ خصوصاً إذا كان الآخرين^(١) لم يبينوا أو لم يعلموا .

والظاهر أنه يتكلم عن أناس لم يقلدوه ، ولم يقبلوا أصوله وأحكامه الباطلة ، فاعتزهم ممن شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، وفي الوقت نفسه يرمي العلماء بالكتمان أو الجهل ؛ لأنهم لم يبينوا ، أو لم يعلموا ، أي : لم يتهوروا مثله ، ويدعوا الناس ظلماً وعدواناً .

فيا له من إمام علم ما لم يعلم العلماء ، وبيّن ما لم يبينوا ، وهكذا يتفخ في نفسه أمام الجهال ؛ ولا سيما بعيدي الديار الذين لا يعرفون حقيقته ، ثم يهين أمامهم لعلماء ، فيصممهم بالكتمان أو الجهل ، فأين بيانك للناس ؟! وأين علمك الذي نشرته في الدنيا أيها العاجز الفقير من العلم والبيان ؟!

فهذه بعض حذور الحلاف التي وقعت بيني وبين هذا الأھوج المتعالم ، الذي يقلب الأمور ، ويتعلق بمسائل يفتعلها يُلهي بها الناس عن جهالاته وظلماته وأصوله الفاسدة وأحكامه الجائرة .

ولم يأت بشيء صريح عن السلف ، وإنما أورد أقوال علماء من أتباع السلف المتأخرين ، وهذا من فساد هؤلاء القوم للمصطلحات السلفية ، فإن المشهور عند الناس إذا قيل : أقوال السلف في كذا . أن المراد بـ «السلف» : الصحابة ، ثم التابعون ، ثم أئمة الهدى في القرون الأولى .

المهم نقل عن ابن عبد البر ، وهيئة كبار العلماء برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، والشيخ عبيد الجابري ، والشيخ فالح مع الأسف !! ثم بعد فالح شيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام ابن القيم ، وأظنه استحي

من العلماء المعاصرين أن يقدم عليهم فالحّا ، ولم يستح من تقديمه على الإمامين :
ابن تيمية ، وابن القيم .

والحاصل : أنه طوّل في النقل عن هؤلاء العلماء ، لإثبات حكم قضيتين :
الأولى : صلاة الصّحابة وهم مسافرون خلف عثمان رضي الله عنه بمنى أربع ركعات ،
وذلك يدل أن قصر الصلاة في السّفر سنّة ، وليس بواجب ، ولو كان القصر واجباً
لما صلوا وراء عثمان ، ولو ترتب على ذلك من المفاسد والهلاك ما ترتب .
والقضية الثانية : أن هدم الكعبة وباءها على قواعد إبراهيم سنّة ، والدليل :
حديث عائشة رضي الله عنها : «لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة ، ولبنيتها على
قواعد إبراهيم» . ولو كان هدمها وبنائها من الواجبات ؛ لما تركه رسول الله ﷺ ،
ولو ارتدت قريش والعرب من ورائها .

والحق أنه ليس قصد أمثال هذا الرجل نصر دين الله ونصر السنّة ، وإنما
القصد : نصر هذا الرجل العجيب فالح ، وما أدراك ما فالح ؟!!

أما القضية الأولى فقد نقل من كلام ابن عبد البر ما يعيد أن القصر سنّة ، وعزا
ذلك إلى أكثر أهل العلم ، وأن ابن مسعود لو كان يرى أن القصر واجب لما صلى
أربعاً خلف عثمان .

والجواب ما يأتي : قال أبو سليمان الخطابي المتوفى سنة (٢٨٨هـ) وهو من
المعاصرين للدارقطني ، ومن شيوخ الحاكم أبي عبد الله .

قال في مسألة القصر في السفر : «واختلف أهل العلم في هذه المسألة ، فكان
أكثر مذاهب علماء السّلف وفقهاء الأمصار على أن القصر هو الواجب في السّفر ،
وهو قول عمر ، وعلي ، وابن عمر ، وجابر ، وابن عباس . وروي ذلك عن عمر بن
عبد العزيز ، والحسن ، وقتادة . وقال حماد بن أبي سليمان : يُعيد من صلى في
السّفر أربعاً . وقال مالك بن أنس . يُعيد ما دام في الوقت . وقال أحمد بن حنبل
السنّة ركعتان . وقال مرة : أن أحب العافية من هذه المسألة . ثم ذكر أن الشافعي
قل بالحيار . معالم السنن مع مختصر المنذري لأبي داود (٢/٤٧) .

فهل هؤلاء العلماء - وهم أكثر علماء السّلف وفقهاء الأمصار ومنهم عمر ،

وعلي، وابن عباس... وغيرهم من الصحابة من القائلين بوجوب القصر على المسافر يُعدُّون من السلف، أو لا يعدُّون منهم؟! لأنهم خالفوا مذهب فالح وعصايته.

فهؤلاء -علي، وابن عمر، وجابر- كانوا ممن يرى وجوب القصر، ومع ذلك يُصلُّون وراء عثمان درة للفتن، وسداً لأبوابها التي تؤدي إلى سفك الدماء، وفشل الأمة، وتسليط الأعداء عليها.

ألا يكون هذا من التنازل عن الأصول والواجبات من أجل هذه الغايات الكرى عند مَنْ يرى أن الأصل هو القصر.

ويقول رسول الله ﷺ: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب». فالقيام في الصلاة والقعود فيها ركنان من أركان الصلاة أي: من الأصول والواجبات-، تسامح ربُّ السموات والأرض عنها؛ لرفع الحرج عن الأمة، فهو تسامح في أصول وواجبات، لا في سنن ومستحبات، ألا يكفي هذا وحده زاجراً لهذه العصاية عن الدعوى الساطلة، وزاجراً عن الكلام المتواصل بالجهل في المسائل العلمية، ألا ترون أن قاعدتكم قد انهارت، وخر عليكم السقف من حيث لا تشعرون.

وهذا شيخ الإسلام رحمه الله يرى غير هذا الرأي الذي يزعم هؤلاء أنه يرى أن التنازل لأجل المصالح والمفاسد لا يكون إلا في الأمور المستحبة.

فقد سُئل عن أشياء اختلف العلماء في أيها الأفضل؛ مثل الاستفتاحات، ولشهادات؟ فأجاب شيخ الإسلام بمشروعية العمل بالأمريين المختلف فيهما إذا كان النبي ﷺ قد بين الأمرين.

ثم انتقل إلى نوع آخر من الأمور المتفق عليها بين العلماء، والاختلاف إنما هو في الأفضل منهما.

ثم انتقل إلى نوع آخر فقال: «وقد تنازعوا -يعني العلماء- فيما إذا ترك الإمام ما يعتقد المأموم وجوبه؛ مثل: أن يترك قراءة البسملة، والمأموم يعتقد وجوبها، أو يمس ذكره ولا يتوضأ، والمأموم يرى وجوب الوضوء من ذلك، أو

يصلي في جلود الميتة المدبوغة، والمأموم يرى أن الدباغ لا يطهر، أو يحتجم ولا يتوضأ، والمأموم يرى الوضوء من الحجامة.

والصحيح المقطوع به: أن صلاة المأموم صحيحة خلف إمامه، وإن كان إمامه مخطئاً في نفس الأمر؛ لما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (يُصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطئوا فلكم وعليهم). مجموع الفتاوى (٢٢/٢٦٧).

فهذه عدد من الأمور يعتقد المأمومون وجوبها، وهي تتعلق بالركن الثاني من الإسلام ألا وهو الصلاة.

يرى شيخ الإسلام أن على المأمومين أن يتنازلوا عما يروونه من أوجب الواجبات، والتنازل عما يروونه من تحريم الصلاة وراء إمام فعل ناقضاً من بواقص الصلاة، أو أخل بواجب من واجباتها، أو أخل بشرط من شروطها ولا يقول بهذا شيخ الإسلام وحده، بل هناك أئمة يقولون بمثل قوله في هذه القضايا.

فما رأي من يرى أنه لا يُتَنَازَلُ إلَّا عن الأمور المستحبة؟! وقال ابن قدامة في المقنع (١/٤٧٣): «ومن أحرم فحصره عدوٌّ، ولم يكن له طريق إلى الحج؛ ذبح هدياً في موضعه وحلَّ». قال المحشِّي تعليقاً على هذا الكلام «وبإباح أيضاً تحلل من إحرام لحاجة إلى قتال، أو بذل مال كثير مُطلقاً أو يسير لكفر، لا لحاجة بذل يسير لمسلم». فهذا فيه تنازل عن واجب إلى واجب؛ تلافياً لدفع مال يسير إلى كافر أو مال كثير ولو لمسلم.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «فصل جامع في: تعارض الحسنات، أو السيئات، أو هما جميعاً إذا اجتمعا، ولم يمكن التفريق بينهما، بل يمكن إمّا فعلهما جميعاً، وإمّا تركهما جميعاً».

وقال: «قد أمر الله ورسوله بأفعال واجبة ومستحبة...».

ثم قال: «وقيد الأمور ب: القدرة، والاستطاعة، والوسع، والطاقة». وساق آيات في هذا المعنى، منها قول الله تعالى: ﴿مَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [النساء: ٤١٦]...

ثم قال: «قد ذكر في الصيام والإحرام والطهارة والصلاة والجهاد من هذا أنواعاً».

وقال في المنهيات: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]... وساق آيات فيها التخفيف والرخصة.

ثم قال: «وقال في المعارض: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْرَهُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]

وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَوْا أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَوْا أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]... وساق آيات في هذا المعنى.

ثم قال رحمه الله: «التعارض إما بين حستين لا يمكن الجمع بينهما، فتقدم أحسنهما بتفويت المرجوح، وإما بين سيئتين لا يمكن لمخوئيهما، ويدفع أسوأهما باحتمال أدناهما، وإما بين حسنة وسيئة لا يمكن لتفريق بينهما، بل فعل الحسنة مستلزم لوقوع السيئة، وترك السيئة مستلزم لترك الحسنة، فيرجح الأرجح من منفعة الحسنة ومضرة السيئة».

ثم ذكر تعارض الواجب والمستحب، وفرص العين وفرض الكفاية، وتعارض قضاء الدين وصدقة التطوع...

إلى أن قال: «وتقديم الجهاد على الحج كما في لكتاب والسنة متعين على متعين، ومستحب على مستحب».

أي: لو تعارض الحج الواجب والجهاد العيني، قدم لجهاد على الحج، ولو تعارض الحج المستحب والجهاد المستحب، قدم الجهاد المستحب على الحج المستحب.

ثم بعد مناقشات لأمر في هذا الباب قال رحمه الله: وأما سقوط الواجب لمضرة في الدنيا، وإباحة المحرم لحاجة في الدنيا، كسقوط الصيام لأجل السفر،

وسقوط محظورات الإحرام وأركان الصلوة لأجل المرض؛ فهذا باب آخر يدخل في سعة الدين، ورفع الحرج الذي تختلف فيه الشرائع؛ بخلاف الباب الأول، فإن جنسه مما لا يمكن اختلاف الشرائع فيه، وإن اختلفت في أعيانه.

في هذا الكلام كما ترى تسقط واجبات عظيمة تظهر فيها سعة الدين، ويظهر فيها رفع الحرج.

ثم قال: «إذ ازدحم واحبان لا يمكن جمعهما؛ فقدم أوكدهما؛ لم يكن الآخر في هذه الحال واجباً، ولم يكن تركه لأجل فعل الأوكد تارك واجب في الحقيقة».

• أقول:

ومثال تعارض الواجبين: الحج والجهاد، وبر الوالدين والجهاد؛ فيقدم الجهاد العيني على الحج العيني، وعلى بر الوالدين.

والشاهد منه: مشروعية ترك واجب لما هو أوجب منه، وفيه إبطال دعاوى فالح وحريه. أنه لا يتنازل عن الواجبات والأصول.

ثم قال رحمته: «وكذلك إذا اجتمع محرمان لا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل أدناهما؛ لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرماً في الحقيقة، وإن سمي ذلك ترك واجب، وسمي هذا فعل محرم؛ باعتباره الإطلاق لم يضر.

ويقال في مثل هذا: ترك الواجب لعدم، وفعل المحرم للمصلحة المراجعة، أو للضرورة، أو لدفع ما هو أحرم». مجموع الفتاوى (٤٨/٢٠ - ٥٧)

قال الكاتب «أسامة سالم» ناقلاً عن فالح:

«قال الشيخ ربيع له فهم في المصالح والمفاسد، ولا أحد يذعه في فهمه، ولكن الذي نفهمه نحن: أن المصالح والمفاسد تتماشى مع الشريعة، وأنها لا بد أن ينظر فيها على وفق منهج أهل السنة والجماعة، وألا تحضغ للاحتهاد الشخصي إذا حالف ما كنوا عليه، وقد كنت مثلت بصلوة الصحابة حنف عثمان، وأنهم صلوا أربع خففة لما صلى أربعاً، وقال ابن مسعود: «الخلافة شر»^(١) وأيضاً كانوا قد

(١) بن مسعود رضي الله عنه اعترض من حله أنه يرى أن قصر لصلوة واجب، ولكن لدفع هذا الشر صلى هو وغيره من الصحابة وراء إمام المسلمين، الذي يرى الإنتماء في الأمر.

صلوا خلف رسول الله ركعتين، هذا في منى .
فالشَّيْخُ رُبَّيْعَ رَأَى ذَلِكَ مِنَ الْأَصُولِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَهْدَمْ الْكَعْبَةَ مُرَاعَاةً
لِلْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ .

وَلَكِنْ قُلْتُ أَيْضًا هَذَا لَيْسَ فِي الْأَصُولِ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ تَرْكٌ
وَاجِبٌ، أَوْ تَرْكُ أَصْلٍ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، وَهَذَا مَا صَرَحَ بِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ، هَذَا مَا رَأَاهُ
السَّخَّارِيُّ، وَمَا رَأَاهُ ابْنُ حَجَرٍ، وَمَا رَأَاهُ الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ، وَمَا رَأَاهُ الشَّيْخُ حَمَادُ
ابْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ^(١)، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ
يُحَافِلُ فِي أَنَّ الشَّيْخَ رُبَّيْعًا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَقَعَ فِي قَضِيَّةٍ فِيهَا فِي الْحَقِيقَةِ مَا فِيهَا مِنْ
نَظَرٍ، وَكَانَ الْمَفْرُوضُ أَنَّهُ مَا يَقَعُ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ . الْجَوَابُ الْمُنِيعُ (١٤/١٥) .
* أَقُولُ :

مِنْ الْمَوْسُفِ أَنْ يُعَدَّ هَذَا الرَّجُلُ فِي كِبَرِ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ بَعْدَ أَنْ تَيَّنَ لِلْعُقَلَاءِ جِهْلُهُ
وَأَكَاذِيْبُهُ، وَيُقَدِّمُ عَلَى شَيْخِي الْإِسْلَامِ: ابْنِ تَيْمِيَّةٍ، وَابْنِ الْقَيْمِ (١) وَهَذَا مِنْ عَجَائِبِ
هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ .

وَالْجَوَابُ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ مِنْ وَجْهِ :

١- مِنْ قَالٍ : إِنَّ الْمَصَالِحَ وَالْمَفَاسِدَ لَا تَتَمَاشَى مَعَ الشَّرِيعَةِ، وَأَلَّا يُنْظَرُ فِيهَا
لِتَوَافُقِ مَسْجِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَهَلْ قَالِحٌ يَعْمَلُ وَفْقَ هَذِهِ الْمَصَالِحِ الَّتِي تَتَمَاشَى مَعَ
الشَّرِيعَةِ؟! كَلَّا!!

فَمَا أَعْرِفُ أَحَدًا يَنْتَمِي إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ يَضْرِبُ بِمُرَاعَاةِ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ
عَرَضَ الْحَائِظِ مِثْلَ قَالِحٍ، وَلَا يَرَاعِيهَا وَلَا يَسْمَعُ لِمَصْحٍ مِنْ يُلْزِمُهُ بِمُرَاعَاتِهَا، وَكَمْ
قَدْ عَامَرَ بِالسُّلْفِيَّةِ اتِّبَاعًا لِهَوَاهُ، وَعَدِمَ لالْتِقَاتِ إِلَى مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ مُرَاعَاةِ
لِمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ، وَكَمْ أَثْقَلَ كَهْلُ السُّلْفِيَّةِ وَكُوَاهِلُ أَهْلِهَا بِتَصَرُّفَاتِهِ الْعَرِصِيَّةِ
نَتِي لَا تَتَّقِدُ بِأَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَلَا بِالْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ .

(١) رَأَى هَذَا فِي قِصَّةِ مَبِئَّةٍ، وَلَمْ يَضَعُوا قَاعِدَةً عَامَّةً، ثُمَّ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ لَوْ عَلِمُوا أَنَّ مَثَلَهُ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّهَا مِنْهَا
لَأَحْذَرُوا بِهَا مِنْ كُلِّ جَوَاسِئِهَا، أَلَا تَرَى هَذِهِ التَّأْصِيلَاتِ الشَّامِلَةَ وَلِسْتِ وَالْوَاجِبَاتِ

وكم أحدث من الفتن بين السلفين في مشارق الأرض ومعاربها ، وكم بدّع من السلفيين الأبرياء بظلمه وفوضويته ، ولو كان يحترم السلف ومنهجهم ، ويحترم ما قرره السلف من وجوب مراعاة المصالح والمفاسد ؛ لما فعل واحداً في المائة مما ارتكبه في حق السلفية والسلفيين .

٢ قال ابن مسعود رضي الله عنه «الخلافاً شر» . فهل استفاد فالح من فقه ابن مسعود ، فابتعد عن الخلاف لأنه شر ، أو أنه من أشد المسرفين في إثارة الخلافات والفتن ؟!

٣- قال : «فالشيخ ربيع رأى ذلك من الأصول ، وأن الرسول ﷺ لم يهدم الكعبة مراعاة للمصالح والمفاسد» .

أقول : لقد سلك فالح في التهويش عليّ مسالك أهل الأهواء والظنم ، فتجد أحدهم يقول : قال فلان كذا . وقال فلان كذا ، ولا يقل كلام خصمه بعينه ، ولا بمعناه الصحيح ، ولا يلخص الكلام تلخيصاً أميناً ، وهكذا سلك فالح في كل ما ينسبه إليّ ، ويكون كاذباً ظاهراً فيما ينسبه إليّ ، مثل : «قضية التقليد» لا يقل كلامي فيه بنصّه أو بمعناه ، وإنما يقول قال ربيع كذا ، وخالف أحمد ، وخالف أئمة الدعوة ، وخالف المسلمين !

وإذا رجع القارئ إلى كلامي يجده موافقاً لمنهج السلف ولمهيج أحمد وأئمة الدعوة وعلماء الإسلام . ويدرك بطلان دعوى هذا الرجل .

ويقول عني : إنني خالفت السلف في جنس العمل ، وفي قضايا الإيمان ، وهو الكذب ، وإذا رجع المسمم المصنف إلى كلامي يجده مطابقاً لمنهج السلف ولما قرّروه ، ويجد في كلامي التصريح بـ أن ترك العمل بالكعبة كافر زنديق .

وإنما حذرت من لفظ «جنس العمل» ؛ لأنه سلاح خبيث من أسلحة التكفيريين ؛ ليدعموا به منهجهم التكفيري ، وحذرت منه لما ينطوي عليه من الفتن ، فأنا أسلت فيه مسلك السلف في سدّ الدرائع ، وإغلاق أبواب الفتن ، وأسوق الحجج والقواعد التي تُبين الحق المبين في التحذير من هذا اللفظ ، وأحضّر مع ذلك على التمسك بتعريف السلف للإيمان بأنه : «قول وعمل واعتقاد ،

يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية»، فلا يرفع فالج بذلك رأسًا، ولا يقبل تلك الحجج التي أوردها . .

ومن حُجَجِي مواقف من رسول الله وأصحابه في سُدَّ أبواب الفتن، واجتناب الألفاظ أو الكلام الذي يؤدي إلى إثارة الفتن والشبهات
ومن افتراءاته عليَّ أنني قلّدت فلانًا في القول بـ: «أن العمل شرط كمال في الإيمان» .

ويعلم الله أنني أول مَنْ حَذَّر من هذا القول من قبل صدور كتاب «حالد العنبري» ونشره، وأنتي حذّرت العنبري، وطلبت منه حذفه من كتابه، ولما جرى فيه الأخذ والرد كنت ممن يحذّر من استخدامه، أو الخوض فيه، وأحضر مَنْ يجادل فيه على التمسك بتعريف السلف للإيمان .

وما كان لفالج في هذه الأمور - فيما أعلم - ناقة ولا جمل، وإنما أثارها هذه الأيام على الوجه الذي حكّيته عنه للشغب والفتن والتبديع بالأكاذيب والأراجيف !!

ومن أخف ظلمه وأراجيفه ما قاله عني هنا: «الشَّيخ ربيع رأى ذلك من الأصول، وأن الرسول ﷺ لم يهدم الكعبة؛ مُراعاةً للمصالح والمفاسد»
وهو كلام غامض، فهل يريد أن رسول الله ﷺ ترك هدم الكعبة لأمر آخر غير مُراعاة المصالح والمفاسد، أو يريد معنى آخر؟!

ولكنني أسوق كلامه في قضية عدم هدم الكعبة، وقضية صلاة الصَّحابة وراء عثمان أربعًا وهم في منى .

وأسوق مناقشتي له في هاتين القضيتين؛ ليقف القارئ على الحقائق بنفسه، ويصل إلى النتائج من كلامي نفسه، كما وصل إليها العلماء الأجلاء . .

وهاكم نص كلامه، ثم نص مناقشتي له:

قلتم -أي فالج-: «وهناك أمورُ الرسول ﷺ صرَّح على أنه تركها، مثل (لولا أن قومك..) حديث عائشة، وكذلك لما لصحابة ﷺ صلُّوا وراء عثمان رضي الله عنه وقد صلى خلف الرسول ﷺ ركعتين وهو متم، وهكذا هذه الأمور ليست في

الأصول، وفي الأمور الحتمية والقطعية والعقائد؛ فانتبهوا إلى هذا بارك الله فيكم -».

فقلت أنا - مناقشة له - «أقول: إن ترك النبي ﷺ بناء الكعبة من ترك مصلحة مرجوحة لدرء مفسدة كبيرة، درؤها هو الراجح والمقدم.

هذه المفسدة هي: خشية أن ترتد قريش وغيرهم من العرب لمكانة الكعبة في نفوسهم، ونفوس آبائهم وأجدادهم؛ إذ هي مصدر فخرهم واعتزازهم.

فترك رسول الله ﷺ هدم الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم؛ لدرء هذه المفسدة.

فعمل الرسول هذا تقعيد لقاعدة عظيمة، وتأصيل متين لأمتة؛ ليواجهوا به الأحداث والمشاكل الدينية، والسياسية، والاجتماعية... وغيرها.

وإذن فترك الرسول ﷺ لهذا العمل ليس من باب ترك عمل فرعي، وإنما هو دفع لفتنة وتأصيل للأمة لتواجه به الأخطار والمشاكل والفتن.

ودره المفاسد مقدم على جلب المصالح، وسد الذرائع المفضية إلى الأضرار والمفاسد من الأصول العظيمة التي لا يقوم الإسلام وحياة المسلمين إلا عليها.

خذ مثلاً قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِعَدْوٍ عَرُوفٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فإن سب أوثان المشركين حق وقربة إلى الله وإهانة للأنداد، لكن لما كان يؤدي إلى مفسدة كبرى هي سب الله؛ وجب تركه، فليس هذا العمل من باب القروع، وإنما هو من باب الأصول والعقائد.

وصلاة الصلحبة وراء عثمان رضي الله عنه وهو يتم في صلاة كان يقصرها رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمر؛ ليس من التنارل عن سنة، أو عمل فرعي، وإنما هو من باب درء المفاسد الكبرى، فلو تركوا الصلاة خلف إمام المسلمين؛ لأذى ذلك إلى الحلاف والتنازع، واقتراق الأمة، وسفك الدماء. انتهى.

فهل يوجد أحد عبده شيء من الفقه لدين الله يقول: إن كلام ربيع هذا باطل؟ ولو وقف العلماء الذين استشهد بهم الكاتب على كلامي لأقرروه، وقد أقره فعلاً.

عَدُّ غيرهم ممن اُطْلِع على كلامي هذا في مناقشاتي لِفَالِح .

وأقول : «لقد اندفع فالح في المتن وفي التبديع بالباطل والظلم ، فَسَحَقَ كثيرًا من السُّلَفِيِّين الأبرياء ، وكان بعض مَنْ يسأله يقول له : ألا ترى أنك متفرد عن المشايخ ، وهم قد يُراعون المصالح والمفاسد ، فلا يتكلمون فيما تتكلم فيه ؟

فيجيب : كل شاة بكراعها معلقة . . وأنا . . وأنا . ويُعرِّض بالعلماء الذين لا يُجارونه في تهوره ، ويُعرِّض بكتماهم للعلم . إلى أمور تشيب لها الرواصي ، غير مُنْتَفَتِ لِلْمَصَالِح والمفاسد التي يُراعِيها العلماء ؛ ولا سيما علماء المنهج السلفي .

فصحته وتوسعت في بيان المصالح والمفاسد ، وصريت له بعض الأمثلة فيها مُرَاعَاة رسول الله ﷺ وأصحابه للمصالح والمفاسد ، وحكمته فيها ، ومنها صلح الحديبية ، وكيف تَمَّ هذا الصلح ، وكيف راعى فيه رسول الله ﷺ المصالح والمفاسد ، وكيف تسامح في أمور مُهمَّة ، وماذا حَقَّقَ الله بهذا الصلح من المصالح العظيمة ، ونقلت فيه كلامًا مهمًّا لابن القيم ، ولابن حجر - رحمهم الله . ١١

ومن ضمن كلامي في هذا الصلح ما يأتي ضمن كلام طويل .

أقول : لقد تسامح رسول الله ﷺ في هذا لصلح في أمور عظيمة من أصول

ومروع :

فمن الأصول التي تسامح فيها : عدم كتابة «بسم الله الرحمن الرحيم» ، والأخذ بما اقترحه سهيل بن عمرو : «باسمك اللهم» مع غضب لَصْحَابِهِ ، وحلفهم بالله أنه لا يكتب إلا : «بسم الله الرحمن الرحيم» ، وتسامح في عدم كتابة : «محمد رسول الله» ، وهي الركن الثاني من أركان الشهادتين أصل الإسلام ، وكتابة ما أصر عليه سهيل بن عمرو متدوب قريش : «محمد بن عبد الله» إلى شروط مححفة . . . إلخ

كتبت هذا وغيره نصيحة نفالِح لعله يستفيد من هذه النصيحة ، فيرجع عن تماديه في الفتنة ؛ فأبى إلا التماذي والشغب .

وقرأ عددٌ من العلماء هذا الكلام واستجادوه ، ونصروه ، وأيدُّوه ، وحثُّه أقربهم إليه على الرجوع إلى الحق ، ولكنه أبى وعاند ، وأبى إلا التماذي في الفتنة بالكذب الصُّرْف ، وبإلقاء الشبه والتشويش على كلامي هذا وغيره مما تصمته

كتاباتني !!

ومن الشبه التي ألقاها على بعض الإخوة وفي روعهم أن كلامي يدل على أن رسول الله ﷺ تنازل عن الإيمان بأن «الرحمن الرحيم» اسمان لله - تبارك وتعالى - ، دالان على صفة عظيمة له وهي الرحمة ، ويدل على أنه تنازل عن الرسالة

وقال هذا البعض المشار إليه : ومعلوم الفرق بين التنازل عن الكتابة والتنازل عن الرسالة ، والإيمان بأسماء الله وصفاته فدهشت لهذا الظلم ، واقشعر جلدي ، ولا تزال الدهشة والقشعريرة تلاحقني بسبب هذا البهت الذي فعله فالح وشوشره ، والذي لا يحظر سال مسلم : فضلاً عن إنسان يُعظَّمُ الله ويُجلُّه ، ويُعنى بقضايا التوحيد ، ويُدرَّسه من أزيد من أربعين عاماً .

لقد عتبت على هذا البعض في كلام طويل ، ومن ضمنه قولي : أما يكفيكم تصريحي بقولي : تسامح في عدم كتابة . بسم الله الرحمن الرحيم . وعدم كتابة . محمد رسول الله - تفريقاً - والله قصده بين التسامح بترك كتابة لفظ هذين الأصلين ، وبين ترك الأصلين نفسيهما ، والتنازل عنهما ، وذلك لا يحصى على مسلم ولو كان من أجهل الناس .

ثم أم يكفيكم ما نقلته عن صحيح البخاري من جواب رسول الله ﷺ على المشركين : «والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني» .
إنَّ ما قاله النووي^(١) جيد في الجملة .

وقلت أنا . «ونقلت عن ابن القيم وابن حجر مثله في المصالح العظيمة التي ترتبت على هذا الصلح أو أقرى» .

وهو يقول : «وافقهم رسول الله ﷺ في : محمد بن عبد الله ، وترك كتابة . رسول الله»

وأنا قلت : «تسامح بعدم كتابة : محمد رسول الله» .

وهو قال : «وافقهم في ترك كتابة : بسم الله الرحمن الرحيم»

(١) أشير إلى كلام نقده عن النووي .

وأنا قلت : «تسامح بعدم كتابة : بسم الله الرحمن الرحيم» .

ولي وجهة نظر في قوله : أمّا البسمة و (باسمك اللهم) فمعناها واحد فأقول : لو كان معناهما واحداً ، فلماذا رفض سهيل بن عمرو كتابة «بسم الله الرحمن الرحيم» ، ورضي بكتاتبة : «باسمك اللهم» ؟ ولماذا غضب الصحابة من كتاتبة : «باسمك اللهم» ، وحلقوا ألا يكتب إلا : «بسم الله الرحمن الرحيم» . وهل يجزئ كتابة : «باسمك اللهم» في صدور سور القرآن بدل : «بسم الله الرحمن الرحيم» ؟ وهل يجوز أن نقول حينما نقرأ سورة الفاتحة في صلاتنا أو في غيرها أن نقول : «باسمك اللهم» . . وهل . وهل . !! وكذا قوله : «محمد بن عبد الله هو أيضاً رسول الله ﷺ» . أي : أن معناهما واحد !!

فأقول : لو قال كافر يريد الدخول في الإسلام : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمد بن عبد الله . أيدخل بهذا في الإسلام ؟ وإذا قل المؤذنون في أدانهم : أشهد أن محمد ابن عبد الله . أيصح هذا منهم ؟ وهل يجزئ المصلي في شهادته أن يقول : أشهد أن محمد ابن عبد الله .

إن قلت : لا يصح شيء من هذا كله .

قلنا : إذن ؛ بطل القول بأن المعنى فيهما واحد .

ومما يؤكد أن رسول الله ﷺ وأصحابه قد تنازلوا عن واجبات عظيمة مراعاة لمصالح كبرى : أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا قد أهلوا بالعمرة في غزوة الحديبية ، وساقوا هديهم من الإبل وغيرها ، ومن الواجب عليهم أن يتموا هذه العمرة ، ومن الواجب عليهم : ألا ينحروا هديهم ويحلقوا رؤوسهم إلا بعد الطواف بالبيت ، وبعد السعي بين الصفا والمروة ، والطواف والسعي ركان في العمرة ، فمراعاة منهم للمصالح والمفاسد تنازلوا عن القيام بهذه الواجبات والأركان التي أوجبها الله بقوله : ﴿وَأَتُوا النُّجُفَ وَالْعَمْرَةَ وَلَوْ أَنَّ أُخِيرْتُمْ مَا أُسْتَسْرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة : ١٩٦] . وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

فمن يقول : إنه لا يجوز التنازل عن الواجبات ؛ فقد أبعد النعمة عن فقه كتاب

الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وفقه سيرته، وفقه علماء الشريعة، وقد تقدمت أمثلة في هذا الباب من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

وأضيف: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن المحرمات قسمان

أحدهما: ما يقطع بأن الشرع لم يبح منه شيئاً؛ لا لضرورة ولا لغير ضرورة كالشرك والفواحش، والقول على الله بغير علم والظلم المحض، واستشهد بقول الله تعالى ﴿وَقَدْ إِنَّمَا حَرَّمَ ذِي الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف ٣٣] الآية.

ثم قال: «فهذه الأشياء محرمة في جميع الشرائع، وتحریمها بعث الله جميع الرسل، ولم يبح منها شيئاً قط، ولا في حال من الأحوال».

ثم ذكر المحرمات الأخرى كالهيئة والدم ولحم الخنزير، وذكر أنها تباح عند الضرورة، وذكر محرمات أخرى كالميسر والربا، وأن بعض أنواعها يُباح عند الحاجة.

ثم قال رحمه الله: «والمقام الثاني: أن يفرق بين ما يفعل الإنسان ويأمر به ويبيحه، وبين ما يسكت عن نهيه غيره عنه وتحريمه عليه، فإذا كان من المحرمات ما لو نهى عنه حصل ما هو أشد تحريماً منه؛ لم يبه عنه، ولم يبهه أيضاً».

ولهذا لا يجوز إنكار المكرب ما هو أنكر منه، ولهذا حرم الخروج على ولاية الأمر بالسيف؛ لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات وترك واجب أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب.

وإذا كان قوم على بدعة أو فجور، ولو نهوا عن ذلك؛ وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه من ذلك، ولم يمكن منعهم منه، ولم يحصل بالنهي مصلحة راحية؛ لم ينهوا عنه. اهـ من مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٧٠-٤٧٢).

* أقول:

إن إنكار المنكر من أعظم الواجبات، ومن أصول الدين، لكنه قد يجب التنزل عنه مراعاة للمصالح والمفاسد، وهذا ما يراه علماء الإسلام، ودلت عليه الشريعة، وهذا ما يقرره شيخ الإسلام.

وقال رحمه الله: «فينبغي للعالم أن يتدبر أنواع هذه المسائل، وقد يكون الواجب

في بعضها - كما بيته فيما تقدم - : العفو عند الأمر والنهي في بعض الأشياء ، لا التحليل والإسقاط ، مثل أن يكون في أمره بطاعة فعلاً لمعصية أكبر منها ؛ فيترك الأمر بها دفعاً لوقوع تلك المعصية ، مثل أن ترفع مُذنباً إلى دي سلطان ظالم ، فيعتدي عليه في العقوبة ما يكون أعظم ضرراً من ذنبه .

ومثل أن يكون في نهيه عن بعض المنكرات تركي لمعروف هو أعظم منفعة من ترك المنكرات ، فيسكت عن النهي ؛ خوفاً أن يستلزم ترك ما أمر الله به ورسوله مما هو عنده أعظم من مجرد ترك ذلك المنكر .

فالعالم تارة يأمر وتارة ينهى ، وتارة يبيح وتارة يسكت عن الأمر ، أو النهي ، أو الإباحة ، كـ . الأمر بالصالح الخالص أو الراجح ، أو النهي عن الفساد الحاصل أو الراجح ، وعند التعارض يرجح الراجح - كما تقدم - بحسب الإمكان

فأما إذا كان المأمور والمنهي لا يتقيد بالممكن : إما لجهله وإما لظلمه ، ولا يمكن إزالة جهله وظلمه ؛ فربما كان الأصلح الكف والإمساك عن أمره ونهيه ، كما قيل : إن من المسائل مسائل جوابها السكوت ، كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء والنهي عن أشياء حتى علا الإسلام وظهر .

فالعالم في البيان والبلاغ كذلك ، قد يُؤخَّرُ البيان والبلاغ لأشياء إلى وقت التمكن ، كما أحرَّ الله سبحانه إنزال آيات وبيان أحكام إلى وقت تمكن رسول الله ﷺ تسليمًا إلى بيانها . اهـ المجموع (٢٠ / ٥٨ - ٥٩) .

* قلت :

وهذا هو الفقه لدين الله ، فالعالم بدين الله - تبارك وتعالى - تارة يأمر بالمعروف ، إذ كانت مصلحة الكلام والأمر راجحة ، وتارة يسكت ويتنازل عن واجب الأمر بالمعروف ، إذا كان الكلام يؤدي إلى مفسدة راجحة ، وهذه الأمور لا يدركها فالح ، ولا يعمل بها ، ويُنْتَه إلى متابعة العلماء في هذا الفقه ؛ فيرفض ويستعين بالعلماء ، ويثبهم بالجهل والكتمان .

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله : «فَوْنُ الشريعة مَبْنَاهَا وَأَسَاسُهَا عَلَى الْحُكْمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ ، وَهِيَ عَدْلٌ كُلُّهَا ، وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا ،

ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة^(١) خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل^(٢) اهـ.

ثم قال «المثال الأول - أن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر؛ ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله؛ فإنه لا يسوغ إنكاره^(٣) وإن كان الله يبعثه، ويمقت أهله...»

وهذا إنكار على الملوك والولاة بالحروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصَّحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يُؤْخَرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا، وقالوا «أفلا نقاتلهم؟» فقال: لا، ما أقاموا الصلاة وقال: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ مَا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِ».

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار؛ رآها من بضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالتها، فتولد ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات، ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة، وصارت دار إسلام؛ عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه ذلك - مع قدرته عليه - خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك؛ لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر؛ ولهذا لم يأذن في إنكاره على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه. إعلام الموقعين (٣/ ١٤-١٦).

• قلت:

فهل كلامي الذي أقام عليه فالج الدنيا ولم يُعدها يختلف في شيء عن كلام الإمام ابن القيم هذا؟

(١) أي: كمسائل فالج.

(٢) أي: أنه يحرم إنكار المنكر إذا كان يؤدي إلى مفسدة أعظم من المصلحة التي يُحققها، وهذا أشد من قولي «يجوز التناول عن الوجبات أحبنا» وهل فالج وحريه يروى الآن أنه لا يجوز تناول عن لحروج على المحكم؛ لأن الأمر بالمعروف من الوجبات التي لا يجوز تناول عنها؟

ثم قال ابن القيم رحمته الله :

«إنكار المنكر أربع درجات :

الأولى : أن يزول ، ويخلفه ضده .

الثانية : أن يقل ، وإن لم يزول بجملته .

الثالثة : أن يخلفه ما هو مثله .

الرابعة : أن يخلفه ما هو شر منه .

فالدرجتان الأولىان مشروعتان ، والثالثة موضع اجتهاد ، والرابعة محرمة ، فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يدعون بالشرنج ؛ كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة ، إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي الشاب وسباق الخيل . . ونحو ذلك .

وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب ، أو سماع مكاء وتصدية ، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله ؛ فهو المراد ، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك ، فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك .

وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون وبحوها ، وخمت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر ؛ فدعه وكتبه الأولى ، وهذا باب واسع ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله قدس الله روحه ونور ضريحه - يقول : مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان معي ، فأنكرت عليه ، وقلت له : إنما حرم الله الخمر ؛ لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس ، وسبي الذرية ، وأخذ الأموال فدعهم . انظر : «إعلام الموقعين» (١٦/٣) .

* أقول :

وأسفًا أن يتصدّر فالح ورويضاته^(١) للجرح ولتعديل ، والتقعيد والتأصيل ،

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إنها ستأتي على الناس منور خداعة ، يُصدق بها الكاذب ، ويُكذب بها الصادق ، ويُؤتمن فيها الخائن ، ويحون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويضة» قيل : وما الرويضة ؟ قال : السقية يتكلم في أمر العامة . أخرجه أحمد (٢/٢٩١) ، (٢/٣٣٨) وابن =

والتدبُّع والتضليل، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وهم من أبعاد الناس عن العلم والبصيرة، ومن أجهل الناس بدرجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يُفرِّقون بين المشروع منها والمحرَّم^(١)، فيتكلَّم أحدهم باسم الإسلام بغير علم ولا بصيرة؛ فيكون ضرره عظيمًا، وشره خطيرًا.

وإنني لأمل في الدعاة إلى المنهج السلفي بعلم وبصيرة وحكمة: أن يهتموا بهذه الأصول التي قرَّرها الإسلام، وقرَّرها علماء الإسلام، ومنهم شيخنا الإسلام. ابن تيمية، وابن القيم؛ سكوتًا حيما يلزم السكوت، وكلامًا حيما يلزم الكلام؛ مراعاةً منهم للمصالح والمفاسد على منهج العلماء الراسخين والأئمة المهديين.

وفق الله المسلمين - وخاصة المسلمين - لنهوض بهذه الأصول العظيمة، ووقفهم لمعرفة دينهم، وثبتهم عليه؛ إن ربنا لسميع الدعاء.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وبارك على رسوله الكريم ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

ربيع بن هادي بن عمير المدخلي

٢ / المحرم / ١٤٢٦ هـ

«ماجه من حديث أبي هريرة أيضًا في امتن حديث (٤٠٣٦)، وفي «وما الرويضة؟ قال الرجل الثاقل في أمر العامة»، وأخرجه أحمد (٢٢٠ / ٣) من حديث أنس، ولحديث حسن من أبي هريرة، ويزداد قوة بحديث أنس، راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم (١٨٨٧)، فهذه الصفات في هذا الحديث تصدق على الفئة المحددة، فهم يصدقون الكاذبين، ويكذبون الصادقين، ويأتسون العائنين، ويحوتون المؤمنين، وهم رويضات فعلاً، فيهم السمة الخ.

(١) نظر درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كلام ابن القيم رحمه الله الذي سبق

واقعة المسلمين وسبيل النهوض

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رَوْحَهَا وَتُنْزِلُ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦٦﴾ يُصِيعَ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَعْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد :

فإن أحوال المسلمين تقلق النفس وتقطع النفوس حشرات؛ ذلك أن الأمراض قد فتكت بهم: العقدية، والمنهجية، والسياسية، وقل ما شئت من الأمراض، والعلاج بين أيديهم، لكنهم لا يريدون هذا العلاج إلا من شاء الله. ويذهبون يبحثون عن العلاجات من هنا وهناك.

والعلاج الصحيح الذي قدمه لهم رب العالمين قل من يلتفت إليه مع الأسف الشديد، فالله وصف هذا القرآن بأن فيه شفاء: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤].

﴿وَنُزُلٌ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

هو شفاء لهذه الأمراض، إي والله.

والله لا علاج لهم ولا مخرج لهم مما هم فيه من ذل وهوان وعثائية إلا أن يرجعوا إلى هذا الكتاب؛ فيحكموه في عقائدهم، وفي عباداتهم، وفي مناهجهم، وفي سياساتهم، وفي كل شأن من شئونهم.

لا علاج لهم إلا هذا، ومع الأسف الأطباء الذين يقدمون العلاج مساكين يحيدون عن هذا العلاج ويذهبون إلى العلاجات المسمومة الفتاكة التي لا تزيدهم إلا بلاءً وذلًا وهوانًا.

الرسول - عليه الصلاة والسلام - تحدث عن هذه الأوضاع المتردية المنحطة التي ستترن بالامة، وفي نفس الوقت قدم لهم العلاج - عليه الصلاة والسلام -، وقموا في الأمراض والأدواء والعتائية - وقل من يريد العلاج -.

وإذا صاح بهم من يريد لهم الخروج مما هم فيه من ذل وهوان وأمراض لا يسمعون له ولا يلتفتون إليه، بل يحاربونه مع الأسف الشديد.

الذي يقول كلمة الحق ويدعو إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله وإلى تخلص الناس من هذه المشاكل والضلالات والبدع التي أوقعتهم في الذل والهوان والعتائية يُحارب أشد الحرب، يحارب ممن يلبسون لباس الإصلاح وهم يقودون الأمة إلى الهلاك والدمار، وما نسمع استجابة لهذه الأصناف

يا أمة الإسلام أين التوحيد الصحيح؟

أين العقائد الصحيحة؟

أين المنهج الصحيح؟

الأمر التي تجمع المسلمين، المسلمون جميعًا يجب أن يكونوا على عقيدة واحدة وعلى منهج واحد، ولا يتوفر ذلك إلا في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وفيما كان عليه سلفنا الصالح الذين آمنوا بالله ﷻ وبكتابه ورسله وبكل قضايا الإيمان والإسلام وطبقوها في حياتهم؛ عقائد وعبادات وأعمال وسلوك وجهاد وإلى آخر شئون الحياة؛ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

مهما نشدت الإصلاح من هنا وهناك؛ الإصلاح الآن ديمقراطية، الآن العلاج عندهم الديمقراطية؛ الإصلاح والإصلاحيون، والإصلاح والإصلاحيون

ويجتمع الروافض والباطنية والعلمانيون والكتابيون وإلى آخره على هذا الإصلاح، يجتمعون على هذا!

ومتفقون عليه وما يريدون غيره أبدًا، لا يريدون غير هذا الذي يدعون إليه، هذا هو الإصلاح الذي يأتي من أوروبا، ومن أمريكا يأتي من يوش ومن شارون، هذا هو الإصلاح وهذا هو العلاج!!

والصحف والمجلات والمواقع وإلى آخره لا تجد إلا النزر القليل الذي يصدر بكلمة الحق ويدعو إلى العلاج الشافي.

«يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن . فقال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت» .

تُرعت المهابة من صدور الأعداء وقُذِف الوهن في قلوب المسلمين إلى أن وصلوا إلى حضيض العثائية وما يريدون أن يخرجوا من هذا، ومع الأسف كثير من علمائهم وأطبائهم يريدون الإصلاح، الإصلاح : حوار الأديان، أخوة الأديان، تقديس الأديان، قداسة الأديان... وإلى آخره.

يُهان الرسول ﷺ ونحن نقول : هاتوا لنا العلاج، هاتوا لنا الحماية، يا هيئة الأمم احمينا، جعلوا ديننا ورسولنا مع الأديان الفاسدة، حملوه في ذيل هذه الأديان!!

مع الأسف الشديد! المسلمون الآن يُذبحون في العراق ولا صوت يرتفع، أهل السنة يُذبحون في العراق وما تسمع كلامًا أبدًا -بارك الله فيكم-، وحُرقت المساجد وهُدِّمت على أيدي الباطنية والروافض -بارك الله فيكم- وديست المصاحف -بارك الله فيكم-، ولا كلام، كيف؟ لأنه غثاء، غثاء والله.

لا بد أن نعتصم بحبل الله، لا بد أن نتبع كتاب الله، لا بد أن نطيع أوامر الله، ولا بد أن نستجيب لدعوة الله، لا بد أن نكون مسلمين ظاهرًا وباطنًا، نطبق هذا الدين الحق من ألفه إلى يائه.

أصحاب الرسول كانوا في ذلة وقلة، لكن بإخلاصهم وصدقهم وتمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم، بصرهم الله ﷻ على أقوى الدول وأعتها، في ذلك الوقت كانوا أقل الناس عددًا وأقلهم عدة وإلى آخره جمعهم الله -تبارك وتعالى- على كتاب الله وعلى سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-

أنا كنت في المدينة في المسجد النبوي وأذكر قول النبي ﷺ: «إن المدينة قرية تأكل القرى».

تأكل القرى، كيف؟ المدينة قرية فتحت الدنيا كلها وكان أهلها في مسجد لا يساوي جزءًا من خمسين جزءًا من هذا المسجد الموجود الآن، انظر المسجد النبوي الآن مليء من الساحات، ومليان من الأمم وهم غثاء.

وفي ذلك الوقت مسجد الرسول وقرية الرسول -عليه الصلاة والسلام-، مسجد الرسول صغير لا يأتي ولا جزء من خمسين جزءًا من مسجد اليوم، فتح الله بهم الدنيا بصدق الإيمان والإخلاص والتوكل على الله ﷻ؛ ما فتحوا الدنيا بقوتهم وإنما بصر من الله وتأييد منه، ﴿وَمَا أَتَصَرُّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ الْمَهِيرِ الْحَكِيمِ﴾ [ال عمران: ١٢٦].

يا أمة الإسلام؛ عليكم بالتوحيد الذي حواه القرآن والذي جاء به جميع الأنبياء، بلدان المسلمين تنتشر فيها القبور والحرفات والصلالات والبدع وإلى آخره؛ كيف يأتيهم النصر، وكيف تأتيهم العزة وهم ما تركوا بابًا من أبواب الذل إلا وطرقوه -والعياذ بالله- ولا بابًا من أبواب العزة والسعادة والسيادة والكرامة إلا وتحايده الكثير!

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٢].

كلكم اعتصموا بحبل الله، ما هو حبل الله؟ كتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام-، هذا أمر لجميع الأمة، هل الأمة استجابت الآن لهذا الأمر؟ هل الأمة الآن معتصمة بحبل الله في عقائدها وعباداتها ومناهجها ونشاطاتها؟

كلا والله، قليل؛ قليل جدًا الذين يدعون إلى هذا المسحح وإلى الاعتصام

بحبل الله ﷻ مع الأسف، والباقون والله يحاربون هذا المنهج وهذه الدعوة
أنا أعرف يا أولادي؛ وأنتم ما تعرفون؛ نحن كما في هذا البلد طلاب علم
يرحل طالب العلم من جنوب المملكة إلى شمالها ومن شرقها إلى غربها ما نجد
طلاب العلم والعلماء إلا إحوة على منهج واحد، وكنت طالب علم في الجامعة
الإسلامية ومدرّساً وإلى آخره ونزلت مكة لأكمل دراستي، يلتقي السلفيون أهل
الحديث والسلفيون من هنا كلهم على قلب رجل واحد لا خلاف بينهم في المناهج
ولا في أي شيء من الأشياء، طبعاً قد تكون أشياء جزئية خفيفة هذا ما يخلو حتى
زمن الصحابة، لكن المنهج والعقيدة وأمور الحياة كلها حتى السياسة تجددهم على
منهج واحد لا خلاف بينهم.

ثم جاء الشيطان يترغ بينهم وجاء أهل الفتن وتفشوا السموم والفرقة والتمزيق،
فمزقوهم شراً ممزق في مشارق الأرض ومغاربها، كانوا جماعة واحدة على كتاب
لله وعلى سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، تجددهم الآن متفرقين تجد
لشباب في هذه البلاد متفرقين متساكرين مع الأسف الشديد، ما فيه محبة، ما فيه
مودة، ما فيه تألف ما فيه تأخ ما فيه تحكيم لله، كل واحد يحكم عاطفته ويشحنوه
بأفكار ما يريد أن يغيرها ولا يعرف أنه على خطأ أو على حق، لا يا أحي.

أنا أقرأ في البخاري كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «قدم عيينة بن حصن بن
حديفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يديهم عمر، وكان
لقراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن
أخيه: يا بن أحي لك وجه عبد هذا الأمير فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك
عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال هيه
يا بن الخطاب، فوالله ما تعطينا الحزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى
هَمَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لبيه ﷺ: ﴿حُذِرُوا الْقَوَّاتِ
بِالْعَرَفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين، والله ما
جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله»

هدأ غضبه، ذهبت عنه سورة الغضب وعما عن هذا الإنسان كما أمره الله

-تبارك وتعالى-.

الشاهد من هذا : أن ابن عباس يشهد لعمر أنه كان وقفاً عند كتاب الله ﷻ
عمر كان محدثاً ، كان فقيهاً إماماً ، لكن قد يجتهد فيخطئ ، وإذا نبهه أحد
رجع ، وقفاً عند كتاب الله .

وله قصة أخرى ﷺ ، قال أبو وائل : «جلست إلى شيبة -يعني : الحنظلي-
كانت مفاتيح الكعبة عنده ولا تزال عند بني شيبه في الجاهلية والإسلام ، الرسول
أعطاهم مفاتيح الكعبة . قال أبو وائل : جلست إلى شيبه في هذا المسجد ، قال :
جلس إلي عمر في مجلسك هذا . فقال : هممت ألا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا
قسمتها بين المسلمين ، قلت : ما أنت بفاعل . قال : لم ؟ قلت : لم يفعله صاحبك .
قال : هما المرآن يقتلني بهما ، وقف .

الأمثلة كثيرة في حياة عمر في وقوفه عند كتاب الله وعند سنة رسول الله -عليه
الصلاة والسلام-.

لكن الآن ، هل نحن وقافون عند كتاب الله ؟!

يا أخي ، لا بد الواحد يحاسب نفسه ويقول : هل أنا على حق أو على خطأ في
القضية الفلانية والقضية الفلانية ؟ هل أنا على حق أو على خطأ ؟

لا يصل إلى الحق إلا إذا استسلم لله وانتقاد لله ﷻ وحكم كتاب الله في نفسه
وحكم سنة رسول الله في نفسه ؛ فحيثما يمكن أن يكون وقفاً ، يمكن أن يكون
رحاعاً للحق ، لكن إذا أرسل لنفسه العنان فلا يقف في وجهه شيء لا كتاب ولا سنة
رسول الله ﷺ ؛ فإن الباطل سيستولي عليه .

فأنا أنصح نفسي وأنصح أبنائي وأنصح إخواني وأنصح زملائي وأنصح من
يخالفني : أن نتقي الله في أنفسنا وفي هذه الأمة وفي هذا الشباب ، فنحكم كتاب
الله ونجمعهم على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ، ونربي أبنائنا في مساجدنا
ومدارسنا وبيوتنا على هذه الأمور وعلى هذا المنهج ، وأن نتقي الله في الأهواء
والأغراض ؛ فإنها -والله- شئت الأمة وشئت الشباب .

كان الصحابة كلهم وقافون عند كتاب الله ، وكان السلف الصالح كلهم

وقافون عند كتاب الله، والذي يخطئ يرجع، والذي يذنب يتوب.

كان الرجل يزني في عهد الرسول والمرأة تزني فلا يقر له قرار ولا يستريح أبداً لا أن يذهب إلى رسول الله ويعترف ويقول: أقم علي الحد، ويقول رسول الله: لعنك كذا لعنك كذا، أبداً، يعترف؛ لأنه لا يرتاح أبداً ويكره الحياة، لماذا؟

لأنهم أتاس استسلموا لله، وليسوا بمعصومين، نحن لسنا بمعصومين، كلنا تقع في الأخطاء لكن يجب على الإنسان أن يتوب: ﴿يَكُونُ الَّذِينَ آمَنُوا ثُبُوتًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

وقعت في الخطأ، في العقيدة، في المنهج، في السلوك، في العبادة، في شيء.

ارتكبت خطأ؛ فباب التوبة مفتوح وليس من العار، بل الأنبياء يخطئون ويرجعون، الأنبياء يخطئون ويرجعون؛ حكى الله عن آدم أنه تاب من خطيئته، وحكى الله عن داود، وحكى الله عن موسى... يتوب ويتوب ويتوب ويستحي من هذا الذنب.

وحتى يأتي يوم القيامة هؤلاء الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وتُطلب منهم الشفاعة، وهو لا يزال ضميره يؤنبه حتى آخر لحظة، تاب، تاب، تاب لكن هذا الإحساس لا يُمحى من ضميره.

يطلبون من آدم الشفاعة فيقول: أنا أذنبت وأخطأت، نفسي نفسي، يستحي من ربه، يقول: إني أستحي من ربي.

ثم يأتون إلى نوح فيقول: أنا أذنبت وأخطأت، نوح ماذا أخطأ؟ دعا على قومه، اعتبرها خطيئة وهي حق، فيستحي أن يشفع.

إبراهيم أخطأ في ذات الله ﷻ ويقول: أذنبت، وموسى كذلك يقول: أذنبت -بارك الله فيكم- أين نحن من هذا الحياء من الله ﷻ؟

يا أخي، تعيش عمرك على باطل، حياتك كلها ولا تعالج نفسك، ولا ترجع إلى الله تبارك وتعالى، ويمكن ورائك ألوف بل ملايين يتبعونك على هذا لخطأ، فتحمل وزر نفسك وأوزار الآخرين من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر

من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن من سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

يا أخي؛ ارحم نفسك، سُنَّ للناس سنة حسنة، أنت لست تشري الآن، لكن أحي سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، تكون كأنك سننت للناس سنة حسنة بارك الله فيكم؛ أشياء قصر فيها الناس أو ماتت هذه السنة فأحييتها، الناس إذا أقبلوا عليها وعملوا بها، فأنت تكسب أجرها؛ أجرك وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وكذا إذا تعلقت ببدعة وتعمك الناس عليها، فتحمل وزرك ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

الشاهد؛ أننا يجب أن نرجع جميعاً إلى الله، وأن نعتصم بكتاب الله، وأن نتبع كتاب الله آيات كثيرة يأمر الله فيها بالاستقامة، آيات كثيرة يأمر فيها الله بالاتباع، آيات كثيرة يأمر فيها الله رسوله بالاتباع: «اتَّبِعْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ».

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا﴾ [صمت: ٣٠].

أوامر كثيرة ونواهي كثيرة عن المعصية وعن المحالفات وعن وعن... لماذا؟ كتاب الله بين أيدينا وندرسه ونحفظه أولادنا، وتحفيظ القرآن، لكن أين الآداب؟

نحفظ الألف والالف -والحفظ مطلوب-، لكن أين العمل أين العمل؟

القرآن ألا يدعونا إلى الاجتماع؟

ألا يدعونا إلى الاعتصام بالكتاب والسنة؟

ألا يدعونا إلى ترك الباطل؟

ألا يدعونا إلى ترك البدع؟

ألا يدعونا إلى محاربة الشرك والضلال؟

نتفقه في دين الله ويحاول كل واحد يعمل في نفسه ويحاول أن يعلم أسرته، ويحاول أن يربي الناس في مدرسته على هذا المنهج وعلى هذه العقيدة التي جاء بها جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويحذرهم من الشرك دعاء غير له، والذبح لغير الله، والاستغاثة بغير الله إلى آخره، تجد دعاة يمدنون الدنيا، لكن هذه ليست من المكرات عندهم، ماذا استفاد الناس منك وأنت تقرهم على الباطل؟!

ما تزيدهم إلا ضلالاً ولا تزيدهم إلا عثائية، ولهذا كثرت الدعوات في العالم الإسلامي من هنا وهناك وكثرت الأحزاب، والله لا يزداد الناس إلا بلاءً، لماذا؟ لأنهم ما سلكوا طريق الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في الإصلاح إصلاح الأنبياء بدأ بماذا؟ بالإصلاح العقائدي؛ يأتي النبي قومه وعندهم شرك، عندهم ضلالات، فساد طويل عريض في الحياة كلها يبدؤون بماذا؟ يبدؤون بإصلاح العقيدة؛ يأتي إلى قوم يدعون غير الله، يذبحون لغير الله، يتعشقون بالأصنام، يعبدون الملائكة، يعبدون لأشجار، يعبدون الأنبياء إلى آخره، فيبدأ بتصحيح العقيدة، يصحح العقيدة.

انظر إلى العالم الإسلامي الآن، اذهب إلى مصر، اذهب إلى السودان، اذهب إلى باكستان ترى العجائب، في هذه البلاد مٌجيت القور -ولله الحمد-، ولكن دعوات الآن هيأت للناس لهذه الأوضاع المردية، وربما يستنكرون التركيز على الدعوة إلى التوحيد.

يا أخي؛ الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان بين الفينة والفينة يبايع أصحابه على ألا يشركوا بالله شيئاً، يبايع أبا بكر وعمر وأبو مسعود وعبادة بن الصامت وغيرهم، يبايعهم على ألا يشركوا بالله شيئاً وأن يقيموا الصلاة وإلى آخره، كيف يبايع أبا بكر وعمر؟! لأن العقيدة دائماً تحتاج إلى إذكاء، إلى تجديد، إلى تـ

العقيدة هذه لا بد أن نعرضها في أنفسنا وفي أوساطنا وندكر بها

كيف يبايع الرسول ﷺ أصحابه على ألا يشركوا بالله شيئاً؟

الآن لو قلت لو احدث: تعالى أبايعث على ألا تشرك بالله شيئاً كيف يفعلون؟!!!

لو وجد الآن داعية يحذرهم من الشرك، يقولون: وهل نحن مشركون؟
كيف أبو بكر وعمر يبايعون على ألا يشركوا بالله شيئاً وأنتم لا تحذرون من
الشرك؟!

إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿وَأَجَسْتَنِي وَبَيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.
إبراهيم أبو الأنبياء وحليل الرحمن يقول: ﴿وَأَجَسْتَنِي وَبَيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾
﴿وَلَهُنَّ أَصْنَانٌ كَثِيرًا مِنْ أَسَانٍ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْفِتْنَةَ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
[إبراهيم ٣٥-٣٦] عليه الصلاة والسلام.

وهو يعلم أن أبناءه سيأتي فيهم الأنبياء الكثير ومع هذا يحاف، كيف نأمن على
أنفسنا؟!

«يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»، رسول الله - عليه الصلاة والسلام
يقول هذا ويعلم أصحابه أن يقولوا هذا، نحن الآن كأن عندنا ضماناً أننا لا نقع في
الشرك ولا في النفاق.

كان الصحابة يخافون على أنفسهم النفاق؛ يقول ابن أبي مليكة: «أدركت
ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يحاف على نفسه النفاق».

الإنسان لا بد أن يخاف من النفاق، يخاف من الوقوع في الشرك، يخاف أن
يزيغ قلبه: ﴿وَرَبَّنَا لَا تُفِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾
[آل عمران: ٨].

﴿وَلَا يَأْمَنُ مَكْشَرُ اللَّهِ إِلَّا أَلْقَوْمُ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ٩٩].

ندعو الله ﷻ أن يحفظ قلوبنا، ونبدل الأسباب التي ترسخ الإيمان في
نفوسنا، نبدل الأسباب؛ من طاعة الله، من الاستسلام لله ﷻ، من الاستغفار لله
ﷻ في الليل والنهار وبلا سحر، ونضرع إليه دائماً أن يثبتنا على الإسلام وأن
يهدي الله على أيدينا من يريد هدايته ﷻ.

ولا بد يا إخوة من إحياء المحبة والمودة والأخوة في أوساط المسلمين على
أساس الكتاب والسنة وليس على أساس النفاق والمعاملات، على أساس الحق،
أحي الحق في نفسك وأخ عليه الناس وادع إليه.

ولابد من هذا التلاحم وهذا التآخي بين المسلمين: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وما الذي يفرقنا؟! الأهواء؛ الذي يفرق: الأهواء، أنت لك رأي وأنا لي رأي، وأنت تتبع فلاناً وأنا أتبع فلاناً، ثم لا نحكم كتاب الله، جاءت حينئذ لفرقة وجاءت العداوة وجاءت بغضاء، وجاء سفك الدماء، وجاء التفرق والضياع إلى المعالة التي وصل إليها المسلمون.

فأسأل الله -تبارك وتعالى- أن يجمع المسلمين على الحق، على كتاب الله وعلى سنة رسول الله، وأن يجمع شباب هذا البلد خاصة على كتاب الله وعلى سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

وعليهم أن يتذكروا حال الجزيرة قبل أن تأتي الدعوة السلطوية على يد الإمام المعجد محمد بن عبد الوهاب، أن يتذكروا التفرق والتعزق والضياع -بارك الله فيكم- حتى إن بعضهم وصل به الجهل أنه ينكر البعث، دغ عنك ترك الصلاة وترك الزكاة واللمع إلى آخره، فجمعهم الله على كتاب الله وعلى سنة رسول الله وعلى هذه العقيدة الصحيحة.

فيجب يا إخوة أن نتذكر هذا الواقع المظلم الأول والواقع المضيء الثاني، ونرجع إليه إذا حصل منا مجافاة أو نفرة عن هذا أو تنفير عنه، أن نرجع إليه وأن نتآخي.

وأن ندرك أن أعداء الإسلام في مشارق الأرض ومعاربها من الكفار واليهود والعلمانيون كلهم ما يتكالبون إلا على هذه الدعوة، الدعوة السفوية التي جردها لإمام محمد ابن عبد الوهاب؛ لأنهم يعرفون أنها هي الإسلام الحق، لا تصدقوا أن بين الروافض وبين اليهود والنصارى عداوة أبدًا، كل هذا كذب وضحت على لسان، لا تصدقوا هذا التهريج الكاذب، كل هذا من ذر الرماد في العيون.

لا يُعادي اليهود والنصارى إلا هذا المنهج، لأن فيهم فلاسفة ومفكرين ومستشرقين يدرسون الإسلام ويعرفون من هي الفرقة التي يمكن أن تكون ديناً لنا وعوناً لك على الإسلام والمسلمين جميعاً، ويعرفون من هي الجماعة التي على

الحق ولا يمكن أن تنقاد لهم ولا يجدون هذا إلا عند أتباع المنهج السلفي .

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٢]

نسأل الله أن يجمع قلوبنا جميعاً على كتابه وعلى سنة نبيه، وأن يرينا عياناً ما نتمناه من عزة الإسلام وعزة المسلمين واجتماعهم في صعيد واحد على كتاب الله وعلى سنة رسول الله، أسأل الله أن يحقق ذلك، وادعوا الله جميعاً في حلوائكم وفي مساجدكم أن يحقق ذلك .

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قام بتفريغ هذه الكلمة

وعرضها على الشيخ -حفظه الله-

أخوكم فواز الجزائري

ليلة السبت ٢/٣/١٤٢٧هـ

* * *

الكتاب والسنة وأثرهما ومكانتهما في إقامة التعليم في مدارسنا

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون. اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

وبعد: فإن الإسلام العظيم يحث على العلم ويشيد به ويمجد أهله ويرفع من شأنهم؛ قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [زمر: ٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وبين الرسول الكريم سيد العلماء وخاتم الأنبياء -عليه الصلاة والسلام- أن طلب العلم نوع من أنواع الجهاد فقال: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع».

وأن البحث عنه وتطلبه يمضي بصاحبه إلى الجنة «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»^(١).

وللعلماء عند ربهم درجات رفيعة عالية قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَيُذِيقُهُمُ الْوُجُوهَ الْغَالِيَةَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وبين تعالى الفرق الكبير بين العلم والجهل فقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الزمر: ٩].

وحكومة الرشيدة وفقها الله وثبت أركانها وسدد خطاها - إدراكاً منها لمكانة العلم ومخاطر الجهل جندت إمكانيات هائلة ورصدت الميراث الضخمة

(١) أخرجه ليحاري ٣ / كتاب العلم بدون إسناد، وأخرجه مسلم ٤٨ / من كتاب الذكر والدعاء باب (١١)، حديث (٢٧٠١) ضمن حديث طويل، وأبو داود ١٩ / لعلم باب (١) حديث (٣٦٤١) ضمن حديث طويل، والترمذي ١٩ / كتاب العلم حديث (٢٦٨٢)، وأحمد في مسند (٢٥٢/٢)

ليشمل العلم والتعليم كل أفراد شعبها الكريم ذكورا وإناثا وصغارا وكبارا، تدرج بهم في سلم العلم من المراحل الابتدائية إلى أعلى مراحل التعليم الجامعية وما بعد الجامعية - الدراسات العليا - في مختلف العلوم والفنون

وهذه نعمة كبرى على هذا البلد العظيم مهبط الوحي ومنبع النور الذي أحياه العالم فبدد ظلمات الجهل والشرك والكفر، فيجب على هذا البلد العظيم حكومة وشعبا أن يدرك قيمة هذه النعمة الكبرى ليبذل أقصى جهده في إرضاء ربه والقيام بواجب شكره حتى تدوم هذه النعمة الكبرى وتستمر.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ شُكْرُكُمْ لَأَرِيدَنَّاكُمْ وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَدَايَ لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

ويجب أن يدرك أنه لم يحتل هذه المكانة الرفيعة إلا بالعلم الذي أنزله على أفضل خلقه وأكرم رسله ألا وهو: علم الكتاب والسنة، والذي يحاول أعداء الإسلام بطرق خطيرة عاية الخطورة أن يحولوا بيسا وبينه فيضعون بيننا وبينه الحواجز والسدود الظاهرة والخفية حتى نعيش في ظلمات كثيفة من الجهل ونحيا حياة البهائم لا هم لنا إلا الأكل والشرب والمتاع الدنيوي.

إننا جميعا - حكومة وشعبا - نعثر بالإسلام ونحبه ونجمله ونفتديه بأموالنا وأرواحنا وكل غل ونفيس، ومع كل هذا ونحن في غمرة السباق مع أعدائنا في ميادين العلوم الدنيوية السباق الذي لا يمكن أن ندرك شأوهم فيه؛ لأنهم قوم لا هم لهم إلا الارتواء من متع الدنيا وشهواتها ومذلتها ولا يبالون بما وراء ذلك من جنة أو نار أو حساب أو عذاب بل هم بذلك كعرون: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ فِيهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

إن أكثرنا اليوم: يقعون على حافة هوة خطيرة من الجهل بالقرآن والسنة، ويوشك أن يصدق فينا قول الرسول الكريم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِرَاعًا يَنْتَرَعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رِعْوسًا جَهَالًا فَسْتَلَوْا، فَأَقْتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١) متفق عليه.

(١) أخرجه البحاري ٣/ العلم، باب كيف يقبض لعلم حديث (١٠٠)، ومسلم ٤٧/ كتب لعلم ١٤ حديث (٢٦٧٣).

إن ما جاء به محمد ﷺ غيث مغدق لا بد أن يهل منه أباًؤنا حتى التصلع كأسلافهم وأتباعهم بإحسان إلى يومنا هذا .

قل رسول الله ﷺ «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ؛ فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير .

وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا .

وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ .

فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١) .

إننا نريد أن يكون أبناؤنا من الطائفتين الأوليين وبعيذهم بالله أن يكونوا من لطائفة الثالثة ، ولا يتم ما نطمح إليه إلا بالتركيز على دراسة الكتاب والسنة لأنت -

والحمد لله - قد رضي بنا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً

فمن البدهي أن يكون أسمى أهداف حيات : أن نعرف مصدر عزنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة ألا وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبياناه وشرحه وتفصيله سنة رسول الله ﷺ اللذين غيرا محرى تاريخ بشرية على وجه الأرض بعد أن أحيا من رفاة الأمة العربية ولم من شتاتهم وأحرج منهم حير أمة أخرجت للناس ، وما كانت الأمة الإسلامية والعربية إلا بهذا القرآن ولا كان لها دولة ولا صولة إلا به .

ولنتنظر إلى تأثير هذا القرآن :

١- تأثير القرآن الكريم في انفس العرب :

لقد أحدث هـ القرآن المعجز أكبر تحول في حياة البشر فقلب عقائد لكهول و لشباب وأخلاقهم وتقاليدهم وعاداتهم وحولها إلى صدها علماً وعملاً بما لم يعهد له نظير في تاريخ الإنسانية .

(١) أخرجه البخاري ٣ / العلم ، الحديث (٧٩) .

فكان القرآن آية خارقة للمعهود من سنن الاجتماع الشرعي بتأثيره بالتبع لكونه آية معجزة للبشر في لغته وأسلوبه .

ويعد أن قلب حياة العرب في الجزيرة العربية من جهل إلى علم ومن شرك إلى توحيد ومن فرقة وفوضى إلى اجتماع وتنظيم اندفعوا كالسيل العاتي على الأفطار من نواحي الحريرة كلها فأطاحوا بعروش الأكاسرة والقياصرة أعظم ملوك الأرض وقتلوا جذور الشرك والطم وتشرروا التوحيد والحق والعدل ودخل الناس في دين الله أفواجا مختارين الاهتداء بهذا القرآن .

لا جرم أن سب هذا كنه هو تأثير القرآن العظيم بهذا الأسلوب الذي نراه في المصحف ؛ فقد كان النبي ﷺ يجاهد به الكافرين كما أمره : ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] .

ثم كان يربي المؤمنين ويزكيهم ويهديه والناسي بملفه ربوا الأمم وهذبوها ، وقدم يقرؤه أحد كما كانوا يقرءون إلا ويهدي به كما كانوا يهتدون .

ثم حكموا الدنيا وساسوها بهذا القرآن إذ لم يكن عندهم شيء من العلم بسياسة الأمم وإدارتها إلا هذا القرآن والأسوة الحسنة بملفه ومنعذه الأول وسنته المطهرة أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ .

ولس يعود للمسلمين مجدهم وعزهم إلا إذا عادوا إلى هديته ؛ لقد كان لهذا القرآن العظيم في حياة الناس مسلمهم وكافرهم تأثير بعيد العور

أما تأثيره في الكافرين فبفوز بلاغته ، وعظمة نظمه وأسلوبه الجاذب لفهم دعوته والإيمان به ؛ إذ لا يخفى حسنها على أحد فهمها وكانوا يتدوتون في الفهم تماوتاً عظيماً لاختلاف درجاتهم في بلاغة اللغة وفهم المعاني العالية

فهذا التأثير هو الذي أنطق الوليد بن المغيرة المخزومي بكلمته العالية فيه لأبي جهل التي اعترف فيها بأنه الحق الذي يعلو ولا يعلو عليه والذي يحطم ما تحته .

وهذا ، تأثير هو الذي كان يجذب رؤوس أولئك الحاحدين المعاندين ليلاً لاستماع تلاوة رسول الله ﷺ في بيته على ما كان من بهيمهم عنه ونأيهم عنه وتواصيهم وتقاسمهم بالأسماع له ، ثم كانوا يتسللون فرادى مستحقين ويتلاقون

في الطريق متلاومين .

وهذا التأثير هو الذي حملهم على منع أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الصلاة والتلاوة في المسجد الحرام ليلاً لما كان لتلاوته وبكائه في الصلاة من التأثير الجاذب إلى الإسلام وعللوا ذلك بأنه يفتن نساءهم وأولادهم .

بل هذا التأثير هو الذي حملهم على صد النبي ﷺ بالقوة عن تلاوة القرآن في البيت الحرام وفي أسواق الموسم ومجامعهم وعلى نواصيهم بما حكاها الله عنهم في قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْبَهُونَ ﴾ [سجدة : ٢٦] .

٢- تأثير القرآن في أنفس المؤمنين :

أما تأثيره في المؤمنين : فكان كل من يدخل في الإسلام قبل الهجرة يلقن ما نزل من القرآن ليعبد الله بتلاوته ويُعلم الصلاة ولم يفرض في مكة من أركان الإسلام بعد التوحيد غيرها ، فيرتل ما يحفظه في صلاته اقتداء بالنبي ﷺ إذ فرض الله عليه التهجّد بالليل من أول الإسلام .

قال تعالى في أول سورة المزمل ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلَيْلَ لَا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَفْثَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ نَزْلًا ﴾ [المزمل ١-٤] .

ثم قال في آخرها : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ بِمَا أَنْتَ تَعْمَلُ لَشَهِيدٌ ﴿١﴾ نَفْثَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٢﴾ أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ نَزْلًا ﴾ [المزمل ٢٠] . أي : في صلاة الليل وغيرها .

وقد قال تعالى في وصفهم : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان

[٦٤]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة : ١٥-١٦] .

ومما ورد في وصفهم ﷺ : أن الذي كان يمر بيوتهم ليلاً يسمع منها مثل دوي النحل من تلاوة القرآن .

وقد شدد بعضهم على أنفسهم ؛ فكان يقوم الليل كله حتى شكوا منهم نساؤهم
فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك .

فتركية الصحابة وتربيتهم بهذا القرآن هي التي عبرت كل ما كان بأنفسهم من
مفسد الجاهلية وزكته تركية عالية، وهي التي أحدثت أعظم تحول روحي
 واجتماعي في التاريخ ، هذا كله إنما كان بكثرة تلاوة القرآن في الصلاة وغير
 الصلاة وتدبره وربما كان أحدهم يقوم الليل بآية واحدة يكررها متدبراً لها، وكانوا
 يقرءونه مستلقين ومصطحجين كما وصفهم الله : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
 وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] .

وأعظم ذكر الله : تلاوة كتابه المشتمل على ذكر أسمائه وصفاته المقدسة
 وأحكامه وحكمه وسنته في خلقه وأفعاله في تدبير ملكه^(١)
 منزلة السنة من القرآن ومكانتها في نفوس المسلمين :

السنة المطهرة هي ما صدر من النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وهي وحي
 إلهي قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم ٣-٤] .

وهي بيان القرآن وتفسيره ؛ فهي تبين مجمله وتفيد مطلقه وتحصص عامه ،
 وهي واجبة الاتباع بنص القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [النحر ٧] .
 وقال تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ﴾ [البور ٩٣] .

وقال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا
 يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الباء ٦٥] .
 وأمر الله في كثير من آيات القرآن بطاعة هذا الرسول الكريم ، قال تعالى :
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] .

(١) راجع تفسير المنار (١١/٢٠١-٢٠٥) .

وأخبر تعالى أن طاعة الرسول إنما هي طاعة الله، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقرر الله أنه ليس للمؤمنين أي خيار أمام قضاء رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].
والحياة الحقيقية والصحيحة إنما هي في الاستجابة لهذه الرسول.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ الْغُثْرِ وَالنُّحُورِ﴾ [الأنعام: ٢٤].

من هذه التوجيهات القرآنية أدرك المؤمنون عظمة السنة ومكانتها، وأدركوا أنه يجب عليهم التزامها في كل شأن من الشئون الإسلامية العقائدية والعبادية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، لا فرق بينها وبين القرآن من حيث وجوب الالتزام والطاعة والانقياد والتصديق.

إن توجيهات وتعاليم القرآن والسنة المطهرة متمارحة متساندة في كل المجالات التي خاصها القرآن لا يعد مؤمناً من يفرق بينها في السواحي العقائدية أو العملية، ذلك لأنه يستحيل تطبيق القرآن بفهم بدون هذه السنة المطهرة.

وكيف يفرق بينهما من يؤمن بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [النور: ٤٤] وما جرى مجراها في بيان منزلة الرسول ﷺ وسنته ١٩.

من أين نعرف أعداد ركعات الصلوات الخمس وأوقاتها وحيثتها وأذكارها إذا كنا لا نعرف السنة ١٩.

وكيف نعرف شروط الركاة ومقادير أصبغتها إذا لم تكن لدينا سنة محمد ﷺ وبيانه ١٩.

ومن أين نعرف حد شارب الخمر ورجم الراني وقطع يد السارق إذا لم نرجع إلى السنة المطهرة هذه وغيرها من الأمور الكثيرة التي يتوقف الإيمان بالقرآن وتصديقه على الإيمان بالسنة، ومعرفتها، وتطبيقها، والتزامها واتباعها ١٩.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَحَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَنُوحُوا بِنَدَائِكَ﴾ [النور: ٤٤].

يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَصَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [الباء ٦٥].

مكانة السنة في نفوس الأمة:

من هنا أدركت الأمة الإسلامية عظمة السنة ومكانتها؛ فحفظوها كما حفظوا القرآن وصانوها كما صابوا القرآن ودونوا فيها الدواوين من الجوامع والمسايد والمعجم والأجراء والمصنفات، وألفوا في رجالها وأسانيدها الكتب التي لا تحصى، وألفوا الصحاح والسنن وفي الموضوعات والعلل بعد أن ميزوا الصحيح من لصيف من الموضوع وألوف المحدثين جندوا أنفسهم لخدمتها وكابدوا في سبيلها المشاق والسهر والرحلات الطويلة إلى مختلف بلدان العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه.

أما المؤلفات. فهذه مكتبات الدنيا تزخر بها حتى مكتبات أوروبا وأمريكا والهند حيث استحوذت على إعجابهم وأدركوا أنه أعظم كنز يتباهون به في مكتباتهم.

وأما الرحلات في سبيلها التي بذلها المسلمون في فجر تاريخهم: فلا يحصيها إلا الله وكتب التاريخ والرجال حافلة بذلك.

إلا أننا نختار هنا أربعة نماذج للتدليل على تقدير الأمة الإسلامية لسنة نبيهم واهتمامهم بها ومكانتها في أنفسهم:

١- حرح أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه من المدينة النبوية إلى عقبة بن عامر بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ، فلما أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو أمير مصر فأخبر به فعجل فخرج إليه فعانقه وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيري وغير عقبة بن عامر فابعث من يدلني على منزله.

قال: فبعث معه من يدلني على منزل عقبة فأخبر عقبة به فعجل إليه فعانقه وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن. قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مؤمناً في الدنيا على خزية ستره الله يوم القيامة».

فقال له أبو أيوب: صدقت. ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر^(١).

٢. قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم أسمعه منه، قال: فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي فمرت إليه شهراً حتى أتيت الشام فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري قال: فأرسلت إليه أن جاوراً على الباب. قال: فرجع إلي الرسول. فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم.

قال: فرجع الرسول إليه فخرج فاعتقني واعتقته قال: قلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المطالم لم أسمعه فحشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العباد أو قال: يحشر الله الناس» - قال: وأوماً بيده إلى الشام عراة غرلاً بهماً، قلت: وما بهما؟ قال: ليس معهم شيء... الحديث^(٢).

٣- جاء رجل إلى الشعبي فقال: يا أبا عمرو إن أسأ عبدنا يقولون إذا اعتق الرجل أمته ثم تزوجها فهو كراكب بدنته.

قال الشعبي حدثني أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فأمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فعذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها وتزوجها فله أجران» حذاها بغير شيء، فقد كان الرجل يرحل في أدنى منها إلى المدينة.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند مختصراً (٤/ ١٥٣)، وأحمد في المسند (رقم ٣٨٤)، والرحلة للخطيب (ص ١٢٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٥)، وأبو حنيفة في الأدب المفرد (٢/ ٤٣٣)، وأخرجه في صحيحه بعيناً بصيغة الجرم (١/ ٢٢)، وحاكم في المستدرک وصححه (٢/ ٤٢٧-٤٢٨)، ووافقه الذهبي، والرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (ص ١١١).

٤- قال شعبة: إن أبا إسحاق حدثني عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر قال: فقلت لأبي إسحاق: من عبد الله بن عطاء؟
قال: فغضب ومسعر بن كدام حاضر.
قال: فقلت له: لتصححن لي هذا الحديث أو لأحرقن ما كتبت عنك.
فقال لي مسعر: عبد الله بن عطاء بمكة.
قال شعبة: فرحلت إلى مكة لم أرد الحج أردت الحديث، فلقيت عبد الله بن عطاء فسألته.

فقال: سعد بن إبراهيم حدثني.
فقال لي مالك بن أنس: سعد بن إبراهيم بالمدينة لم يحج العام.
قال شعبة: فرحلت إلى المدينة فلقيت سعد بن إبراهيم، فسألته.
فقال: الحديث من عندكم زياد بن مخراق حدثني.
قال شعبة: فلما ذكر زياداً، قلت: أي هذا الحديث؟ أينما هو كوفي إذ صار مدنيًا إذ صار بصريًا.

قال: فرحلت إلى البصرة فلقيت زياد بن مخراق فسألته
فقال: ليس هو من يأتيك.

قلت: حدثني به.

قال: لا ترده.

قلت: حدثني به.

قال: حدثني شهر بن حوشب عن أبي ربحانة عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ
قال شعبة: فلما ذكر شهر بن حوشب قلت: دمر علي هذا الحديث لو صح لي
مثل هذا عن رسول الله ﷺ كان أحب إلي من أهلي ومالي ولتأس أجمعين^(١)
على أي شيء تدل هذه الرحلات الطويلة الشاقة من أجل حديث واحد؟!

(١) لرحلة في طلب الحديث للحطاب البغدادي (ص ١٥١)، وأصل الحديث في صحيح مسلم (١/ ١٤٤)

ألا تدل على إيمان صادق وحب صادق لرسول الله ﷺ وسنته وهديه ومعرفة
بمكانتها وأنهم قوم يعرفون القيم الحقيقية للأشياء وأن حديثاً واحداً عندهم خير من
الدنيا وما عليها لهذا استحقوا أن يعزهم الله وأن يبوئهم سنام المجد والعز
والتمكين؟

سمعوا قول الله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَزِينَةٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وسمعوا قول رسول الله: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى
منها كافراً شربة ماء».

وسمعوا قوله: «الموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها».
وسمعوا قوله: «لعدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها».
فهانَّت الدنيا وصغرت في أعينهم وعظم أمر الإسلام والقرآن والرسول وسنته
في أعينهم.

ونحن قد كبرت وعظمت الدنيا وشهواتها وملأها في أعيننا وصرنا تركض
ونلهث لتحقيق أكبر متاع منها.

فهنا على الله وسلط علينا الأعداء وحاق بنا في الدل والهوان ما لا ينزعه عنا
إلا العودة الجادة إلى الله والاعتزاز بهذا القرآن وهذه السنة.

كما أحبرنا بهذا المصير رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع
واتبعتم أذناب البقر؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم».
وديننا هو القرآن والسنة.

وأول خطوة في طريق العودة إلى الله يتمثل في أمور:

١- إصلاح المناهج.

٢- اختيار المدرس

٣- اختيار الطلاب الأذكياء.

٤- تهئية الجو لتربية الطلاب تربية إسلامية صالحة.

أولاً: إصلاح المناهج:

لست بسبيل وضع خطة شاملة أو وضع مناهج تفصيلية لكل المراحل العلمية فهذه لها من يقوم بها وهم المسئولون عن هذه المناهج .

ولا شك أنهم حريصون على ما يسعد أمتهم ويرفع من شأنهم في الدنيا والآخرة، ولا شك أيضاً أنهم على استعداد لتقبل ما يقدم لهم من الاقتراحات النافعة .

وهم والحمد لله قد وضعوا مادة القرآن مادة أساسية ضمن المناهج المقررة في المدارس في مختلف المراحل ظناً منهم أن هذا الأمر كان لتربية أبنائهم تربية إسلامية .

غير أن الأيام أثبتت والتجارب برهنت أن نصيب القرآن في هذه المناهج غير كاف ولا مؤثر في أبنائنا التأثير المطلوب؛ إذن لا بد من إعادة النظر ولا بد من العمل الجاد في وضع منهج يخرج شباباً محمدياً يفهم الإسلام ويحفظ القرآن ويعتز بمبادئه ومثله ويطبق شعائره ويجاهد من أجلها حتى آخر رمق من حياته .

إن واقع المناهج الحالية يعجز أن ينجب هذا النوع الذي نتطلع إليه، وهذا شيء لا نريده جميعاً ولا نرضاه، ولكنه وقع من حيث لا نشعر .

فمثلاً؛ لو استعرضنا منهج المرحلة الابتدائية لوجدنا أننا كلفنا أبناءنا وبناتنا فوق طاقاتهم وهي مرحلة أساسية في بنائهم؛ فلا بد أن نراعي مداركهم واستعدادهم وأن يقدم إليهم ما يرغبهم ويشجعهم إلى المعضي قدماً في طريق الإسلام عن فهم وحب ورغبة في العلم .

وليبكون الأمر واضحاً أضع أمامكم منهج سنتين من سنوات المرحلة الابتدائية:

أولاً، مقرر السنة الثالثة ابتدائي؛

١- مادة الرياضيات كتاب يقع في (١٨١ صحيفة) .

٢- مادة العلوم كتاب يقع في (١٠٤ صحيفة) .

- ٣- أناشيد كتاب يقع في (٨٤ صحيفة).
 - ٤- مادة المطالعة كتاب يقع في (١٤٠ صحيفة).
 - ٥- مادة القرآن يضاف إليها المجموع (٥٠٩ صحيفة).
- ثانيًا: مقرر السنة الخامسة ابتدائي للبنات:
- ١- الرياضيات في (٢١١ صحيفة).
 - ٢- المطالعة في (١٦٧ صحيفة).
 - ٣- التربية النسوية في (١٦٥ صحيفة).
 - ٤- الجغرافيا في (٦٧ صحيفة).
 - ٥- العلوم في (١٤٥ صحيفة).
 - ٦- الحديث والتوحيد والفقه والتجويد في (١٨٦ صحيفة).
 - ٧- القواعد اللغوية في (١٥٨ صحيفة).
 - ٨- التاريخ في (٨٠ صحيفة).
- المجموع: (١١٧٩ صحيفة).
- إلى جانب مادة القرآن والخط.

كيف يستطيع هؤلاء البراعم أن يهضموا أو يفهموا هذه المواد التي قد يعجز كثير من أساتذتهم أن يفهموها إياها؟!

وإذا واحه أحد الطلاب مشاكل لا يستطيع أهله ولا جيرانه أن يحلوها وربما الأمر أدهى فيما بعد المرحلة الابتدائية.

أما القرآن - فحدث عنهم ولا حرج؛ فإن الكثير أو الأكثر يتجاوزون المراحل كلها بما فيها الجامعية وهم لا يحسنون تلاوته من المصحف فصلًا عن حفظه وفهمه، هذا حقيقة والواقع أكبر شاهد وهذه خسارة فادحة، وإذن فما الحل وما هو الطريق الذي يجب أن نرسمه ونقيم حياتها عليه؟

الحل الصحيح في نظري يتمثل فيما يأتي:

أولاً : تكثيف مدارس تحفيظ القرآن ، تنصت العناية فيها على تحفيظ القرآن ، ثم يضاف إليه ما يساعدهم على إجادة قراءته كالخط والإملاء إلى السنة الرابعة ، ثم تضاف مادة الحساب ، الجمع الطرح الضرب ، الجمع في السنة الرابعة ، الطرح في الخامسة ، الضرب في السادسة مع كتاب لطيف يشرح لهم العقيدة والصلاة .

وليكن التركيز في هذه المرحلة على حفظ نصف القرآن على الأقل .

ويشرف على اختبار الطلاب في نهاية كل سنة لجان من حفاظ القرآن الثقات بحيث لا ينتقل الطالب من صف إلى آخر إلا بعد التأكد من حفظ مقرر القرآن في الصف الذي ينتقل منه .

والطالب الذي يعجز عن حفظ المقرر يبقى في سنته تلك للقيام بواجب حفظه القرآن في سنته التي يبقى فيها ولا يجتاز هذه السنة إلا بعد التأكد من حفظه لمقررها

ثم تستمر هذه المدارس في تحفيظ القرآن ودراسة علومه في المرحلة المتوسطة ولتكن هذه المرحلة خمس أو ست سنين .

ويكون التركيز في هذه المرحلة على حفظ النصف الباقي من القرآن مع مراجعة النصف الأول مراجعة جادة حتى لا ينساه الطلاب .

ثم يضاف إلى حفظ القرآن مادة التجويد ومادة التوحيد والفقه والحديث يختار لهم الأمور المهمة في العقيدة والفقه ويكلفون بحفظ أربعين حديثاً على الأقل في كل سنة .

ثم الجغرافيا في السنة الأولى ، والتاريخ في باقي السنوات .

ثم تستمر هذه المدارس في العناية الجادة بحفظ القرآن في المرحلة الثانوية ولتكن هذه المرحلة أربع سنوات أيضاً .

يعنى فيها بمراجعة حفظ القرآن عناية جادة مع دراسة علوم القرآن وعلوم الحديث والحديث والفقه والفرائض ويستمر اختبارهم في حفظ القرآن عن طريق

اللجان المذكورة في كل سنة من السنوات على الوجه السابق .
ثم بعد اجتيازهم المرحلة الثانوية يورعون على كليات الشريعة والحديث
والقرآن الآتي ذكرها .

ثانياً : المدارس القائمة حالياً تكون المرحلة الابتدائية على غرار ما ذكرته في
الابتدائية من مدارس تحفيظ القرآن في كل شيء .

بـ المرحلة المتوسطة :

تتكون من سنوات ، ويعنى فيها بحفظ النصف الباقي من القرآن ويجري
الامتحان في حفظ القرآن على غرار ما ذكرناه في مدارس تحفيظ القرآن والذي لا
ينجح في مقرر السنة التي هو فيها يبقى فيها إلى أن يجتازها بنجاح ويقرر في هذه
للمرحلة مواد المرحلة الابتدائية الحالي مع استحداث تخفيفها باختصار بعض
المواد الصعبة وتوضيحها وإعادة عن الرموز والتعقيد وتصنيفها من الشوائب مع
ربطها بالعقيدة الإسلامية الحقة .

جـ المرحلة الثانوية :

تتكون أربع سنوات وفي هذه المرحلة يحسن تقسيمهم على حسب ميولهم
واستعدادهم للتخصصات المستقبلية فقسم للطب وقسم للهندسة وقسم للقرآن
وعلموه وقسم للحديث وعلموه وقسم للشريعة وقسم للاقتصاد الإسلامي وهكذا ،
مع العناية بمراجعة حفظ القرآن والاحتبار فيه في نهاية كل سنة يتقدم الناجح ويبقى
الراصب إلى أن يجتاز سنته بنجاح .

ومع دراسة قضايا مهمة في العقيدة والفقه وشيء من حفظ الحديث في كل سنة
من سنوات قسم الطب والهندسة والاقتصاد .

ثم يتخرج طلاب كل قسم إلى الكلية التي فيها اختصاصه

دـ المرحلة الجامعية :

ينبغي أن تقوم في كل جامعة من جامعات المملكة كليات :

١- للقرآن .

٢- للحديث .

٣- للشريعة .

ثم يستمر في المرحلة لجامعة في كل الكليات كلية الطب، كلية الهندسة .
يلخ في مراجعة حفظ القرآن وحفظ مقدار مناسب من الحديث في كل سنة من
السنوات ويختبرون في الحفظ .

ولا يجتاز الطالب سنة إلى أخرى إلا بعد النجاح فيما يقرر مراجعة حفظه في
القرآن ومقرر الحفظ من الحديث، مع إضافة شيء من علوم القرآن والحديث إلى
المواد المقررة في كل كلية من الكليات .

وإضافة مادة للرد على شبهات المستشرقين وغيرهم من أعداء الإسلام،
الشبهات التي يوجهونها ضد الإسلام في كل سنة من سنوات جميع الكليات .

هذا مع إشعار الطلاب جميعاً وفي كل المراحل أنهم إخوة في الله وأن غايتهم
جميعاً وفي كل المراحل أنهم إخوة في الله وأن غايتهم جميعاً واحدة، وأنهم
جميعاً جدد في سبيل الله، وأنهم لنات في صرح مجتمع إسلامي واحد يشد
بعضهم بعضاً .

وأن تزل كل أسباب الشاقر الموجودة بينهم وأن يُساوى بين خريجي مختلف
الكليات في الرواتب والمرتبات .

وأن توجه كل طاقاتهم ضد أعداء الإسلام الذين تكالبوا على الإسلام
والمسلمين والدين تداعوا على المسلمين كما تتداعى الأكلة على قصعتها .

أعداء الإسلام على اختلاف أديانهم وعقائدهم من استعماريين وشيوعيين
وصهيونيين ومبشرين الذين يجمعهم التعصب الأعمى والحقد المميت ضد
الإسلام والمسلمين .

إن أعداء الإسلام الذين يدركون تمام الإدراك تأثير القرآن ورسالة في حياة
المسلمين فيحاولون بدهاء وخبث أن يفصلوا بين المسلمين وبين كتابهم الخالد
وسنة نبهم المطهرة اللذين يبعثان في المسلمين بين الفينة والأخرى الحياة

الصحيحة حياة الإيمان الصادق وبيعثان فيهم روح الجهاد ويكسانهم النصر على أعدائهم لأنهم حينما يعتصمون بكتاب ربهم وستة نبينهم يكون الله معهم فيؤيدهم وينصرهم على أعدائهم .

فتحت شعار البحث العلمي وحرية الفكر تناول المبشرون والمستعمرون والصليبيون والصهيونيون والشوعيون القرآن شر تناول .

وباسم الحضارة والمدنية قضوا على ما فيه من تشريع وعبادة .

وباسم حرية الفكر وإطلاقه من أغلال العقيدة زعزعوا قواعد دين الإسلام في نفوس المهزوزين .

وباسم البحث العلمي نزعوا عن القرآن قداسته من نفوس الضعفاء ، وهذا أشد وأتكى على الإسلام والمسلمين من الحروب العسكرية .

ولا يرد على هذا الكيد الخيث والعمل الرهيب إلا أن نحصن أبناءنا بتعاليم الكتاب والسنة وأن نسلحهم بالحجج الدامعة المزهقة لباطل ومفتريات أعداء الإسلام وإلا أن نخرج الجندي المسلم والطبيب المسلم والمهندس المسلم والمحدث الواعي والفقير المتبصر .

وكل ذلك سيحققه - إن شاء الله - المهج الذي رسمناه وتحدثنا عنه .

ثانياً: اختيار المدرس:

المدرس له أثره البالغ على التلميذ؛ فهو أسوته ومثله فيجب اختيار المدرس الرباني التقى .

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمًا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ٤٧٩] .

والعلماء هم ورثة الأنبياء في علمهم وأخلاقهم ودعوتهم إلى الله ، ولا بد للمدرس أن يتمتع بحظ وافر من هذه الوراثة .

في علمه أن يكون عالماً بدينه ، وفي أخلاقه من الإخلاص والنصر والحلم

وصدق الحديث والفعل، إلى جاسب الذكاء والحرص على تنشئة تلاميذه على الإسلام الحق وأخلاقه وآدابه ومثله.

ولا ينبغي بحال من الأحوال أن يكون الاعتماد في اختيار المدرس على الشهادات، بل يجب أن يراعي في الدرجة الأولى عقيدته وأخلاقه الإسلامية وتمسكه بدينه؛ وهذا أمر مهم جداً ولا مناص من اعتباره.

فالمدرس الذي انجرف في عقيدته وفكره أو الضعيف الأخلاق والسلوك أو المتهاون في العبادة والصلاة أخطر على أبنائنا من الأمراض الفتاكة

وما نشاهده من انحراف في سلوك كثير من الطلاب أو نهاوبهم في أداء الصلوات بل استئصالها وما نراه من زهدهم في القرآن وتلاوته وحفظه وفهمه يعود معظم وزره على كثير من المدرسين الذين أثروا سلوكهم في أبنائنا وفلذات أكبادنا.

فعلينا أن نشمر عن ساعد الجد لعلاج المصابين منهم في أخلاقهم وسلوكهم، وعلينا أن نبذل كل ما نستطيع من طاقات لحمايتهم ووقايتهم من الأمراض الفكرية والمخفية أشد مما يبذله لعلاج أجسادهم وحمايتهم.

فكما لا نثق بالطبيب الذي يقدم الإبر المسمومة والدواء الفاسد الذي قد يؤدي بحياتهم كذلك يجب أن نحملهم ممن يفتك بأخلاقهم وسلوكهم من المدرسين، وكما يجب أن نختار الطبيب الأمين المخلص كذلك يجب أن نختار المدرس الأمين المخلص أكثر وأكثر وأهم وأهم.

ثالثاً: اختيار الطلاب الأذكياء؛

الطلاب هم أباء اليوم ورجال الغد وهم رجال المستقبل الذين سيكون منهم الأستاذ المسلم، والقاضي المسلم، والعسكري المسلم، والطبيب المسلم، والمهندس المسلم.

وهذه أمور مهمة وعظيمة جداً؛ فلا بد من دراسة مواهبهم واستعداداتهم ولا بد لكل ثغر من ثغور الإسلام أن يملأ برجال وأهل الكفاءات فيه

فمن المراحل الثانوية يبدأ التقسيم ، تقسيم الطلاب إلى الاختصاصات التي ذكرتها سابقاً لا بمجرد أن يختار كل طالب ما يريد .

بل لابد من الاستعانة برأي الأساتذة الأذكياء المخلصين الذين يعرفون المواهب والاستعدادات بفراستهم وتوسمهم وخبرتهم وتجاربهم .
إن الأذكياء من أبناءنا اليوم ينصرفون عن العلوم الإسلامية من قرآن وحديث وتفسير وفقه لأسباب يعلمها الله .

والمعاهد العلمية والكليات الشرعية لا يوجد فيها إلا النادر من الأذكياء .
لقد كان الأذكياء والعباقرة في عهود الإسلام الزاهية يتجهون إلى دراسة العلوم الإسلامية وتدريسها والتأليف فيها خصوصاً علوم الحديث ؛ فوصلوا بالعلوم الإسلامية وبالأمة الإسلامية إلى مستوى لا يوجد له نظير في تاريخ الإنسانية كله .
ونحن اليوم بأشد الحاجة والضرورة إلى هذا النوع من عباقرة الرجال ليعيدوا لنا مجد الإسلام .

وليسددوا الصربات القاتلة بفكرهم وأخلاقهم إلى أعداء الإسلام من مبشرين وغيرهم من منطلق الهجوم إلى ثغرات الأعداء التي لا تحصي في عقائدهم وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم .
إسا اليوم يخلو الميادين من أمثال هؤلاء في مركز دفاع هزيل عن الإسلام وأهله لا يحمي الأبناء ولا يصد هجوم الأعداء .

فلابد إذن من منء هذا المجال بالعباقرة والأذكياء بدل أن تصبغ كثير من طاقاتنا أو تذهب إلى مجالات أخرى لا تفيد منها بل قد تصر بأمتها ودينها ، كما تحول كثير من أبناء الأمة الإسلامية إلى معاول بأيدي خصومنا وتوجههم لهدم كيانتنا وديننا .

رابعاً ، تهيئة الجو لتربية الطلاب تربية إسلامية صالحة ؛

يجب أن يفهم الطلاب أن المدرسة معقل من معاقل الإسلام ومحضن يتربى فيه أبناء المسلمين ليؤدي كل واحد دوره في خدمة دينه وعقيدته .

وعلينا أن نفهمهم أن دينهم دين أخلاق عالية ومثل رفيعة، وأن رسولهم خاتم الأنبياء ومسيد ولد آدم قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وقد قال الله في حقه: ﴿وَلَئِكَ لَتَأْتِيَ حُلِّي عَظِيمٌ﴾ [القلم: ٤].
ويجب أن يكون مديرو المدارس والأساتذة على مستوى عال من الدين والخلق الرفيع.

كما يجب أن يحييوا الصلاة إلى نفوس الطلاب وأن يشعروهم أنها عماد الإسلام لن يقوم الدين إلا بها، وأنها أهم شيء في حياتهم بعد الشهادتين فليقيموها جماعة في المسجد إن كان بجوار المدرسة مسجد وإلا ففي المدرسة حتى يتم بناء مسجد يجاورها.

ومما يؤسف له مر الأسى: أن بعض المدارس لا تقام فيها الصلاة وذلك يرجع في الأغلب إلى سوء الإدارة وتهاون بعض المديرين في أمر الصلاة، كما يساهم إلى حد بعيد بعض المدرسين الذين لا يحافون الله في أنفسهم ولا في أمتهم ولا يدركون فداحة الجناية التي يرتكبونها في حق الأمة ودينها.

هذه الصلاة تركها كفر، قال رسول الله ﷺ: «إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ من تركها فقد كفر»^(١).

وكان الصحابة لا يرون شيئاً من العمل كفرًا سوى ترك الصلاة، وقد اتفق العلماء أن من تركها جحدًا فهو كافر ويقتل على هذا الكفر، وإن تركها تكاسلاً وتهاوناً فبعضهم يرى أنه كافر وهو مذهب قوي وله أدلته، والآخر يرون أنه يقتل حدًا، ومن يرى السجن دون القتل مذهبه ضعيف.

ومن المحتم علينا أن نشعر الطلاب باحترامها وأهميتها والذي تحدثه نفسه بالتهاون بها فعلى المستولين أن يرغموه عليها إرغامًا كما قال رسول الله ﷺ: «علموهم الصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع». والذي لا تنجح فيه وسائل الترغيب والترهيب والعقوبة فالواجب إبعاده عن

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٤٦/٥)، والنسائي باب: الحكم في تارك الصلاة (١١٧/١).

المدرسة لأنه جرثومة فاسدة قد يسري بلاؤه فيمن حوله .

كما أن هذه الجدية والصرامة يجب أن تلاحقهم حتى في خارج الدوام كالأندية الرياضية .

ومما يؤسف له أشد الأسف : أن كثيراً من الأندية تمر بهم الصلاة وهم في غمرة اللهو واللعب ، فلا يستحون من الله ولا يخجلون من الأمة ، وقد يكون فيهم بعض الأساتذة وقد يكون معهم بعض الشخصيات .

إن هؤلاء يجب أن تتألم يد العدالة وأن تتكل بهم تنكيلاً شديداً يكون رادعاً لأمثالهم ممن تسول له نفسه الاستخفاف بشيء من تعاليم الإسلام كالصلاة .

إن التهرب من الصلاة واستئفالها من سمات المنافقين الذين هم رسول الله بإحراقهم والذين قال الله فيهم : ﴿ وَبَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] .

ما يجري في الأندية الرياضية في العالم الإسلامي يجب على المسلمين أن يتخلصوا أو يخلصوا أبناءهم منه ، فإن له دوراً كبيراً في قتل الوقت وقتل الدين والخلق ، وينبغي أن يكون فقط في حدود الإطار الذي أباحه الإسلام دون أن يصطدم بشيء من مبادئ الإسلام وأخلاقه ومثله .

كذلك وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة من واجبها أن تقدم النافع من البرامج للأمة وأن تبتعد عما لا يتفق مع تعاليم الإسلام ، وعلى الآباء أن يراقبوا أبناءهم في متابعة البرامج حتى لا تضيق أوقانهم في ملاحقتها ، فتصرفهم عن الدراسة الجادة وحفظ القرآن ، وينبغي أن يكون هناك توعية وتنبه الآباء والأمهات في متابعة أولادهم والمحافظة على وقتهم فلا يسمحون لأبنائهم في متابعة البرامج إلا بوقت محدود وبالنافع منها فقط وإبعادهم عن الضار إن كان هناك ما يضر بدينهم أو خلقهم .

هذا ما بدا لي حول ربط أجيالنا بالقرآن والسنة كما كان أسلافهم في أزهي عصور الإسلام .

وأرجو أن أكون قد وفقتم، كما أرحو أن يجد أذاناً صاغية وأمة واعية مستعدة
للعودة إلى ربها والتمسك بكتاب ربها وسنة نبيها،
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

التمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة القائمين على الملتقى

بسم الله ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .
أما بعد :

ففي إطار الملتقى الثاني لعلوم الشريعة الإسلامية بجامعة سطيف يتقدم بعض الإخوة القائمين بهذا الملتقى إلى فضيلة الشيخ : ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله - رئيس قسم السنة بجامعة المدينة المنورة - سابقاً - بأن يُشاركنا في إحياء هذه العلوم الدينية بكلمات يختارها فهم أعلم منا بما نحن له محتاجون، وألا ييخل علينا وعلى إدارة الجامعة التي قدّمت يد المساعدة لإقامة مثل هذه الملتقيات .

والرجاء من شيخنا ذكر اسم الملتقى : وهو الملتقى الثاني لعلوم الشريعة، مع ذكر التاريخ ؛ ولينفّض الشيخ مشكوراً .

فقال الشيخ - حفظه الله - :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [آل حزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة ثم أما بعد:

فإنه ليسرني أن يتم هذا اللقاء الطيب وال مبارك -إن شاء الله - بإخوتنا وأحبنا من أهل السنة السلفيين في الجزائر وفي منطقة «سطيف» الذين ييلعنا عنهم كل خير -إن شاء الله- نرجو أن يكونوا على طريقة سديدة ومنهج صحيح ألا وهو التمسك بالكتاب والسنة والسير على منهج السلف الصالح.

وخير ما أرى أن أقدمه لهم في هذا اللقاء: أن أحثهم على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، وسنة الحلفاء الراشدين المهديين، والأسلاف الصالحين من الصَّحابة والتابعين لهم بإحسان، ومن سار على نهجهم من أئمة الهدى من محدثين وفقهاء ومفسرين الذين ساروا على طريقة الصَّحابة الكرام متمسكين بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ يُؤْلَفُونَ في ذلك المؤلفات نصرة لدين الله، وتبليغاً له ودعوة إليه كما أمرهم ربهم بذلك.

وأحثُّ إخواني: أن يستعينوا على فهم منهج السلف الصالح على فهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بما دونه الأئمة الهداة الأئمة على دين الله تعالى من مثل

«صحيح البخاري»، و«صحيح مسلم»، و«سنن النسائي»، و«جامع الترمذي»، و«صحيح ابن حبان»، و«مسند الإمام أحمد»، و«مصنف عبد الرزاق»، و«مصنف ابن أبي شيبة»، و«المعاجم التي كُتبت في خدمة السنة و«سنن البيهقي» - الكسرى والصغرى -.

هذه مراجع لسنن رسول الله ﷺ ولعمقه السلف الصالح في أبواب الدين: من عقيدة وسلوك ومنهج.

سها نستمد عقيدتنا وأحلاقنا ومنهجنا ونُقيم عليها سائر شئون حياتنا.

ومثل: كتاب: «التفسير لإمام المفسرين محمد بن جرير الطبري»، و«تفسير الإمام البغوي»، و«تفسير الإمام ابن كثير»، وما بقي من تفاسير السلف ك: «تفسير عبد الرزاق»، و«تفسير ابن أبي حاتم»، و«تفسير العلامة السعدي» وما جرى مجراها واستمد منها هذه الكتب التي حوت العلوم.

ومن كتب العقائد: مثل كتاب: «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد، وكتاب: «السنة» للخلال، و«الشريعة» للأجرى، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للألكائي، و«الحجة» لأبي القاسم الأصبهاني، وغيرها مما دُوِّن في العقيدة السلفية ببيانها بأدلتها وحججها ودحض أباطيل أهل البدع والفرق الضالة التي واجهتها هذه الكتب.

فلنك من خلال دراسة هذه الكتب تعرف حقيقة عقيدة السلف ومنهجهم، وتعرف ما عند الآخرين من انحرافات وضلالات على طريقة الصحابي الجليل حذيفة رضي الله عنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني».

فمعرفة الباطل ليتجنبه المسلم أمر بيَّنه القرآن وبيَّته السنة وسار عليه السلف الصالح، تعرف الحق وتمسك به وتدعو إليه، وتعرف الباطل فتحذره وتتجه وتُحذِر النَّاسَ من الوقوع فيه.

ولا تتكامل الدعوة إلا بهذا «معرفة الحق من مصادره الأصيلة ومعرفة الباطل» معرفة الحق لتمسك به وتدعو إليه، ومعرفة الباطل لتحذره وتُحذِر النَّاسَ

منه ، فإن هذا يدحس في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويدخل في باب الجهاد العلمي الذي هو أفضل من الجهاد بالسيف كما قرّر ذلك العلماء ، ويدخل ذلك في باب النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامّتهم ، مع التمسك بالأخلاق العالية فيما ندعوا إليه وفيما نُحذّر منه .

ولعلنا أدركنا نتائج ضيق العطن والشدة المهلكة وما شاكلها ، وأدركنا نتائج ما يُسمّى بالتميع والمداهنة ، فلا هذا ولا ذاك ، وإنما منهج وسط رَضِيَ الله لهذه الأمة ومدحها عليه .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣]

وسط عدول ، وفي نفس الوقت متوسطون ومعتدلون بين الإفراط والتفريط ، فالحق بين هذين ، الحق وسط ، صراط الله وسط بين الجفاء والغلو ؛ فلا جفاء في هذا الدين ولا غلو فيه ، كل ذلك محذور ومنهي عنه وله عواقب وخيمة شوّهت الإسلام سابقاً ولاحقاً ، وشوّهت المنهج السلفي

في هذا العصر أناس ينتهجون المنهج السلفي ؛ فيذهبون يسلكون مسالك السياسيين في التحويل والتميع والمداهنات ويسمون هذا حكمة ، أو شدة تهلث المنهج السلفي وتأخذ بخناقه وتشوّهه وتنقّر الناس منه فلا هذا ولا ذاك .

وإنما الاعتدال هو الذي يؤتي ويعطي الدعوة السلفية الصورة اللائقة بها من جمالها وحسنها ويسرها ويعدها عن المنفرات .

وكان الرسول الكريم ﷺ يعلم أمته ورساله ومبعوثيه إلى الدعوة إلى الله تعالى فقال ﷺ : «يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَيُسْرُوا وَلَا تُقَسِّرُوا» . وقال ﷺ : «يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرًا ، وَيُسْرًا وَلَا تُقَسِّرًا» .

وفهم بعض الناس من التيسير أنه المداهنة فيسلكون طرق المداهنة ، وفهم من الحكمة التي أمر الله بها يفهم منها أنها هي المداهنة والطرق السياسية التي تقتل

ومن لم يتعلم من الآن فعليه أن يتعلم ويفهم كتاب الله تعالى وسنة رسول الله
ﷺ، ويحفظ ما يستطيع من نصوص الكتاب والسنة؛ لأنها هي رصيده في الدعوة
إلى الله ويفهمها ويبلغها على وجوهها الصحيحة؛ فإنك بالحسن تحرف النصوص

من حيث لا تدري وتُنزلها في غير منازلها .

فهذا حذر العلماء من تعاطي الجهال لدعوة إلى الله تعالى والمناظرات من الجهلاء فإن هذه آثارها سيئة وتضر بالدعوة السنية وأهلها .

ولهذا قال الله تبارك وتعالى - : ﴿ قُلْ هَدِيتُ سَبِيلًا أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُجِّنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

أي : أنا وأتبعي ندعو إلى الله على بصيرة على علم وعلى حكمة .

فإذا كان الداعي جاهلاً بأصول الإسلام وبفهم النصوص من الكتاب والسنة ومنهج السلف وشرف الدعوة إلى الله ؛ فهذا يضر بالدعوة أكثر مما ينفعها ، اللهم إلا جزئيات يعرفها ويستيقن معرفتها ويتأكد من صحة فهمه من العلماء عند ذلك يدعو من هو دونه ومن يحتاج إلى هذه الدعوة في حدود علمه وليحذر القول على الله بغير علم .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُورًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

فالقول على الله بدون علم من أعظم الذنوب ، بل جعله بعض العلماء كابين القيم ككلمته أنه أشد من الكفر ؛ لأن القول على الله بلا علم يدخل فيه الكفر والشرك والبدع والضلالات والإفساد في الأرض .

فلا يجوز لمسلم أن يقول في دعوة أو فتوى أو تدريس أو غيره أن يقول على الله ما لا يعلم ، حتى لو كان عالماً لا يجوز أن يقول في شيء بغير علم ، ولهذا كان السلف العلماء العظماء من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى إذا سُئِلَ عن شيء لا يعلمه يقول : « لا أدري » ، « لا أعلم » وكانوا يتواصون فيما بينهم أن يعلموا تلاميذهم : « لا أدري » .

وقال أحدهم : « لو شئت أن أملاً ألواحِي من قول مالك : لا أدري ، لفعلت » (١) .

فينبغي على العالم وعلى طالب العلم المتمكن إذا كان يُدرِّس . أن يتورع في دينه في سلوكه ، وفي مسائل العلم ، في العقيدة أو المتهج أو العمليات عليه أن يتورع ويُعلم ويُربي مَنْ تحت يده على هذا الورع وهذا الخوف من الله - تبارك

وتعالى - لا سيما في أبواب الدين؛ فإنها - إذا قال بغير علم - من القور على الله بغير علم.

وفيه من الذم والوعيد الشديد ما نص عليه الكتاب والسنة
قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَعْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [سج ١١٦].

ونصوص الوعيد كقوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». وبياننا والكذب في كل أمر من الأمور، علينا بالصدق، علينا بالإحلاص علينا بمراقبة الله - تبارك وتعالى - في كل شئوتنا.

وفي هذا العصر ساد الكذب وسادت الإشاعات الكاذبة، فعين ونحن أهل السنة أن نتمسك بالحق وأن نتمسك بالصدق وأن نعصر على ذلك بالنواجذ؛ فإن الصدق كما قال ﷺ: «يهدي إلى البر، وإن المر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً».

فتلك المنزلة الرفيعة - المنزلة الصديقة - ينالها العبد المؤمن المخير بصدقه وتحريه للصدق، وتلك المرتبة والدرجة الرديئة وهي أن يكتب عند الله كذاباً ويقاد إلى النار - والعياذ بالله - هذه من عواقب الكذب الوخيمة.

فعلى المسلم السلفي الصادق أن يتحرى الصدق وأن يتجنب الكذب ويحذره ويحذر منه ويؤتي على الصدق، يؤتي نفسه وأسرته وتلاميذه ومن تحت يده يريهم على هذه الأخلاق العالية: الصدق، الصبر، الحلم، والأخلاق التي أحها الله تعالى والتي قال فيها رسول الله ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وكان رسول الله ﷺ ينهى عن سفاسف الأخلاق ورديء الأخلاق ومن شرها هذا الكذب.

فتعلموا - أيها الإخوة - العلوم الشرعية، ومنها أنواع الكتب وأصنافها التي أشرت إليها؛ فإنها تساعدكم على فهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

أسأل الله -تبارك وتعالى- أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يوفقنا إلى الدعوة إلى الله -تبارك وتعالى- بالحجة والبرهان والبصيرة الحكمة والعلم والصبر؛ إن ربنا لسميع الدعاء.

وأوجه شكري لهذه الجماعة التي قامت بتنظيم هذا الملتقى المبارك ونسقت له ودعت إليه العلماء من هنا وهناك، وهذا عمل جليل -إن شاء الله- فيه خير كثير وقد يدخل إن شاء الله في باب: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه إلى يوم القيامة».

وهذا الملتقى -إن شاء الله- فيه دعوة العلماء ليؤجَّهوا الناس ويدعوهم إلى الخير وهم السبب في ذلك والدال على الخير كفاعله.

أسأل الله تعالى أن يزيدهم من العلم والهدى والثقى ما يرفعهم عند الله درجات؛ إن ربنا لسميع الدعاء.

كان هذا اللقاء مع الإخوة السلفيين من جامعة سطيف بالجزائر القائمين على ملتقى علوم الشريعة الثاني وذلك ظهر يوم الخميس الموافق لـ: ٢٦ / ٣ / ١٤٢٦ هـ. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حكم الإسلام في تشيّد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإنني قد اطلعت على ما دار بين معالي الشيخ العلامة صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، وبين أباس خالفوه في موضوع شد الرحال إلى قبر النبي ﷺ، ورأيت ما في كلامهم من المخالفة للحق؛ ولما قرره السلف الصالح، ورأيت أنهم ليس لهم مستند صحيح من الكتاب والسنة ولا من أقوال أئمة الإسلام السابقين أهل القرون المفصلة، وإنما يتعلقون بهفوات المتأخرين التي لا سند لها من نصوص القرآن والسنة الصحيحة ولا أقوال ولا أعمال السلف الصالح، وعلى رأسهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ولا أقوال أئمة العلم والهدى ومنهم الأئمة الأربعة.

وقبل الخوض في هذه المسألة أقول: إن محبة الرسول الكريم وخاتم النبيين وإجلاله وتوقيره وطاعته واتباعه وإشادة بمنزلته العظيمة عند الله لين أوجب ما افترضه الله على الناس عموماً؛ لأنه رسول رب العالمين إلى الناس والعجن أجمعين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران ٣١]. فعلاقة محبة الله الصادقة: اتباع رسول الله ﷺ. وقال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء ٨٠].

فجعل طاعته طاعة له، وقرن طاعته بطاعته، فقال تعالى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء ١٣].

ومن أعظم طاعته: التمسك بما جاء به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَيَسْتَعِدُّ حُدُودَهُ يُدْخِلُ فِيهَا مَنْ يَشَاءُ لِيُخْرِجَهُمْ فِي يَوْمٍ مُحَدَّدٍ ﴿١٤﴾ [نساء: ١٤] ومن أعظم التجاوز لحدود الله: الابتداع في دين الله.

ومن صحيح سننه ﷺ قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

فلا يُكْتَفَى في حقه بمجرد الحب، بل لابد من حب يفوق حب الآباء والأقربين والناس أجمعين.

وبرهان ذلك: الحرص على اتباع كل ما جاء به وتصديقه وعدم تحريفه أو معارضته بقول أحد كائنًا من كان، فلا يُعَارَضُ قوله بقول أحد، ولا يُقَدَّمُ على هديه هدي أحد ﷺ، وهذا مطلوب من كل مسلم، فما ثبت من قوله أو فعله أو تقريره؛ أخذناه وتقرئنا به إلى الله، وما لَمْ يثبت من قوله وتقريره في أبواب القرب؛ فلا يجوز لمسلم أن يتقرب به إلى الله؛ لأنه من الدين الذي لَمْ يأذن به الله.

فزيارة القصور مشروعة، وشد الرحال إليها غير مشروع لا بقول النبي ﷺ ولا بفعله ولا بتقريره، بل الصواب أنه منهي عنه، ونهى عنه أصحابه بناء على نهيه وتوجيهه، فلا يكون مشروعًا بحال من الأحوال؛ فقد روى كلٌّ من: أبي هريرة وأبي سعيد وأبي بصرة الغفاري وابن عمر حديث:

«لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى».

أما حديث أبي هريرة فأخرجه البخاري ومسلم وغيرهما
وأما حديث أبي سعيد: فأخرجه الشيخان وغيرهما بلفظ: «لا تشدوا الرحال... إلخ».

وأما حديث أبي بصرة فأخرجه مالك وأحمد وأبو داود الطيالسي والنسائي والترمذي بأسانيد بعضها صحيح وبعضها حسن.

وأما حديث ابن عمر: فأخرجه الأزرقي في أخبار مكة بإسناد رجاله رجال الصحيح، والطبراني في الكبير وفي الأوسط من طريق أخرى. قال الهيثمي: رجاله ثقات.

ولمَّا ذهب أبو هريرة إلى الطور قال له أبو بصرة: من أين حثت؟ قال حثت من الطور صليت فيه. قال: أما إنِّي لو أدركتُك لَم تذهب، إنِّي سَمعت رسول الله ﷺ يقول «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...» الحديث.

ونَهى ابن عمر قزعة عن الذهاب إلى الطور مُحْتَجًّا بهي النبي ﷺ عن شد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة.

فاتفق قَهْم هؤلاء الثلاثة من أصحاب النبي ﷺ على النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة لأجل التقرب إلى الله، ولا نعرف لَهُم مُخَالَفًا من الصحابة، وفقه الصحابة مقدِّم على فقه من خالفهم مهما بلعوا من العلم ومن الكثرة، هذا مسلمٌ لدى كل من يحترم سنة رسول الله ﷺ وفقه أصحابه وعلمهم، أما من اتبع هواه فله شأن آخر.

ولقد ندل أئمة السنة جهودًا عظيمة في بيان الحق في هذه المسألة ومهم شيخ الإسلام ابن تيمية في عدد من الكتب، منها: «الجواب الباهر»، وجولات في كتابه: قاعدة حليلة في التوسل والوسيلة، وسوف أختار من الأخير فقرات كت علفت عليها أيام تحقيقي ودراستي له في حدود عام ١٤١٢ هـ.

أسأل الله أن ينفع المسلمين بهذه الفقرات القيمة وما يتبعها من تعليقات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

٤٠٦- فإن أحاديث رِيَاة قره كلها ضعيفة، لا يعتمد على شيء منها في الدين؛ لهذا لَم يرو أهل الصحاح والسنن شيئًا منها، وإنَّما يروونها من يروي الضعاف كالدارقطني والبخاري وغيرهما.

وأجود حديث فيها: ما رواه عبد الله بن عمر العمري، وهو ضعيف، والكذب طاهر عليه.

مثل قوله: «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي». فإن هذا كذب ظاهر مُخَالَف للدين المسلمين، فإن من زاره في حياته وكان مؤمِّنًا به كان من أصحابه، لا سيما إن كان من المهاجرين إليه، المُجَاهِدِينَ معه.

أقول: عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، أبو عبد

الرحمن العمري المدني: ضعيف عابد من السابعة / م. ٤ تقريب (١/ ٤٣٥).
وضَعَّف عبدُ الله عددٌ من أئمة الحديث مثل ' يَحْيَى القُطَان، وعلي بن المدِيني،
وابن حبان.

لكن هذا الحديث الذي نسبته إليه شيخ الإسلام بهذا اللفظ ليس هو حديث عبد
الله العمري، وإنما هو حديث حفص بن سليمان عن ليث بن أبي سليم عن مُجاهد
عن ابن عمر، ولمط حديث عبد الله بن عمر العمري الضعيف هكذا: ' لمن زار قبري
وجبت له شفاعتي'.

وقد أورد الشيخ نفسه الحديثين في الرد على الأخنائي (ص ٤٢- ٤٣) بحاشية
الرد على البكري ناساً كل حديث إلى راويه على الصواب، وكذلك ذكر ابن عبد
الهدى الحديثين في كتابه الصارم المنكي. أورد حديث عبد الله العمري في
(ص ١١)، وناقشه مناقشة علمية إلى (ص ٢٧) وأورد حديث حفص بن سليمان
في (ص ٤٨) وناقشه إلى (ص ٦٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله:

٤٠٧- وقد ثبت عنه عليه السلام أنه قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو
اتفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». أخرجاه في الصحيحين
٤٠٨- والواحد من بعد الصحابة لا يكون مثل الصحابة بأعمال مأمور بها
واحدة؛ كالحج والجهاد والصلوات الخمس والصلاة عليه، فكيف يعمل ليس
بواجب باتفاق المسلمين، بل ولا شرع السفر إليه، بل هو منهي عنه.

٤٠٩- وأما السفر إلى مسجده للصلاة فيه، والسفر إلى المسجد الأقصى
لصلاة فيه فهو مستحب، والسفر إلى الكعبة للحج فواجب، فلو سافر أحد السفر
الواجب ولمستحب لم يكن مثل واحد من الصحابة الذين سافروا إليه في حياته،
فكيف بالسفر المنهي عنه؟!

٤١٠- وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره -صلوات الله
وسلامه عليه- أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين؛ لم يكن عليه أن يوفي بنذره بل
يُنْهَى عن ذلك.

أقول :

في مجمع الأنهر للشيخ عبد الله بن محمد بن سليمان المعروف بداماد آفندي الحنفي (٥٤٧/١) : «ومن نذر بما هو واجب قصداً من حنسه ، وهو عادة مقصودة -نذراً مطلقاً- غير معلق بشرط بقرينة التقدير ، مثل أن يقول : لله عليّ حج أو عمرة ، أو اعتكاف ، أو لله عليّ نذر ، وأراد شيئاً بعينه كالصدقة ؛ فإن هذه عبادات مقصودة ، ومن حنسها واجب ، وإنما قيد النذر به ؛ لأنه لم يلزم الناذر ما ليس من حنسه فرض ؛ كقراءة القرآن ، وصلاة الجازة ، ودخول المسجد ، وبناء المساجد والسقاية وعمارتها ، وإكرام الأيتام ، وعيادة المريض ، وزيارة القبور ، وزيارة قبر النبي ﷺ وإكمان الموتى ، وتطبيق امرأته ، وتزويج فلاته ، لم يلزمه شيء من هذه الوجوه ؛ لأنها ليس لها أصل في الفروض المقصودة ، كما في كثير من الكتب»
قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

٤١١- ولو نذر السفر إلى مسجده والمسجد الأقصى للصلاة ؛ فيه قولان للشافعي .

أظهرهما عنه : يجب ذلك ، وهو مذهب مالك وأحمد .
والثاني : لا يجب ، وهو مذهب أبي حنيفة ؛ لأن من أصده أنه لا يجب النذر إلا ما كان واجباً بالشرع . وإتيان هذين المسجدين ليس واجباً بالشرع ، فلا يجب بالنذر عنده .

وأما الأكثرون فيقولون : هو طاعة لله .

أقول : ونحن أن نورد أقوال الأئمة الأربعة حول هذه المسألة :

* مذهب الشافعية :

قال الشافعي رحمه الله في الأم (٢/٢٥٦) :

«ولو نذر فقال : عليّ المشي إلى إريقية أو العراق أو غيرهما من البلدان ؛ لم يكر عليه شيء ؛ لأنه ليس لله طاعة في المشي إلى شيء من البلدان ، وإنما يكون المشي إلى المواضع التي يرتجى فيها الر و ذلك المسجد حرم ، وأحب إليّ لو نذر أن يمشي إلى مسجد المدينة أن يمشي . وإلى مسجد بيت المقدس أن يمشي ؛

لأن رسول الله ﷺ قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، ومسجد بيت المقدس » . ولا يبين لي أن أوجب المشي إلى مسجد النبي ﷺ ومسجد بيت المقدس ، كما يبين لي أن أوجب المشي إلى بيت الله الحرام ؛ وذلك أن البر ببيت الله فرض ، والبر بإتيان هذين نافعة . وانظر : حلية العلماء للقفال الشافعي (٣/ ٣٤٢) .

وقال أبو إسحاق الشيرازي في المذهب : « وإن نذر المشي إلى المسجد الأقصى ومسجد المدينة ففيه قولان ؛ قال في البويطي : يلزمه ؛ لأنه مسجد ورد الشرع بشد الرحال إليه ، فنزله المشي إليه بالنذر ، كالمسجد الحرام . وقال في الأم : لا يلزمه ؛ لأنه مسجد لا يجب قصده بالسك ، فلم يجب المشي إليه بالنذر كسائر المساجد » . وانظر : حلية العلماء (٣/ ٣٤٢) .

ودكر النووي هذين القولين في الإيضاح (ص ٥١٨-٥١٩) مع شرح ابن حجر الهيتمي ، وقال ابن حجر الهيتمي هنا (ص ٥١٩) : « ولو نذر زيارة قبره ﷺ لزم الوفاء به ؛ لما علمت أنها في القرب المؤكدة ، وكذا زيارة قبر غيره ﷺ مما تسن زيارته ؛ لأنها قريبة مقصودة » .

وهذا من المعجائب والغرائب ، لقد علم ابن حجر أن مذهب الشافعي استحباب الوفاء بالنذر بالذهاب إلى مسجد رسول الله ﷺ وبيت المقدس وتهميه من القول بالوجوب خوفاً من الله وورعاً ، وأكد ذلك النووي في الإيضاح بأن أصبح القولين الاستحباب ، وأقرهما ابن حجر على ذلك ، ثم بعد كل هذا يرى وجوب الوفاء بالنذر بزيارة القصور ؛ لأنها في نظره من القرب المؤكدة ، فهل لا يلزم الوفاء بنذر شد الرحال إلى مسجد رسول الله ﷺ وإلى بيت المقدس ؛ لأنه لا يرقى إلى درجة القرب المؤكدة ، وقد حضت رسول الهدى ﷺ إلى شد الرحال إليهما مع أعظم بيوت الله : المسجد الحرام .

وإنني لأخشى أن يكون هذا الكلام مذكوساً عليه ، فإن كان منه فأرجو أن يكون قد رجع عنه .

وله كلام جيد في هذا الباب من الإنصاف أن نذكره :

قال في كتابه «الزواجر» «الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون: اتَّخَاذُ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، وَإِقَادُ السُّرُجِ عَلَيْهَا، وَاتَّخَاذُهَا أَوْثَانًا، وَالطَّوَافُ بِهَا، وَاسْتِلاَمُهَا، وَالصَّلَاةُ إِلَيْهَا».

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ لَا تَأْسَرُ بِهِ عَنْ كُفَيْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «عَهْدِي بِنَبِيِّكُمْ قَبْلَ وَقَاتِهِ بِخَمْسِ لَيَالٍ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا وَلَهُ خَلِيلٌ مِنْ أُمَّتِهِ، وَإِنْ خَلِيلِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ الْأَمَمَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ وَإِنِّي أَنَهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي بَلَّغْتُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». الْحَدِيثُ.

وَالطَّبْرَانِيُّ: «لَا تَصَلُّوا إِلَى قَبْرِ، وَلَا تَصَلُّوا عَلَى قَبْرِ»

وَأَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ جِبَّانٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَايِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَخَذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ».

وَمُسْلِمٌ: «أَلَا وَإِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنَهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

وَأَحْمَدُ: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُذَرِّكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ».

وَأَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ: «الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمُقْبِرَةَ وَالْحَمَامَ».

وَالشَّيْحَانِ وَأَبُو دَاوُدَ: «فَاتْلَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

وَأَحْمَدُ عَنْ أَسَمَةَ، وَأَحْمَدُ وَالشَّيْحَانِ، وَالنَّسَائِيُّ عَنْ عَدِيْثَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

وَأَحْمَدُ وَالشَّيْحَانِ وَالنَّسَائِيُّ: «أَوَّلِيكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنُوا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ نِلْتَ الصُّورَ؛ أَوَّلِيكَ شِرَارُ الْخَلْقِ هُنَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَابْنُ جِبَّانٍ عَنْ أَنَسٍ: «نَهَى ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَى الْقُبُورِ».

وَأَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُذَرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ».

وَأَبْنُ سَعْدٍ: «أَلَا إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنَهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ». وَأَيْضًا: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى».

* تَنْبِيْهُ: عَدُوُّ هَذِهِ السُّنَّةِ مِنَ الْكَبَائِرِ وَقَعَ فِي كَلَامِ بَعْضِ الشَّافِعِيَّةِ، وَكَأَنَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ بِمَا ذَكَرْتُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَوَجَّهَ أَخْذَهُ اتِّخَاذَ الْقَبْرِ مَسْجِدًا مِنْهَا وَاضْطَحَّ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِقُبُورِ أَنْبِيَائِهِ وَجُعِلَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِقُبُورِ صَلَحَائِهِ شَرًّا الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَفِيهِ تَحْذِيرٌ لَنَا كَمَا فِي رِوَايَةِ «يُحَذِّرُ مَا صَعُوا». أَيْ: يُحَذِّرُ أُمَّتَهُ يَقُولُهُ لَهُمْ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَضَعُوا كُصْنَعًا أَوْ لَيْثًا فَيَلْعَنُوا كَمَا لُعِنُوا؛ وَاتَّخَاذَ الْقَبْرِ مَسْجِدًا مَعْنَاهُ: الصَّلَاةُ عَلَيْهِ أَوْ إِلَيْهِ، وَجِئْتُ بِقَوْلِهِ: «وَالصَّلَاةُ إِلَيْهَا» مُكْرَّرًا إِلَّا أَنْ يَرَادَ بِاتَّخَاذِهَا مَسَاجِدَ: الصَّلَاةُ عَلَيْهَا فَقَطْ، نَعَمْ إِنَّمَا يَتَّخِذُ هَذَا الْأَخْذُ إِنْ كَانَ الْقَبْرُ قَبْرَ مُعَظَّمٍ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيِّ كَمَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ رِوَايَةُ «إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ».

وَمَنْ ثُمَّ قَالَ أَضْحَاثًا «تَنْحَرُمُ الصَّلَاةُ إِلَى قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ تَبَرُّكٌ وَإِعْظَامٌ». فَاشْتَرَطُوا شَيْئَيْنِ: أَنْ يَكُونَ قَبْرُ مُعَظَّمٍ، وَأَنْ يَقْصِدَ بِالصَّلَاةِ إِلَيْهِ، - وَمِثْلُهَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ - التَّبَرُّكُ وَالْإِعْظَامُ

وَكَوْنُ هَذَا الْعَمَلِ كَبِيرَةً طَاهِرَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ لِمَا عَيَّنْتُ، وَكَأَنَّهُ قَاسَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ تَعْظِيمٍ لِلْقَبْرِ كإِيقَادِ الشُّرُجِ عَلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَبَرُّكًا بِهِ، وَالطَّوَافُ بِهِ كَذَلِكَ وَهُوَ أَخْذٌ غَيْرُ بَعِيدٍ، سَيِّمًا وَقَدْ صَرَّحَ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ أَيْضًا بِلَعْنِ مَنْ اتَّخَذَ عَلَى الْقَبْرِ سُرْحًا، فَيَحْمِلُ قَوْلُ أَضْحَاثِنَا بِكَرَاهَةِ ذَلِكَ عَلَى مَا دَا لَمْ يَقْصِدْ بِهِ تَعْظِيمًا وَتَبَرُّكًا بِذِي الْقَبْرِ.

وَأَمَّا اتِّخَاذُهَا أَوْتَانًا فَجَاءَ التَّهْيِئَةُ عَنْهُ يَقُولُهُ ﷺ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي وَتَنَا يُعْبَدُ بَعْدِي». أَيْ: لَا تُعْظِمُوهُ تَعْظِيمَ غَيْرِكُمْ لِأَوْتَانِيهِمْ بِالسُّجُودِ لَهُ أَوْ نَحْوِهِ، فَإِنْ أَرَادَ ذَلِكَ لِإِمَامٍ يَقُولُهُ: «وَإِتَّخَاذُهَا أَوْتَانًا» هَذَا الْمَعْنَى، تُجِبُهُ مَا قَالَهُ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ كَبِيرَةٌ نَلَّ

كُفِّرَ بِشَرْطِهِ.

وإن أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بُعد^(١)، نعم قال بعض الحنابلة: قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركا بها عين المحادثة لله ورسوله، وإبداع دين لم يأذن به الله لينتهي عنها ثم إجماعاً، فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد أو بناؤها عليها، والقول بالكراهة محمول على غير ذلك، إذ لا يظن بالعلماء تجرؤ فعل تواتر عن النبي ﷺ لعن فاعله، وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القصور؛ إذ هي أضرب من منسجد الصرار؛ لأنها أسست على منصبة رسول الله ﷺ؛ لأنه نهى عن ذلك وأمر ﷺ بهدم القبور المشرقة، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه ونثره. انتهى.

• مذهب المالكية:

في المدونة (٨٧/٢): «وقال مالك: ومن قل: لله علي أن آتي المدينة أو بيت المقدس أو المشي إلى المدينة أو المشي إلى بيت المقدس؛ فلا شيء عليه، إلا أن يكون نوى بقوله ذلك أن يصلي في مسجد المدينة أو في مسجد بيت المقدس، فإن كان تلك نيته؛ وجب عليه الذهاب إلى المدينة أو إلى بيت المقدس راكباً». وانظر: الكافي لابن عبد البر (٤٥٨/١).

وفهم من استثناء مالك الصلاة فقط من صور الأعمال التي يشملها نذر المشي إلى المدينة وإلى بيت المقدس، ومنها مثلاً: زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الشهداء في المدينة وقبر الخليل وسائر قبور الأنبياء في بيت المقدس، أنه لا يجب ولا يشرع شد الرحال إلى قبر نبينا محمد ﷺ ولا إلى قبر غيره من الأنبياء والصالحين، ولا يجب ولا يستحب الوفاء بالنذر بالمشي إليها، ولو كان يرى شيئاً من هذا لاستثناه كما استثنى الصلاة، وهذا يدل على قوة اتباعه للكتاب والسنة وتمسكه بهما، ويُعده عن الغلو والبدع التي قال الله في شأنها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا قُلْنَا مِنْكُمْ لَئِيْلَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾.

(١) أقول لا بُعد به إلا أن التعظيم الذي لم يأذن به الله قد يكون شركاً وقد يكون غلواً «ولياكم والغلوف في الدين، فأتوا أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين».

الَّذِينَ مَا لَكُمْ يَأْتِيَنَّ يَدُ اللَّهِ ﴿[الشورى: ٢١].

وقول رسول الله ﷺ: «كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

وقوله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». فليت أتباعه يقومون حيث وقف؛ لأن الدين توقيفي.

* مذهب الخنابلة:

قال ابن قدامة في المغني (١٠/١٦): «وإن نذر المشي إلى مسجد النبي ﷺ، أو المسجد الأقصى؛ لزمه ذلك، وبهذا قال مالك والأوزاعي، وأبو عبيد، وابن المنذر، وهو أحد قولَي الشافعي، وقال في الآخر: «ولا يبين لي وجوب المشي إليهما؛ لأن البر بإتيان بيت الله فرض، والبر بإتيان هذين نفل».

* مذهب الأحناف:

في البحر الرائق (٣/٨١): «ولو قال: عليّ المشي إلى بيت الله الحرام، ولم يذكر حجاً ولا عمرة، لزمه أحد النسكين استحساناً، فإن جعله عمرة مشي حتى يحلق، إلا إذا بوى به المشي إلى مسجد المدينة أو مسجد بيت المقدس أو مسجد من المساجد؛ فإنه لا يلزمه شيء». ويفهم من موقفهم هذا ما يفهم من موقف مالك، رحم الله الجميع ووفق الأمة لسلوك منهجهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

٤١٢- وقد ثبت في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

٤١٣- وأما السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين؛ فلا يجب بالنذر عند أحد منهم؛ لأنه ليس بطاعة.

فكيف يكون من فعل هذا كواحد من أصحابه؟ وهذا مالك كره أن يقول الرجل: زرت قبر رسول الله ﷺ واستعظمه.

وقد قيل: إن ذلك لكراهية زيارة القبور.

وقيل: لأن الزائر أفضل من المزور.

وكلاهما ضعيف عند أصحاب مالك .

أقول :

زيارة القبور مشروعة ، وكان رسول الله قد نهى عنها من باب سد الذرائع ؛ لأن الأمم السابقة فُتنت بقبور أنبيائها وصالحائها حتى أوقعهم الشيطان كرات ومرات في هوة الشرك بهم واتخاذهم أنداداً مع الله ، وأول فتنة من فتن الشرك وقعت لقوم نوح ؛ إذ تعلق قلوبهم بـ : «ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ونسر» ، وهم رجال صالحون ، فجعلوهم أنداداً مع الله .

من أجل ذلك وأمثاله نهى رسول الله أولاً عن زيارة القبور ، ولما رسخت عقيدة التوحيد في قلوب أصحابه الكرام وأمن عليهم الفتنة ؛ رخص لهم في زيارتها ، وبين لهم الغاية من زيارتها وهي أنها تُذكّرهم الآخرة ، هذه واحدة ، والأخرى . . . ليستفيد الأموات من دعاء إخوانهم الأحياء .

وإذا كان الأمر كذلك ، والهدف الأول وهو تذكرة الآخرة ، أمر يتحقق بزيارة القبور القريبة والمجاورة ، حتى ولو كانت قبور قوم مشركين اكتفى الشارع الحكيم بالحد الأدنى الذي يُحقق الغرض الشرعي مع تحفظات كثيرة تسد ذرائع الفتنة والشرك :

منها : ألا يقولوا هجرًا .

ومنها : ألا تتخذ مساجد .

ومنها : ألا يبنى عليها ، ولا تُجصص ، ولا يصلى عليها ولا إليها .

اكتفى بالحد الأدنى مع هذه الاحتياطات والتحفظات ، ولم يشروع أبدًا السفر إليها وشد الرحال إليها ، لا بقوله ولا بفعله .

وآية ذلك : أن هذا الأمر لم ينزل فيه قرآن ، ولم يثبت فيه حديث من قول رسول الله أو فعله ، فلو كان مشروعًا لتحقيق فيه كل ذلك ، ولَسُنَّ لنا رسول الله ذلك برحلات ورحلات إلى قبور الأنبياء والصالحين ، ولَمُلِثَت الدواوين برحلات الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان .

ونحن نجد دواوين الإسلام من صحاح ومسنن ومسانيد وكتب فقه السلف

الصالح قد سجدت كل حقوق الأموات من : عيادتهم وهم مرضى إلى غسلهم ، وتحنيطهم ، وتشيعهم ، ودفنهم ، وزيارتهم ، والاستغفار لهم ، والدعاء لهم ، والنهي عن الجلوس على قبورهم ، ومن جهة أخرى لحماية عقيدة الأحياء من المسلمين نهى عن البناء على قبور الأموات بأي شكل وبأي صورة ، لا مسجد ولا مطلق بناء ولا بتجصيص .

كل هذا قد طفحت به دواوين الإسلام التي نوهنا عنها ، خالية خلواً كاملاً من حديث نبوي صحيح أو حسن ، ومن أقوال الصحابة والقرون المفضلة ، ومن أقوال أئمة الهدى من شيء له تعلق بقضية السفر إلى القبور .

فهذا الإمام مالك لا تجد له كلمة في موطنه تشير إلى السفر وشد الرحال إلى قبر رسول الله ﷺ ولا إلى قبر غيره ، وهذه كتب تلاميذه التي دونوا فيها فقه هذا الإمام لا تجد فيها باباً ولا فصلاً ولا حديثاً يحث المسلمين على شد الرحال والسفر إلى قبر النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين .

وهذا الإمام الشافعي يدون فقهه العظيم في الأم وغيرها ، فلم يعقد باباً ولا فصلاً ، ولم يذكر حديثاً واحداً بشأن السفر إلى قبور الأنبياء .

وهذا الإمام أحمد بن حنبل ، وهذا مسنده العظيم ومسايله التي دونت في كتب لا تجد لهذه المسألة فيها أثراً ولا خبراً .

وهذان الصحيحان ، وبقية الأمهات الست وأخواتها من دواوين الإسلام المعتمدة ، خلت خلواً كاملاً عن قضية شد الرحال والسفر إلى قبر النبي ﷺ أو إلى قبور غيره من الأنبياء .

وهذه كتب أبي حنيفة وأصحابه أبي يوسف ومحمد نبحت فيها فلا تجد فيها ذكراً لهذه المسألة .

فما هو السر إذن في عمل هؤلاء الصحابة والتابعين والأئمة من الفقهاء والمحدثين ؟

ويجب أن يقف جميع العقلاء متسائلين هل ينقصهم حب رسول الله ﷺ ؟ هل كان هناك مادة خصبة وأحاديث وآثار ثرة أهملوها ، بل كتموها ودهنوها كما

فعلوا بوصية علي في نظر الباطنية وغلاة الرافض؟

إن المتتبعين إلى السنة على اختلاف اتجاهاتهم بحمد الله لا يظنون بسلمهم هذا الظن السيئ، ولكنها الغفلة ودعغة شياطين الإنس والجن لعواطف الحب العمياء التي لا تميز بين حق وباطل، وبين جفاء وفراط وإطراء، إنه ليس بأيدي المتحمسين لهذه المسألة مسألة شد الرحال إلى القبور التي يبالغون فيها، وقد يكفرون من يخالفهم - إلا عتء وسراب من الأحاديث الباطلة لا يدعمها كتاب ولا سنة، ولا قول صحابي ولا إمام من أئمة الإسلام.

إنا نقول لهؤلاء ما نقتبسه من قول الله ﷻ ﴿قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ يُوجِدُ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ قُرْدَىٰ ثُمَّ تَضَكُّرُوا مَا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ حَيْثُ﴾ [سبا ٤٦]. نقول لكم: قوموا مثني وفرادى وجماعات، وشكلوا ليجناً واعقدوا مؤتمرات، وفكروا في كل ذلك، وقلوبه بطأ لظهر، لماذا أهمل سلفكم الصالح - وأقصد بهم: القرون المفضلة هذه القضية المهمة؟ ولماذا لم يحتضروا بها ويسجلوها في دواوينهم الفقهية والحديثية والعقائدية؟

هل أصابتهم جنة أو جفاء، أو أن القضية لا أساس لها؟ لعل احترامكم لسادة هذه الأمة وسلفها الصالح وحسن ظنكم بهم يدفعكم إلى الاعتراف بالحقيقة.

والواقع - أن رسول الله ﷺ لم يفعل ولم يأمر شيء من هذا، بل عمل عكس هذا تماماً من الاحتياطات والتحفظات التي ذكرناها، وما أروعها وأنصفها وأوضحها وأكثرها وأبركها على الأمة! ونؤكد هذا بقوله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً». وفعل أصحابه تنفيذاً لهذا التوجيه السديد وأمثاله؛ حيث دفنوه في حجرته خشية أن يتخذ قبره مسجداً، كما قالته عائشة ورواه الشيخان وغيرهما.

وما كانوا يأتون قبره، كما روى ذلك عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع قال: «كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه، وأحبرناه عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال معمر: فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر، فقال: ما نعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر».

فهذا الإمام عبيد الله بن عمر من كبار البيت العمري وكبراء علماء المدينة لا يعلم أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ كان يفعل مثل فعل ابن عمر من إتيانه قبره ﷺ للسلام عليه؛ وذلك لأنهم كانوا يكتفون بالسلام عليه عند دخول مسجده وعند خروجهم منه وفي أثناء الصلوات المكتوبة والمستنونة في المساجد والبيوت وغيرها، ويكتفون بالصلاة عليه في كل مكان، ويعلمون أن من صلى على النبي ﷺ صلاة واحدة في أي مكان أو زمان؛ صلى الله عليه بها عشرًا.

هذا بالإضافة إلى ما سَمِعوه من قول النبي ﷺ: «لا تتخذوا قبوري عيدًا، ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ حيثما كنتم، فإن صلواتكم تبلغني». وسمِعوه يقول: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت عائشة: يُحذر ما صنعوا.

وقال مالك إمام دار الهجرة لما سَمِعَ أن أناسًا يترددون على قبر النبي ﷺ «ما علمت أحدًا فعل ذلك مِن مَّضي، ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها». ولا يجوز للمسلمين أن يغفلوا في قبر النبي ﷺ ولا في قبر غيره فيتشبهوا باليهود والنصارى؛ فيستحقون ما استحقوه من اللعن، نعوذ بالله من ذلك.

وفق الله الأمة الإسلامية للاحتكام إلى كتاب ربها وسنة نبيها واتباع سلفها الصالح.

وصلَّى الله على نبيِّنا مُحَمَّد، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه

ربيع بن هادي المدخلي

٢٨/ ذي القعدة / ١٤٢٥هـ

رَدُّ كُلِّ الْمُنْكَرَاتِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَخْطَاءِ

مَنْهَجٌ شَرْعِيٌّ فِي كُلِّ الرِّسَالَاتِ

وَسَارٍ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ الْأَجَلَاءُ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

درتان مضیثتان

قال الإمام ابن القيم في «الصواعق المرسلة» (ص ٥٢): «ومعلوم أنه إذا ازدوج التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق تولد بينهما جهل الحق وإضلال الخلق».

وقال الحافظ الذهبي رحمته الله في «السير» (١٦٦/١٤) معلقاً على من يشوشون على المصلين بالقراءة قال: «ففي ذلك تشويش يبين على المصلين، هذا إذا قرءوا قراءة جائزة مرتلة، فإن كانت قراءتهم ذمّجاً وهذمة وبلغاً للكلمات فهذا حرام مكرّر، فقد والله عم الفساد، وظهرت البدع، وتخفيت السنن، وقلّ القول بالحق، ولو نطق العالم بصدق وإخلاص لعارضه عدة من علماء الوقت ولمقتوه وجّهلوه، فلا حول ولا قوة إلا بالله».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإن الصراع بين الحق والباطل، والهدى والضلال قديم وموغل في القدم ومستمر لا ينقطع إلى يومنا هذا وإلى قيام الساعة، ولقد اشتد الصراع بين أول الرسل نوح -عليه الصلاة والسلام- وبين قومه الكافرين على امتداد ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم -عليه الصلاة والسلام- ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً دون كلل ولا ملل، ويقوم عليهم الحجج والبراهين الدامغة التي تُبَيِّنُ الحق وتدحض الباطل والضلال، حتى قال الكافرون بعد أن بدغوا نهاية الاستكبار والعناد والإصرار على الكفر والشرك: ﴿قَالُوا يَنْشُؤْ قَدْ جَدَلْنَاكَ فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا نَدْعَاكَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [سورة مود. الآية ٣٢].

وهكذا يستمر هذا الصراع بين أهل الحق والباطل، وأهل الإيمان والكفر. فهذا إبراهيم يُجادل قومه ويقوم عليهم الحجج الدامغة والبراهين القاطعة، يُحَاجُّ آبَاءَهُ، وَيُحَاجُّ قَوْمَهُ، وَيُحَاجُّ رَأْسَ الْكُفْرِ وَالْبَاطِلِ مَلِكَ الْكُفْرِ الْمُتَأَلِّهِ. وهكذا موسى مع فرعون وقومه، يدعو فرعون وقومه إلى الْحَقِّ، ويقوم عليهم الحجج والبراهين العقلية والشرعية ويدعمها بالآيات الكونية. ويأتي خاتم الرسل محمد ﷺ يدعو قومه العرب إلى الحق، ويقوم عليهم الحجج الناصعة، والبراهين القاطعة، ويدمغ أباطيلهم، ويرد شبههم. وهكذا وجه أهل الكتاب من يهود ونصارى، مدعماً حججه وبراهينه العقلية والشرعية بالآيات الكونية الكبيرة الكثيرة. والقرآن والسنة مليتان بهذه الحجج.

فمن تلث الحجج التي تُبين الحق وتدحض الباطل :

١ قول الله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [سورة الفرقان: الآية ٣٢-٣٣].

١- قال الحافظ ابن كثير فيقول تعالى مُخبراً عن كثرة اعتراض الكفار وتعتهم وكلامهم فيما لا يعيهم حيث قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ أي: هلاً أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحى إليه ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كما نزلت الكتب قبله كالطور والإجيل والربور وغيرها من الكتب الإلهية؟ فأجابهم الله عن ذلك بأنه إنما أنزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب لوقائع والحوادث وما يحتاج إليه من الأحكام لتثبيت قلوب المؤمنين به كما قال: ﴿وَقَرَأْنَاهُ فَفَهَّمْنَا الْقُرْآنَ عَلَى الَّذِينَ عَلَى مَكَّةَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ١٠٦]. ولهذا قال: ﴿لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [سورة الفرقان: الآية ٣٢]

قال قتادة وبيناه تبييناً.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: وفسرناه تفسيراً.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: بحجة وشبهة. ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أي: ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبتهم بما هو الحق في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم.

قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: بما يتعمسون به عيب القرآن والرسول. ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: إلا نزل جبريل من الله بجوابهم^(١).

ثم في هذا اعتناء كبير لشرف الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- حيث كان يأتيه الوحي من الله بالقرآن صباحاً ومساءً، ليلاً ونهاراً، سفرًا وحضرًا^(٢).

(١) أي: أنه لا يترك لهم شبهة إلا صدها بالحق حتى يكون المؤمنون على بصيرة من أمرهم ودينهم.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/١١٧-١١٨).

ب- وقال الإمام السعدي: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِشَيْءٍ﴾: يعارضون به الحق ويدفعون به رسالتك: ﴿إِلَّا يَخْتَكِرَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَرَ تَفْسِيرَهُ﴾ أي: أنزلنا عليك قرآنًا جامعًا للحق في معانيه والوصوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حق وصدق لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح اللفاظ وأحسن تفسيرا مبين للمعاني بيانا تاما^(١).

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أَلْفَسِينَ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٥٥].

أ- قال الإمام ابن جرير: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أَلْفَسِينَ﴾ يعني - تعالى ذكره - بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾: وكما فصلنا لك في هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها يا محمد إلى هذا الموضع، حجتنا على المشركين من عبدة الأوثان وأدلتنا وميزانها لك وبينها، كذلك نقصّل لك أعلامنا وأدلتنا في كل حق ينكره أهل الباطل^(٢) من سائر أهل الملل غيرهم فتبينها لك حتى يبين حقه من باطله وصحيحه من سقيمه^(٣).

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾: «وكان معنى الكلام عندهم: وكذلك نقصّل الآيات ولتضح لك وللمؤمنين طريق المجرمين». وقال أيضا: «لأن الله تعالى ذكره فصل آياته في كتابه وتتريله ليتبين الحق بها من الباطل جميع من خوطب بها لا بعض دون بعض».

ب- وقال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى: وكما يبدأ ما تقدم بيانه من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد ودم المحادثة والعباد» ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: التي يحتاج المخاطبون إلى بيانها. ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسول، وقرئ: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ

(١) تفسير السعدي (ص ٥٧٢)

(٢) انظر إلى قوله «كل حق ينكره أهل الباطل» يعني أن القرآن يدحضه بحججه وبراهينه، وهذا ما يفهمه عبدة الإسلام ويسرون عليه في مواجهة فضائله ولآسمائه، فلا يدعون باطلا ولا خطأ يسب للإسلام إلا تصدوا له وهوده بالحجج والبراهين حتى يبقى الإسلام حائلا نقا من كل شائبة

(٣) تفسير ابن جرير (١١/ ٣٩٤-٣٩٥).

سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٥﴾ أَي: ولتستبين يا محمد أو يا مخاطب سبيل الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٥﴾.

وفي آية أَنْ تَبَيَّنَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ غاية كبيرة من غايات القرآن؛ لأن في حفاظها ضرراً على الناس في دينهم وعقولهم

ج- قال ابن القيم في كتابه «الفوائد»^(١): «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْعَلُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَلِتَسُبِّحَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾. وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ التَّوْبَةِ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة لاء، آية ١١٥]. وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ بَيَّنَّ فِي كِتَابِهِ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ مَفْصَلَةً، وَسَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ مَفْصَلَةً، وَعَاقِبَةُ هَؤُلَاءِ مَفْصَلَةٌ، وَعَاقِبَةُ هَؤُلَاءِ مَفْصَلَةٌ، وَأَعْمَالُ هَؤُلَاءِ، وَأَعْمَالُ هَؤُلَاءِ، وَأَوْلِيَاءُ هَؤُلَاءِ، وَأَوْلِيَاءُ هَؤُلَاءِ، وَخِدْلَانُهُ لِهَؤُلَاءِ، وَتَوْفِيقُهُ لِهَؤُلَاءِ، وَالْأَسْبَابُ الَّتِي وَفَّقَ بِهَا هَؤُلَاءِ، وَالْأَسْبَابُ الَّتِي خَذَلَ بِهَا هَؤُلَاءِ، وَجَلَّى سَبْحَانَهُ الْأَمْرَيْنِ فِي كِتَابِهِ، وَكَشَفَهُمَا وَأَوْضَحَهُمَا وَبَيَّنَّهُمَا غَايَةَ الْبَيَانِ حَتَّى شَاهَدَتْهُمَا الْبَصَائِرُ كَمَشَاهِدَةِ الْأَبْصَارِ لِلضِّيَاءِ وَالظَّلَامِ.

فَالْعَالِمُونَ بِاللَّهِ وَكِتَابِهِ وَدِينِهِ عَرَفُوا سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ مَعْرِفَةً تَفْصِيلِيَّةً، وَسَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ مَعْرِفَةً تَفْصِيلِيَّةً، فَاسْتَبَانَ لَهُمُ السَّيْلَانِ، كَمَا يَسْتَبِينَ لِلسَّالِكِ الطَّرِيقَ الْمَوْصِلَ إِلَى مَقْصُودِهِ، وَالطَّرِيقَ الْمَوْصِلَ إِلَى الْهَلَاكِ، فَهَؤُلَاءِ أَعْلَمُ الْخَلْقِ وَأَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ وَأَنْصَحُهُمْ لَهُمْ، وَهُمْ الْأَدْلَاءُ الْهَادِيَةُ، وَبِذَلِكَ بَرَزَ الصَّحَابَةُ عَلَى جَمِيعٍ مِنْ أَتَى بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَإِنَّهُمْ قَسَمُوا فِي سَبِيلِ الضَّلَالِ وَالْكَفْرِ وَالشَّرْكِ، وَالسَّبِيلَ الْمَوْصِلَةَ إِلَى الْهَلَاكِ وَعَرَفُوا مَفْصَلَةً، ثُمَّ جَاءَهُمُ الرَّسُولُ فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَصَرَّطَ اللَّهُ الْمُسْتَقِيمَ، فَخَرَجُوا مِنَ الظُّلْمَةِ الشَّدِيدَةِ إِلَى النُّورِ التَّامِّ، وَمَنِ الشَّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَمَنِ الْجَهْلِ إِلَى الْعِلْمِ، وَمَنِ الْعِيِّ إِلَى الرِّشَادِ، وَمَنِ الظُّلْمِ إِلَى لُحْدٍ، وَمَنِ الْحَيْرَةِ وَالْعَمَى إِلَى الْهُدَى وَالْبَصَائِرِ، فَعَرَفُوا مَقْدَارَ مَا تَالَوْهُ وَظَهَرُوا بِهِ، وَمَقْدَارَ مَا كَانُوا فِيهِ، فَإِنَّ الضُّدَّ يَطْهَرُ حَسَنَةَ الضُّدِّ، وَإِنَّمَا تَبَيَّنَ الْأَشْيَاءُ

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٥٨)

(٢) (ص ١٠٧-١١٠)

بأصداده، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، وبكرة وبغضا لما انتقلوا عنه، وكانوا أحب الناس في التوحيد والإيمان والإسلام، وأبعص الناس في صده، عالمين بالسبيل على التفصيل

وأما من جاء بعد الصحابة فهم من شأ في الإسلام غير عالم تفصيل صده فلتس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين

فإن اللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما، كما قال عمر بن الخطاب: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة؛ إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية».

وهذا من كمال علم عمر رضي الله عنه، فإنه إذا لم يعرف الجاهلية وحكمها وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول ﷺ فإنه من الجاهلية فإنها منسوبة إلى الجهل، وكر ما خالف الرسول فهو من الجهل، فمن لم يعرف سبيل المجرمين، ولم تستن له أو شك أن يقطن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين، كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل هي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل، أدخلها من لم يعرف أنها من سبيلهم في سبيل المؤمنين ودعا إليها وكفر من خالفها واستحل منه ما حرمه الله ورسوله، كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية والقدرية والخوارج والروافض وأشباههم^(١) ممن استدع بدعة ودعا إليها وكفر من خالفها.

والناس في هذا الموضع أربع فرق:

الفرقة الأولى: من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل علماً وعملاً، وهؤلاء أعلم الخلق.

الفرقة الثانية: من عميت عنه السيلان من أشباه الأسماء، وهؤلاء بسبيل المجرمين أحضر ولها أسلك.

(١) من صوفية وأحراب سياسية تحالف مع الرسول في عقائدها ومناهجها ومواقفها ومن يخالف الإسلام من أهل الصلوات من ألبهم، ومن أتباع الرسل فتاهضهم، وقد يكفرونهم غلاتهم

الفرقة الثالثة : من صرف عنايته إلى معرفة سبيل المؤمنين دون صدها ، فهو يعرف صدها من حيث الجملة والمخالفة ، وأد كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل ، وإن لم يتصوره على التفصيل ، بل إذا سمع شيئاً يخالف سبيل المؤمنين صرف سمعه عنه ، ولم يشغل نفسه بفهمه ومعرفة وجه بطلانه وهو بمنزلة من سلعت نفسه من إرادة الشهوات فلم تخطر بقلبه ولم تدعه إليها نفسه ، بخلاف الفرقة الأولى فإنهم يعرفونها وتميل إليها نفوسهم ويجاهدونَهَا على تركها لله . . . وقد كتبوا إلى عمر بن الخطاب يسألونه عن هذه المسألة أيما أفضل رجل لم تخطر له الشهوات ولم تمر بباله ، أو رجل نارعتَه إليها نفسه فتركها لله ؟

فكتب عمر : « إن الذي تشتهي نفسه المعاصي ويتركها لله ^{تعالى} من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » .

وهكذا من عرف البدع والشرك والباطل وطرقه فأبغضها لله وحذرَها ، وحذر منها ، ودفعها عن نفسه ، ولم يدعها تخدش وجه إيمانه ، ولا تورثه شبهة ، ولا شكاً ، بل يزداد بمعرفتها بصيرة في الحق ، ومحبة له ، وكراهة لَهَا ، ونفرة عنها ، أفضل ممن لا تخطر بباله ولا تمر بقلبه

الفرقة الرابعة : فرقة عرفت سبيل الشر والبدع والكفر مفصلة ، وسبيل المؤمنين مجملة ، وهذا حال كثير ممن اعتنى بمقالات الأمم ومقالات أهل البدع فعرفها على التفصيل ولم يعرف ما جاء به الرسول كذلك ، بل عرفه معرفة مجملة وإن تفصلت له في بعض الأشياء ، ومن تأمل كتبهم رأى ذلك عياناً .

وكذلك من كان عارفاً بطرق الشر والظلم والفساد على التفصيل سالماً لَهَا ، إذا تاب ورجع عنها إلى سبيل الأبرار يكون علمه بها مجملاً غير عارف بها على التفصيل معرفة من ألقى عمره في تصرفها وسلوكها

والمقصود : أن الله سبحانه يحب أن تعرف سبيل أعدائه ؛ لتجتنب وتُغض ، كما يجب أن تعرف سبيل أوليائه ؛ لتُحب وتُسلِك ، وبني هذه المعرفة من الفوائد والأسرار ما لا يعلمه إلا الله من معرفة عموم ربوبيته سبحانه وحكمته وكمال أسمائه وصفاته وتعلقها بمتعلقاتها واقتضائها لآثارها وموجباتها ، وذلك من أعظم

الدلالة على رويته وملكه وإلهيته ووجهه وبغضه وثوابه وعقابه، والله أعلم
والله سبحانه أثنى على هذه الأمة وميزها على سائر الأمم؛ لأنها تأمر
بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٠].

وذا الذين كفروا من بني إسرائيل ولعنهم؛ لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه، قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ
عَنْ مُّسْكِرٍ فَقَلَوْا لَوْلَا رَبُّنَا كُنَّا أَهْلًا بِمِثْلِ جَثْوَيْكُمْ قَدْ دَفَعْتُمْ إِلَيْنَا
غَيْبَكُمْ وَأَقْرَبْتُمْ إِلَيْنَا الْحَبْلَ الْأَمْتَّ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٨-٧٩].

فهذه شذرات من نصوص القرآن ومن كلام أئمة التفسير.

أما السنة: فقد كان رسول الله ﷺ يرد الأخطاء خطأ خطأ، والشبهات شبهة
شبهة، ويقيم الحدود، ومن تكرر منه ما يوجب إقامة الحد فقد كرر عليه الحد جلداً
أو قطعاً، وكان لا يقر على باطل أبداً ﷺ، وهذا كله إلى جانب بيان القرآن للحق
بالتفصيل ودحضه للشبه والباطل بالتفصيل.

وكان مع هذا يُجند الشعراء؛ لنصرة الحق والذود عن حياضه، ودحض
الباطل، بل والطمع القاتل للأعداء.

فمن الزهري قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن: أنه سمع حسان بن ثابت
الأنصاري يستشهد أبا هريرة: «أشدك الله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول:
يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ؟ قال أبو هريرة: نعم»^(١).

وعن عدي بن ثابت قال: سمعت البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ
يقول لحسان بن ثابت: «اهجهم، أو هاجهم وجبريل معك»^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً، فإنه أشد عليها من

(١) صحيح مسلم (٢٤٥٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٤٨٦).

رشق النبيل». في حديث طويل عنها فيه أنه دعا عبد الله بن رواحة ثم كعب بن مالك ثم حسناً رضي الله عنه، فقال من الشعر ما أَرْضَى رسول الله ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هَجَاهُمْ حَسَانٌ فَشَفَى وَاشْتَفَى»^(١).

وروى الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - في مسنده من طريق شعبة عن إسماعيل ابن أبي خالد قال: سمعت قيس بن أبي حازم يحدث عن أبي بكر الصديق أنه خطب فقال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير ما وضعها الله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَهْدِيكُمْ مَنْ صَلَ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ (سورة المائدة الآية ١٠٥). سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يَنْكُرُوهُ يَوْشِكُ أَنْ يَعْصِمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»^(٢).

وعن العمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مِثْلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمِثْلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا خَرَقْنَا وَلَمْ نَتَّخِذْ مِنْ فَوْقِنَا، فَإِنْ بَتَرَكُوهُمْ وَمَا أُرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا»^(٣).

(١) صحيح مسلم (٢٤٩٠)

(٢) المسند (٢٢١/١) حديث (٥٣)، وأخرجه الحروري في مسند الصديق (٨٦-٨٩)، وأبو يعلى في مسنده (١١٨-١٢٠)، حديث (١٢٨-١٣٢)، كلاهما من طرق إلى إسماعيل بن أبي خازم به، وهذا إسناد صحيح، رجاله رجال الصحيحين.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٣٩-٥٤٠)، حديث (٣٠٤-٣٠٥) تحت عنوان «ذكر يوق بأن المنكر، والظلم إذا ظهر كان على من يعم تعيينهما حذر عموم المعقوبة»، وتحت عنوان آخر هو «ذكر بيان بأن المتأثر للآي قد يحظى في تأويله وإن كان من أهل الفضل والعلم»، وأخرجه ابن ماجه في مسنده حديث (٤٠٠٥) تحت عنوان «ثبت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، بنقل أحمد ومن ذكر معه وأخرجه أبو داود في الملاحم حديث (٣٤٤٨)، والترمذي في المس حديث (٢٢٥٧) تحت عنوان «ثبت ما جاء في رسول الله إذا لم يعبر بالمنكر»، ودل الترمذي عقب رويته هذا الحديث «ويروى بهذا عن عائشة وأم سلمة ولعمري بن بشر وعبد الله بن عمر وحذيفة»، وفي لفظ أبي داود والترمذي «إذا رأوا الظالمين». ولا تعارض بين المعطين.

(٣) أخرجه البخاري في الشريفة، حديث (٢٤٩٣)، وفي الشهادت، حديث (٢٦٨٦)، وأخرجه الترمذي في كتاب لفت حديث (٢١٧٣).

واستقبل سفراً بعيداً ومعاراً، واستقبل عدوً كثيراً، فجئني للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب يظن أن ذلك سيحصى له ما لم ينزل فيه وحي من الله ﷻ.

وغر رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طست الثمار والظلال فأناب إليها أصعر، فتحهر رسول الله ﷺ والمسلمون معه وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقص شيئاً وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذ أردت، فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى استمر بالناس الجدد فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ولم أقص من جهري شيئاً، ثم غدوت فرجعت ولم أقص شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهممت أن أرتحل فأدركهم، فبالييتني فعدت، ثم لم يقدر ذلك لي فطفقت إذ خرجت في ناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أي لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في البفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الصغفاء.

ففي هذا المقطع إشادة ببيعة العقبة ومزلتها في نفسه : لأنها ما فيها من معاني كبيرة تمثل القاعدة المكيئة التي قامت عليها هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة النبوية، وقام عليها نصرة الأنصار، وعليها قامت دولة الإسلام، وعلى أساسها قام الجهاد وقوة الإسلام والمسلمين، ومنها وعنها انشقت الغزوات والسرايا ثم القصاء على الردة، وإطلاق جيوش الإسلام إلى لعالم لتفتح لقلوب بؤر الإيمان والإسلام وتخرجهم من الظلمات إلى النور، فمن هنا أدرك هذا الصحابي الجليل مكانة بيعة العقبة فكان لا يرضى بها بديلاً فهو كما قال «وما أحب أن لي بها مشهد بدر».

تحدث عما اكتنف تحلقه عن عزوة قنوك بشجاعة الصادقين بأسدوب واضح مشرق يفيض بالصدق من قلب امتلأ بالإيمان وروح ومشاعر تندفق بالبراهة والصدق الذي لا يعرف مثله لتنب في مش ذلك الموقف الرهيب الذي ارتكس فيه نجساء المافقون، فليجئوا إلى الكذب والتمويه باستحال الأعذر الكذبة التي سرعان ما فصحهم الله وأخزاهم وأحلهم به دار لبوار.

أخرجه البخاري في الشهادات بهذا اللفظ، وساقه في الشركة بلفظ «مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها...» الحديث.

وساقه الترمذي بلفظ: «مثل القائم على حدود الله والمُداهن فيها...». وقال: حديث حسن صحيح.

قال في اللسان في مادة «دهن» المداهنة والادهان المصانعة والدين، وقيل المداهنة: إظهار خلاف ما يضر، والادهان: الغش، وداهن الرجل: إذا نافق». وقال العلامة المباركفوري: «والفرق بين المداهنة المنهية والمدارة المأمورة: أن المداهنة في الشريعة أن يرى منكراً فيقدر على دفعه ولم يدفعه حمطاً لجانب مرتكبه أو جانب غيره لحوف أو طمع أو لاستحياء منه أو قلة مبالاة في الدين، والمدارة: موافقته وترك حظ نفسه وحق يتعلق بماله وعرضه فسكت عنه دفعاً للشر ووقوع الضرر»^(١).

وهذا الحديث مثل رائع يبين خطورة النتائج المهلكة للسكوت عن الباطل والمداهنة فيه، وأنه يجب على الأمة أن تصرب بيد من حديد على أهل البدع وأهل المعجور؛ الذين تؤدي ضلالتهم وفجورهم إلى إهلاك الأمة في ديارها ودنياها.

ولقد اعتبر الرسول ﷺ الأمر بالمعروف جهاداً، فعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(٢).

ومن هنا قال الإمام يحيى بن يحيى: «الذب عن السنة أفضل من الضرب بالسيوف».

(١) تحفة الأحادي (٦/٣٢٩)

(٢) صحيح مسلم ص (٨٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « لراد على أهل البدع مجاهد » .
ولمّا وقع الضلال كما أخبر النبي ﷺ بمثل قوله : « افترقت اليهود إلى إحدى
وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى إلى ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمّتي إلى ثلاث
وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال :
الجماعة » .

وفي رواية من روايات هذا الحديث : « من كان على ما أنا عليه وأصحابي » .
ومثل قوله : « لتبعن سنن من كان قبلكم حدوا القذة بالقذة ، حتّى لو دخلوا
جحر ضب لدخلتموه » ، قيل : اليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال : نعم » .
تصدى لهذه الطوائف أفراداً وجماعات أئمة الهدى وأعلام الدّعى من صفوة
هذه الأمة ، فردو أباطيلهم وصلالاتهم فما جاءوا بصلاة ولا شهة إلا دحسوها
وبينوا ربهما ، وبينوا الحق بيناً واصحاً تأسيّاً بالقرآن والسنة في تزييف الباطل
وإزهاقه وإظهار الحق .

وقد دوت أعمالهم وجهادهم في إنكار المخالفات ، وبيان حار أهلها ، وبيان
تُعِد هذه المخالفات عن هدي الكتاب والسنة ، وبيان أحكام هذه المخالفات
وأحكام أهلها من تبذير واستنكار .

لقد نهضوا بهذا اليبس القائم على النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة
المسلمين وعامتهم ، وحماية لدينهم في عدد من الكتب سواء كانت في مجال
العقيدة كما في كتب العقائد ، أو الأحكام كما في كتب الفقه وشروح الحديث ،
وفي باب الرواية ونقل السنة عن رسول الله ﷺ كما في كتب الرجال والعلل ،
والكتب في ذلك لا تحصى .

وقد يتكلم على الخطأ الواحد عشرات من الأئمة وعلى العقيدة الفاسدة كذلك
وفي الراوي عشرات الأئمة ، وقد يكون للرجل عشرات البدع فيتصدى له أحد
العلماء فيفندها واحدة واحدة بالأدلة والبراهين ، كما رد شيخ الإسلام ابن تيمية
على ابن مطهر الحلبي في كتابه « المُنْهَاج » في تسع مجلدات ، وكما رد على الرازي
في « نقض التأسيس » الذي يبلغ أربع مجلدات ، ولاحق الرازي في عدد من

المؤلفات، وكما رد على البكري في كتاب «الاستغاثة الكبرى»، وكما رد على الأحنائي في كتابه «الرد على الأحنائي»، وكما رد ابن عبد الهادي على السبكي في كتابه «الصارم المنكي»، وقبلهم رد الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على بشر في كتابه «الرد على بشر الحريسي».

وقد يكون لطائفة عشرات البدع فيتصدى لها أحد العلماء فلا يترك لها شاذة ولا فاذة، وقد يتصدى لها عدد من العلماء كلٌ يطيل النفس في مناقشة ضلالاتها، والأمثلة على ذلك كثيرة.

كما رد الإمام أحمد والإمام الدارمي على الجهمية، وكما رد الإمام لشافعي على المعتزلة والروافض الطاعينين في السنة عمومًا وعلى الطاعينين في أخبار الآحاد خصوصًا في كتابيه «الرسالة» و«حماة العلم»، وكما رد البخاري على الجهمية وغيرهم في «خلق أفعال العباد»، وكما رد الخلال والآجري وابن بطّة واللالكائي وغيرهم من أئمة الإسلام على طوائف أهل البدع.

فكم من إمام تناول عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء والجاحظ والنظام وأمثالهم، وكم من إمام تناول كتبهم وقد ما فيها من الضلالات

ولم يقف أئمة السنة عند نقد واستنكار ضلالات أهل الضلال بل تجاوزوا ذلك إلى نقد العلماء وعلى رأسهم كبار علماء السنة والحديث في أخطئهم

فقد انتقد الإمام الليث بن سعد الإمام مالكًا في مسائل مشهورة، بل انتقد الإمام لشافعي شيعته الإمام مالك في مسائل كثيرة، وانتقد أحمد إسحاق والشافعي وغيرهما، بل انتقد أبو حنيفة وأبو زرعة الإمام البخاري في كتابه «التاريخ» في عشرات الأسماء.

وانتقد الدارقطني الإمامين البخاري ومسلمًا في حوالي مائتي حديث، وانتقد البيهقي الطحاوي في كثير من المسائل.

وكما انتقد أبو الحسين بن القطان الفاسي في كتابه «بيان الوهم والإيهام» الذي يبلغ خمس مجلدات الإمام عبد الحق الإشبيلي في كتابه «الأحكام»

كما انتقد أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الدمشقي في كتابه «عجالة الإملاء

«المتيسرة» في خمس مجلدات، انتقد فيها الحافظ المنذري في كتابه «الترغيب والترهيب»، وهذه أمور لا تُحصى.

وهذا المنهج هو الذي عليه أئمة الدين سلفاً وخلفاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله ذاكراً من يحوز ذمه من الأنواع، وليس ذلك من الغيبة، كالكاظم، والفاخر، والفاسق، والطالم، والعوي، ولصل، والحاسد...

إلى أن قال: «وأما الشخص فيذكر ما فيه من الشر في مواضع».

وذكر منها: المظلوم يذكر طالمه بما فيه، وساق الأدلة على ذلك، ثم قال: ومنها: أن يكون على سبيل النصيحة للمسلمين في دينهم ودنياهم، كما في الحديث الصحيح عن فاطمة بنت قيس لما استشارت النبي ﷺ من تنكح؟ قالت: «إنه حطني معاوية وأبوجهم، فقال: أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبوجهم فرجل ضراب للنساء».

فكان هذا نصيحاً لها وإن تضمن ذكر عيب الخاطب.

وفي معنى هذا: نصح الرجل فيمن يعامله، ومن يوكله، ومن يوحي إليه، ومن يستشهده، بل ومن يتحاكم إليه، وأمثال ذلك.

وإذا كان هذا في مصلحة خاصة فكيف بالنصح فيما يتعلق به حقوق عموم المسلمين من الأمراء، والحكام، والشهود، ولعمال أهل الديوان وغيرها، ولا ريب أن النصيح في ذلك أعظم، كما قال النبي ﷺ: «الدين النصيحة، الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».

ثم تحدث عن وجوب الكلام في نقلة الحديث، الذين يعلطون، أو يكذبون، وأنه من باب المصالح الدينية العامة والخاصة.

ثم نرى بالكلام على أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة لكتاب والسنة، فقال: «إن بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد ابن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل

لبدع؟ فقال: إذا صام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين.

فتبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم، من جسس الجهاد في سبيل الله، إد تطهير سبيل الله، ودينه، ومنهاجه، وشرعته، ودفع بعي هؤلاء وعدوانهم على ذلك؛ واجب على الكفاية باتفاق المسلمين.

ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لنفس الدين، وكان فساد أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تنعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً.

وأعداء الدين نوعان: الكفار، والمنافقون.

وقد أمر الله بجهاد الطائفتين في قوله: ﴿وَجَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة الآية ٧٣، سورة التحريم الآية ٩] في آيتين من القرآن

فيذا كان أقوم منافقون، يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب، ويلسونها على الناس ولم تبين للناس؛ فسد أمر الكتاب، وبُذِل الدين، كما صدق أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم يكر على أهله^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين»^(٢) معلقاً على قول أبي إسحاق الأنصاري رحمه الله: «وتخلص من رعونة المعارضات». قال ابن القيم: «يريد أن هذه الملاحظة تحلص العبد من رعونة معارضة حكم الله الديني والكوني الذي لم يأمر بمعارضته فيستسلم للحكمين، فإن ملاحظة عين الجمع تشهد أن الحكمين صدر عن عزيز حكيم فلا يُعارض حكمه برأي ولا عقل ولا ذوق ولا خاطر».

ثم ذكر ما معناه: أن أمر الله لا يُعارض بالشهوة، وخبره بالشك والشبهة، وأن المؤمن الواعي يخلص قلبه من هاتين المعارضتين، وهذا القلب الذي هذا حاله هو القلب السليم الذي لا يفلح إلا من لقي الله به.

(١) مجموعة الرسائل والمسائل - (٥ / ١٠٩-١١١).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١٢٢-١٢٣).

ثُمَّ قَالَ «وَأَمَّا أَهْلُ الْإِلْحَادِ فَقَالُوا: الْمَرَادُ بِالْمَعَارِضَاتِ هَاهَا. الْإِنْكَارُ عَلَى الْخَلْقِ فِيمَا يَبْدُو مِنْهُمْ مِنْ أَحْكَامٍ بَشَرِيَّةٍ؛ لِأَنَّ الْمَشَاهِدَ لِعَيْنٍ، لِنَجْمِيعٍ يَعْنِي أَنَّ مَرَادَ اللَّهِ مِنَ الْخَلْقِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ بِحَقِيقَةِ الشُّهُودِ كُنْتَ الْمَعَارِضَاتِ وَالْإِنْكَارَ عَلَيْهِمْ مِنْ رِعُونََاتِ الْأَنْفُسِ الْمَحْجُوبَةِ وَقَالَ قَدَوْتُهُمْ فِي ذَلِكَ: الْعَارِفُ لَا يَنْكَرُ مَنْكَرًا؛ لِاسْتِبْصَارِهِ بِسِرِّ اللَّهِ فِي الْقُدْرِ. وَهَذَا عَيْنُ الْإِتِّحَادِ وَالْإِلْحَادِ وَالْإِنْسِلَاخِ مِنَ الدِّينِ بِالْكُفْيَةِ، وَقَدْ أَعَادَ اللَّهُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ مِنْ ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَ لِمَلْحَدٍ يَحْمِلُ كَلَامَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ فَمَا الظَّنُّ بِكَلَامٍ مُحْنَقٍ مِثْلَهُ؟»

فَيَقَالُ: إِنَّمَا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ بِالْإِنْكَارِ عَلَى الْخَلْقِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِ الْبَشَرِيَّةِ وَغَيْرِهَا، فَبِهَذَا أُرْسِلَتْ لِرُسُلِ وَأَنْزِلَتْ الْكُتُبُ، وَانْقَسَمَتِ الدَّارُ إِلَى دَارِ سَعَادَةٍ لِلْمُنْكَرِينَ وَدَارِ شَقَاوَةٍ لِلْمُنْكَرِ عَلَيْهِمْ، فَالطَّعْنُ فِي ذَلِكَ طَعْنٌ فِي الرُّسُلِ وَلِكُتُبِ، وَالتَّخْصِصُ مِنْ ذَلِكَ أَنْجِلَالٌ مِنْ رِبْقَةِ الدِّينِ، وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الرُّسُلِ مَعَ أُمَمِهِمْ وَجَدَهُمْ كَانُوا قَائِمِينَ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ لَقِيمٍ حَتَّى لَقَوْا اللَّهَ تَعَالَى، وَأَوْصُوا مَنْ آمَنَ بِهِمْ بِالْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ.

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ أَنَّ الْمُتَخَصِّصَ مِنْ مَقَامَاتِ الْإِنْكَارِ الثَّلَاثَةُ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ حِجَةٌ خَرَدَلٌ وَيَبْلُغُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ أَشَدَّ الْمِبَالِغَةِ حَتَّى قَالَ: «إِنْ النَّاسُ إِذَا تَرَكَوهُ أَوْشَتْ أَنْ يَعْصِيَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ».

وَأَخْبَرَ أَنْ تَرَكَهُ يَمْنَعُ إِجَابَةَ دَعَاءِ الْأَخْيَارِ وَيُوجِبُ تَسَلُّطَ الْأَشْرَارِ، وَأَخْبَرَ أَنْ تَرَكَهُ يُوَقِّعُ الْمُحَالَفَةَ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالْوُجُوهِ وَيَحُلُّ لَعْنَةَ اللَّهِ كَمَا لَعَنَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى تَرَكَهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْإِنْكَارُ مِنْ رِعُونََاتِ الْفُوسِ وَهُوَ مَقْصُودُ الشَّرِيعَةِ؟! وَهَلِ الْجِهَادُ إِلَّا عَلَى أَنْوَاعِ الْإِنْكَارِ وَهُوَ جِهَادٌ بِالْيَدِ وَجِهَادٌ أَهْلَ الْعَمَلِ بِإِنْكَارِ الْإِسْلَامِ؟!.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَمْ أَنَّ ذِكْرَ الْإِسْلَامِ بِمَا يَكْرَهُ مُحْرَمٌ؛ إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ مَجَرَّدُ الذَّمِّ وَالْعَيْبِ وَالتَّقْصِيرِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ خَاصَّةٍ لِبَعْضِهِمْ، وَكَانَ الْمَقْصُودُ بِهِ تَحْصِيلُ ثَلَاثِ الْمَصْلَحَةِ: فَيَسَّرُ بِمُحْرَمٍ، بَلْ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ».

وَقَدْ قَرَّرَ عَمَاءُ الْحَدِيثِ هَذَا فِي كُتُبِهِمْ فِي الْحَرَمِ وَالتَّعْدِيلِ، وَذَكَرُوا الْفَرْقَ بَيْنَ

جرح الرواة وبين الغيبة، وردوا على من سوى بينهما من المتعبدین وغيرهم ممن لا يتسع علمه.

ولا فرق بين الطعن في رواية ألفاظ الحديث، ولا التمييز بين ما تقبل روايته منهم ومن لا تقبل، وبين تبين خطأ من أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة، وتأول شيئاً منها على غير تأويله، وتمسك بما لا يتمسك به؛ ليحذر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه.

وقد أجمع العلماء على جواز ذلك أيضاً.

ولهذا تحد في كتبهم المصنفة في أنواع العلوم الشرعية من التفسير، وشروح الحديث، والفقه، واختلاف العلماء، وغير ذلك؛ ممثلة من المناظرات، وردوا أقوال من تصحف أقواله من أئمة السلف والخلف، من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، ولم يترك ذلك أحد من أهل العلم، ولا ادعى فيه طعناً على من رد عليه قوله، ولا ذماً، ولا نقضاً. اللهم إلا أن يكون المصنف ممن يفحش في الكلام، ويؤسي الأدب في العبارة؛ فيُنكر عليه فحاشته وإساءته، دون أصل رده ومخالفته؛ إقامة بالحجج الشرعية، والأدلة المعتبرة.

وسبب ذلك: أن علماء الدين كلهم مجمعون على قصد طهار الحق، الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمته هي العليا. وكنهم معترفون بأن الإحاطة بالعلم كله من غير شذوذ شيء منه ليس هو مرتبة أحد منهم، ولا ادعاء أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين.

فلهذا كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم، يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صغيراً، ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم، كما قل عمر رضي الله عنه في مهور النساء، وردت المرأة بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْتَهِ عَنْهُنَّ فَيُطَارَأْنَ﴾ [سورة الباء الآية ٢٠]، فرجع عن قوله، وقال «أصابت امرأة ورجل أخطأ».

وروي عنه أنه قال: «كل أحد أفقه من عمر».

وكان بعض المشهورين إذا قال في رأيه بشيء يقول: «هذا رأينا؛ فمن جاءنا

برأي أحسن منه قبلناه».

وكان الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ) يبائع في هذا المعنى، ويوصي أصحابه باتباع الحق، وقبول السنة إذا ظهرت لهم على خلاف قوله، وأن يضرب بقوله حيثئذ الحائط، وكان يقول في كتبه: لا بد أن يوجد فيها ما يخالف الكتاب أو السنة؛ لأن الله تعالى يقول ﴿وَلَوْ كَانِ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة: ١٨٢].

فحيثئذ قرئ المقالات الضعيفة، وتبين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية، ليس هو مما يكرهه أولئك العلماء، بل مما يحبونه ويمدحونه عنه، ويشنون عليه؛ فلا يكون داخلًا في باب الغيبة بالكلية.

فلو فرض أن أحدًا يكره إظهار خطئه المحالف للحق؛ فلا عرة بكرهته لذلك، فإن كراهة إظهار الحق إذا كان مخالفًا لقول الرجل ليس من الحصول المحمود.

بل الواجب على المسمم أن يحب ظهور لحق ومعرفة المسلمين له، سواء كان في موافقته أو مخالفته.

وهذا من النصيحة لله، ولكتابه، ورسوله، ودينه، وأئمة المسلمين، ووعدهم، وذلك هو الدين، كما أخبر به النبي ﷺ.

وأما بيان خطأ من أخطأ من العلماء قبله، إذ تأدب في الخطاب، وأحسن الرد والجواب؛ فلا حرج عليه، ولا لوم يتوجه إليه، وإن صدر منه من الاعتذار بمقالته فلا حرج عليه.

وقد كان بعض السلف إذا بلغه قول يكرهه على قائله يقول «كذبت فلان» ومن هذا قول النبي ﷺ «كذب أبو السدبل» لما بلغه أنه أتى أن لعنوا عنها زوجها إذا كانت حاملاً لا تحل بوضع لحمل، حتى تأتي عليها أربعة أشهر وعشرًا.

وقد نلح الأئمة الورعون في إنكار مقالات ضعيفة لبعض العلماء، وردّها أبلغ الرد، كما كان الإمام أحمد يكر على أبي ثور وغيره مقالات ضعيفة تفردوا بها، ويبالغ في ردّها عليهم.

هذا كله حكم الظاهر.

أم في باطن الأمر؛ فإن كان مقصوده في ذلك مجرد تبيين الحق، ولئلا يغتر الدس بمقالات من أخطأ في مقالاته؛ فلا ريب أنه مثاب على قصده، ودخل بفعله هذا بهذه النية في النصح له، ورسوله، وأئمة المسلمين، وعامتهم.

وسواء كان الذي بين الخطأ صغيراً أم كبيراً، فله أسوة بمن رد من العلماء مقالات «ابن عديم» التي يشدّ بها^(١) وأنكرت عليه من العلماء، مثل: المتعة، وصراف، والعمرتين، وغير ذلك.

ثم ذكر: أن العلماء ردوا مقالات لمثل «سعيد بن مسيب»، و«الحسن»، و«عطاء»، و«صوس»، وسلي غيرهم، بمن أجمع المسلمون على هدايتهم، ودرأيتهم، ومحبتهم، والثناء عليهم.

ولم يعد أحد منهم مخالفاً^(٢) في هذه المسائل طعن في هؤلاء لأئمة، ولا عيب لهم.

وقد متلأت كتب أئمة لمسلمين من لسلف والحلف بتبيين هذه لمقالات وما أشبهها مثل «كتب الشافعي»، و«سحاق» و«أبي عبيد»، و«أبي ثور»، ومن بعدهم من أئمة الفقه والحديث.

وأما مرد^(٣) الراد بذلك، إظهار العيب على من ردّ عليه ونقصه، وتبيين جهله، وقصوره في العلم، سواء كان رده لذلك في وجه من ردّ عليه أو في عيبه، وسواء كان في حياته أو بعد موته، وهذا داخل فيما دمه الله في كتابه، وتوعد عليه،

(١) د.

(٢) د.

(٣) د.

في النهمز واللمز، ودخل أَيْضاً في قور النبي ﷺ. «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يؤمن بقلبه؛ لا تؤذوا المسلمين، لا تشعوا عوراتهم؛ فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»^(١)

وهذا كله في حق العلماء المقتدى بهم في الدين.

فأما أهل البدع والصلالة، ومن تشبه بالعلماء وليس منهم^(٢)، فيجوز بيان جهلهم، وإظهار عيوبهم، تحذيراً من الاقتداء بهم وليس كلامنا الآن في هذا القبيل، والله أعلم.

ومن عُرف منه أنه أراد رده على العلماء الصريحة لله ورسوله؛ فإنه يجب أن يعامس بالإكرام، والاحترام، والتعظيم، كسائر علماء المسلمين الذين سبق ذكرهم، وأمثالهم، ومن تبعهم بإحسان.

ومن عُرف أنه أراد رده عليهم التنقيص والدم وإظهار عيب^(٣)؛ فإنه يستحق أن يقابل بالعقوبة؛ ليرتدع هو ونظروؤه عن هذه الردة ثم لمحرمة أقول:

هذا هو منهج الله الذي شرعه في كتبه وعلى السنة رسده، وهو توصيح دين الله عقيدة وعبادة وأحكاماً بالحجج والبراهين والجد في إيضاح ما يضاده في أي جانب من جوابه دق أو جمل مهما كان مصدر هذه المضادة والمخالفة طالحين أو صالحين، ولو كانوا أئمة مجتهدين فكيف بالمتدعين ولصالحين الجاهلين الأفاكين.

وعلى هذا المهج سار علماء الإسلام وأئمة وأعلامه من فجر تاريخ الإسلام إلى يومنا هذا حماية للإسلام وذباً عن حياضه.

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٢١)، وأبو داود في الأدب رقم (٤٨٨١)، والترمذي، وأبو يعنى في مسنده برصدة

حسن

«نظر التعديق عليه (ص ٣٣) من الفرق بين صريحة وتعمير» لابن رجب محسني

(٢) ونحن - والله الحمد - لا نتقد في كتاباتنا كلها، لا هذه الأنواع

(٣) وهذا ما يفعله أهل الأهواء بعلماء السنة ولا سيما هذه الأيام.

وقد كان من عهود سابقة من يعارض هذا المنهج وعلى رأسهم الصوفية، ثم تلقى هذا عنهم غلاتهم وملاحدثهم، كما مر بك من كلام الإمام ابن القيم، ثم رفع راية هذه المعارضة أهل الفتن والتحزب المقيت في هذا العصر وطوروا هذه المعارضة ودعموها بطرق وأساليب مأكرة لا يعرفها حتى غلاة الصوفية ومنها:

١ الحملات الشعواء، الأكديب والشائعات على من يرد صلاوات زعمائهم، الباطلة ولو كانت طعم في الأنبياء أو الصحابة، ولو كانت إلحاداً كالحلول ووحدانية الوحود وتفسوا جداً في شر هذه الشائعات والحرب، واستخدموا في إشاعتها وتعميمها كل الوسائل والطرق من الأشرطة والكتب إلى شبكات الإنترنت لتصل لكل أحد.

٢ كل هد لصره، بطل وأهمه، ويسقاط لحق وأهله، وإسقاط هذا المنهج العظيم الذي يرفع راية الحق ويسقط راية الباطل، ومن هنا ركروا على إسقاط عمنه؛ لأن إسقاطهم يسقط المنهج على الطريقة الماسونية «إد، أردت إسقاط فكرة فعليك بإسقاط رجالها».

٣ إلص أنفسهم لباس السلفية، والتشث بهذا الاسم، والاستماتة في ادب عمن يلبسه ولو كان عنده أقل نسبة من السلفية يتظاهر بها للمخداع والمكر والكيد.

٤ دعوى التأصيل، وما أدراك ما دعوى التأصيل، إنه القذف بالأصول الباطلة لحماية أهل البيع والمُحاماة عن بدعهم وصلالاتهم، ولصرب أصول أهل السنة وإسكات أهل الحق، ولمحادعة الشباب الغر الذي يتمي إلى المسيح السفى، ثم الاستيلاء على عقولهم ومشاعرهم؛ ليكونوا في الأخير حنذاً لهم يوالون ويعادون من أجلهم ومن أجل أبائيلهم المعنفة بالتأصيل وبالسلمية

وإنني لأدعو أهل السنة علماء ودعاة إلى الحق بأصحين ومؤهلين إلى الاهتمام بهذا المنهج العظيم والنهوض به كما نهض به أسلافهم الكرام، لأنه منهج الله ومنهج رسله الكرام، ومنهج أئمة الإسلام.

وبالنهوض به يصهر دين الله الحق، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة أهل

الكفر وأهل البدع والضلال هي السفلى .

وبإهماله والتقصير فيه يتفش ويتشر الباطل في مشارق الأرض ومغاربها ،
كما حصل في العصور التي أقبل فيها هذا المنهج أو حصل التقصير فيه والإحلال
له ، حتى يأتي الله بمن ينهض بهد لمنهج فيظهر الله بهم الحق كما حصل ذلك
لإمام ابن تيمية وتلاميذه ، ثم بعد قرون للإمام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه ،
وعبرهم ممن يظهر الله على أيديهم الحق .

واليوم قد استفحل أمر أهل الضلال وأمر أهل الإلحاد وعزوا أهل السنة في
عقر دارهم وحققوا كثيراً من أهدهم في كثير من شباب أهل السنة .

وعليه : فلا بد من الهوض بهذا المنهج لندي علي الحق ، ويزيل الباطل أو
يدله ، وبه تعود الأمة أو يعود منهم من أراد الله به خيراً إلى الكتاب والسنة ، وإلى ما
كان عليه السلف الصالح .

نسأل الله أن يوفق علماء السنة لما يحب ويرضى ، ولم يقود الأمة إلى شاطئ
الهلكة ، وأن يجمع كلمتهم وكلمة الأمة على الحق ، ويسميع الدعاة
وصلى الله وسلم على نبي محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدهلي

في ١٧ جمادى الآخرة من عام ١٤٢٤هـ

دراسة أقوال العلماء في حديث: «أرحم أمتي...»

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالحامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه:
أما بعد:

فإنه قد اختلف أهل العلم بالحديث في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر...» الحديث.

فقسم منهم يرى أنه صحيح متصل إلى رسول الله ﷺ.

وقسم يرى أنه مرسل إلا قول النبي ﷺ: «إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة» على تفاوت في عرضهم.

وسوف أدرس طرق هذا الحديث ثم أبين ما يظهر لي أنه الصواب من الوصل أو الإرسال في ضوء هذه الدراسة وما تقوم عليه من أدلة.

والله أسأل أن يرزقني الإنصاف والصدق والإخلاص في القول والعمل وأن يثبتني على ذلك إن ربي لسميع الدعاء.

كتبه:

ربيع بن هادي عمير المدخلي

من أبرز العلماء الذين حصل منهم أو نسب إليهم توجيه الإرسال على الوصل

الأول: الحافظ أبو بكر الخطيب رحمته الله في كتابه «المصل للوصل، المدرج في النقل»، (٢/ ٦٧٦):

قال رحمته الله: أخبرنا الحسن بن أبي بكر: أنا عثمان بن أحمد الدقاق: نا الحسن بن سلام: نا قبيصة بن عقبة: نا سفيان الثوري، عن خالد الحذاء^(١) وعاصم^(٢) وأخبرنا أبو بكر البرقاني وبشرى بن عبد الله الرومي قالا: أنا محمد بن جعفر بن الهيثم البتدار: نا جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ: نا قبيصة بن عقبة: نا سفيان، عن خالد وعاصم، عن أبي قلابة^(٣)، عن أس قال:

قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله صر، وأصدقها حياء عثمان، وأفرضهم زيد، وأقرؤهم أبي، وأعلمهم بالحلال والحرام

(١) خالد الحذاء: قال الذهبي في (الكاشف) «خالد بن مهران البصري أبو نزار الحذاء الحافظ عن أبي عثمان النهدي ويبريد بن الشخير وعنه شعبة وابن عليّة ثقة يدم ترمي (١٤١) ع» وقال الحافظ في (التقريب) «وهو ثقة يرسل من العاصمة، أشار حماد بن زيد أن حفظه تغير لما قدم من الشام ع»

(٢) عاصم هو بن سليمان الأحول، قال الذهبي في (الكاشف) «عاصم بن سليمان أبو عبد الرحمن البصري الأحول الحافظ عن عبد الله بن مرجس وأس وعمرو بن سدة وعنه شعبة وابن عليّة ويبريد، قال أحمد، ثقة من الحفاظ مات (١٤٢) ع».

وقال الحافظ في (التقريب) «عاصم بن سليمان، أبو عبد الرحمن البصري، ثقة من الرابعة، لم يتكلم فيه إلا النقص فكانه سب دخوله في الولاية، مات بعد سنة أربعين ع»

(٣) أبو قلابة قال الذهبي في (الكاشف) «عبد الله بن زيد أبو قلابة لجرمي من أمة، تابعين حديثه عن عمر وأبي هريرة وعائشة ومعاوية وسمره في أس السائي» وثلك مرسل وعن ثابت بن الضحاك ومالك بن الحويرث وأس وذلك في الصحاح وعنه قتادة ويحيى بن أبي كثير وأيوب وخلق هرب من لقضاء فسكى دريا ترمي (١٠٤) وقيل (١٠٧) ع» وقال لعلاني بعد أن ذكر عدداً ممن أرسل عنهم «نعم رويته عن مالك بن الحويرث وأس بن مالك وثابت بن الضحاك متصفاً، وهي في الكتب، شعبة

وور الحافظ فيه «ثقة دخل كثير الإرسال قد العجبي فيه يصح يسر من ثالثة، مات بالشام هارباً من القضاء مات سنة أربع ومائة، وقيل بعدها ع».

معاذ بن جبل ، وإن لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح .
كذلك روى هذا الحديث قبصة بن عقة ، عن سفيان الثوري ، عن خالد
الحذاء وعاصم الأحول فانمرد بتحويده والجمع فيه بين خالد وعاصم
وخالفه وكيع بن الجرح وعبيد الله الأشجعي وقطة بن العلاء فروضة عن
الثوري عن خالد وحده عن أبي قلابة عن أنس .

ورواه عن خاتم كذلك عبد الوهاب الثقفي ووهيب بن خالد وعمر بن حبيب
القاضي ورواه مَعْلَى بن عبد الرحمن عن سفيان الثوري عن خالد عن أبي قلابة عن ابن
عمر عن النبي ﷺ ورواه في هذا القول .

ولم يكن أبو قلابة يسند جميع المتن وإنما كان يرسله^(١) غير ذكر أبي عبيدة وحده ،
فإنه كان يسنده عن أنس عن النبي ﷺ .

روى ذلك عن خالد الحذاء عن أبي قلابة ، سماعيل بن عليّة ميثم مفضلاً وميز
المسند من المرسل بعد أن ساقه سياقة واحدة ، ورواه حماد بن زيد ومعمر بن راشد
ذكر أبي عبيدة وكذلك رواه أبو قحزم لسمر بن معبد عن أبي قلابة عن النبي ﷺ
مرسلاً .

وقد أفرد شعبه بن الحجاج في روايته عن خالد الحذاء عن أبي قلابة المسند من
هذا الحديث فقط في ذكر أبي عبيدة .

وروى عن سعيد بن أبي عروبة وعن معمر بن راشد عن قتادة عن أنس عن النبي
ﷺ الحديث بطوله ، فأما سعيد فلا أعلم رواه إلا محمد بن حميد الرازي عن مهران
بن أبي عمر عنه ، وأما معمر فاختلف عليه فيه فأسنده عنه ووصفه داود بن عبد
الرحمن العطار وأرسله عنه عبد الرزاق بن همام^(٢) .

أقول : في إستاد هذا الحديث عن سعيد بن أبي عروبة محمد بن حميد
الرازي : وثقه ابن معين وجعفر الطيالسي .

(١) في هذا القول نظر فقد جاء مسنداً من طرق صحيح

(٢) رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة وأبي قلابة مرسلاً كما في «مصنف عبد الرزاق»

وقال البخاري : «فيه نظر»

وقال النسائي «ليس بثقة واتهمه بعضهم بالكذب».

وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» «ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه».

وانظر «الكاشف» للذهبي

وفي الإسهاد مهراول بن أبي عمر قال الحافظ في «التقريب» : «صدوق له أوهام مبيء الحفظ».

وقال الذهبي في «الكاشف» : «فيه ليس ووثقه أبو حاتم»

وقال ابن معين «كان شيخاً مسلماً كتب عنه وكان عنده غلط كثير في حديث سفيان» الجرح والتعديل (٨ / ٣٠١).

قال الخطيب فأما حديث وكيع عن سفيان عن خالد الحذاء فأخبرناه الحسن بن علي تميمي أنا أحمد بن جعفر بن حمدان : نا عبد الله بن أحمد : حدثني أبي : نا وكيع ، عن سفيان ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدّها في دين الله عمر ، وأصدقها حياء عثمان ، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأقرؤها لكتاب الله أبي ، وأعلمها بالمرايض زيد بن ثابت ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

وأما حديث الأشجعي عن سفيان بمتابعة وكيع فأخبرناه الحسن بن أبي طالب نا عبد الواحد بن عبي : نا الحسين بن إسماعيل : نا يعقوب الدورقي نا خلف بن الوليد نا الأشجعي ، عن سفيان ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن أنس نحوه ما تقدم.

وأما حديث قطرة بن العلاء عن سفيان مثل ذلك فأخبرناه أبو الحسن عبي بن يحيى بن محمد بن جعفر الإمام نا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني : نا القاسم بن محمد ، لدلال الكوفي نا قطرة بن العلاء بن المنهال العموي : نا سفيان الثوري ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «أرحم أمتي

بأمتي أبو بكر، وأشهدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأفرضهم زيد ابن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

أقول: حديث سميان صحيح من طرق ولا يصره الكلام في قطعة من العلماء.
قال الخطيب: وأما حديث عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء بموافقة هذه الروايات عن الثوري عن خالد.

فأخبرناه أبو سعيد محمد بن الفضل بن شاذان الصيرفي قال: أما أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني الحافظ: ثنا أبو عبد الله محمد بن نصر لمروري. نا أبو بكر بن خلاد الباهلي نا عبد الوهاب الثقفي نا خالد، عن أبي قلابة عن أس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشهدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أميًا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن إبراهيم بن عروة النذاري: أما محمد بن عبد الله لشافعي: نا إبراهيم بن هاشم نا محمد بن عبد الله الأزدي: نا عبد الوهاب الثقفي، عن خالد بإسناده... نحوه.

أقول: إن حديث عبد الوهاب الثقفي صحيح من طرق كثيرة صحيحة وستأتي.
قال الخطيب: وأما حديث وهيب، عن خالد مثل حديث الثقفي عنه

فأخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل القطان. أنا حامد بن محمد الهروي نا علي بن عبد العزيز، وأخبرناه الحسن بن أبي الحسن المؤدب - واللفظ له: أنا أحمد بن جعفر القطيعي نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي قال: نا عفان نا وهيب. نا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشهدهم في دين الله عمر - قال عبد الله: قال أبي: وقال عفان مرة: في أمر الله عمر - وأصدقهم حياء عثمان، وأفرضهم زيد ابن ثابت، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن

جبل، إلا وإن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

أقول: في حديث وهيب بن خالد صحيح من طرق صحيحة وستأتي.

قال الخطيب: وأما حديث عمر بن حبيب، عن خالد مثل ذلك أيضاً

فأحبريه الحسن بن محمد بن الحسن لخلال، نا محمد بن إسماعيل لوراق وأحمد بن إبراهيم بن الحسن قالا: نا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن لحداء: نا شاذان بن إبراهيم نا عمر بن حبيب العدوي القاضي نا خالد لحداء، عن أبي قلابة، عن أسد بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر الصديق، وأقواها في دين الله عمر، وأشدّها حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

أقول: في إسناد هذا الحديث عمر بن حبيب القاصي المصري «ضعيف» التقريب.

وقال الذهبي في «الميزان» (٣/ ١٨٤): «كذبه ابن معين وقل النسائي وغيره «ضعيف» وقال البخاري: «يتكلمون فيه». وقال ابن عدي «حسن الحديث مع ضعفه».

وكأن الذهبي مال إلى هذا الرأي واختاره، نظر الكاشف فعلى رأي غير ابن معين يصلح للمتابعة.

قال الخطيب: وأما حديث مَعْلَى بن عبد الرحمن، عن سفين الذي وهم فيه فرواه عنه، عن خالد، عن أبي قلابة، عن ابن عمر.

فأحبرنيه أبو القاسم الأزهري نا علي بن عمر الحافظ نا القاسم بن إسماعيل أبو عبيد وعبد الله بن محمد بن إسحاق المروزي قالا: نا حلف بن محمد ابن خلف بن محمد بن عيسى: نا مَعْلَى بن عبد الرحمن: نا سفیان، عن خالد لحداء، عن أبي قلابة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدّهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالفرائض زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل،

وإن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

أقول: إنَّ مُعَلَّى بن عبد الرحمن متهم بالكذب والرفض. كما في «التقريب»
قال الخطيب: وأما حديث إسماعيل بن علية، عن خالد الذي بين فيه لمسند
من المرسل وفصل بينهما.

فأخبرناه القاصي أبو القاسم علي بن المحسن التوخي: نا علي بن محمد بن
أحمد الوراق: نا زكريا بن يحيى الساجي: نا أبو الربيع الزهرابي: نا إسماعيل بن
عليه: نا خالد الحذاء، عن أبي قلابة قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي
أبو بكر، وأشدّهم في دينه عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال
والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، قال: وقال أس: قال رسول الله
ﷺ: لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

أقول: علي بن المحسن التوخي قال فيه الخطيب في تاريخه (١٣ / ٦٠٤):
«كان متحفظاً في الشهادة صدوقاً في الحديث».

وفي لسان الميزان (٤ / ٢٥٢): «قال ابن خيرون: «كان رأيه الرفض
والاعتزال». وقال شعاع الذهبي: «كان يتشيع ويذهب إلى الاعتزال».
وعلي بن محمد بن لؤلؤ الوراق وثقه الأزهرى وغيره.
وقال البرقاني: «كان يأخذ على الرواية، وكان رديء الكتاب».

وقال ابن أبي الفوارس: «كان ثقة إن شاء الله وكان فيه قليل تشيع، وكان قليل
الفهم في الحديث كثير الخطأ» [لسان الميزان (٤ / ٢٥٦) رقم (٦٩٨)].

ثم وجدت حديث ابن علية في مصنف ابن أبي شيبة (٦ / ٣٤٩) قال: حدثنا
ابن علية، عن خالد، عن أبي قلابة قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي
أبو بكر». وهذا إسناد صحيح إلى أبي قلابة.

قال الخطيب (٢ / ٦٨٣): وأما حديث حماد بن زيد، عن عاصم الأحول،
عن أبي قلابة الذي أرسل جميعه وأدرج فيه ذكر أبي عبيدة

فأخبرناه أبو بكر البرقاني: أنا أحمد بن جعفر بن حمدان: نا إدريس بن عبد

الكريم المقرئ: نا حلف بن هشام الرازي: نا حماد بن زيد، عن عاصم، عن أبي قلابة أن النبي ﷺ قال «إن أرحم الناس بالناس أو - إن أرحم أممي أبو بكر - ، وإن أقواهم في دين الله عمر، وإن أصدقهم حياء عثمان، وإن أقرأهم أبي بن كعب، وإن أفرضهم زيد بن ثابت، وإن أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أميناً، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح».

أقول: وقع في هذا الحديث وهم من أحد رجال هذا الإسناد بإدراج فضيلة أبي عبيدة في آخر هذا الحديث وحصل فيه شك من بعض الرواة.

ولعل ذلك من أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، فقد قال فيه الذهبي في «الميزان» (١ / ٨٧): «صدوق في نفسه مقبول تغير قليلاً».

والمعروف أن ابن المذهب روى عنه مسند الإمام أحمد قبل أن يتغير. قال الخطيب. وأما حديث معمر، عن عاصم بموافقة حماداً على هذه الرواية.

فأحبرناه علي بن محمد بن عبد الله المعدل: أنا إسماعيل ابن محمد الصفار: نا أحمد بن منصور الرمادي: نا عبد الرزاق: أنا معمر، عن عاصم بن سليمان، عن أبي قلابة قال معمر: وسمعت قتادة يقوله أيضاً قال: «أرحم أممي بأممي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأمين أممي أبو عبيدة بن الجراح، وأعلم أممي بالحلال والحرام معاذ، وأقرأهم أبي، وأفرضهم زيد قال قتادة في حديثه: وأقضاهم علي».

أقول: رجال إسناد هذا الحديث كلهم ثقات.

أحمد بن منصور الرمادي وصفه الذهبي في «الكاشف» بالحافظ، وقال الحافظ ابن حجر في «التحريب» «ثقة حافظ طعن فيه أبو داود لمذهبه في الوقف». وإسماعيل الصفار وثقه الدارقطني، انظر تاريخ بغداد (٦ / ٢٩٩-٣٠٠).

وعلي بن محمد المعدل قال فيه الخطيب: «كتبنا عنه وكان صدوقاً ثقة ثبتاً» [تاريخ بغداد (١٢ / ٩٧-٩٨)] وبقيّة رجاله أئمة ثقات.

لكن جاء في هذه الطريق في الفصل للوصل زيادة «وأقضاهم علي» والحديث

في «مصنف عبد الرزاق» من طريق معمر به وليس فيه هذه الزيادة، قاله أعلم ممن وقع هذا الوهم ولعله من الصغار أو المعدل.

قال الخطيب: وأما حديث أبي قحزم، عن أبي قلابة مثل هذا.

فأخبرني أبو الحسن محمد بن عبد الواحد: أنا عمر بن محمد بن علي، الناقد نا محمد بن القاسم بن هاشم البزار نا أبي: نا كثير بن هشام نا أبو قحزم، عن أبي قلابة أن رسول الله ﷺ قال: «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدّهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لما أنزل الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، - وذكر كلمة معناها: وأعلمهم بالفرائض زيد بن ثابت - وإن لكل أمة أميناً، وإن أمين أمتي أبو عبيدة بن الجراح».

أقول: في إسناده هذا الحديث أبو قحزم النضر بن معبد، ذكره ابن حبان في الثقات وضعفه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٩١) وضعفه ابن عدي، وروي، عن ابن معين أنه قال: «أبو قحزم ليس بشيء». وقال: قال النسائي: «ليس بثقة». وذكر له ابن عدي بعض الأحاديث المنكرة. [الكامل (٧/ ٢٤٩٠)].

قال الخطيب: «وأما حديث شعبة، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة المقصور على المسند فقط».

فأخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن إبراهيم بن عروة البندار: أنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي: نا إبراهيم بن عبد الرحيم بن دنوقا: نا عفان.

قال الشافعي: ونا إسماعيل بن إسحاق بن مسلم بن إبراهيم قال: ونا محمد بن يونس نا يحيى ابن كثير أبو غسان قالوا: نا شعبة: أنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس أن النبي ﷺ قال: «لكل أمة أمين وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

أقول: هذا المتن صحيح ثابت اتفق عليه الشبخان وأخرج من وجوه كثيرة صحيحة، بل كاد ابن عساكر أن يدعي له التواتر.

قال الخطيب: وأما حديث سعيد بن أبي عروبة الذي رواه عنه مهرا بن أبي عمر فأخبرنا عبد الله بن علي بن محمد القرشي: أنا أبو جعفر محمد بن الحسن

«بن علي اليقطيني: ثنا علي بن أحمد الجرحاني حدث محمد بن حميد: ثنا مهران، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأشدهم حياء عثمان، وأفرضهم زيد، وأقروهم أبي، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وإن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

أقول: في إسناد هذا الحديث محمد بن حميد الرازي وثقه بعضهم وضعفه جماعة بل اتهمه بعضهم بالكذب، وفيه مهران فيه لين.

قال الخطيب: وأما حديث داود بن عبد الرحمن العطار، عن معمر المواق لهذه الرواية، عن قتادة، عن أنس فأخبرناه الحسن بن علي الجوهري: أنا محمد بن زيد بن علي بن مروان الأنصاري: نا محمد بن الحسين الأشاشي.

وأخبرني علي بن أبي علي المصري نا أحمد بن علي بن محمد بن الجهم الكاتب: نا محمد بن جرير الطبري قالا: نا سميان بن وكيع نا حميد بن عبد الرحمن، عن داود العطار، عن معمر، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد، وأقروهم أبي، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

أقول: في إسناد هذا الحديث سميان بن وكيع، قال الحافظ ابن حجر: «كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنصح فلم يقبل فسقط حديثه». وقال الذهبي في «الكاشف»: «ضعيف».

قال الخطيب: وأما حديث عبد الرزاق، عن معمر المرسل الذي لم يذكر في إسناده أنساً فأخبرناه القاسي أبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد الحرشي: نا أبو محمد حاجب بن أحمد الطوسي: نا محمد بن حماد: نا عبد الرزاق: نا معمر قال سمعت قتادة يحدث، عن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأفضاهم علي، وأصدقهم حياء عثمان، وأمين أمتي أبو عبيدة ابن الجراح، وأعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ، وأقروهم أبي،

وأفرضهم زيد بن ثابت».

ورسالة هذا الحديث، عن معمر، عن قتادة أصبح من إيصاله فأما حديث أبي قلابة والصحيح منه المسند المتصل ذكر أبي عبيدة حسب وما سوى ذلك مرسل غير متصل، والله أعلم.

أقول حديث معمر في «مصنف عبد الرزاق» (١١ / ٢٢٥) رقم (٢٠٣٨٧) وإسناده في «المصنف» صحيح إلا أنه قرن بين قتادة وأبي قلابة، فهل حصل وهم في هذا الإسناد وممن حصل؟

الثاني: الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني رحمته الله

سئل رحمته الله كما في كتاب «العلل» (١٢ / ٢٤٨ ٢٤٩)، عن حديث أبي قلابة، عن أنس: قال رسول الله ﷺ: «خير امتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقروهم أبي، وأفرضهم زيد، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»

فقال: يرويه خالد الحذاء وعاصم الأحول، واختلفت عنهما:

فأما حديث خالد الحذاء، فرواه إسماعيل بن علية، عن خالد، عن أبي قلابة مرسلًا.

واختلف، عن الثوري:

فرواه قبيصة، عن الثوري، عن خالد، (وعاصم)، عن أبي قلابة، عن أنس. وخالفه مقلد بن عبد الرحمن، فرواه، عن الثوري، عن عاصم، عن أبي قلابة، عن ابن عمر.

وعن خالد، عن أبي قلابة، عن أنس.

ورواه وكيع، عن الثوري، عن خالد، عن أبي قلابة، عن أنس.

ورواه ابن عينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، عن عاصم، عن أبي قلابة مرسلًا.

ورواه أبو قحزم: النضر بن معبد، عن أبي قلابة مرسلًا أيضًا.

وروى شعبة من هذا الحديث كلمة، وهي فضيلة أبي عبيدة بن الجراح- خاصة-، عن خالد، عن أبي قلابة، عن أنس.

واختلف، عن شعبة في ذلك:

وقيل: عن سليمان بن حرب، عن شعبة، عن ثابت، عن أنس
وقيل: عن أبي علي: عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي، عن شعبة، عن عاصم
الأحول، عن أنس.

وقيل: عن أبي عمر (لحوضي)، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس.

وأصحها عن شعبة، عن خالد، عن أبي قلابة، عن أنس. اهـ

أقول:

١- سيأتي الكلام على إسناد رواية إسماعيل بن علي وبيان حالها.

٢- ذكر الدارقطني هذا الخلاف على سفيان ولم يرجح رواية على أخرى، رد
على ذلك أنه لم يذكر رواية عبيد الله الأشجعي، ولا رواية قطبة بن العلاء،
ولا رواية يحيى بن اليمان أبو اليمان كما في السنة لابن أبي عاصم (٥٧٣ / ٢) رقم
(١٢٨١) ولا رواية محمد بن عبد الله الأسدي كما في الطبقات لابن سعد (٢ /
٣٥٩) حيث روى فضيلة زيد بن ثابت في ترجمته و(٥٨٦ / ٣) حيث ذكر فضيلة معاذ
في ترجمته و(٣٨٨ / ٧) من الطبقات فضيلة معاذ أيضًا في كل هذه المواطن، عن
سفيان، عن خالد ومحمد بن عبد الله الأسدي صدوق.

٣- لم يذكر رواية وهيب بن خالد ولا رواية عبد الوهاب الثقفي كلاهما، عن
خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس بهذا الحديث مرفوعاً.

٤- ذكر رواية ابن عيينة ورواية حماد بن سلمة وحماد بن زيد وذكر أنها مرسلة
ولم يذكر لها أسانيد.

وقد وجدنا رواية ابن عيينة في كتاب «العيال» لابن أبي الدنيا (٤٢١ / ١) رقم
(٢٥٢) وسيأتي نصها.

وأما رواية حماد بن زيد فقد ذكرها الخطيب في «الفصل المدرج في النقل»

وسياتي الكلام عليها .

٥- فتحصل لنا من كلام الدارقطني أن الخلاف واقع بين إسماعيل بن عليّة وبين بن عيينة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد فيمن هو الراوي، عن أبي قلابة فإسماعيل بن عليّة يقول: عن خالد، عن أبي قلابة مرسلًا وابن عيينة والحمادان يقولون: عن عاصم، عن أبي قلابة مرسلًا فهذا اختلاف بين رواية الإرسال له أثره . وأيد ابن عليّة أبو قحدم فرواه، عن أبي قلابة مرسلًا ولكن ابن قحدم ضعيف والناظر في كلام الدارقطني يتبادر إلى ذهنه أن الإرسال هو الراجح لأنه لا يقابل رواته على كثرتهم إلا سفيان الثوري .

وقد اختلف عنه الرويان للذان ذكرهما الدارقطني ألا وهما وكيع وقيصة فيظهر له ضعف جانب الوصل أكثر .

لكن إذا ضمنا إلى سفيان الثوري حافطين ثقتين من أصحاب خالد الحذاء وهما من أهل لبصرة بلد الحذاء ألا وهما عبد الوهاب الثقفي ووهيب بن خالد الباهلي؛ يتبين لنا رجحان الوصل خاصة إذا عدنا أن هناك رواية، عن سفيان تابعوا وكيعًا في الرواية، عن سفيان، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس، عن النبي ﷺ، ألا وهم عبيد الله الأشجعي وقطة بن العلاء وقيصة بن عقبة ومحمد بن عبد الله الأسدي كلهم رووا هذا الحديث، عن سفيان الثوري، عن خالد الحذاء به، فإذا أضفنا إلى ذلك أن المرسلين قد اختلفوا فيما بينهم كما أسلفنا ازدادنا قناعة بـ رجحان الوصل على الإرسال لاسيما وأسايد هؤلاء الثلاثة الحفاظ الأثبات^(١) صحيحة من طرق وردت في عدد من دواوين السنة المعتمدة، كـ «سنن الترمذي» و«سنن النسائي» و«مسند الإمام أحمد» و«صحيح ابن حبان» وغيرهما .

بينما نرى روايات المرسلين على أصناف منها الصحيح وهما رواية إسماعيل بن عليّة حيث وردت في مصنف ابن أبي شيبة .

ورواية معمر التي وردت في مصنف عبد الرزاق كلاهما، عن خالد الحذاء،

(١) وهم سفيان، الثوري ووهيب بن خالد وعبد الوهاب الثقفي .

عن أبي قلابة مرسلًا، وزيد في رواية معمر قتادة مع أبي قلابة وباقي روايات الإرسال تتراوح بين الضعيف وبين ما لا يوجد له إسناد كما سيأتي توضيح ذلك كله إن شاء الله.

وهناك أمر آخر: وهو أنه عند الواصلين زيادة من ثقت ودا كان هذا هو حال روايات الوصل والإرسال فلا يبقى عند الناظر لبصير أدنى شك في رجحان الوصل على الإرسال.

ثم ذكر الدارقطني رواية شعبة في فضيلة أبي عبيدة وذكر اختلاف أصحابه ثم رجح إحداهما بقوله: وأصحها شعبة، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس.

وهذا الترجيح خاص برواية شعبة فيما يتعلق بفضيلة أبي عبيدة.

وأما بالنسبة لحديث «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر» . . . الحديث، فقد ذكر أوجه الاختلاف ولم يرجح أي وجه منها لا في الاختلاف بين أصحاب خالد وعاصم ولا في الاختلاف بين أصحاب سفيان الثوري.

مع أن الرجح من روايات أصحابه وروايات الوصل التي وردت من طريق وكيع والأشعبي ومن تابعهما ممن أسلفنا ذكره.

وإذن فلا يستطيع المنصف بعد هذا أن يعد الدارقطني ممن رجح الإرسال على الوصل في هذا الحديث المبارك إلا ما ذكره من ترجيح بين أصحاب شعبة.

الثالث: الحافظ ابن عبد الهادي رحمته الله. في رسالة له سُمِّيَتْ بـ: «الكلام على حديث «أفرضكم زيد»» ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن عبد الهادي تحقيق أبي عبد الله حسين بن عكاشة من (ص ٥١-٨١) ضمن هذا المجموع.

ساق رحمته الله حديث سفيان من طريق وكيع عنه، وساق حديث وهيب من طريق عفان عنه وعزاهما إلى مسند أحمد رحمته الله.

وساق حديث عبد الوهاب وسفيان أيضًا من سنن ابن ماجة بإسناديهما ثم ساق حديث عبد الوهاب بإسناده من سنن الترمذي، ثم قال: قال الترمذي حسن صحيح.

ثم خرج حديث وهيب وعبد الوهاب الثقفي بإسناديهما من «سنن النسائي».

وخرج حديث عبد الوهاب من المستدرک للحاکم، ثم قال: هو على شرط الشيخين (ص ٥١-٥٢) ولم يناقش أسانید هذه الروایات.

ثم نقل کلام البيهقي على هذه الروایات من (ص ٥٣-٥٥) من المجموع المذكور ولم يعلق عليه بشيء.

ثم قال في (ص ٥٥): «وقد اختلف العلماء في هذا الحديث قديماً وحديثاً فقال بعضهم: الصحيح أنه مرسل، وقال بعضهم هو منقطع لم يسمعه أبو قلابة من أنس والصحيح منه ذكر أبي عبيدة».

أقول: ولم يذكر ابن عبد الهادي من صححه من العلماء في هذه الخلاصة وسوف يأتي ذكرهم إن شاء الله.

وذكر قول ابن عبد البر في «الاستيعاب» «أن أكثر الرواة رَوَوْهُ مرسلًا».

أقول: إن کلام ابن عبد البر فيه إجمال لم يصرح فيه بِرُحْطَان الإرسال على الوصل.

ولا يُدرى هل درس ابن عبد البر أحاديث الوصل والإرسال دراسة نقدية أو لا، ولو فرضنا أنه بهذا الكلام يرجح روايات الإرسال على الوصل فهل سبر غورها وهل درس روايات الوصل دراسة وافية، إنني لأستبعد ذلك، وما يؤيد ما أقول أنا قد رأيت يحتاج ببعض طرق هذا الحديث في كتابه الاستيعاب نفسه حيث قال فيه (١/ ١٢٧-١٢٨): «وقد وصف رسول الله وجوه أصحابه وخُلَلاهم بِخُلَلاهم لِيُقْتَدَى به فيهم بمثل ذلك».

وفيما رواه شيخنا عيسى بن سعيد بن سعدان المقرئ قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال: حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدث محمد بن عبيد بن ثعلبة العامري بالكوفة قال: حدثنا عبد الحميد بن عبد الرحمن أبو يحيى بن يحيى الحمادي قال: حدثنا أبو سعيد الأعور يعني: البقل وكان مولى لحديفة - قال: أخبرنا شيخ من الصحابة يقل له: أبو محجن أو محجن بن فلان قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَرَأَفَ أَمَنِي بِأَمَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَقْوَاهَا فِي أَمْرِ دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهَا حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهَا عَلِيٌّ، وَأَقْرَأُهَا أُتَيْيٌّ، وَأَفْرَضُهَا زَيْدٌ،

وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

وروى عفان بن مسلم قال أخبرنا شعبة ووهيب - واللفظ لحديث وهيب - قال: حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر...». فذكر مثله إلا أنه لم يذكر «وأقضاهم علي» وروى حماد بن زيد، عن عاصم، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «أرحم الناس بالناس». أو قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر الصديق». فذكر مثله سواء إلى آخره.

وروى يزيد بن هارون قال حدثنا مسلم بن عبيد، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «علي أقصى أمتي، وأبي أقرؤهم، وأبو عبيدة أمينهم». ذكره الحلواني، عن يزيد بن هارون.

وروي (عن) عمر رضي الله عنه من وجوه: «علي أقضانا، وأبي أقرؤنا»

وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال: حدثنا سلام، عن زيد العمي، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بها أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأفضهم زيد، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وأبو هريرة وعاء للعلم أو قال: وعاء العلم-، وعند سلمان علم لا يدرك، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

قال أبو عمر: رضي الله تعالى عنه: «فُضِّل رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه بفضائل خص كل واحد منهم بفضيلة وسمه بها، وذكره فيها، ولم يأت عنه ﷺ أنه فُضِّل منهم واحداً على صاحبه بعينه من وجه يصح، ولكنه ذكر من فضائلهم

(١) لفظة «عن» من نسخة الاستيعاب المطبوعة على حاشية «الإمامة» لابن حجر

ما يُستدل به على مواضعهم ومنازلهم من الفصل والدين والعلم وكان ﷺ أحلم وأكرم معاشرة وأعلم بمحاسن الأخلاق من أن يواجه فاضلاً منهم بأن غيره أفضل منه فيجد من ذلك في نفسه . . . اهـ

أقول : فنرى الإمام ابن عبد البر ساق هذه الروايات في مساق الاحتجاج بها والاستفادة من معانيها .

انظر إلى قوله مهملًا لها . «وقد وصف رسول الله ﷺ وجوه أصحابه وحلائم بحلائم ليقتدى به فيهم بمثل ذلك» .

وانظر إلى قوله : «فصل رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه بفضائل خَصَّ كل واحد منهم بفضيلة وسمه بها وذكره فيها . . . إلخ .

فراه يعجزم بأن رسول الله ﷺ قد وصف أصحابه وحلائم بهذه الصفات وإن كن يدرك أن في بعض الطرق ضعفًا ، ولو كان يضعفها جميعًا لما رأينا منه هذا لاستبطاء ولعزم بسنة الحديث إلى رسول الله ﷺ

وأقول : إن نراه احتج هنا برواية وهيب ولم يحتج برواية سفيان الثوري وعدنوماب الثقفي ولو وقف عليهما أو استحصروهما لم أعفهما ولما احتج إلى جانب رواية وهيب بالروايات الضعيفة .

ثم نقل الحافظ ابن عبد الهادي كلام الإمام الدارقطني من (ص ٥٥ ٥٧) ثم علق على قول الدارقطني مرجحًا بين روايات المحتشمين على شعبة : «وأصحها شعبة، عن خالد، عن أبي قلابة، عن أنس» .

قال معلقًا : «وهذا الذي صححه الدارقطني هو الذي روه البحاري في «صحيحه» من حديث شعبة وساق إسناده شعبة إلى أنس إلى النبي ﷺ مرفوعًا»

ثم قال : «وكذلك مسلم وساقه من طريقين إلى إسماعيل ابن عتبة»

ثم قال : وقد تقدم أن بشر بن المفضل ومحمد بن أبي عدي وهما ثقتان ثبتان - روي الحديث أيضًا ، عن خالد بن حذاء ، عن أبي قلابة ، عن النبي ﷺ مرسلاً إلا ذكر أبي عبيدة . وقد نقل هذا ، بكلام ، عن البيهقي وكأنه بناء على هذا يرحح الإرسال .

ولكن يحول دون هذا الترجيح أننا لم نقف لروايتهما على إساد ولم يذكر إسنادهما لا هو ولا البيهقي.

ولم أجد لهما ذكرًا عند الخطيب ولا عند الدارقطني ولم أجد لهما ذكرًا في مصادر هذا الحديث.

وأخشى أن ذكرهما عند البيهقي جاء، عن طريق الوهم، قاله أعلم، وعلى كل حال يتوقف عندهما في الروايات المرسلة التي خالفت روايات سفيان الثوري ومن معه على وجود روايتهما ومعرفة درجتتهما.

ثم نقل كلام الخطيب السابق ذكره في هذا البحث ومنه: «وأما معمر فاحتلف عليه فيه فأسده ووصله داود بن عبد الرحمن العطار وأرسله عنه عبد الرزاق بن همام».

ثم قال الحافظ ابن عبد الهادي «ثم ساق الخطيب جميع ذلك بأسانيده وقال بعد ذلك بأما حديث أبي قلاية، فالصحيح منه المسند المتصل ذكر أبي عبيدة حسب، وما سوى ذلك مرسل غير متصل».

أقول: إن في معظم الأسانيد التي ساقها الخطيب فيها ضعف فلا تقوم أسانيد سفيان الثوري وعبد الوهاب الثقفي وهيب بن خالد.

ثم ساق ابن عبد الهادي كلام ابن عبد البر مرة أخرى مؤيداً به رأي الخطيب، وقد تقدم بيان حال كلام ابن عبد البر وبيان موقفه من هذا الحديث.

ثم قال في (٥٩-٦٠): «وقد كان شيخنا الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يتكلم في هذا الحديث، ويقول: هو حديث ضعيف قال. ولا أعلم أن زيد بن ثابت تكلم في الفرائض على عهد النبي ﷺ، بل ولا على عهد أبي بكر ولهذا لم يختلفوا في الجدة على عهد أبي بكر، وإنما وقع النزاع بينهم فيه في خلافة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولم يكن زيد معروفاً في الفرائض في خلافة أبي بكر».

أقول. رحم الله شيخ الإسلام وابن عبد الهادي.

إن الحديث صحيح بأسانيد كالجبال وما تُضعف الأحاديث الصحيحة الثابتة بمثل هذا.

فما المانع أن زيداً اهتم أكثر من غيره بآيات وأحاديث القرآن، وهي قليلة، فحفظها وتفقها فيها وأمعن النظر فيها أكثر من غيره في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد أبي بكر.

ثم إذا لم يُسلم بهذا، فما المانع أن يتحدث رسول الله ﷺ، عن مستقبل زيد رضي الله عنه.

ولشيخ الإسلام نظرة أخرى في هذا الحديث: حيث قال رحمته الله في مجموع لفتوى (٤ / ٢١٠): «وقوله: «أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل». أقرب إلى الصحة باتفاق علماء الحديث من قوله: «أقضاكم علي». لو كان مما يحتج به، وردا كان ذلك أصح إسناداً وأظهر دلالة علم أن المحتج بذلك على أن علياً أعلم من معاذ بن جبل جاهلاً.

فكيف من أبي بكر وعمر اللذين هما أعلم من معاذ بن جبل؟
مع أن الحديث الذي فيه ذكر معاذ وزيد يصعبه بعضهم ويحسنه بعضهم. وأما الحديث الذي فيه ذكر علي فإنه ضعيف» اهـ.

ثم قال ابن عبد الهادي رحمته الله: «من قيل فقد روي هذا الحديث من غير حديث أبي قلابة، عن أنس فرواه معمر، عن قتادة، عن أنس».

قال الترمذي: «حدثنا سفيان بن وكيع: ثنا حميد بن عبد الرحمن، عن داود العطار، عن معمر، عن قتادة، عن أنس، قال قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر...» الحديث.

ثم قال رحمته الله فالجواب أن مثل هذا الإسناد لا يحتج به لغرابته وضعف راويه.

قال الترمذي هو حديث غريب لا يعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه
ثم نقل كلام البخاري وأبي زرعة وأبي حاتم والسنائي وابن حبان والدارقطني في تصعيف سفيان بن وكيع.

ثم قال رحمته الله فإذا كنت هذه حال سفيان بن وكيع، وقد نفرد بهذا الحديث ولم يتابعه عليه أحد ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي عنه، ولا

رواه أحمد في «مسنده»، فكيف يجوز أن يحتج به أو يكون شاهداً لغيره، والله أعلم.

أقول: وأنا مع ابن عبد الهادي في هذا التقرير.

ولكنني أقول ما يأتي:

١ ألم تعلم أيها الإمام أن هذا الذي قررته في حديث سفيان بن وكيع ينطق على الروايات المرسلة التي رجحتها، فهي لم ترو في الكتب الستة ولا في مسند أحمد، وأكثر أسانيداً فيها ضعف، وفي بعض طرقها من وُصف بالكذب؟

٢ إن الروايات لموصولة في هذا الحديث لها ميراث على الروايات المرسلة منها:

أنها جاءت في سنن الترمذي وسنن السائي وسنن ابن ماجة، ومدارها على ثلاثة أئمة حفاظ أثبات وهم سفيان الثوري ووهيب بن خالد وعبد الوهاب الثقفي وصححها وقبلها عدد كثير من العلماء، فلماذا لم تصححها والفرق بينها وبين رواية سفيان بن وكيع كما بين الثري والثريا، كما أن الفرق بين سفيان وبين هؤلاء الحفاظ كما بين الثري والثريا.

ثم قال في (ص ٦٣): «ثم رأيت عبد الرزاق قد روى هذا الحديث، عن معمر، عن قتادة مرسلًا وهو الصواب».

وأيد كلامه بقول الخطيب: «ورسالة هذا الحديث أصح من إيصاله»

ثم ساق شواهد لهذا الحديث، عن جابر وأبي سعيد وابن عمر وأبي مححق الثقفي وشداد بن أوس و الحسن المصري من (ص ٦٤ - ٨١) ودرس أسانيداً لها دراسة نقدية وسعة تشهد بطول دأبه وسعة اطلاعه وبين ضعفها جميعاً.

ثم قال: «والأقرب في هذه الأحاديث كلها حديث أنس، ولا طهر أنه مرسل، ودقي الأحاديث في أسانيدها مقل، وبعض ألقاط الحديث صحيح ثابت متصل لا شك فيه كذكر أبي عبيدة، وبعضها ضعيف قطعاً، وبعضها مشكوك فيه ومحمّل وفيه ارتياب، والله الموفق للصواب».

أقول:

١- الحق أن حديث أنس رضي الله عنه صحيح متصل من طرق ثابتة كالجبال تدور على حفاظ كالجبال.

٢- وقوله رحمته الله: «وبعض ألفاظ الحديث صحيح ثابت متصل لا شك فيه كذكر أبي عبيدة».

أقول: بل كل ألفاظ حديث أنس المتعلقة بأبي بكر وعمر وزيد وباقي من ذكر معهم من الصحابة صحيحة ثابتة متصلة واردة في دواوين السنة المعتمدة وقد صححها عدد من الأئمة الحفاظ.

وفهم من كلامه أنه يسلم بصحة بعض ألفاظ المتعلقة بغير أبي عبيدة في حديث أنس وغيره من الأحاديث التي ضعفها.

٣ وقوله: «وبعضها ضعيف قطعاً وبعضها مشكوك فيه ومحمّل وفيه ارتياب».

أقول: هذا الكلام صحيح في غير حديث أنس من الأحاديث التي سلف ذكرها، ورحم الله الحافظ ابن عبد الهادي فما قرّره، جتهاد منه؛ أصاب في بعضه كتصنيف أحاديث غير أنس وأخطأ في تضعيف حديث أنس وهو مجتهد مأحور في صوابه وخطئه إن شاء الله.

أقول: ومما اعترض به على الروايات الموصولة من طريق سفيان الثوري ووهيب بن خالد وعبد الوهاب الثقفي رواية مُعَلَّى بن عبد الرحمن، عن الثوري، عن عاصم، عن أبي قلابة، عن ابن عمر.

وَمُعَلَّى بن عبد الرحمن، متهم بالرفض وبإلوضع فلا أثر لخلافه

فهذا حال الروايات المرسلة التي تُورِص بها الروايات المتصلة بالأسانيد الصحيحة منها ما لا يوقف له على إساد ومنها ما هي إسناده ضعف بل وأشد من الضعف.

الرابع : الحافظ البيهقي رحمته الله :

ذكر ذلك الحافظان ابن عبد الهادي والحافظ ابن حجر وقد بيّنا من كلامه على هذا الحديث أنه يصحح هذا الحديث في كتابيه السنن الكبرى والمعرفة .

الخامس : الحافظ ابن عبد البر رحمته الله :

حكى ذلك عنه ابن عبد الهادي وبينت أنه موقفين أحدهما فيه إجمال والآخر يظهر من موقفه الاحتجاج به .

السادس : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله :

ذكر كلامه ابن عبد الهادي وهو في مجموع الفتاوى وقد نقتت كلامه رحمته الله .

السابع : الحافظ ابن حجر رحمته الله :

ذكر ذلك لأح مشهور حسن في رسالته دراسة حديث : «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر» وفي قوله نظر ؛ يظهر من كلامه في الفتح أنه حاك لكلام العلماء بصيغة فيها نظر وقد ناقشته في هذه الصيغة ويظهر من كلامه في «التلخيص الحبير» أنه متوقف في الأمر فلا يرجح الوصل على الإرسال ولا العكس وقد وضحت ذلك

الثامن . الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رحمته الله : في كتابه «الإمامة والرد على الرافضة» (ص ٢٧٨) .

دراسة روايات الوصل، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس

الأولى: رواية عبد الوهّاب بن عبد المجيد الثقفي:

قال الإمام الترمذي رحمته الله:

«حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الوهّاب بن عبد المجيد الثقفي^(١) قال: حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أميًا، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» [الجامع (٦/ ١٢٧) ١٢٨] حديث (٣٧٩١) وقال الترمذي عقبه: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه السائي في الكبرى (٣/ ٣٦٣) رقم (٨٢٢٩) تحت ترجمة «زيد بن ثابت» قال رحمته الله: «أخبرنا محمد بن يحيى بن أيوب بن إبراهيم قال: حدثنا عبد الوهّاب الثقفي قال: حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر...» الحديث.

وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» كما في الإحسان (١٦/ ٧٤) رقم (٧١٣١) تحت ترجمة «ذكر البيان بأن معاذ بن جبل كان من أعلم الصحابة بالحلال والحرام».

قال رحمته الله: «أخبرنا أحمد بن مكرم بن خالد البرتي: حدثنا علي بن المديني: حدثنا عبد الوهّاب الثقفي: حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك به رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن مكرم البرتي، ذكر الخطيب المعدادي في تاريخه (٦/ ٣٩٣) وقال: حدث، عن علي بن لمديني روى عنه عبد العزيز بن جعفر الخرقى ومحمد بن إبراهيم بن نيطرا ومحمد بن إسماعيل الوراق ومحمد بن المظفر أحاديث مستقيمة.

(١) وانظر الفصل الموصل المدرج في اسفل (٢/ ٦٧٩) من طريق محمد بن نصر لمروزي عن أبي بكر بن حلاوة الباهلي عن عبد الوهّاب به.

واحتج به ابن حبان هنا في «صحيحه» وفي مقدمة المجروحين (١/ ٩)
وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» كما في الإحسان (١٦/ ٨٥-٨٦) رقم
(٧١٣٧) تحت ترجمة «ذكر البيان بأن ريد بن ثابت كان من أفاضل الصحابة» قال
أحمرنا الحسن بن سفيان، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ومحمد بن خالد بن
عبد الله ومحمد بن بشار وأبو موسى قالوا، حدثنا عبد الوهاب الثقفي، حدث
خالد، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ «أرحم أمتي بأمتي
أبو بكر...» الحديث.

الحسن بن سفيان: هو الإمام المشهور.

قال الحافظ الذهبي فيه: «الحافظ الإمام شيخ خراسان أبو العباس صاحب
المسند الكبير، لأربعين، سمع إسحاق ويحيى بن معين... وذكر باقي شيوخه [تذكره
الحافظ (٢/ ٧٠٣)] وقال في «سير النبلاء» (١٤/ ١٥٧) «الإمام الحافظ، ثبت».

وبقية رجاله أئمة ثقات غير محمد بن خالد بن عبد الله الطحاوي فإنه ضعيف،
لكنه كما تراه مقرون بثلاثة من الجبال وهم المقدمي وبن بشار وأبو موسى محمد
ابن المثنى.

وأخرجه أيضاً ابن حبان في «صحيحه» كما في الإحسان (١٦/ ٢٣٨) رقم
(٧٢٥٢) تحت ترجمة «ذكر الأخبار، عن القصد بالتخصيص في الفصيلة لأقوام
بأعيانهم».

قال رحمه الله: أحمرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: حدثنا محمد بن بشار
قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال: حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس
قال: قال رسول الله ﷺ «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر...» الحديث صحيح
رجال رجال الجماعة سوى ابن خزيمة وهو إمام حافظ وأي إمام رحمه الله

الثانية رواية وهيب بن خالد بن عجلان الباهلي البصري

أخرج حديثه السائي في السنن الكبرى (٧/ ٣٤٥) رقم (٨١٨٥) تحت ترجمته
«أبي بن كعب».

قال رحمه الله: أخبرنا أحمد بن سليمان قال: حدثنا عفان بن مسلم قال: حدثنا

وهيب قال: حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس أن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر...» الحديث.

أقول: صحيح رجاله رجال الجماعة إلا أحمد بن سليمان الرهاوي، فإنه من رجال النسائي وهو ثقة حافظ كما في «التقريب» وفي «تذكرة الحفاظ» (٥٥٩ / ٢) قال «الحافظ الثقة أبو الحسين أحمد بن سليمان محدث الجزيرة...» وكان من أوعية العلم.

ونقل عن النسائي أنه قال فيه ثقة مأمون صاحب حديث وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٨١ / ٣) من طريق عفان بن مسلم قال: حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر...» الحديث.

وأخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (ص ٢٨١) رقم (٢٠٩٦) قال حدثنا وهيب، عن خالد، عن أبي قلابة، عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: به وهذا الإسناد صحيح رجاله كلهم بصريون ثقات حافظون من رجال الجماعة إلا أبو داود الطيالسي فإنه من رجال مسلم والأربعة.

وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٢ / ٢٧٩) رقم (٨١٨) تحت ترجمة «باب بيان مشكل ما روي عنه ﷺ في قوله: «أقروهم يعني أمتي» - لكتاب الله أبي بن كعب، وأقرضهم زيد، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل».

قال: حدثنا ابن مرزوق: حدثنا عفان حدثنا وهيب بن خالد حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس به.

أقول: هذا إسناد صحيح ورجال الستة كما سلف إلا شيخ الطحاوي وهو إبراهيم بن مرزوق بن دينار الأموي البصري نزيل مصر، قال لحافظ في «التقريب»: «ثقة عمي قبل موته فكان يحطى ولا يرجع».

وقال الذهبي: صدوق.

وأورد البيهقي في «السنن الكبرى» (٦ / ٢١٠):

قال أخبرنا أبو طاهر الفقيه : أنا أبو طاهر محمد بن الحسن المحدثنا أبي ثنا أبو قلابة ثنا عفان وسهل بن بكار قالوا : ثنا وهيب ، عن خالد ، عن أبي قلابة ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «أرأيت أمتي أبو بكر ، وأشدهم في دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأفرضهم زيد ، وأقرؤهم أبي ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ ، وإن لكل أمة أميًّا ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» .

أقول سهل بن بكار أبو بشر البصري ثقة ربما وهم قاله الحافظ في «التقريب»
وقد أبو حاتم «ثقة صدوق» [الجرح والنسب (٤ / ١٩٤)] وقد الذهبي في «لسير» (١٠ / ٤٢٢) : «الحافظ الثقة أبو بشر البصري أحد البقيا»

أبو قلابة هو عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشي البصري ، قال ابن جرير ما رأيت أحفظ من أبي قلابة ، وقد أبو داود أمين مأمون كتبت عنه وقال الدارقطني «صدوق كثير يحفظ لكونه يحدث من حفظه» [مذكروا بعد (٢ / ٥٨٠)] .

وقال الذهبي في «الكشف» . «الحافظ الضعيف صدوق يخطئ» . ونقل عبارة ابن جرير السابقة .

وقال الحافظ في «التقريب» «صدوق يخطئ تغير حفظه لما سكن بغداد»
أبو طاهر المحدثنا أبي قال أبو عبد الله الحاكم في «التاريخ» «من أكره المشايخ والثقات» [الأسباب للمصنف (٥ / ٢١٧)] .

أبو طاهر محمد بن محمد أبو طاهر الريادي كان إمام أهل الحديث وفقههم ومفتيهم نيسابور بلا مدافعة [طبقات شافعية لأبي بكر أحمد بن قاضي شهة (١ / ١٩٥)]

الثالثة رواية سفيان الثوري ولها عنه طرق :

أ عن وكيع :

أخرج حديثه الإمام أحمد في المسند (٣ / ١٨٤) .

قال . حدث وكيع ، عن سفيان ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر . . .» . الحديث .

أقول: هذا إسناد صحيح رجاله كلهم رجال الستة.

وأخرجه ابن ماجه في لمقدمة في فضائل زيد بن ثابت (١ / ١٦٢) رقم (١٥٥) حدثنا علي بن محمد قال: حدثنا وكيع حدثنا سفيان، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس به.

إسناده صحيح رجاله رجال الستة غير شيخ ابن ماجه فإنه من رجال ابن ماجه وهو ثقة عابد.

وأخرجه أحمد في الفضائل (١ / ٤٤٦) رقم (٧١٦)، عن وكيع به، والخطيب في التوصل للتوصل (٢ / ٦٧٨) قال: «أخبرنا الحسن بن علي التميمي أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثني عبد الله بن أحمد: حدثنا أبي حدثنا وكيع، عن سفيان، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس قال رسول الله ﷺ «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر». . . الحديث.

وإسناده من أحمد إلى آخره رجال الستة وقد تقدم.

ب- عن عبيد الله الأشجعي:

أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٢ / ٢٨٠).

قال: حدثنا أبو أمية: حدثنا حلف بن الوليد العتكي حدثنا الأشجعي حدثنا سفيان، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ.

قال الطحاوي: مثله أي مثل حديث عفان، عن وهيب، عن خالد الحذاء الذي ساقه قبله وقل حديث قيصة قال: غير أنه قال «وأفرضها زيد وأعلمها بالحلال والحرام معاذ».

أقول: وهذا حديث إسناده حسن أو صحيح.

عبيد الله الأشجعي ثقة مأمون أثبت الكتب كتاباً، عن الثوري من رجال البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

قال الذهبي في «الكشف»: «الحافظ أبو عبد الرحمن. . . إمام ثبت كتب، عن الثوري ثلاثين ألفاً، قال ابن معين: ثقة مأمون»

وحلف بن الوليد - وثقه، بن معين وأبوزرعة وأبو حاتم [لجرح والتعديل (٣/ ٣٧١)]
وأبو أمية هو محمد بن إبراهيم بن مسلم الحراعي أبو أمية الطرسوسي قال
الحافظ: «صدوق صاحب حديث يهم».

وقال الآجري عن أبي داود: ثقة.

وقال أبو بكر الحلال ربيع القدر حدثاً كان إماماً في الحديث، مقدماً في
زمانه

وقال ابن حبان في «الثقات»: «دخل مصر فحدثهم من حفظه من غير كتاب
بأشياء أخطأ فيها فلا يعجني الاحتجاج بخبره إلا بما حدث من كتابه».

وقال الحاكم: «صدوق كثير الوهم».

وقال بن يونس: «كان من أهل الرحلة في الحديث وكان حسن الحديث»
وقال مسلمة بن قاسم: «أنكرت عليه أحاديث ولج فيها وحدث فتكلم الناس
فيه، وقال في موضع آخر روى عنه غير واحد وهو ثقة».

أقول من هو الذي أنكر عليه حتى يُعرف أمصيب هو في إنكاره أو محطى؟
نظر تهذيب التهذيب (٩/ ١٥-١٦) والظاهر أن الرجل ثقة أو قريب من ثقة
فحديثه حسن يحتمل الصحة وأما الخطأ فمن يسلم منه لاسيما إذا حدث
الرجل من حفظه ولا سيما إذا أكثر.

أقول وبقي رجال الإسناد أئمة معروفون.

ج- قبيصة بن عقبة

قال الإمام الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢/ ٢٨٠) رقم (٨٠٩) حدث
أبو أمية حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سميار، عن خالد الحذاء وعاصم، عن
أبي قلابة، عن أسد قال قال رسول الله ﷺ: فذكر مثله، غير أنه لم يذكر في
حديثه «وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب».

قوله فذكر مثله يعني مثل حديث وهيب، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة،
عن أسد، عن سبي ﷺ «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر...» الحديث

وهذا إستاذ جيد، أبو أمية تقدمت ترحمته وقيصة بن عقبة تابنت فيه أقوال أئمة الجرح والتعديل، قال ابن معين: «قيصة ثقة في كل شيء إلا في حديث سفيان؛ ليس بذلك». وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: «سئل أبو زرعة، عن قيصة وأبي نعيم فقال كان قيصة أفضل الرجلين وأبو نعيم أتقن الرحين» وقال أيضًا «سألت أبي، عن قيصة وأبي حذيفة فقال قيصة أحلى عدي وهو صدوق ولم أر من المحدثين من يحفظ ويأتي بالحديث على لفظ واحد لا يعبره سوى قيصة وأبي نعيم في حديث الثوري ويحيى الحماني في حديث شريك وعلي ابن الجعد في حديثه».

وقال إسحاق بن ميار النصيبى: «ما رأيت من الشيوخ أحفظ من قيصة بن عقبة» وقال صالح بن محمد الحافظ: «كان رجلًا صالحًا إلا أنهم تكلموا في سماعه من سفيان».

وقال الفضل بن سهل الأعرج: «كان قيصة يحدث بحديث الثوري عنى الولاء درمًا درمًا حفظ». وقال السائى: «ليس به بأس».

وقال أبو زرعة الدمشقى، عن أحمد بن أبي الحواري: «قلت للفرىابى: رأيت قيصة عند سفيان؟ قال نعم رأيت صغيرًا فذكرته لأن نمير فقال: لو حدثنا قيصة، عن النخعي لقبنا منه».

وقال هارون بن عبد الله الحمال: «سمعت قيصة يقول: جالست، لثوري وأبى ابن ست عشرة سنة ثلاث سنين».

أقول: وفي هذا رد على من يستصغره في سفيان. نظر تهذيب الكمال (٢٣)، (٤٨٨ ٤٨١)

قال الحافظ في «التقريب»: «صدوق ريم، خالف... ع. وقال الذهبي في «الكاشف»: «حافظ عابد... ع. والحاصل أن طريقه هذا، إن لم يكن صحيحًا، فحس لا سيما وقد شاركه في هذه الرواية الإمام وكيع وعبيد الله الأشجعي».

وزيادة عاصم في الإسناد لا يرد بها حديثه إنما يُؤثر خطؤه لو أسقط خالداً الحذاء من الإسناد واستبدله بعاصم أما وخالد في الإسناد كما روه غيره من الحفاظ فلا ترد روايته ويقتصر في توهيمه على إصافه عاصم في الإسناد ولا يتجاوز ذلك وإن الله يحب العدل والإنصاف.

وقال ابن أبي عاصم في «لسته» (٢ / ٥٧٤) رقم (١٢٨٢) في فضائل عثمان: «حدثنا يوسف بن موسى - حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن خالد وعاصم، عن أبي قلابه، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «أصدق امتي حياء عثمان».

أقول: في إسناد هذا الحديث يوسف بن موسى وأخته خطأ إما من ابن أبي عاصم أو من نسخ كتابه والذي يروي عن قبيصة بن عقبة إنما هو يوسف بن سعيد بن مسلم المصيصي، وقد ذكره الحري في الرواة، عن قبيصة وذكر المعزي في ترجمة يوسف بن سعيد قبيصة بن عقبة في شيوخه.

قال الذهبي فيه: «قال النسائي: ثقة حافظ».

وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: «ثقة حافظ»

وقد تقدمت ترجمة قبيصة وبقية رجال الإسناد.

وقال الإمام الحجة يعقوب بن سفيان القسوي تحت «فضل أبي بكر وعمر» (١ / ٤٨٩) حدثنا قبيصة قال: حدثنا سفيان، عن خالد وعاصم، عن أبي قلابه، عن أنس قال قال رسول الله ﷺ «أرحم امتي بأمتي أبو بكر». «الحديث

د- محمد بن عبد الله الأسدي:

قال ابن سعد في الطبقات (٢ / ٣٥٩) أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي أخبرنا سفيان، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابه، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «أعلمهم بالفرائض زيد».

وساق ابن سعد هذا الإسناد في (٣ / ٥٨٦) إلا أن متن هذا الإسناد هنا، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ «أعلم امتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل».

قال الذهبي في ترجمة محمد بن عبد الله الأسدي: «قال نزار ما رأيت أحفظ منه، وقال آخر: كان يصوم الدهر» [الكشف].

وقال الحافظ ابن حجر في «لتقريب»: «ثقة ثبت إلا أنه قد يخصص في حديث الثوري».

و- قطبة بن العلاء:

قال العمري رحمته الله في شرح السنة (١٤ / ١٣١) رقم (٣٩٣٠) - حدثنا محمد بن أحمد التميمي: أنا عبد الرحمن بن عثمان: أنا خيثمة بن سليمان: أنا أحمد بن هاشم الأمطاكي: أنا قطبة بن العلاء، أنا سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر». . . الحديث.

أقول: في إسناده هذا الحديث قطبة بن العلاء قال فيه أبو حاتم «كتبا عنه ما بلغنا إلا حير فسأله ابنه عنه فقال: شيخ يكتب حديثه ولا يحتج به»

قال ابن أبي حاتم: «سألت أبا زرعة عنه فقال: يحدث، عن سفيان بأحاديث منكورة» [الجرح والتعديل (٧ / ١٤١-١٤٢)].

وقال ابن عدي: قال البخاري قصة بن العلاء بن المهدي الغوي كوفي، عن أبيه وليس بالقوي، وذكر بن عدي أن البخاري إنما أكره عليه رواية حديث واحد، عن أبيه ثم قال: ولقطبة، عن ثوري وغيره أحاديث مقاربة وأرجو أنه لا بأس به [الكامل (٦ / ٥٣)].

وإذن فحديثه يصلح في لتتابعات وموافقة لرواية وكيع والأشجعي دليل على أنه قد حفظ هذا الحديث، عن سفيان وضبطه، ويشهد له الروايات، عن وهيب وعبد الوهاب.

- الرابعة: من روايات الوصل، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس: رواية عمرو بن حبيب، القاضي البصري وقد تقدم الكلام عليه في أول هذا البحث وقد نبأ أنه ضعيف نظر (ص ٧)، وهو على رأي بعض الأئمة يصلح في الشواهد والمتابعات.

وعلى رأي آخرين ولا سيما على قول ابن معين لا يصدق

وفي روايات الأئمة السابقين: سفيان وهيب بن خالد ومن معهم ما يكفي لإثبات أن هذا الحديث متصل صحيح.

من العلماء الذين يُرجّحون الإرسال.

- أولاً: أصرحهم: الخطيب البغدادي رحمته الله:
 فقد قل في نهاية عرض، لأحاديث بطرقها الموصول منها والمرسل قل.
 «وإرسال هذا الحديث، عن معمر، عن قتادة أصح من إيصاله».
 أقول: وهذا ترجيح منه للإرسال على الوصل.
 ثم قال: «فأما حديث أبي قلابة فلصحيح منه المسند المتصل ذكر أبي عبيدة
 حسب وما سوى ذلك مرسل غير متصل والله أعلم».
 وهذا حكم منه «لصحة حديث أس في فضيلة أبي عبيدة، وترجيح للإرسال
 على الوصل فيما يتعلق بفضائل من ذكرهم في هذا الحديث
 ثانياً الحافظ الدارقطني رحمته الله في كتابه (العلل)
 حيث ذكر الاختلاف على خالد الحذاء وعاصم الأحول، والاختلاف على
 سفيان.

وذكر من خالف الثوري والاختلاف على شعبة في فضل أبي عبيدة هل روى
 هذا الحديث، عن ثابت، عن أنس أو، عن عاصم، لأحول أو، عن قتادة، عن أنس
 أو، عن خالد الحذاء، عن أنس، ولم يرجح بالنسبة لأصل الحديث طرقاً على
 آخر.

ولم يذكر رواية وهيب بن خالد ولا رواية عبد الوهاب بن عبد المحيد، شامي،
 عن خالد، عن أبي قلابة، عن أنس، وهذا لترجيح خاص للاختلاف على شعبة
 وفي نهاية كلامه في الاختلاف على شعبة قال وأصحها شعبة، عن خالد،
 عن أبي قلابة، عن أنس.

فالظاهر أن هذا الترجيح إنما خص به الاختلاف على شعبة، والله أعلم

ثالثاً: الحافظ ابن عبد الهادي رحمته الله:

قال بعد عرضه لطرق الحديث وترجيحه للإرسال على الوصل وسوقه لكلام
 الدارقطني والخطيب - وقد تقدم ذلك -

قال: «والأقرب في هذه الأحاديث كلها حديث أس، والأظهر أنه مرسل، وباقي الأحاديث في أسانيدھا مقال، وبعض ألفاظ الحديث صحيح ثلث متصل لا شك فيه كذكر أبي عبيدة، وبعضها ضعيف قطعاً، وبعضها مشكوك فيه ومحمّل وفيه ارتياب، واللّه الموفق للصواب».

وبينّا واقع من نُسب إليهم ترجيح الإرسال وبينّا عدم الصراحة في كلامهم في هذا الأمر.



بيان بالعلماء الذين صحّحوا هذا الحديث

أقول: ممن صحّح روايات سفيان الثوري ومن معه.

أولاً: الإمام الترمذي رحمته الله:

حيث قال في حديث عبد الوهاب بن عبد المحيد الثقفي «هذا حديث حسن صحيح».

ثانياً: الإمام النسائي رحمته الله:

حيث يظهر من تصرفه أنه يصحح ما أورد من هذه الطرق.

حيث أورد رواية وهيب تحت عنوان «أبي بن كعب».

وساق عددًا من الروايات تحت هذا العنوان ومنها: رواية وهيب، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس، وأورد رواية عبد الوهاب الثقفي، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس تحت عنوان «زيد بن ثابت» كلاهما في الموضعين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر» . . . الحديث.

ثالثاً: الإمام ابن حبان رحمته الله:

حيث أورد هذا الحديث من طريق عبد الوهاب الثقفي تحت عنوان «ذكر البيان بأن معاذ بن جبل كان من أعلم الصحابة بالحلال والحرام»

ثم أوردته مرة أخرى من طريق عبد الوهاب تحت عنوان «ذكر البيان بأن زيد بن ثابت كان من أفرض الصحابة» وأوردته مرة ثالثة من هذه الطريق تحت عنوان «ذكر الأخبار، عن القصد بالتحصيل في الفضيلة لأقوام بأعيانهم» وساق الحديث.

فيظهر من هذه العناوين أن ابن حبان يصحح هذا الحديث في هذه المواضع بالإضافة إلى التزامه بالصحة في كتابه.

رابعاً: الإمام الطحاوي رحمته الله:

في شرح مشكل الآثار (٢/ ٢٧٩-٢٨٠): أورد رواية وهيب بن خالد وسفيان الثوري من طريقين تحت عنوان «باب بيان مشكل ما روي عنه عليه السلام»: «أقروهم يعني أمتي - لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد، وأعلمهم بالحلال والحرام

معاذ بن جبل» ثم ساق الحديث من الطريقين المشار إليهما .
 ثم قال : «فسأل سائل ، عن المراد بما ذكر به كل واحد من أبي وزيد ومعاذ في
 هذا الحديث وهل يوجب ذلك له أن يكون في معناه الذي ذكر به فوق الحدفاء
 المرشدين المهديين ومن سواهم من أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين ؟
 فكان جوابا له في ذلك أن من جلّت رتبته في معنى من المعاني حاز أن يقال
 به أفصل الناس في ذلك المعنى ، وإن كان فيهم من هو مثله ، أو من هو فوقه .
 ومن ذلك ما قد روي ، عن رسول الله ﷺ مما قلّه لعليّ إنه يقتله أشقاه يريد
 البرية» .

خامسا : الإمام ضياء الدين المقدسي رحمه الله :

في كتابه المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجها
 البخاري ومسلم في «صحيحهما» ، حيث أورد هذا الحديث في كتابه (٢٢٦ / ٦)
 (٢٢٨) من طريق وهيب ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن أنس .
 ثم قال : وتابعه عاصم ، عن أبي قلابة .

ثم أوردته من طريق قبيصة بن عقبة ثنا سفيان ، عن خالد وعاصم ، عن أبي
 قلابة ، عن أنس .

ثم أوردته من طريق وكيع ، عن سفيان ، عن خالد ، عن أبي قلابة ، عن أنس .
 ثم قال : رواه الإمام أحمد في «مسنده» ، عن عفان ، عن وهيب ، عن خالد
 وعن وكيع ، عن سفيان ، عن خالد .

وقال : ورواه النسائي من طريق وهيب ، عن خالد ومن طريق عبد الوهاب ،
 عن خالد .

وثم قال : رواه النسائي ، عن أحمد بن سليمان ، عن عفان ، عن وهيب ، عن
 خالد .

وعن محمد بن يحيى بن أيوب ، عن عبد الوهاب الثقفي ، عن خالد .

ثم قال : ورواه ابن ماجه ، عن محمد بن المثنى ، عن عبد الوهاب ، عن خالد .

وعن علي بن محمد، عن وكيع، عن سفيان.

ثم قال: وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» وذكر طرق ابن حبان التي حرج بها هذا الحديث.

ثم قال: وروى في الصحيح منه فضل أبي عبيدة حسب
سادساً: الحاكم أبو عبد الله رحمته الله:

حيث قال في المعرفة (ص ١١٤) في الحديث، عن العلق وأنواعها.
والحنس الثاني من علل الحديث: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا
العباس بن محمد الدوري قال: ثنا قبيصة ابن عقبة، عن سفيان، عن خالد الحذاء
أو عاصم، عن أبي قلابة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي أبو
بكر، وأشد هم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرهم أبي بن كعب،
وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وإن لكل أمة أميناً، وإن أمين هذه الأمة
أبو عبيدة».

قال أبو عبد الله: «وهو، من نوع آخر علته فلو صحح بإسناده لأخرج في
الصحيح إنما روى خالد الحذاء، عن أبي قلابة أن رسول الله ﷺ قال: «أرحم
أمتي» مرسلاً، وأسنده ووصل: «إن لكل أمة أميناً وأبو عبيدة أمين هذه الأمة».
هكذا رواه البصريون الحفاظ، عن خالد الحذاء وعاصم جميعاً وأسقط المرسل
من الحديث وخرج المتصل بذكر أبي عبيدة في «الصحيحين».

أقول: يريد الحاكم والله أعلم بقوله: «هكذا رواه البصريون الحفاظ، عن
خالد الحذاء» إلخ. يريد بهذا الكلام ترجيح الإرسال على الوصل وليس الواقع كما
ذكر؛ إذ إن من أبرز رواة الوصل، عن خالد الحذاء البصري وهيب بن خالد وعبد
الوهاب الثقفي وكلاهما بصري وقد سقت دراسة رويتيها والطرق إليهما
فتأمل.

وقال في «المستدرک» (٣/ ٤٢٢) حدثنا علي بن حمشاذ حدثنا أبو العشى
ومحمد بن أيوب قالا: حدثنا مسدد. حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا خالد
الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي

بأمتي أبو بكر. . . الحديث.

وقال عقيه : هذا إسماعيل صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه بهذه السبقة إنما اتفقاً بإسناده هذا على ذكر أبي عبيدة فقط وقد ذكرت علته في كتاب التلخيص أبو المثنى : هو معاذ بن المثنى :

قال الحافظ الذهبي : ثقة متقن سير إعلام النبلاء (١٣ / ٥٢٧).

وذكره الحطيب في تاريخ بغداد (١٣ / ١٣٦) ولم يذكر فيه حرجاً ولا تعديلاً وذكره في طبقات الحنابلة (١ / ٣٣٩) وقال : « من جملة الأصحاب سكن بغداد وحدث بها ، عن محمد بن كثير العدوي ومسدد والقعنبي وغيرهم وثقل ، عن أحمد وأشياء ».

وقال ابن الجوزي : « وكان ثقة » [المعتمد (١٠ / ١٩٥)].

ومحمد بن أيوب : أظن أنه أبو هريرة الكلابي قال فيه الحافظون الذهبي و ابن حجر : « صدوق » [انظر « الكاشف » ، و « التقريب »] ، علي بن حمشاذ.

قال الذهبي : « العدل الثقة الحافظ الإمام شيخ نيسابور أبو الحسن صاحب التصانيف قال أبو أحمد الحافظ : « ما رأيت في مشايخ أثبت في الرواية والتصنيف من علي بن حمشاذ » . [سير (١٥ / ٣٩٨-٣٩٩)].

وقال الحافظ ابن عبد الهادي : « الحافظ الكبير أبو الحسن نيسابوري صاحب التصانيف » [كتاب علماء الحديث (٣ / ٤٥) رقم (٧٩٨)] « الحديث صحيح كما قال الحاكم ».

وصرح بتصحيحه في « المستدرک » (٤ / ٣٣٥) حيث قال . حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ و أبو يحيى أحمد بن محمد السمرقندي (قالا) : ثنا أبو عبد الله محمد بن نصر الإمام : ثنا أبو بكر محمد بن خلاد الباهلي : ثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد : ثنا خالد الحذاء ، عن أبي فلانة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أفرض أمتي زيد بن ثابت » هذا حديث صحيح على شرط

الشيخين ولم يخرجاه».

فقد رجح أولاً في معرفة علوم الحديث الإرسال على الوصل، وأشار ثانياً إلى هذه العلة في «لمستدرك» في الموضع المذكور من الجزء ثلث، وصرح ذلك بتصحيحه في (٤ / ٣٣٥) حيث أورد من الحديث قوله: «أفرض أمي زيد بن ثابت». ثم قال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، فالظاهر من تصرفاته هذه أن أمره استقر على تصحيح هذا الحديث.

سابعاً: الحافظ البيهقي رحمته الله:

في سننه حيث أورد هذا الحديث من طرق في (٦ / ٢١٠) تحت عنوان «باب ترجيح قول زيد بن ثابت على قول غيره من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في علم الفرائض».

ثم أوردته من طريق سفيان، ثم من طريق وهيب، ثم من طريق عبد الوهاب الثقفي مرفوعاً، عن الجميع.

ثم قال: «ورواه بشر بن المفضل وإسماعيل بن علية ومحمد بن أبي عدي، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن النبي ﷺ مرسلاً إلا قوله في أبي عبيدة فإنه وصلوه في آخره فجعلوه، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ». ثم قال: وكل هؤلاء ثقات أثبات، والله أعلم.

فيظهر من ترجمته وموقفه أنه يصحح الأحاديث المرفوعة كما أنه يسلم بثبوت الإرسال.

ولهذا قال البيهقي، عن رواية الحاشيين «وكل هؤلاء ثقات أثبات».

ومما يدل على تصحيح البيهقي لوصل هذا الحديث ما قرره في كتاب «معرفة السنن والآثار» (٩ / ١٠٦) حيث قال «قال أحمد»: «وقد دلنا رسول الله ﷺ على اتباع زيد بن ثابت في المرائض بقوله ﷺ «أفرضهم زيد بن ثابت».

ثم ساق إسناده إلى أبي داود الطيالسي، قال: حدثنا وهيب، عن خالد، عن

أبي قلابه، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي، أبو بكر». .
الحديث.

ثم قال: وروى، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه خطب الناس بالحجاية فقال «من أراد أن يسأل، عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت».

قال أحمد: فلما وجدنا في سنة رسول الله ﷺ أن أفرض أصحابه زيد بن ثابت وجدنا من جعل الله الحق على لسانه وقلبه أمر بالرجوع في الفرائض إلى زيد بن ثابت. . .

فموقعه هنا واضح في تصحيحه لهذا الحديث.

ثامناً: العلامة أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله: في «عارضة الأحوزي شرح سنن الترمذي» (١٣ / ٢٠١ - ٢٠٤) حيث قال في شرحه لهذا الحديث: «ذكر معاذ وأصحابه والحديث حسن صحيح».

ثم قال: «قال ابن العربي: ذكر في هذا الحديث ستّ خصال، الرحمة والشدة في أمر الله والحياء والفقہ والفرائض منه والقراءة والأمانة».

ثم استمر في شرح الحديث بالتفصيل إلى أن قال: وما من أحد من المذكورين السبعة إلا وفيه الخصال السبعة، ولكن النبي ﷺ لما أراد أن يمدح هذه الخصال ويبين أحوال هؤلاء السادة فيها ذكر كل أحد بغالب ما فيه مع معنى آخر يقرن به... إلى آخر شرحه رحمه الله.

تاسعاً: العلامة ابن المواق وغيره - رحمهم الله -: قال ذلك الحافظ في التلخيص الحبير (٣ / ٧٩ - ٨٠).

عاشراً: العلامة النووي رحمه الله: في «تهذيب الأسماء واللغات» حيث قال في (٢ / ٩٩ - دار الكتب العلمية) «وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي لأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأشدهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه بأسانيد صحيحة حسنة وقال الترمذي: هو حديث حسن صحيح».

الحادي عشر: الحافظ الذهبي رحمته الله قال في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٧٤-٤٧٥): أخبرني يحيى بن أبي منصور الفقيه في كتابه: أنبأنا عبد القادر الحافظ: أنبأنا نصر بن سيار: أنبأنا محمود الأردني: أنبأنا عبد الجبار الجراحي: أنبأنا أبو العباس المحمدي: حدثنا أبو عيسى الترمذي: حدثنا محمد بن بشر: حدثنا عبد الوهاب الثقفي: حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أس قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل إلا وإن لكل أمة أميناً إلا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». هذا حديث حسن صحيح.

وبه في «سنن الترمذي» حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا حميد ابن عبد الرحمن، عن داود العطار، عن معمر، عن قتادة، عن أس قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». هذا حديث غريب.

قلت (الحافظ الذهبي): «سفيان ليس بحجة».

أقول: يظهر من تصرف الحافظ الذهبي أنه يوافق الإمام الترمذي في تصحيح حديث عبد الوهاب الثقفي.

ويُوافقه أيضاً في تضعيف حديث سفيان بن وكيع به، حيث قال «سفيان ليس بحجة».

وقال في «تاريخ الإسلام» (٤/ ٥٥-٥٦):

«وقال أس قال رسول الله ﷺ: «أفرض أمتي زيد بن ثابت».

ويروى، عن معمر، عن قتادة، عن أس قال. قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد، وأفناهم أبي، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة الجراح».

رواه الترمذي وقال: «غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه، وقد رواه أبو قلابة، عن أنس».

قلت: هو صحيح من حديث أبي قلابة؛ رواه جماعة، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس قال: قال النبي ﷺ «أعلمهم بالفرائض زيد».

أقول: وهذا النص فيه تصريح من الذهبي بأنه يرجع الرصد على الإرسال.

الثاني عشر: الحافظ ابن كثير رحمه الله: في «البداية والنهاية» (٧/ ٢٢٨):

حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدّها في دين الله عمر، وأشدّها حياء عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله أبي وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث خالد الحذاء، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وفي «صحيح البخاري» و«مسلم» آخره «ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». وقد روى هشيم، عن كريب بن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر مثل حديث أبي قلابة، عن أنس أو نحوه.

الثالث عشر: الحافظ ابن الملقن رحمه الله: في كتابه «خلاصة البدر المنير» حيث قال في (٢/ ١٢٨ - ١٢٩): «حديث: «أفرضكم زيد» رواه الحاكم من رواية ابن عمر وأنس بلفظ: «أفرض أمتي زيد بن ثابت».

وقال في حديث أنس صحيح على شرط الشيخين والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم من رواية أنس أيضًا بلفظ: «أعلم أمتي بالفرائض زيد بن ثابت» قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وخالف ابن حزم فقال في «محلاء»: «لا يصح» ثم غوش.

الرابع عشر: الحافظ أبو زرعة العراقي:

قال رحمه الله في «طرح التريب في شرح التريب» (٢/ ٢٧٢) عند شرحه لحديث بريدة في صلاة معاذ بأصحابه صلاة العشاء... الحديث:

«(الثانية) فيه أن أحق الجماعة بالإمامة أفقهم ؛ لأن معاداً كان أفقه قومه فكان يؤمهم بل كان أعلم الأمة كما رواه الترمذي من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ «أزحم أمتي أبو بكر الصديق» الحديث .

وفيه «وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . اهـ .

الخامس عشر : العلامة الألباني رحمه الله :

في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٢٢٤) وفي المشكاة (٦١١١) وفي

«صحيح موارد الظمان» (١٨٦٣) وغيرها .

* * *

خلاصة هذه الدراسة

وهي تتضمن كشفًا ببيان رواة هذا الحديث مرسلاً أو مقصلاً

وحال رواياتهم

الرواة الذين رووا هذا الحديث، عن عاصم، عن أبي قلابة مرسلاً:

١- سفيان بن عيينة: روايته معضلة.

٢- حماد بن سلمة: لم نقف لروايته على إسناد.

٣- حماد بن زيد: في إسناد روايته أحمد بن حنبل بن حمدان صدوق تغير قليلاً

لكن ذكرها ابن عبد البر موصولة مرفوعة حيث قال في الاستيعاب (١)،

(١٢٧) «وروى حماد بن زيد، عن عاصم، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ: «أرحم الناس بالناس». أو قال: «أرحم أمي بأمي أبو بكر الصديق...» الحديث.

إلا أن الملاحظ على هذه الرواية أن ابن عبد البر لم يذكر إسنادها إلى حماد بن

زيد.

أقول: ومع حلالة حماد بن زيد وثقته وإنقاده قال فيه يعقوب بن شيبة: ثقة غير أنه معروف بأنه يقصر في الأسانيد ويوقف المرفوع كثير الشك بتوقيه وكان جليلاً لم يكن له كتاب يرجع إليه فكان أحياناً يذكر فيرفع الحديث وأحياناً يهاب الحديث ولا يرفعه وكان يعد من المشتهين في أيوب خاصة، [تقريب التهذيب (٣/ ١١)].

فلعل حماداً حصل له شك في اتصال إسناد هذا الحديث فأرسله تورعاً منه

رحمته.

٤- معمر: صح عنه الإرسال، إلا أنه قد قرأ أبا قلابة بقتادة، ومثل هذا أخذ

الدرقطني والمخطيب على قبيصة حيث قرن بين خالد الحذاء وعاصم.

٥- أبو قحذم: ضعيف.

الرواة الذين أرسلوا هذا الحديث، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة:

١- إسماعيل بن علية: صح عنه الإرسال.

٢- يشر بن المفضل : لم أجد إسناداً لروايته .

٣ محمد بن أبي عدي : كذلك لم أجد إسناداً لروايته .

الرواة الذين رووا هذا الحديث عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن أنس متصلاً مرفوعاً :

١ عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي : وقد رواه عنه جماعة من الثقات منهم محمد بن أبي بكر المقدمي وعلي بن المديني ومحمد بن يشار بNDAR وأبو موسى محمد بن المثنى العنزي وغيرهم .

٢ سفيان الثوري : رواه عنه جماعة منهم وكيع وعبيد الله الأشجعي وقبيصة بن عقبة .

قال عباس الدوري : رأيت يحيى بن معين لا يقدم على سفيان في زمانه أحداً في الفقه والحديث والزهد وكل شيء .

وقال أبو حنيفة الأجري : سمعت أبا داود يقول . ليس يختلف سفيان وشعبة في شيء إلا يظفر به سفيان ، خالفه في أكثر من خمسين حديثاً القول قول سفيان .

قال أبو داود : وبلغني عن يحيى بن معين قال : ما حالف أحد سفيان في شيء إلا كان القول قول سفيان تهذيب الكمال (١١ / ١٦٦) .

٣- وهيب بن خالد الباهلي : رواه عنه عفان بن مسلم وأبو داود الطيالسي وسهل بن نكار ، قال الذهبي في «الكاشف» في ترجمة وهيب : قال ابن مهدي . كان من أبصرهم بالحديث والرجال وقال أبو حاتم : ثقة ، يقال لم يكن بعد شعبة أعلم بالرجال منه مات (١٦٥ع) .

وهاتان الميزتان لسفيان وهيب مما يُرجح بهما عند الاختلاف بين الرواة .

أ- ومن يعرف أحوال الرجال وضبطهم وإتقانهم ومنهم هؤلاء الحفاظ يصعب عليه أن يحكم عليهم مجتمعين بأنهم قد وهموا في هذا الحديث على شيخهم خالد الحذاء أو على شيخه أبي قلابة فاجتمعوا وهمًا منهم على رواية هذا الحديث ، عن خالد أو شيخه فرووه عنهما متصلاً مرفوعاً بينما هما لا يروياه إلا مرسلًا !! هذا أمر مستبعد جداً .

لا سيما إذا اطلع القارئ على حال روايات المرسلين التي أعل بها الوصل وقد بينا ذلك .

بل لا يتشرح صدر المطلع على حال الطرفين كما بين في هذا البحث إلا لقبول هذا الحديث والتسليم بصحته .

ولقد ظهر للقارئ أن بعض من سب إليه أنه يرجح الإرسال على الوصل كالدارقطني الذي لم يذكر في نقشه لطرق هذا الحديث شخصين هامين من الصريين مواطني خالد الحذاء ألا وهما وهيب بن خالد وعبد الوهاب الثقفي ، وذلك مما يضعف حكمه إن كان قد حكم بترجيح الإرسال على الوصل .

ومن الإنصاف للدارقطني - كما يظهر من كلامه - أنه لم يرجح الإرسال على الوصل في دراسته لطرق هذا الحديث «أرحم أمي بأمي أبو بكر . . .» الحديث . وإنما رجح فقط بين الرواة ، عن شعبة فيما يتعلق بفصيحة أبي عبيدة فقط ، فهذا الذي ينبغي أن ينسب إلى الدارقطني وأما ما عداه فلا .

وأبرر من رجح الإرسال على الوصل الخطيب البغدادي وابن عبد الهادي - رحمهما الله - مع اطلاعهما على رواية وهيب وعبد الوهاب ، فإن ترجيحهما إماماً - والله أعلم - عن عدم الدراسة العاحصة لأسانيد المرسلين والكمال لله ، ولو درساها حق الدراسة لاختلفت نتيجة دراستهما ولرجحا الوصل على الإرسال فيما اعتقد .

ب- وباقي من نسب إليهم ترجيح الإرسال ؛ بعض منهم صح عنهم العكس وهو ترجيح الوصل كالبيهقي والحاكم ، وبعضهم لم يظهروا لنا دراسة أسانيد الطرفين وأحكامهم في ضوء هذه الدراسة ، وإنما كلامهم عبارة ، عن نقل فيه نظر كالحافظ ابن حجر رحمته الله وقد بينا واقعه .

وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ كما هو منهج السلف رحمهم الله .

ج- يمكن أن يقال إن الإرسال الثابت الوارد ، عن طريق معمر وإسماعيل بن عدي ليس ناشئاً ، عن وهم منهما وإنما نشأ فيما أظن من تصرف أبي قلابة الجرمي رحمته الله فهو معروف بالإرسال عن من لم يلقه من الصحابة وهم كثير ، فلا يبعد أن يكون

قد أرسل هذا الحديث ، عن أنس رضي الله عنه وإن كان ممن لقيه وسمع منه
 فيجب على الظن أنه كان يرسله أحياناً فيسمعه منه بعض أصحابه فيروونه كما
 سمعوا منه ويصله أحياناً فيسمعه منه بعض أصحابه فيروونه عنه موصولاً كما سمعوه
 منه ، واعتقد أن في هذا المسلك اعتقاداً ، عن تخطئه الأئمة الحفاظ من الطرفين
 ومما يقرب فهم القارئ لما قلته ما يأتي :

ضرب الإمام مسلم أمثلة لعدد من الثقات الذين يُرسلون أحياناً عمّن سمعوا
 منه خلال نقاشه لمن يشترطون ثبوت سماع الراوي من شيخه ثم قال رحمته الله : فإذا
 كانت العلة عند من وصفاً قوله من قبل في قساذ الحديث وتوهميه ، إذا لم يُعلم أن
 الراوي قد سمع بمن روى عنه شيئاً ، إمكان الإرسال فيه لزمه ترك الاحتجاج به
 قياد قوله برواية من يُعلم أنه قد سمع بمن روى عنه إلا في نفس الخبر الذي فيه ذكر
 السماع لما بيننا من قبل ، عن الأئمة الذين نقلوا الأخبار أنهم كانت لهم تارات
 يُرسلون فيها الحديث إرسالاً ولا يذكرون من سمعوه منه ، وتارات ينشطون فيها
 فيسبدون الخبر على هيئة ما سمعوا فيخبرون بالترؤل فيه إن تركوا وبالصعود إن
 صعدوا كما شرحنا ذلك عنهم اهـ^(١) .

وحاصل ما ظهر لي وترجع عدي من دراسة طرق هذا الحديث كما سلف : أن
 الحديث صحيح متصل من طريق سفيان الثوري ووهيب بن خالد وعد الوهاب
 الثقفي ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم وشجعي
 على هذا التصحيح والترجيح مواقف الأئمة الذين صححوه والدين سلف ذكرهم
 رحم الله الجميع .

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكان الفراغ من هذا البحث في

٢٤ من شهر محرم عام ١٤٢٨ هـ

كتبه : ربيع بن هادي عمير المدخلي

(١) انظر مقدمة صحيح مسلم (ص ٣٢) .

هل يجوز أن يُرمى بالإرجاء

من يقول:

«إنَّ الإيمانَ أصلٌ والعملَ كمالٌ (فرغ)»؟

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُرْمَى بِالْإِرْجَاءِ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُرْمَى بِالْإِرْجَاءِ مِنْ يَقُولُ :
« إِنَّ الْإِيمَانَ أَصْلٌ وَالْعَمَلَ كَمَالٌ (فِرْعَ) » ؟^(١٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.
أما بعد:

فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ عَنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِعَيَرٍ عَلَيْهِ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٨﴾﴾ فَإِنِ عَظُمَ
لِلْجِدْلِ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا جَزَاءٌ وَفِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحج ٩-١١].

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ مَنَ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَسَعٍ كُذِّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ قَاتِمُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿[الحج ٣-٤]﴾.

وقال تعالى في شأن أحزاب الكفر والضلال: ﴿وَجَدَلُوا يَأْتِيهِمْ يَدْخُلُونَ بِهِ
الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

هذه في أعداء الرسل الذين كذبوهم وحاربوهم بأشد أنواع الحرب والأذى والكذب عليهم والافتراء.

ولأهل البدع والأهواء والضلال نصيب من العداوة للحق وأهله وحرهم
بالأكاذيب والشائعات وجدالهم بالباطل ليدحضوا به الحق، ومن جدالهم بغير
علم ولا هدى ولا كتاب منير.

ولهم نصيب من الوعيد الذي توعد الله به أعداء الحق وأعداء الرسل ولهم نصيب من الذم الذي ذم الله به أهل الباطل والهووى .

ومن أهل الأهواء والضلال المحاربين للحق وأهله فرقة الحدادية، التي أشنت

في الظلام لحرب أهل السنة السابقين واللاحقين ولحرب عقائدهم وأصولهم وهدمها .

وحربهم هذه لا تقوم على شيء من الحق ولا من العلم والهدى ، وإنما تقوم على الكذب والجهل والحيايات ، الأمور التي لا عبر عليها ولا محرج لهم منها ، ولا عذر لهم فيها ؛ فإنها أمور واضحة مكشوفة لكل ذي عقل وبصر وبصيرة ، وبحس لا تكفرهم - وإن كفروا بغيا وعدواناً - !! ولكنهم عندنا من شر أهل البدع وأجهلهم .

ولقد اخترعوا أصولاً لا علاقة لها بالكتاب والسنة لا من قريب ولا من بعيد ، منها :

١ جنس العمل : وهو لفظ لا وجود له في الكتاب والسنة ولا خاصم به السلف ولا أدخلوه في قضايا الإيمان ، اتخذوه بديلاً لما قرره السلف من أن العمل من الإيمان وأن الإيمان قول وعمل واعتقاد ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي . وإذا أخذوا بهذا الكلام على مصض فلا يكفي عندهم أن يقول السلفي

الإيمان قول وعمل واعتقاد ويزيد وينقص حتى لا يبقى منه إلا مثقال ذرة وأدنى أدنى من مثقال ذرة كما نطقت به الأحاديث النبوية الصحيحة .

بل أوجبوا على الناس أن يقولوا : « حتى لا يبقى منه شيء » والذي لا يقول بهذه الزيادة فهو عندهم مرجئ عال وحتى ولو قالها بعض أهل السنة فهم عندهم مرجئة رغم أنوفهم !!

فعلى عقيدتهم هذه يكون حوالي تسعة وتسعون بالمائة من أهل السنة وأئمتهم مرجئة !

وإذا بين لهم خطورة تأصيلهم وفساده اردوا عناداً وحرّاً على أهل السنة .
٢ الذي لا يبدع من لا يكفر تارك حسن العمل فهو عندهم مرجئ غال رمر ، إلى تكفيره .

وحتى وإن كفر تارك جنس العمل فهو مرجئ عندهم لماذا ؟

لأنهم قد فصلوا، ثوب الإرجاء ليقمصوا به أهل السنة شاءوا أم أبوا!!!

٣- أئمة الجرح والتعديل والحديث عندهم ليسوا أهلاً للحكم على أهل البدع وقو عندهم لا تطبق على أهل البدع؛ لأن هذه المرتبة إنما هي للعلماء؛ أي: علماء الحداية الجهلة المحهولين، فإن هؤلاء لهم الحق أن يبدعوا وأن يكفروا، بالجهل والظلم.

٤- بعض أصولهم ضللت الأئمة وبعضها من صنع الشيطان.

٥- أحكام في التكفير تفوق أحكام الخوارج.

فمن لم يقلد فالحا وأمثاله فقد نسف رسالات الرسل والكتب التي نزلت عندهم.

والذي يرضى غيره من العلماء حكماً فقد كذب القرآن والسنة وكذب الإسلام.

٦- إلى فترأت وانهامات بالكفر لمن يصحهم أو يخالفهم في تلك الأمور التي انفردت بها هذه الطائفة، وقد دقشناهم فيها وبيننا أكاذيبهم وأباطيلهم وجهالاتهم.

واليوم نحن مع أصل من أصولهم الهدمة ألا وهو أن من يقول: إن الإيمان أصل والعمل كمال (فرع)؛ فهو مرجى!

وبهذا الأصل الهدم يهدمون أهل السنة وعلماءهم!

وسوف أسوق مقالات لعدد من فحول أئمة السنة وعظمائهم يقولون فيها: إن الإيمان أصل والعمل كمال أو تمام أو فرع أو فروع

وننتظر من هؤلاء الحداية إما إعلان ندمهم وتوبتهم من هذه المجزفات أو التماذي في أحكامهم وأباطيلهم فيعرف الناس مكانهم من السنة وأهلها.

لا يجوز أن يُرمى بالإرجاء من يقول: «إن الإيمان أصل وفرع» لأن هذا يقتضي تضليل علماء الأمة

ومنهم الأئمة الآتي ذكرهم وأقوالهم:

وقبل أن أورد كلام الأئمة أسوق بعض الأدلة في هذا الشأن:

قال الإمام أحمد رحمته الله في «مسنده» (٦ / ٤٧، ٩٩):

حدثنا إسماعيل بن عمار، ثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً والطفهم بأهله».

يساد هذا الحديث صحيح إن سلم من إرسال أبي قلابة وأخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان برقم (١٩) قال: حدثنا حفص عن خالد... به.

وله شاهد من حديث أبي هريرة قال أبو داود في سننه (٥ / ٦٠): حدثنا أحمد بن حنبل: حدثنا يحيى بن سعيد، عن محمد بن عمر، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».

وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢ / ٢٥٠ و ٤٧٢) وابن أبي شيبة في الإيمان من طريقين برقم (٢٠ و ١٨) والترمذي (٢ / ٤٥٤ رقم ١١٦٢) وقال حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح.

وله شاهد آخر من حديث أبي أمامة مرفوعاً ولقطه: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان». أخرجه أبو داود (٥ / ٦٠ رقم ٤٦٨١). وشاهد آخر من حديث سهل بن معاذ عن أبيه، ويروى من طريقين ضعيفين يقوي أحدهما الآخر

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عدي بن عدي

«أن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان؛ فإن أعش فسأبيتها لكم حتى تعملوا بها وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص» [أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان (٤٥ رقم ١٣٥) يساد صحيح، وأورده البخاري في كتاب الإيمان معلقاً (١ / ١٩)].

أقول:

وهذه الأحاديث تدل على أن للإيمان أصلًا وكما لا ؛ إذ الكمال لا يقوم إلا على أصل.

كلام الأئمة :

١- قال الإمام محمد بن إسحاق بن منده في كتابه الإيمان (١/ ٣٣١-٣٣٢) بعد أن ذكر أقوال الطوائف في الإيمان:

فوقال أهل الجماعة: الإيمان هو الطاعات كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح غير أن له أصلاً وفرعاً.

فأصله المعرفة بالله والتصديق له وبه وبما جاء من عنده بالقلب واللسان مع الخضوع له والحب له والحواف منه والتعظيم له، مع ترك التكبر والاستكف والمعاداة؛ فإذا أتى بهذا الأصل فقد دخل في الإيمان ولزمه اسمه وأحكامه، ولا يكون مستكملاً له حتى يأتي بمرعه وهرعه المقترض عليه أو الفرائض واجتباب المحارم، وقد جاء الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وسبعون أو ستون شعبة أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».

فجعل الإيمان شعبًا بعضها باللسان والشفيتين، وبعضها بالقلب، وبعضها
بمائر الجوارح.

وقال أيضًا في كتاب الإيمان (١ / ٣٥٠) : « قال الله ﷻ : هَلْ أَمَرَ تَرَ كَيْفَ حَرَّبَ
 اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَحَرَفٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا نَائِبٌ وَفَرْعُهَا فِي الشَّكَاةِ ﴿٢٧﴾ تَوَلَّى أَكْثَرُهَا
 كُلَّ سَبِيلٍ يَأْتِي رَيْبُهَا » .

فَضَرَبَهَا مِثْلًا لِّلْكَلِمَةِ الْإِيمَانِ وَجَعَلَ لَهَا أَصْلًا وَفِرْعًا وَشَعْرًا تُوْتِيهِ كُلُّ حَيٍّ .

أقول: بين الإمام ابن مسعود عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان وأنه أصل وفرع، وبين أن أصل الإيمان محله القلب وأنه يكون بأمور، منها

المعرفة بالله والتصديق لله وبه وبما جاء من عنده بانقلب واللسان مع
الحضوع والحب والخوف والتعظيم... إلخ.

ودكر أنه لا يستكمل العبد إلا إذا أتى بفروعه المفروضة عليه مع اجتناب المحارم واستدل على ذلك بحديث شعب الإيمان.

وفي النص الثاني ساق الآية الكريمة: ﴿وَأَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَحْرَفٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ الآية.

ثم قال: فضرها مثلاً لكلمة الإيمان وجعل لها أصلاً وفرعاً وثمرات.

فما رأي أهل الشعب في أهل السنة والجماعة الذين حكى عقيدتهم ومذهبهم هذا الإمام وساق بعض أدلتهم أهم مرحلة؟! أم هم أهل السنة حقاً؟ نريد الإجابة الصادقة الصريحة.

٢ وقال الإمام محمد بن نصر المروزي رحمته الله خلال مناقشته للمرجئة: «فلما أقرت المرجئة بأن الإقرار باللسان هو إيمان يكمل به تصديق القلب، ولا يتم إلا به، ثم بين الله تعالى لنا، والرسول ﷺ، أنه أول الإسلام، ثبت أن جميع الإسلام من الإيمان، فإن يكن شيء من الإسلام ليس من الإيمان، فالإقرار الذي هو أول الإسلام ليس من الإيمان، فإيجابهم أن أول الإسلام بجارحة اللسان هو من الإيمان بالله، يلزمهم أن يجعلوا كما بقي من الإسلام من الإيمان بعدما سمي الله ﷻ والرسول الإقرار باللسان إيماناً، ثم شهدت المرجئة أن الإقرار الذي سماه النبي ﷺ إسلاماً هو إيمان، فما بال سائر الإسلام لا يكون من الإيمان، فهو في الأحبار من الإيمان، وفي اللغة، والمعقول كذلك، وهو خضوع بالإخلاص، إلا أن له أصلاً وفرعاً، فأصله الإقرار بالقلب عن المعرفة، وهو الخضوع لله بالعبودية، والخضوع له بالربوبية، وكذلك خضوع اللسان بالإقرار بالإلهية بالإخلاص له من القلب واللسان، أنه واحد لا شريك له ثم فروع هدين الخضوع له بأداء لفرائض كلها، ألم تسمع قول النبي ﷺ: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة» وما عد من لفرائض، فإنه جعلت المرجئة الشهادة إيماناً ولم تجعل جميع ما حمله النبي ﷺ من الإسلام إيماناً؟! وكيف جعلت بعض ما سماه النبي ﷺ إسلاماً إيماناً، ولم تجعل جميعه إيماناً وتبدأ بأصله، وتتبعه بفروعه، وتجعله كله إيماناً؟! [تعظيم قدر الصلاة ٢]

[٧٠٢، ٧٠١]

أ - انظر إلى قوله عن الإيمان: «إلا أن له أصلًا وفرعًا، فأصله الإقرار بالقدب عن المعرفة، وهو الخضوع لله بالعبودية، والخضوع له بالربوبية». «إلح
ب - وانظر إلى قوله: «ثم فروع هذين الخضوع له يأدء الفرع كلها» أي:
أعمال الجوارح.

ج - وإلى قوله: «وكيف جعلت بعض ما سماه النبي ﷺ إسلامًا إيمانًا، ولم تجعل جميعه إيمانًا وتبدأ بأصله وتتبعه بفروعه، وتجعله كله إيمانًا؟»!

وقال أيضًا: «وقالت طائفة أخرى أيضًا من أصحاب الحديث يمثل مقالة هؤلاء^(١) إلا أنهم سموه مسلمًا لخروجه من ملل الكفر، وإقراره بالله، وبما قال، ولم يسموه مؤمنًا، وزعموا أنه مع تسميتهم بيه بالإسلام كفرًا، لا كفر بالله، ولكن كفر عن طريق العمل، وقالوا: كفر لا ينقل من الملة، وقالوا: محال أن يقول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن». والكفر ضد الإيمان، فلا يزول^(٢) عنه اسم الإيمان إلا واسم الكفر لازم له، لأن الكفر ضد الإيمان إلا أن الكفر كفر ن كفر هو جحد بالله، وبما قال، فذلك ضد الإقرار بالله، والتصديق به، وبما قال، وكفر هو عمل ضد الإيمان الذي هو عمل، ألا ترى ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه». قلوا: فإذا لم يؤمن فقد كفر، ولا يجوز غير ذلك إلا أنه كفر من جهة العمل (إذ لم يؤمن من جهة العمل) لأنه لا يصح المفترص عليه، ويركب الكناثر إلا من حوفه^(٣)، وإن ما يقل حوفه من قلة تعظيمه لله، ووعيده، فقد ترك من الإيمان التعظيم الذي صدر عنه الحوف والورع عن الخوف، فأقسم النبي ﷺ أنه «لا يؤمن إذا لم يأمن جاره بوائقه».

ثم قد روى جماعة عن النبي ﷺ أنه قال: «قتال المسلم كفر» وأنه قال «إذا

(١) طائفة لأولى هي من أهل السنة والحديث الذين يقولون بقول المشهور في مركب الكبيرة إنه مؤمن فاسق أو مؤمن ناقص الإيمان.

(٢) في الأصل فيزيل والتصحيح من كتاب «الإيمان» لابن تيمية (٣٠٧)

(٣) ولظاهر أنه حصل هنا سقط ومن أصل الكلام «لا من حوفه» وليس يرشد إلى هذا

قال المسلم لأخيه : (يا كافر) ولم يكن كذلك فقد ياء بالكفر . فقد سماه النبي ﷺ بقتاله أخاه كافراً، ويقول له : يا كافر؛ كافراً وهذه الكلمة دون الزنا، والسرقة، وشرب الخمر.

قالوا : وأما قول من احتج علينا، فزعم أما إذا سميناه كافراً، لزمنا أن نحكم عليه بحكم الكافرين بالله، فنستيبه، ونبطل الحدود عنه، لأنه إذا كفر، فقد زالت عنه أحكام المؤمنين، وحدودهم، وفي ذلك إسقاط الحدود، وأحكام المؤمنين عن كل من أتى كبيرة، فبنا لم نذهب في ذلك إلى حيث ذهبوا.

ولكننا نقول . للإيمان أصل وفرع، وضد الإيمان الكفر في كل معنى، فأصل الإيمان الإقرار والتصديق، وفرعه إكمال العمل بالقلب، والبدن، فضع الإقرار والتصديق الذي هو أصل الإيمان : الكفر بالله، وبما قال، وترك التصديق به، وله . وضد الإيمان الذي هو عمل، وليس هو إقرار، كفر، ليس بكفر بالله (ينقل عن الحلة) ولكن كفر يصح العمل كما كان العمل إيماناً . وليس هو الإيمان الذي هو إقرار بالله، فكما كان من ترك الإيمان الذي هو إقرار بالله كافراً يستتاب، ومن ترك الإيمان الذي هو عمل مثل الزكاة، والحج، والصوم، أو ترك الورع عن شرب الخمر، والزنا، فقد زال عنه بعض الإيمان، ولا يجب أن يستتاب عندنا، ولا عند من خالفنا من أهل السنة، وأهل البدع . . . [تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥١٧-٥١٩)].

والشاهد في قول هذه الطائفة من أهل السنة «ولكننا نقول : للإيمان أصل وفرع، وضد الإيمان الكفر في كل معنى، فأصل الإيمان . الإقرار والتصديق، وفرعه إكمال العمل بالقلب، والبدن».

٣- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

أ- «ثم هو في الكتاب بمعنىين»^(١) أصل، وفرع واجب، فالأصل الذي في القلب وراء العمل ؛ فلهذا يفرق بينهما بقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتُفَكِّحْتُمُ﴾ [الب ٧] والذي يجمعهما كما في قوله : ﴿وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ﴾ [الشال ٢]، و﴿لَا يَسْتَعِدُّكَ أَلَدِينَ﴾

(١) يعني : الإيمان.

يُؤْمِنُ بِهِ [التوبة ١٤٤]. وحديث الحياء، وروى عبد القيس، وهو مركب من أصل لا يتم بدونه، ومن واجب ينقص نفوذه نقصاً يستحق صاحبه العقوبة، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة، فالناس فيه ظالم لنفسه ومقتصد وسابق، كالبحر وكالبدن والمسجد وغيرها من الأعيان، والأعمال والصفات، فمن سوء أجزائه ما إذا ذهب نقص عن الأكمل ومنه ما نقص عن الكمال، وهو ترك الواجبات أو فعل المحرمات، ومنه ما نقص ركنه وهو ترك الاعتقاد والقول، الذي يزعم المرجئة والجهمية أنه مسمى فقط، وبهذا تزور شبهات الفرق، وأصله القلب وكمال العمل الطاهر، بخلاف الإسلام؛ فإن أصله الظاهر، وكمال القلب^(١) أقول:

ففي هذا النص جعل شيخ الإسلام للإيمان معنيين أصلاً ومرتباً وأشار إلى كون العمل كاملاً للإيمان بقوله: «فمن سواء أجزائه ما إذا ذهب نقص عن الأكمل ومنه ما نقص عن الكمال وهو ترك الواجبات أو فعل المحرمات... إلخ وأكد هذا التقرير بقوله عن الإيمان: «وأصله القلب وكمال العمل الطاهر». وقال عن الفرق بينه وبين الإسلام: «بخلاف لإسلام؛ فإن أصله الظاهر، وكمال القلب».

فماذا يقول المتطفلون على علوم الإسلام وعقائده في هذا الإمام الجليل وفي تقريره هذا عن الإيمان والعمل ١١؟

ب- وقال رحمه الله: «والدين القائم بالقلب من الإيمان علماً وحالاً هو لأصل، والأعمال الطاهرة هي الفروع، وهي كمال الإيمان»

فالدين أول ما بينى من أصوله ويحكم بفروعه، كما أنزل الله بحكمة أصوله من التوحيد والأمثال التي هي المقاييس العقلية، والقصص، والوعيد، ثم أنزل بالمدينة لما صار له قوة - فروع الظاهرة من الجمعة والجماعة، والأذان والإقامة، والجهاد، والصيام، وتحريم الخمر والزنا، والميسر وغير ذلك من

(١) مجمع الفتاوى (٧/ ٦٣٧).

واجباته ومحرماته.

فأصوله تمد فروعه وتثبتها، وفروعه تكمل أصوله وتحفظها، فإذا وقع فيه نقص ظاهر فلما يقع ابتداء من جهة فروعه؛ ولهذا قال ﷺ: «أول ما تمقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تمقدون من دينكم الصلاة»^(١)

صرح شيخ الإسلام هنا بأن الإيمان هو الأصل والأعمال الظاهرة هي الفروع وهي كمال الإيمان، وأن أصوله تمد فروعه وتثبتها، وأن فروعه تكمل أصوله ج- وقال ﷺ: «وأما قولهم إن الله فرق بين الإيمان والعمل في مواضع، فهذا صحيح. وقد بيا أن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها.

وقد يقرر به الأعمال، وذكر بطر لذلك كثيرة، وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب. والأعمال ظاهرة لازمة لذلك. لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كن لنقص الإيمان الذي في القلب؛ فصار الإيمان متساوياً للمزوم واللازم وإن كان أصله ما في القلب؛ وحيث عطف عليه الأعمال، فإنه أريد أنه لا يكتفي بإيمان القلب بل لابد معه من الأعمال الصالحة»^(٢).

وهذا ذكر شيخ الإسلام أن أصل لإيمان هو ما في القلب وأن لأعمال الظاهرة لازمة له.

ولا يريد بهذا التلزام إلا التلزام بين الأصل وفروعه.

د- وقال ﷺ: «وكذلك يذكر لإيمان أولاً لأنه الأصل الذي لابد منه ثم يذكر العمل الصالح فإنه أيضاً من تمام الدين لابد منه، فلا يحسن إظهار اكتفاءه بمجرد إيمان ليس معه العمل الصالح»^(٣).

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٥٥، ٣٥٦)

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ١٩٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٧ / ١٩٩)

وهو بين شيخ الإسلام أن الإيمان . «هو الأصل الذي لابد منه وأن لعمل الصالح من تمام الدين لابد منه .

فأنت ترى أنه اعتبر العمل من تمام الدين يعني الإيمان، وهذا أمر يدع به أهل الفتن فهل من مذكر» .

هـ وقال رحمه الله : «ثم أكثر المتأخرين الذين نصرروا قول حهم يقولون بالاستثناء في الإيمان، ويقولون : «لإيمان في الشرع» هو ما يوافي به العدد به، وإن كان في اللغة أعم من ذلك، فجعلوا في «مسألة الاستثناء» مسمى الإيمان ما ادعوا أنه مسماء في الشرع، وعدلوا عن النعة، فهلاً فعلوا هذا في الأعمال ودلالة الشرع على أن الأعمال الواجبة من تمام الإيمان لا تحصى كثرة، بخلاف دلالة على أنه لا يسمى إيماناً إلا ما مات الرجل عليه فإنه ليس في الشرع ما يدل على هذا، وهو قول محدث لم يقله أحد من السلف»^(١) .

انظر إلى شيخ الإسلام كيف صرح أن دلالة الشرع على أن الأعمال الواجبة من تمام الإيمان لا تحصى كثرة، أي : أنها من كمال الإيمان فقد جعل لأعمال الواجبة من تمام الإيمان .

وهذا أمر منكر وإرجاء خطير عند جهال أهل الفتن ولشغب، فماذا يقول فيهم من يهون من شأنهم ومن حطر فتنهم، ويرى أنه يجب السكوت عنهم؟!

و- وقال رحمه الله : «وإذا ذكر اسم الإيمان مجرداً، دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة، كقوله في حديث الشعب : «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول : لا إله إلا الله . وأدناها : إمطة الأذى عن الطريق» . وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال السر من الإيمان .

ثم إن بقي الإيمان بعد عدمها، دل على أنها واجبة، وبذكر فصل إيمان صاحبها - ولم يتف إيمانه - دل على أنها مستحقة : فإن الله ورسوله لا ينفي اسم مسمى أمر - أمر الله به ورسوله - إلا إذا ترك بعض واجباته، كقوله «لا صلاة إلا بأمر» بقرآن . وقوله

«لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» ونحو ذلك.

فأما إذا كان الفعل مستحباً في العبادة لم ينهها لانتفاء المستحب، فإن هذا لو جاز، لجاز أن ينفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج؛ لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه وليس أحديفعل أفعال البر مثلما فعلها النبي ﷺ؛ بل ولا أبو بكر ولا عمر. فلو كان من لم يأت بكمالها المستحب يحوز نعيمها عنه، لجاز أن ينفي عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين، وهذا لا يقوله عاقل.

فمن قال: إن المنفي هو الكمال.

فإن أراد أنه نفي الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة، فقد صدق. وإن أراد أنه نفي الكمال المستحب، فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله، ولا يجوز أن يقع، فإن من فعل الواجب كما وجب عليه، ولم ينتقص من واجبه شيئاً، لم يجر أن يقال: ما فعله لا حقيقة ولا مجازاً. فإذا قال للأعرابي المسيء في صلاته: «ارجع فصلّ، فإنك لم تُصَلِّ». وقال لمن صلى خلف الصف وقد أمره بالإعادة-: «لا صلاة لقد خلف الصف». كان لترك واجب، وكذلك قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْكَبُوا وَجْهَهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات ١٥]، يبين أن الجهاد واجب، وتركه الإرتياب واجب^(١).

ذكر شيخ الإسلام هنا حديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، وذكر أن أعمال لمر من الإيمان، وذكر ما يعيد أرباب الإيمان كمالاً واجباً وكمالاً مستحباً، وأنه إذا نفي الإيمان عن المسلم فإنما يراد بهذا، لنفي نفي الكمال الواجب لا الكمال المستحب مثل: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن»، ففي الصلاة هنا عمن لم يقرأ بأم القرآن دليل على وجوب قراءة الفاتحة لا استحبابها وبعض العلماء يقول إن النفي هنا نفي للكمال الواجب لا نفي لحقيقة الصلاة.

ونفي الإيمان عمن لا أمانة له يدل على أن الأمانة من الواجبات وهي من كمال الإيمان، وليس المراد بنفي الإيمان عنه أنه كافر خارج من ملة الإسلام

ونبه القارئ هنا على أن هذا الحديث ضعيف، وقد يكون عند شيخ الإسلام صالحاً للاحتجاج به، وعلى كل حال فإن قصد شيخ الإسلام من التمثيل به في مثل هذا السياق بيان أن مثل هذا النفي إنما يراد به نفي الكمال الواجب لا نفي حقيقة الإيمان ولا نفي الكمال المستحب.

ويلتحق بهذا مثل قول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن» متفق عليه.

ومثل قوله ﷺ: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن». قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه». متفق عليه، وللقط للبخاري.

فليس المراد هنا تكفير هؤلاء العصاة بالكبائر التي ارتكبوها ولا إحراجهم من الإسلام كما يعتقد الخوارج وليس المراد نفي كمال الإيمان المستحب عنهم وإنما المراد نفي الكمال الواجب.

فالذي لا يجير أن يقال إن للإيمان كمالاً وتاماً ماذ يقول في نفي الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر والمنتهب ومؤذي حاره؟

إن قال: المراد نفي الكمال الواجب؛ تبين بطلان مذهبه في رمي من يقول بأن الإيمان أصل والعمل كمال.

وإن قال إن المنفي عن العاصي الزاني وغيره إنما هو الإيمان المقابل للكفر الأكبر المخرج من الإسلام، فقد نادى على نفسه بأنه من الحوارح المكفرين بالذنوب.

ح وقال - رحمه الله تعالى في «المجموع» (١٣ / ١٥٧ - ١٥٩) «وقال: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَعَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۚ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ۖ ذَٰلِكَ زِينَتُهَا وَيَصْرِفُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ بَيْنَ لَعَلَّهِمْ يَتَنَكَّرُونَ ۚ﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَعَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۚ﴾ يَثْبُتُ اللَّهُ الْيُسْرَى أَمْثُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأَجْرِ وَيُفْضِلُ اللَّهُ الْطَّيِّبِينَ وَيَعْمَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ»

والأصول مأخوذة من أصول الشجرة وأساس الباء؛ ولهذا يقال فيه الأصل ما
ابتنى عليه غيره، أو ما تفرع عنه غيره.

فالأصول الثابتة هي أصول الأنبياء، كما قيل:

أيها المغتدي لتطلب علماً كل علم عبد لعلم الرسول
تطلب الفرع كي تصحح حكماً ثم أغفلت أصل أصل الأصول
والله يهدينا وسائر إخواننا المؤمنين إلى صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.
وهذه الأصول يسي عليها ما في القلوب، ويتفرع عليها.

وقد ضرب الله مثل الكلمة الطيبة التي في قلوب المؤمنين، ومثل الكلمة
الخيثة التي في قلوب الكافرين. والكلمة هي قصة جزمة وعقيدة جامعة، وسبب
ﷺ أوتي فواتح لكلام وخواتمه وجوامعه، فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الأولية
والآخريّة على أتم قضية؛ والكلمة الطيبة في قلوب المؤمنين - وهي العقيدة
الإيمانية التوحيدية - كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، فأصل أصول
الإيمان ثابت في قلب المؤمن كشات أصل شجرة الطيبة وفرعها في السماء ﴿يَسْأَلُ
يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [طبر ١٠] والله - سبحانه - مثل الكلمة
الطيبة، أي: كلمة التوحيد، بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وما استدر شيخ الإسلام بهذه الآية التي ضرب الله فيها المثل للكلمة الطيبة
كلمة التوحيد والإيمان بالشجرة الطيبة لها أصل ثابت وفرعها في السماء فكما أن لهذه
الشجرة الطيبة أصل يقوم عليها فروع ولها ثمار طيبة؛ كذلك شجرة الإيمان لها أصل
ثابت ولها فروع وثمار طيبة ولأصل كما قال: ما انتى عليه غيره أو ما تفرع عنه غيره.
هكذا يفهم العلماء الراسخون القرآن وأمثله المصروبة وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يعقلها إلا العالمون.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«قد عمر بن عبد العزيز: «من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما
يصلح». فأما العمل الصالح - لبطن والظاهر - فلا يكون إلا عن علم، ولهذا أمر

الله ورسوله بعبادة الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له ونحو ذلك، فإن هذه الأسماء تنظم العلم والعمل جميعاً. علم القلب وحاله، وإن دخل في ذلك قول اللسان وعمل الجوارح أيضاً، فإن وجود الفروع الصحيحة مستلزم لوجود الأصول، وهذا ظاهر، ليس الغرض هنا بسطه. [مجموع الفتاوى (٢/ ٣٨٢)]

وقال أيضاً: «والدين القائم بالقلب من الإيمان علماً وحالاً هو «الأصل» والأعمال الطاهرة هي «الفروع» وهي كمال الإيمان». [مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٥٥)].

٤- قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (١/ ١٧١ - ١٧٤):
«ومنها أي: الأمثال قوله تعالى: ﴿أَنْتَ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٠﴾ تُؤْتِي أُكْثُهَا كُلَّ حِينٍ بِذَوْبِ رَبِّهَا وَيَصْرِفُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلَّذِينَ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾».

فشبه الآية الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبةثمر العمل الصالح، والشجرة، لطيفة ثمر الثمر الدافع، وهذا طاهر على قور جمهور المفسرين الذين يقولون: الكلمة الطيبة: هي شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنها ثمر جميع لأعمال لصالحه الطاهرة والباطنة؛ فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة، وفي تفسير علي بن أبي صخرة عن ابن عباس قال: ﴿كَلِمَةُ طَيِّبَةٍ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو المؤمن ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ قور لا إله إلا لله في قلب المؤمن ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء.

وقال الربيع بن أنس: ﴿كَلِمَةُ طَيِّبَةٍ﴾ هذ مثل الإيمان؛ فالإيمان الشجرة الطيبة، وأصلها، ثلاث الذي لا يزول الإخلاص فيه، وفرعه في السماء: خشية لله، والتشبيه على هذا القور أصح وأظهر وأحسن؛ فإنه - سبحانه - شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة لطيفة الثابتة لأصل البسقة انفرع في السماء عبوا التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين، وإذا تأملت هذا التشبيه رأيت مطابقاً لشجرة التوحيد، الثالثة الرسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى لسماء، ولا تزال هذه الشجرة ثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقوقها ومراعاتها حق رعايتها.

فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها - التي هي حقيقتها - واتصف قلبه بها وانصبغ بها بصيغة الله التي لا أحسن صيغة منها ؛ فعرف حقيقة الإلهية التي يشهد بها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصديقها جوارحه ، ونفى تلك الحقيقة ولو أزمها عن كل ما سوى الله وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات ، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائفة سالكة سبل ربه ذللاً ، غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً ، كما لا يتغنى القلب سوى معبوده الحق بدلاً ؛ فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من لعمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت ، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلما كثيراً طيباً يقاربه عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب كما قال تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ . فأخبر سبحانه - أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملاً صالحاً كل وقت .

والمقصود : أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفاً بمعناها وحقيقتها نفيًا وإثباتًا متصفاً بموجبها قائماً قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته ، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد أصلها ثابته راسخ في قلبه وفروعها متصلة بالسماء وهي مخرجة لثمرتها كل وقت .

ومن السلف من قال : إن الشجرة الطيبة : هي النخلة ويدل عليه حديث ابن عمر الصحيح .

ومنهم من قال : هي المؤمن نفسه كما قال محمد بن سعد : حدثني أبي . حدثني عمي : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿وَأَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ يعني بالشجرة الطيبة : المؤمن ، ويعني بالأصل الثابت في الأرض والفرع في السماء يكون المؤمن يعمل في الأرض وتكتم فيبلغ عمله وقوله السماء وهو في الأرض وقال عطية العوفي في قوله : ﴿وَصَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال : ذلك مثل المؤمن لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح يصعد إلى الله .

وقال الربيع بن أنس: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرْعُهَا فِي الشَّكَلِ﴾ قال. ذلك المؤمن ضرب مثله في الإخلاص لله وحده وعبادته وحده لا شريك له ﴿أَصْنَهَا ثَابِتٌ﴾ قال: أصل عمله ثابت في الأرض ﴿وَقَرْعُهَا فِي الشَّكَلِ﴾ قال: ذكره في السماء، ولا اختلاف بين القولين، والمقصود بالمثل المؤمن، والنخلة مشبهة به وهو مشبه بها، وإذا كانت النخلة شجرة طيبة فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك، ومن قال من السلف إنها شجرة في الجنة فالنخلة من أشرف أشجار الجنة.

حكمة تشبيه المؤمن بالشجرة

وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق به ويقتضيه علم الذي تكلم به وحكمته.

فمن ذلك أن الشجرة لا بد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر فكذلك شجرة الإيمان والإسلام ليطابق المشبه المشبه به، فعروقتها: العلم والمعرفة واليقين، وساقها: الإخلاص، وفروعها: الأعمال، وثمرتها: ما توجه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة والأحلاق الزكية والسمت الصالح والهدي والدل المرضي؛ فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور.

أقول:

١- انظر إلى قوله «لأن الكلمة الطيبةثمر العمل الصالح والكلمة الطيبة عند الجمهور هي شهادة أن لا إله إلا الله تثمر الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، كل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة».

٢- وانظر إلى قوله: «والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن؛ فإنه - سبحانه - شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علواً... إلى قوله: وإذا تأملت هذا التشبيه رأيت مطابقاً لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة... إلخ.

٣ وإلى قوله: «وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق به ويقتضيه علم الذي تكلم به وحكمته؛ فمن ذلك: أن الشجرة لا بد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر، فكذلك شجرة الإيمان والإسلام؛ ليطابق المشبه المشبه به؛ فعروقه: العلم والمعرفة واليقين، وساقها: الإخلاص، وفروعها الأعمال، وثمرتها: ما توجه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة والأحلاق الزكية والسمات الصالح والهدي والذل المرضي، فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور».

فتراه هنا اعتبر الإخلاص والتوحيد شجرة في قلب المؤمن وفروعها الأعمال... إلخ.

والشرك والكذب والرياء شجرة في قلب الكافر وذكر أن ثمارها في الدنيا الخوف وثمارها في الآخرة: الزقوم والعذاب الأليم، وأحال بالمثلين إلى القرآن سورة إبراهيم.

فهل هذا الإمام مرجئ عند أجهل الفرق؟

بل أهل السنة كلهم مرجئة على أصلهم ومذهبهم، ومنهم جمهور المفسرين، لكن القرآن والسنة يبرآن أهل السنة وأئمتهم مما يقذفهم به الحدادية: خوارج ومرجئة العصر تبعاً للخوارج الأولين.

وقال رحمه الله في كتابه «الفوائد» (ص ١٧٩، ١٨٠ طدار مكتبة الصفا):

«والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب؛ فروعها: الأعمال، وثمرها: طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة، وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فثمره التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك».

والشرك والكذب والرياء؛ شجرة في القلب ثمرها في الدنيا: الخوف والهم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة: الزقوم والعذاب المقيم، وقد ذكر الله هاتين الشجرتين في سورة إبراهيم.

٥- وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٥١):

«وقد ضرب العلماء مثل الإيمان بمثل شجرة لها أصل وفروع وشعب فاسم

الشجرة يشمل ذلك كله، ولو زال شيء من شعبها وفروعها لم يزل عنها اسم الشجرة، وإنما يقال: هي شجرة ماقصة أو غيرها أتم منها

وقد ضرب الله مثل الإيمان بذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

والمراد بالكلمة: كلمة التوحيد، وبأصلها التوحيد، الثابت في القلوب، وأكلها: هو الأعمال الصالحة الناشئة منه.

وضرب النبي ﷺ مثل المؤمن والمسلم بالنخلة ولو زال شيء من فروع النخلة أو من ثمرها لم يزل بذلك عنها اسم النخلة بالكيفية، وإن كانت ماقصة الفروع أو الثمر.

وقال أيضًا في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١/ ٢٧ ٢٨):

وقد ضرب الله ورسوله مثل الإيمان والإسلام بالمخنة، قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

فالكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد وهي أساس الإسلام، وهي جارية على لسان المؤمن وثبوت أصلها هو ثبوت التصديق بها في قلب المؤمن، وارتفاع فرعها في السماء: هو علو هذه الكلمة وبُسوقها وأنها تخرق الحجب ولا تنتهي دون العرش، وإتيانها أكلها كل حين: هو ما يرفع بسببها للمؤمن في كل حين من أقوال الطيب والعمل الصالح؛ فهو ثمرتها.

وجعل النبي ﷺ مثل المؤمن أو المسلم كمثل المخلقة.

وقال طاووس: مثل (الإسلام) كشجرة أصلها الشهادة، وساقها كذا وكذا، وورقها كذا وكذا، وثمرها الورع، ولا خير في شجرة لا ثمر لها، ولا خير في إنسان لا ورع فيه.

ومعلوم أن ما دخل في مسمى الشجرة والمخلقة من فروعها وأغصانها وورقها وثمرها إذا ذهب شيء منه لم يذهب عن الشجرة اسمها؛ ولكن يقال: هي شجرة

ناقصة، وغيرها أكمل منها، فإن قطع أصلها وسقطت لم تبق شجرة؛ وإما تصير خطباً، فكذلك الإيمان والإسلام إذا زال منه بعض ما يدخل في مسماه مع بقاء أركان بيانه لا يزول به اسم الإسلام والإيمان بالكلية، وإن كان قد سلب الاسم عنه لنقصه بخلاف ما انهدمت أركانه وبنائه فإنه يزول مسماه بالكلية، والله أعلم»

أقول: وهذا المثل القرآني من أقوى وأوضح الأمثلة والأدلة على أن للإيمان أصلاً وفروعاً وهذا المثل وتفسيره من أقوى ما يرد به على الخوارج الذين يكفرون المؤمن بارتكاب لكيرة ويخرجونه من الإسلام، لأن عقيدتهم العاسدة تقول: إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله.

وهو أيضاً رد على المرجئة الذين يعتقدون أن العمل ليس من الإيمان، ويعتقدون أيضاً أنه إذا ذهب بعضه ذهب كله، وينكرون أن يكون العمل من الإيمان.

٦- قال الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمته الله في «فتح المجيد» (ص ٨، ٩):
«وأما كتابه^(١) المذكور فموضوعه في بيان ما بعث به الله رسوله من توحيد العبادة وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كماله الواجب، من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه»
أقول: إن توحيد العبادة هو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله أصل الإيمان، وأن الشرك الأكبر ينافي هذا التوحيد، والشرك الأصغر ينافي كماله، وإذن فلا إيمان أصل وكمال عند هذا الإمام وهذا سير منه على طريق السلف.

ونقل عن الإمام ابن القيم رحمته الله قوله «فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته وأمره ونهيه، فهو حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما

(١) يعني: كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله

حبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في المعقب من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فلقرآن كنه في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم انتهى^(١).

انظر كيف جعل للتوحيد بأنواعه حقوقاً ومكملات وهي الأوامر والنواهي والطاعات فما حكم ابن القيم والشيخ عبد الرحمن هل قالوا هنا بقول المرجئة. فما أكثر سعي الحدادية لهدم أهل السنة وأصولهم العظيمة بجها لانهم ووساوسهم.

قال الإمام محمد رحمته الله في كتاب التوحيد في باب: من الشرك لبس الحلثة والخيطة ونحوهما . . . إلخ، ساق في الباب بعض الأدلة، ثم قال: «ولا بن أبي حاتم عن حذيفة: أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾».

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد» (ص ١٠٤-١٠٥) «قوله (وتلا قوله ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ استدل حذيفة رضي الله عنه بالآية على أن هذا شرك، ففيه صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزل الله في الشرك الأكبر لشمول الآية ودخوله في مسمى الشرك، وتقدم معنى هذه الآية عن ابن عباس وغيره في كلام شيخ الإسلام وغيره، والله أعلم، وفي هذه الآثار عن الصحابة ما يبين كمال علمهم بالتوحيد وما يافيه أو يباقي كماله».

هنا يشني الإمام عبد الرحمن على الصحابة بكمال علمهم بالتوحيد وما يافيه وين في كماله، وهذا حق؛ فمن أعلم بالله وبدينه من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم- ١٩

٧- وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في كتاب «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» (ص ١١٤):

«فإن كمال الإسلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونظام ذلك

(١) فتح المجيد (ص ١٥-١٦) ونظر مدارج السالكين، (٣/ ٤٤٩)

بجهاد في سبيل الله، ومن نشأ في المعروف، فلم يعرف غيره، فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم».

وهو يثبت الشيخ سليمان بن عبد الله أن للإسلام كمالاً هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتام ذلك بالجهاد في سبيل الله

٨ وقال الإمام عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمته الله في رده على افتراءات عثمان بن منصور على الإمام محمد بن عبد الوهاب «فمحا الله بدعوته أي الإمام محمد، شعار الشرك ومشاهده، وهدم بيوت الكفر والشرك ومعبدته، وكنت لطواعيت والملحددين، وألزم من طهر عليه من الوادي وسكان انقري بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد والهدى، وكفر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجماء، وأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وترك المسكرات والمسكرات، ونهى عن الاستداع في الدين، وأمر بمتعة سيد المرسلين والسلف الماضين، في الأصول والفروع من مسائل الدين، حتى ظهر دين الله وستعلن وشدان بدعوته منهاج لشريعة والسنن وقام قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحدث الحدود الشرعية، وعززت التعاليم الدينية، وانتصب علم الجهاد، وقاتل لإعلاء كلمة الله أهل الشرك ولعناده، حتى سارت دعوته وشت بصحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعادتهم وجمع الله به لقلوب بعد شتاتها، وتآلفت بعد عداوتها، وصاروا بنعمة الله إخواناً» [صباح غلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام (ص ١٧)].

وقال الإمام عبد اللطيف أيضاً خلال مناقشته لعثمان بن منصور وبيان جهله وضلاله: «ولذلك رد على أهل التوحيد والإيمان بما رده على المتكلمين من أهل منطق اليونان فطن أن لبحث في التوحيد وتحقيقه واليهي عن الشرك وسد ذرائعه، وقطع وسائله وتبين حقيقته. والفرق بين أصغره وأكبره هو من جنس أبحاث المتكلمين المخالفين للسلف في خوضهم في مسألة الجوهر والعرض، وبقية المقولات العشر. ولذلك رد على المسلمين بما رده ابن عقيل على المتكلمين. وذكر أن تحقيق التوحيد وذكر أصوله وفروعه وثمراته وبيان الشرك

وذكر أصوله وفروعه ووسائله ودرائعه من جنس بدعة المتكلمين وافتتح بها البثق .
فقف هنا واعتبر واعرف بعد هذا الصرب من الناس عن طريق العلم والهدى
واعرف ما تضمنته قوله تعالى : ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَصْلُ سَوِيْلٍ﴾ . [مصبح انظام
(ص ٣٧٨) E.]

وعندهم الآن وأمام أعينهم تشاد في الجامعات كليات باسم كليات أصول
الدين ، وكليات الشريعة ، أي : الفروع .
فعلى أي أساس قامت هذه التسميات ، على أيدي علماء السنة والتوحيد ؟
على مذهب الإرجاء عند الحدادية وعلى مذهب أهل السنة عند أهل السنة .
وأقولها صريحة : لو قال عالم إن في الأعمال أصولاً مثل الأركان الأربعة
لصلاة والزكاة والصوم والحج لقلت وغيري : نعم ، ولا حرج في ذلك .
ومع ذلك فهي مرتبطة بأعمال القلوب وقائمة على أساسها كما قرر ذلك علماء
السنة ، وقد ذكرنا أقوالهم وأدلتهم في هذا المقال ، فلا تخالف ولا تصادم بين هذا
القول وذاك .

٩- قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمته الله في تفسير الكريم
الرحمن في تفسير كلام العنان : (ص ٤٢٥) :
يقول تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ وهي شهادة أن لا إله
إلا الله وفروعها ﴿كَشَحَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض
﴿وَفَرْعُهَا﴾ منتشر ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ وهي كثيرة النفع دائماً ، ﴿تُؤْتِي أَكْثَرَهَا﴾ أي :
ثمرتها ﴿كُلَّ حَبٍّ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ فكذلك شجرة الإيمان ، أصلها ثابت في قلب
المؤمن ، علماً واعتقاداً . وفرعها من الكلم الطيب ، والعمل الصالح ، والأحلاق
المرضية ، والآداب الحسنة ، في السماء دائماً ، يصعد إلى الله منه من الأعمال
والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ، ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره ﴿وَيُغْنِيكَ
لِللَّهِ الْأَمْثَالُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ما أمرهم به ونهاهم عنه ، فإن في ضرب الأمثال
تقريباً للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة ، ويتبين المعنى الذي أراده الله
عاية البيان ويتضح غاية الوضوح ، وهذا من رحمته وحسن تعليمه . فلهذا أتم الحمد

وأكمّله وأعمّه ، فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها في قلب المؤمن .

وقال **رَحِمَهُ اللهُ** في «القول السديد» (المجموعة الكاملة ٣ / ١٣-١٤) في شرح باب ' من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب :

«وهذا الباب تكميل للباب الذي قبله وتابع له ، فإن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر ، ومن البدع القولية الاعتقادية ، والبدع الفعلية العملية ، ومن المعاصي وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات ، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد ، ومن الشرك الأصغر المتنافي لكماله ، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تكدر التوحيد وتمنع كماله ، وتعرفه عن حصول آثاره» .

فهنا صرح الشيخ السعدي بأن للتوحيد أصلاً ينافيه الشرك الأكبر ، وله كمال ينافيه الشرك الأصغر وأن البدع والمعاصي تمنع من كمال الإيمان .

فماذا يريد من ينكر أن للإيمان أصلاً وكمالاً (فرعاً)؟ وبأي حق يضل من يثبت ما أثبتته الله ورسوله وقال به علماء السنة وأئمتها؟!

وقال **رَحِمَهُ اللهُ** في كتاب «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (٨٧ / ٨٨) :

«أما بعد : فهذا كتاب يحتوي على مباحث الإيمان التي هي أهم مباحث الدين ، وأعظم أصول الحق واليقين ؛ مستمداً ذلك من كتاب الله الكريم الكفيل بتحقيق هذه الأصول تحقيقاً لا مزيد عليه ومن سنة نبيه محمد ﷺ : التي توفى الكتاب وتفسره وتعبّر عن كثير من مجملاته ، وتفصل كثيراً من مطلقاته . مُبَيِّنٌ تفسيره ، مُثَبِّتٌ بذكر أصوله ومقوماته ، ومن أي شيء يستمد؟ مثلاً بفوائده وثمراته ، وما يتبع هذه الأصول .

قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يُؤْتِي مِنْ رِزْقِهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم : ٢٤-٢٥] .

فمثل الله كلمة الإيمان التي هي أطيب الكلمات شجرة هي أطيب الأشجار ، موصوفة بهذه الأوصاف الحميدة : أصولها ثابتة مستقرة ، ولماؤها

مستمر، وثمراتها لا تزال، كل وقت وكل حين، تغل على أهلها وعلى غيرهم
المنافع المتنوعة، والثمرات النافعة.

وهذه الشجرة متعاقبة في قلوب المؤمنين تفاوتًا عظيمًا، بحسب تفاوت هذه
الأوصاف التي وصفها الله بها.

فعلى العبد الموفق أن يسعى لمعرفة أوصافها وأسبابها، وأصولها
وفروعها؛ ويجتهد في التحقق بها: علمًا وعملاً. فإن نصيبه من الخير والفلاح،
والسعادة العاجلة والآجلة بحسب نصيبه من هذه الشجرة.

انظر قوله عن شجرة الإيمان وتفاوتها: «فعلى العبد أن يسعى لمعرفة ومعرفة
أوصافها وأسبابها وأصولها وفروعها». إلخ.

وحاصل ما دل عليه الكتاب والسنة وكلام الأئمة: أن للإيمان أصولًا وفروعًا
وكمالات وأن الإيمان كالشجرة الطيبة لها أصل وفروع وثمار وتلك الفروع والثمار
من تلك الشجرة.

فأين هذا المذهب الأصيل القائم على الكتاب والسنة وآمن به أساطين الأمة
من مذهب الإرجاء الذي لا يعتبر العمل من الإيمان وأنه لا يزيد ولا ينقص، أي.
أنه ليس من شجرة الإيمان، وأهل السنة يعتبرون العمل من الإيمان وفرع وكمال
للايمان ومن شجرة الإيمان.

وهذا ما تيسر نقله من كلام الأئمة العلماء والتعليقات الموجزة عليه، وأسأل
الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

وكتبه

ربيع بن هادي بن عمير المدخلي

١٠ / شوال / ١٤٢٧ هـ

القول الواضح المبين
في المراد بظل الله
الذي وعد به المؤمنين العاطلين

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد حصل أخيراً اختلاف في حديث: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ»، وكثرت التساؤلات عن المراد منه؛ فرأيت أن من واجبي أن أبين مراد رسول الله ﷺ من هذا الحديث في ضوء النصوص النبوية والقواعد الشرعية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أسأل الله أن يتفعمني ويفع إخواني المسلمين بهذه الدراسة، وأن يجعله في صحيفة حسناتي.

* نص الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابُّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَوْمَئِذٍ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١)

هذا الحديث صحيح؛ اتفق الشيخان على تخريجه، نسأل الله أن يجعلنا من أهله.

لكن ما المراد من قوله ﷺ: «يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»؟

(١) أخرجه أحمد (٩٦٦٥)، والبخاري في كتاب الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الجماعة (٦٦٠) و(١٤٢٣) و(٦٨٠٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: فضل إحصاء الزكاة (١٠٣١)، والترمذي في كتاب الزهد، باب: الحب في الله (٢٣٩١) وغيرهم.

والجواب: أن هذا الطل إنما هو ظل العرش، وإضافته إلى الله إنما هو من باب إضافة المخلوق إلى خالقه إضافة تشريف مثل:

١- قول الله تعالى: ﴿بَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [النسر: ١٣].

٢- ومثل قوله تعالى: ﴿وَلَطَمَرُ بَيْتِي لِلطَّافِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ [الحج: ٢٦].

٣- ومثل قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح: ٢٩].

٤- وقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الأنعام: ١].

فإضافة هذه الناقة إلى الله إضافة تشريف، وإضافة البيت إلى الله -والمراد به الكعبة- إضافة تشريف، وكذلك إضافة الرسول إلى الله إضافة تشريف، وكل أولئك مخلوقون، وإضافتهم إلى الله إضافة مخلوق إلى خالقه إضافة تشريف، وإلا فالعالمون كلهم مخلوقون.

* وهناك قواعد عظيمة يجب مراعاتها عند تفسير كلام الله وكلام رسوله ﷺ

منها: قاعدة عظيمة يذكرها شيخ الإسلام في المضاف إلى الله، ينبغي للمباحث في قضايا التوحيد وما يتصل بها أن يراعيها ويجعلها نصب عييه، ومن لم يراعها وقع في الخطأ مهما بلغ من العلم والفضل

* وسألخص كلامه بحسب ما يقتضيه المقام:

قال رحمه الله في مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٠-٢٩١) وهو يتحدث عن الروح في الإنسان، وأنها تدبر الجسم وتخالطه، وأن نسمة المؤمن طائر تعلق من ثمر الجنة ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، وأن الأرواح أسودة عن يمين آدم وعن يساره، وأنها تقبض وترسل، وأنها تعرج إلى السماء، وأنها تسمى روحاً وتسمى نفساً باعتبارين.

ثم قال: «ولهذا تسمى الريح روحاً، وقال النبي ﷺ: «الريح من روح الله»، أي: من الروح التي خلقها الله».

ثم ذكر القاعدة العظيمة فقال: «إضافة الروح إلى الله إضافة ملك لا إضافة وصف؛ إذ كل ما يضاف إلى الله إن كان عيًّا قائمة بنفسها فهو ملك له، وإن كان

صفة قائمة بعيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة لله .

فالأول : كقوله : ﴿ نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ [الشعر : ١٣] .

وقوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ وهو جبريل ، ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [١٧] قَالَتْ
إِنِّي أَعوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا [١٨] قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا [١٩]
[مريم : ١٧-١٩] .

وقال : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] .

وقال عن آدم : ﴿ إِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقُمْوا لَهُمْ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩] .

قلت : يعني أن هذه الأمور المذكورة في هذه الآيات التي مثل بها هي أعيان
قائمة بذاتها فإضافتها إلى الله إضافة ملك ، أو قل : إضافة تشريف ، وليست من
باب إضافة الصفة إلى الموصوف ، تعالى الله عن ذلك .

ثم قال ﷻ : «والثاني : كقولنا : علم الله ، وكلام الله ، وقدرة الله ، وأمر
الله» .

قلت : يعني أن هذه الصفات الجليلة صفات لله قائمة بذاته ، فإضافتها إليه من
إضافة الصفة إلى الموصوف .

ثم قال ﷻ : لكن قد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به ، فيسمى المعلوم
علماً ، والمقدور قدرة ، والمأمور أمراً ، والمخلوق بالكلمة كلمة ، فيكون مخلوقاً
كقوله : ﴿ أَأَنْتَ أَتَرُ اللَّهَ فَلَا تَسْمَعُ لِحُكْمِهِ ﴾ [النحل : ١] .

وقوله : ﴿ إِنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ
مِّنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] .

ومنه قوله في الحديث الصحيح للجنة : «أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من
عبادي» كما قال للنار : «أنت عذابي أعذب بك من أشياء ، ولكل واحدة منكما
ملوها» .

قلت: أي أن الإضافات في هذه الأمثلة من إضافة المخلوق إلى الخالق ﷻ كقوله: ﴿أَنَّى أَمَرَ اللَّهُ﴾، أي: مأموره، وقوله عن عيسى: إنه كلمته وكلمة منه، أي: أنه كان وخلق بالكلمة التي هي كلمة الله التي يخلق بها.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].
﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنَبِّئَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا مَلَكَيْنِ﴾
﴿فَفَصَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١١-١٢] الآية.

وقوله للجنة: «أنت رحمتي»، وللنار: «أنت عذابي»، من إضافة المخلوق إلى الخالق.

وكل هذه الأشياء المذكورة أعيان قائمة بنفسها؛ فإضافتها إلى الله من إضافة المخلوق إلى الخالق.

وذكر شيخ الإسلام هذه القاعدة العظيمة في موضع آخر^(١) وجعل المضاف إلى الله في الكتاب والسنة ثلاثة أقسام:

ومثل لإضافة الصفة إلى الموصوف: بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْكَلِيمِ﴾ [الدَّارِيات: ٥٨].

وقوله ﷻ: «اللهم إني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك».

وقال في الحديث الآخر: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق».

ومثل لإضافة المخلوقات إلى الخالق: بقول الله تعالى: ﴿نَافَثَةُ اللَّوِّ وَشَقِيقَتَا﴾ [الشمس: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَطَهَرَ بَيْتِي لِلطَّائِبِينَ﴾ [الحج: ٢٦].

وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

و: ﴿بَيَّادَ اللَّهِ﴾ [الصافات: ٤٠].

(١) (ص ٣٩ - ٤٠)

أبو كريب، قال. حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن داود بن قيس، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنظر معسراً أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله». وفي الباب عن أبي اليسر، وأبي قتادة، وحذيفة، وابن مسعود، وعبادة، وجابر.

حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/٣٥٩)؛ قال: حدثنا إسحاق بن سليمان. حدثنا داود بن قيس، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة... وساق المتن مثله إلا أنه قال. «أظله الله في ظل عرشه يوم القيامة».

وهو حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، كما قال الإمام الترمذي

٢،٢. حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت:

قال الإمام أحمد في المستد (٥/٢٣٦-٢٣٧): حدثنا وكيع، حدثنا جعفر بن برقان، عن حبيب بن أبي مرزوق، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي مسلم الخولاني قال. أتيت مسجد أهل دمشق؛ فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب النبي ﷺ ود شرب فيهم أكحل العين براق الثياب كلما اختفروا في شيء ردوه إلى الفتى فتى شاب قال. قلت لجليس لي: من هذا؟ قال: هذا معاذ بن جبل، قال: فجئت من العشي، فلم يحضروا، قال: وغدوت من العمد. قال. فلم يجيئوا، فرحت فإذا بالشاب يصلي إلى سارية فركعت ثم تحولت إليه، قال: فسلم فدنوت منه فقلت: «يا أباي لأحبك في الله» قال فمدني إليه، قال: كيف كنت؟ قلت: يا أباي لأحبك في الله، قال. سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربه، يقول. «المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله».

قال: فخرحت حتى لقيت عبادة بن الصامت فذكرت له حديث معاذ بن جبل. فقال. سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربه ﷻ يقول «حققت محبتي للمتحابين في، وحققت محبتي للمتباذلين في، وحققت محبتي للمتزاورين في، والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله»

إسناد حديث معاذ وعبادة بن الصامت رجاله رجال الصحيحين إلا جعفر بن

برقان؛ فإنه من رجال مسلم والأربعة، وثقه ابن معين وابن نمير إلا في حديث الزهري فإنه ضعيف فيه.

وقال الإمام أحمد: لا بأس به في غير حديث الزهري.

وقال أبو حاتم: محله الصدوق يكتب حديثه.

وقال الحافظ: صدوق يهم في حديث الزهري، ونقل فيه الذهبي توثيق ابن معين فقط.

والأحبيب بن أبي مرزوق فإنه ثقة فاضل من رجال الترمذي والمصنف، وبقيته رجاله رجال الصحيحين؛ فالحديث حسن لذاته يحتمل الصحة ويزداد قوة وصحة بحديث أبي هريرة السابق وبما يأتي بعده.

وأخرج البغوي حديث «سبعة يظلهم الله في ظله...» الحديث، في شرح السنة (٢/ ٣٥٤-٣٥٥) ثم قال «قيل في قوله: يظلهم الله في ظله؛ معناه: إدخاله إليهم في رحمته ورعايته، وقيل المراد منه ظل العرش»

وروي عن شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة في هذا الحديث: «سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»، وعلق عليه المحقق بقوله: أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣٧١) وفي سده جعفر بن محمد بن الليث صعبه الدارقطني وقال: كان يتهم في سماعه

وقال البغوي: «وروي عن سلمان أنه قال: التاجر الصدوق مع السعة في ظل عرش الله يعني: مع هؤلاء السعة التي جاءت في الحديث».

وقال البغوي: «وروي أيضًا عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة»

وأورد البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣٧١) حديث السعة، قال: «ومعناه عند أهل النظر: إدخاله إليهم في رحمته ورعايته كما يقال: أسل الأمير أو نورير ظله على فلان بمعنى لرعاية، وقيل: المراد بالحر ظل العرش».

أقول: وتأويله بالرحمة والرعاية غلط، وأهل النصرة - فيما يبدو - هم أهل الكلام الذين دأبهم التأويل.

والحق: أن المراد به: ظل العرش، كما هو ثابت بالأحاديث الصحيحة.
ثم ساق البيهقي بإسناده رواية شعبة، عن خبيب، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة، ورواية ابن سيرين عن أبي هريرة بدون إسناده.
وأخرجه الخطيب في تاريخه (٢٥٣/٩ - ٢٥٤)، والبيهقي في الشعب من طريق عبد الله بن عامر الأسلمي، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «تحت عرشه»، وعبد الله بن عامر ضعيف لكنه ليس بمتروك، وحديثه حسن في المتابعات. قاله الحافظ في المتح (١٤٧/٢).
ونقله عنه الألباني في الثمر المستطاب (٢/٦٣١-٦٣٢)، وقال: «يقويه الحديث الآخر لمشار إليه حديث سلمان عبد سعيد بن منصور بإسناد حسن موقوف عليه، قال الحافظ: لكن له حكم الرفع، وهذا القول للحافظ في المتح (١٤٧/٢)»
حديث معاذ من طريق أخرى:

وقال الإمام أحمد في المسند (٢٣٣/٥): حدثنا روح، ثنا الحجاج بن الأسود، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «المتحابون في الله في ظل العرش يوم القيامة».

حديث معاذ هذا فيه الحجاج بن أبي زياد الأسود، وثقه الإمام أحمد وقال رجل صالح.

وقال أبو حاتم: صالح الحديث. وفيه شهر بن حوشب.
قال الحافظ ابن حجر: صدوق كثير الإرسال والأوهام، وضعفه شعبة ووثقه الإمام أحمد وابن معين.

وقال أبو حاتم: ليس بدون أبي الزبير (٤)، وقرنه مسلم. راجع الكاشف (١/٤٩١).

وروي عن عبادة؛ ثقة فاضل روى له الجماعة.
وعلى كل حال؛ فهو يتقوى بما قبله وبما بعده من الأحاديث الواردة في هذا البحث.

وأخرج حديث عبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عبد الله ابن أحمد في زوائد المسند (٣٢٨/٥)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده، وابن حبان كما في الإحسان (٣٣٨/٢).

قال عبد الله بن أحمد: ثنا أبو أحمد مخلد بن الحسن أبو زميل إملاء من كتابه، ثنا الحسن بن عمر بن يحيى الفزاري ويكنى أبا عبد الله ولقبه أبو المليح الرقي، عن حبيب بن أبي مرزوق... به.

وساقه أبو يعلى بهذا الإسناد، ورواه ابن حبان من طريق أبي يعلى... به. الحسن بن عمر الفزاري أبو المليح الرقي؛ قال فيه الحافظ الذهبي: وثقه ابن معين وأحمد، وقال فيه الحافظ ابن حجر: ثقة/بخ دس. ومخلد بن الحسن؛ قال فيه الذهبي: وثقه النسائي، وقال الحافظ ابن حجر: لا بأس به.

فهذا الإسناد صحيح يحتمل التحسين ويقويه ما قبله وما بعده

٤- حديث العرياض بن ساوية،

قال الإمام أحمد في مسنده (١٢٨/٤): حدثنا هيثم بن خارجة قال. حدثنا ابن عياش -يعني- إسماعيل-، عن صفوان بن عمرو وعبد الرحمن بن ميسرة، عن العرياض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﻻ المتحايون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي»، قال عبد الله: وأحسبني قد سمعته منه.

حديث العرياض رضي الله عنه في إسناده إسماعيل بن عياش الحمصي، قال فيه الذهبي: عالم الشاميين، قال يزيد بن هارون. ما رأيت أحفظ منه، وقال دحيم: هو في الشاميين غاية وخلط في المدنيين، وقال البخاري إذا حدث عن أهل حمص فصحيح، وقال أبو حاتم: ليس الكاشف (٢٤٩/١)

وقال الحافظ ابن حجر: صدوق في روايته عن أهل بلده، محلط في غيرهم أقول: والذي يترجح لي: ما قلته فيه يريد بن هارون ودحيم والبخاري، لا سيما ودحيم من أهل بلده؛ فهو أعرف به من أبي حاتم، وروايته هنا عن الشاميين

الحمصيين .

صفوان بن عمرو السكسكي أبو عمرو الحمصي ؛ ثقة .

وعبد الرحمن بن ميسرة الحصرمي ؛ مقبول من الربعة ، وفيه الهيثم ابن خارجة الحرساني ، قال فيه الذهبي : الحافظ ببعداء ، وكان يسمى شعبة الصغير . الكاشف (٢/ ٣٤٤) .

وقال أبو حاتم : صدوق . الحرج والتعديل (٩/ ٨٦) .

وقال الحافظ ابن حجر : صدوق / خ س ق .

والحديث صحيح يحتمل التحسين ويتقوى بما قبله وبما بعده .

وحسّ الألباني إسناده حديث العرياض هذا في مختصر العلو (ص ١٠٦) ثم قال : أخرجه أحمد (٤/ ١٢٨) وقال : قال المدوري في الترغيب (٤/ ٤٨) : بإسناد جيد .

٥- حديث أبي قتادة :

قال الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٠٠ و ٣٠٨) : حدثنا يونس وعفان قالا : ثنا حماد بن سلمة ، قال عفان في حديثه : أنا أبو جعفر الحطيمي ، عن محمد بن كعب لقرطبي ، عن أبي قتادة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ نَفَسَ عَنْ غَرِيمِهِ أَوْ مَحَاهُ عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

ورواه الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في سننه (٢/ ١٧٦) من طريق عفان . . . به .

حديث أبي قتادة في إسناده حماد بن سلمة الإمام ؛ قال فيه الحافظ ابن حجر ثقة عابد أثبت الناس في ثبوت ، وتعبير حفظه بأخوة . نخت م ٤ .

وقال فيه الذهبي : قال ابن معين : إذا رأيت من يقع فيه وتهمه على الإسلام

ثم قال الذهبي . قلت : هو ثقة صدوق يغلط ، وليس في قوة ذلك .

أقول : وكون حماد بن سلمة تغير بأخوة فإن تعيره لا يصح بكثير من أحاديثه ، ومنها هذا الحديث ؛ فإنه من رواية عفان عنه .

قال عبد الله بن أحمد : سمعت يحيى بن معين يقول : من أراد أن يكتب حديث حماد فعليه بعفان بن مسلم .

وقال النسائي : « أثبت أصحاب حماد بن سلمة : ابن مهدي ، وابن المبارك ، وعبد الوهاب الثقفي » الكواكب النيرات (ص ٤٦١) .

أبو جعفر الخطمي ؛ هو عمير بن يزيد الأنصاري نزيل البصرة .

قال الحافظ ابن حجر : صدوق / ٤ .

وقال الحافظ الذهبي . ثقة . الكاشف (٢/ ٩٨) .

وقال ابن أبي حاتم : عن إسحاق بن منصور ، عن يحيى بن معين أنه قال أبو جعفر الخطمي ثقة .

وفيه محمد بن كعب القرظي ؛ ثقة حجة . قاله الحافظ الذهبي في الكاشف (٢/ ٢١٣) .

وقال الحافظ ابن حجر : ثقة عالم . التقريب .

فهذا الحديث يهد الإسناد صحيح يحتمل التحسين ويزداد قوة بما قبله .

وبالجملة ؛ فهذا الحديث صحيح في أقصى درجات الصحة ؛ حيث روي عن عدة من الصحابة وبعض طرقه صحيح لا غبار عليه وبعضها صحيح يحتمل التحسين ، وبمجموع طرقه يقرب من التواتر .

ورواه البيهقي في شرح السنة (٨/ ١٩٩) من طريق الدارمي . به ، وقال

هذا حديث حسن ، وصححه الألباني في الجامع لصغير (٦٤٥٢)

٦- حديث أبي اليسر ،

قال أبو بكر بن أبي شيبة (٧/ ٥٥٢) حديث (٢٢٤٨٤) : حدثنا حسين بن علي ،

عن رائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن رعي قال : حدثني أبو اليسر قال : قال رسول الله ﷺ : « من أنظر معسراً أو وضع له أظله الله في ظل عرشه »

وهذا إسناد صحيح ، أبو بكر هو الإمام ، ورجل إسناده عنهم ثقات رجال الجماعة .

٧- حديث سلمان رضي الله عنه:

قال البيهقي رحمته الله بعد أن نقل قول من قال: إن المراد بالخبر ظل العرش وإنما الإضافة إلى الله بمعنى الملك.

قال: واحتج من قال ذلك بما أخبرنا أبو الحسن بن بشران، أنا إسماعيل الصفار، حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن قتادة قال: إن سلمان قال: «التاجر الصدوق مع السبعة في ظل عرش الله تعالى يوم القيامة...»، ثم ذكر السعة في الخبر المرفوع. الأسماء والصفات (ص ٣٧١)، وحسن ابن حجر إسناده في الفتح (١٤٤/٢).

والحاصل: أن حديث سلمان يتقوى بما قلناه من الأحاديث، وهي تردده قوة وصحة لاسيما وحديث سلمان في درجة الحسن كما قال الحافظ.

ولقد تمنيت ألا يذكر البيهقي والحافظ هذا التأويل لاسيما وقد دلت الأحاديث الصحيحة على مراد رسول الله من قوله «في ظله» حيث بينت هذه الأحاديث أن هذا الظل المبهم في حديث السبعة أنه ظل عرش الله، وإن كان يظهر من كلامهما ترجيح ما دلت عليه هذه الأحاديث، بل صرح الحافظ بترجيح ما دلت عليه هذه الروايات.

ويظهر والله أعلم- أن بعض العلماء حينما يسوقون حديث السعة لا يستحضرون هذه الأحاديث، ويحتمل أنها لم تبغلوهم، ولولا ذلك لما لجئوا إلى التأويل المذكور.

أقوال العلماء في إثبات أن هذا الظل إنما هو ظل العرش

١- الإمام ابن حبان:

بن حبان يرى أن الظل الوارد في حديث السبعة إنما هو ظل العرش. قال -رحمه الله تعالى- كما في الإحسان (٢/٣٣٢): «ذكر الخصال التي يرتجى لمن فعلها أو أخذ بها أن يظله الله يوم القيامة في ظل عرشه...».

ثم ساق حديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...» الحديث، من طريق حفص بن عاصم، عن أبي سعيد أو عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. فانت ترى أنه أخذ هذه الترجمة التي فيها أن الظل إنما هو ظل العرش أخذها من هذا الحديث حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله، وهذا أمر واضح.

٢- الإمام محمد بن إسحاق بن منده رحمته الله.

قال رحمته الله: «بيان آخر يدل على أن العرش» ظل يستظل فيه من يشاء الله من عباده» أخبرنا علي بن الحسن بن علي، ثنا إسحاق ابن الحسن بن ميمون، ثنا شريح بن النعمان، ثنا فليح بن سليمان، عن عبد الله بن عبد الرحمن أبي طوالة، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي» انظر: «كتاب التوحيد» لابن منده (٣/ ١٩٠-١٩١).

وساق هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، ثم أورد حديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» من ثلاث طرق، وفي لطريق الأخيرة عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد.

وظاهر من ترجمة الإمام ابن منده لهذه الأحاديث: أنه يعتقد أن لظل المذكور في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله أن المراد منه ظل العرش.

٣- الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي رحمته الله.

قال رحمته الله في شرح مشكل الآثار (٧٣/ ١٥) بعد أن روى حديث أبي هريرة في السبعة الذين يظلهم الله في ظله من ثلاثة طرق في طريقين منها: «يظلهم بظله»، وفي الثالث: «يظلهم الله بظل عرشه» قال عقب ذلك:

«ثم نظرنا في الأصل المذكور في هذا الحديث ما المراد به؟ فممكن أن يكون في حديث ماثل عن حبيب بن عبد الرحمن ما يدل على ذلك ما هو وهو قوله: «يظلهم الله في ظل

(١) كذا، والصواب: «أن للعرش»، ولعل الخطأ من الساخ أو الطابع.

عرشه» فأحبر بذلك أن الظل المراد في هذا الحديث هو ظل عرش الله ﷻ .
وقد روي في مثل هذا المعنى من الظل المذكور في كتاب الله ﷻ . ﴿وَيُظِلُّ
مَذُودًا﴾ [الزمر: ٢٠] .

٤ الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر رحمه الله :

قال في التمهيد شرح الموطأ (١٧ / ٤٣١) في شرح حديث أبي هريرة . عن
رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ - تبارك وتعالى - يقول يوم القيامة : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ لِجَلَالِي
الْيَوْمِ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» .

قال : «قد أبو عمر : فمن الحب في الله حب أولياء الله ، وهم الأتقياء ،
العلماء الفضلاء ومن البعض في الله : بغض من حاد الله وجاهر بمعاصيه ، أو
الحد في صفاته ، وكفر به وكذب رسله ، أو تحو هذا كله .

وأما قوله . «في ظل الله» فإنه أراد - والله أعلم - في ظل عرشه ، وقد يكون
الظل كناية عن الرحمة كما قال . ﴿يَا أَيُّهَا الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّي وَعُيُونِي﴾ [المرسلات
٤١-٤٢] يعني بذلك : ما هم فيه من الرحمة والسعي . وقال : ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا
وَيُظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] .

والظاهر : أن ابن عبد البر يرجع ما دل عليه الحديث .

٥ الذين أشار إليهم البيهقي بقوله فيما سبق .

وقيل . سر د بالخبر ظل العرش ؛ فإن هؤلاء ، الذين أشار إليهم وقد يكونون
عدد كثير من عتقاء أهل لمة وأئمتهم الموجودين قبل عصره .

٦ الإمام ابن القيم شمس الدين محمد بن أبي بكر رحمه الله :

قال رحمه الله في طريق الهجرتين (ص ٢٩٣) ، ط . دار الوطن : «لا ريب أن الحب
والأسس المحرود عن التعظيم والإجلال يسقط بنفس ، ويحملها على بعض
لدعوى و سرعوت والأماهي لبصلة وباءة الأدب ولحذية على حق المحبة
فيذا قرر لمحبة مهابة المحبوب وإجلاله وتعظيمه وشهود عز جلاله وعظيم

سببانه، انكسرت نفسه له، وذلت لعظمته، واستكنت لعرته، وتصاعدت لجلاله، وصفت من رغوبات النفس وحمقاتها ودعاويها لباطلة وأمايها الكاذبة.

ولهذا في الحديث «يقول الله ﷻ: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»، فقد: «أين المتحابون بجلالي»، فهو حب بجلاله [سبحانه] وتعظيمه ومهانيته، ليس حباً لمجرد حماله، فإنه سبحانه الجليل الحميل

والحب الناشئ عن شهود هذين الوصفين هو الحب النافع الموحى لكونهم في ظل عرشه يوم لقيامة، وشهود الجلال وحده يوجب خوفاً وحشية وانكساراً، وشهود الجمال وحده يوجب حباً بابسط وإدلال ورعونة، وشهود الوصفين معاً يوجب حباً مقروناً بتعظيم وإجلال ومهابة، وهذا هو غاية كمال العبد، والله أعلم. اهـ

فأنت ترى أن هذا الإمام قد فسر لظل هنا بطل العرش الذي يستظل به المتحابون.

وقال رحمه الله في الكتاب نفسه (ص ٣٥٤) «الطبقة الخامسة أئمة العبد وولائه الدين تؤمن بهم السبل، ويستقيم بهم لعالم، ويستنصر بهم لصعيف، ويذل بهم الطغام، ويأمن بهم الخائف، وتقدم بهم الحدود، ويدفع بهم الفساد، ويأمرون بالمعروف ويهونون عن المنكر، ويقدم بهم حكم الكتب والسنة، وتطفأ بهم نيران البدع والضلالة.

وهؤلاء الذين تنصب لهم المنابر من النور عن يمين الرحمن ﷻ يوم لقيامة، فيكونون عليها.

والولاية لظلمة قد صهرهم حرّ شمس وقد ينخ منهم لعرق مسعه، وهم يحملون أثقال مطلهم العظيمة على ظهورهم الصعبة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيل أحدهم إما إلى الجنة وإما إلى النار

قال النبي ﷺ: «المقسطون على منابر من نور يوم لقيامة عن يمين الرحمن - تبارك وتعالى - وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»

وعنه عليه السلام : «إن أحب الخلق إلى الله وأقربهم منه منزلة يوم القيامة : إمام عادل ، وإن أبغض الخلق إلى الله وأبعدهم منه منزلة يوم القيامة : إمام جائر» أو كما قال .
وهم أحد السبعة الأصناف الذين يظلمهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، وكما كان الناس في ظل عدلهم في الدنيا كانوا في ظل عرش الرحمن يوم القيامة ؛ ظلًا بظل جزاءً وفاً . اهـ

وهنا ذكر حديث السبعة ، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : «سبعة يظلمهم الله في ظل يوم لا ظل إلا ظله» ، ومع ذلك حمل هذا الطل على ظل العرش .

وقال رحمته الله في الوابل الصيب (ص ٥٤ - ٥٥) ، ط : دار الكتاب العربي : «حاء في الحديث : «من ستر مسلمًا ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله تعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله تعالى حسابه ، ومن أقال نادماً أقال الله تعالى عثرته ، ومن أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله تعالى في ظل عرشه»

لأنه لما جعله في ظل الإنظار والصبر ونجاه من حر المطالبة وحرارة تكلف الأداء مع عمرته وعجزه بنجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش» . اهـ

وهنا ذكر حديث . «من أنظر معسراً أظله الله في ظل عرشه» الذي رواه أبو هريرة وأبو قتادة ، وأقر ما دل عليه بل احتج به .

وقال رحمته الله في الكتاب نفسه (ص ٦٥) : «التاسعة والعشرون : أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر ، الأكبر في ظل عرشه ، والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف ، وهذا الذاك مستظل بظل عرش الرحمن عليه السلام» . اهـ
والإمام هنا يتكلم عن واحد من السبعة الذين يظلمهم الله في ظل يوم لا ظل إلا ظله ، وينص على أن الله يظله في ظل عرشه .

وقال رحمته الله في روضة المحبين (ص ٣٧٩ - ٣٨٠) ، ط : دار الحديث القاهرة : «التاسع والأربعون : أن محالمة الهوى توجب شرف الدنيا وشرف الآخرة ، وعز الطاهر وعز الباطن ، ومتابعته تضع العبد في الدنيا والآخرة وتدله في

الظاهر وفي الباطن، وإذا جمع الله الناس في صعيد واحد نادى متاد ليعلمن أهل الجمع من أهل الكرم اليوم ألا ليقم المتقون فيقومون إلى محل الكرامة وأتباع الهوى ناكسو رؤوسهم في الموقف في حر الهوى وعرقه وألمه، وأولئك في ظل العرش». اهـ

وهنا ذكر رحمته أن من مخالفة الهوى توجب شرف الدنيا والآخرة، ومن ذلك إظلالهم في ظل العرش؛ جعلنا الله منهم وجنبا الهوى وكل أسباب الردى. ثم قال الإمام ابن القيم رحمته «الخمسون: أنك إذا تأملت السبعة الذين يظلمهم الله عز وجل في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله؛ وحدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى؛ فإن الإمام المسلط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه. ونشاب المؤثر لعبادة الله على داعي شيابه لولا مخالفة هواه لم يقدر على ذلك.

واقترجل الذي قلبه معلق بالمساجد إنما حملة على ذلك مخالفة الهوى الداعي له إلى أماكن اللذات.

والمتصدق المخفي لصدفته عن شماله لولا قهره لهواه لم يقدر على ذلك. والذي دعت المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله عز وجل وخالف هواه. والذي ذكر الله عز وجل حاليا ففاصت عيناه من خشيته إنما أوصله إلى ذلك مخالفة هواه.

فلم يكن لحر الموقف وعرقه وشدة سبيل عليهم يوم القيمة. وأصحاب الهوى قد بلغ منهم الحر والعرق كل مبلغ وهم يتطرون بعد هد، دخول سجن الهوى.

فالله عز وجل المستول أن يعيذ من أهواء نفوسنا، الأمانة بالسوء وأن يحمل هوانا لما يحبه ويرضاه؛ إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير. اهـ
وهنا يتحدث عن السبعة المشهورين والمشهور حديثهم، ويصرح بأن الله يظلمهم في ظل عرشه.

٧- ابن قتيبة رحمه الله :

قال ابن قتيبة رحمه الله : «والظل هذا ظل من دخان دار جهنم سطع ثم افترق ثلاث فرق ، وكذلك شأن لدخان العظيم إذا ارتفع أن يتشعب فيقل لهم كيوافيه إلى أن يفرغ من الحساب كما يكون أولياء الله في ظل عرشه أو حيث شاء من الظل ، ثم يؤمر بكل فريق إلى مستقره من الجنة والنار»^(١).

٨- الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير رحمه الله :

قال رحمه الله في تفسيره (٤٧/١٤) في تفسير قول الله تعالى : ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ يَعْتَدُونَ رَجْزًا مِمَّا لَهُمْ أَفْزَرٌ وَأَلَمَ أَكْبَرُ﴾ [الملك ١٢] «يقول تعالى محبراً عمر يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان عدائاً عن الناس فينكف عن المعاصي ويقوم بالصاعات حيث لا يره أحد إلا الله بأنه له معصرة وأجر كبير ، أي : يكفر عنه ذنوبه ويحاري بالشوب الجزيل كما ثبت في الصحيحين^(٢) «سعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» فذكر منهم رجلاً دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شعلته ما تنفق يمينه»

٩- قال أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في التذكرة في أحوال

الموتى وأمور الآخرة (ص ٢٦٤) :

وروي لأئمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «سَعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابَّ نَشَأً فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَنَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَخَابَا فِي اللَّهِ اجْتِمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ إني أخاف الله ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِعَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَائِبًا فَمَاضَتْ عِيَاةُهُ»

(١) انظر : زاد المسير (٤٥٠/٨) لابن الجوزي

(٢) كذا هنا في ظل عرشه في هذا الحديث معروفي الصحيحين ، ويطلب على نظر أن هذا من سهو نسخ وصادقين ، ولقد ذكره الحافظ بن كثير في تفسير سورة يوسف (٣٩، ٨) ط دار عدم الكتب ، كما هو في الصحيحين «في ظله» ، على أنه قد ورد في بعض طرق هذا الحديث بهذا اللفظ «في ظل عرشه»

فأنت تراه قد حمل معنى في طله في حديث السبعة على معنى الأحاديث المصرحة بأن هذا الظل إنما هو ظل عرش الرحمن .

١٠- الإمام ابن رجب رحمته الله :

وقال الإمام ابن رجب رحمته الله في نهاية شرحه لحديث «سبعة يظلهم الله في ظله...» في شرحه لصحيح البخاري : «وهذا الحديث يدل على أن هؤلاء السبعة يظلهم الله في ظله ، ولا يدل على الحصر ، ولا على أن غيرهم لا يحصل له ذلك ؛ فإنه صح عن النبي ﷺ : «من أنظر معسراً أو وضع عنه ، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» أخرجه مسلم من حديث أبي اليسر الأنصاري عن النبي ﷺ

وخرج الإمام أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة»^(١) ، وهذا يدل على أن المراد بظل الله : ظل عرشه .

انظر : فتح الباري لابن رجب (٥١ / ٦) .

١١- الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمته الله :

قال رحمته الله في الفتح (١٤٤ / ٢) في شرح حديث السبعة : «قوله «في ظله» ، قال عياض : إضافة الظل إلى الله ، إضافة مبدك ، وكل ظل فهو ملكه . كذا قال . وكان حقه أن يقول : إضافة تشريف ؛ ليحصل امتياز هذا على غيره ، كما قيل الكعبة بيت الله مع أن المساجد كلها ملكه .

وقيل : المراد بظنه . كرامته وحميته ، كما يقال فلان في ظل سملك ، وهو قول عيسى بن دينار ، وقواه عياض .

وقيل : المراد : ظل عرشه ، ويدل عليه حديث سمان عند سعيد بن منصور بإسناد حسن : «سبعة يظلهم الله في ظل عرشه .» فذكر الحديث ، وقد كان

(١) هذا نص حديث أبي قتادة رضي الله عنه ، وحديث أبي هريرة نحوه كما ترى ، لكن الترمذي لم يرو حديث أبي قتادة

المراد ظل العرش استلزم ما ذكر من كونهم في كنف الله وكرامته من غير عكس فهو أرجح، وبه جزم القرطبي^(١).

ويؤيده أيضاً: تقييد ذلك بيوم القيامة كما صرح به ابن المبارك في روايته عن عبيد الله بن عمر، وهو عند المصنف في كتاب الحدود، وبهذا يتدفع قول من قال المراد ظل طوبى أو ظل الجنة؛ لأن ظلهما إنما يحصل لهما بعد الاستقرار في الجنة، ثم إن ذلك مشترك لجميع من يدخلهما والسياق يدل على امتياز أصحاب الخصال المذكورة، فيرجح أن المراد: ظل العرش». اهـ

فأنت ترى أن الحافظ يرحح في هذا السياق مرتين أن المراد بالظل في الأحاديث المضافة إلى العرش والتي لم يصف فيها الظل إلى العرش ومجموعها بدخ درجة التواتر، والحافظ من أكثر العلماء اطلاعاً على هذه الأحاديث؛ فقد ألق في ذلك رسالة سماها «معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال» وأورد جملة منها في كتابه: «الأمالي». وقد نقل بيتين في ذلك عن أبي شامة وهما:

وقال النبي لمصطفى أن سبعة يظلهم الله الكريم بظله
محب عفيف ناشئ متصدق ويساك مصل والإمام بمعدله
... ثم تسعت بعد ذلك الأحاديث الواردة في مثل ذلك؛ فزادت على عشر خصال، وقد انتقيت منها سبعة وردت بأسانيد جيدة ونظمته في بيتين تذيلاً على بيتي أبي شامة، وهما:

وزد سبعة إظلال عاز وعونه وإنظار ذي عسر وتخفيف حمله
وإرفاد ذي غرم وعون مكاتب وتاجر صدق في المقال وفعله
فأما إظلال العازي؛ فرواه ابن حبان وغيره من حديث عمر
وأما عون المحاهد؛ فرواه أحمد والحاكم من حديث سهل بن حنيف.

(١) يشير إلى كلام القرطبي الذي أسفناه قريباً في هذا البحث.

وأما إنظار المعسر والوضيعة عنه ؛ ففي صحيح مسلم كما ذكرنا .
وأما إرفاد الغارم وعون المكاتب ؛ فرواهما أحمد والحاكم من حديث سهل
بن حنيف المذكور .

وأما التاجر الصدوق ؛ فرواه البخوي في شرح السنة من حديث سلمان وأبو
القاسم التيمي من حديث أنس ، والله أعلم .
ونظمت مرة أخرى فقلت في السبعة الثانية :

وتحسين خلق مع إعانة غارم خفيف يد حتى مكاتب أهله
وحديث تحسين الخلق ؛ أخرجه الطبراني من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف .
ثم تتبعته ذلك فجمعت سبعة أخرى ونظمتها في بيتين آخرين وهما :
وزد سبعة حزن ومشى لمسجد وكره وضوء ثم مطعم فضله
وأخذ حق باذل ثم كافل وتاجر صدق في المقال ونعله
ثم تتبعته ذلك فجمعت سبعة أخرى ولكن أحاديثها ضعيفة .
وقلت في آخر البيت : تربيع به السبعات من فيض فضله .

وقد أوردت الجميع في الأمالي ، وقد أفردته في جزء سميته : معرفة الخصال
الموصلة إلى الظلال . فتح الباري (٢/ ١٤٣- ١٤٤) .

١٢- الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي :

وقد صرح رحمته في كتابه «تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش»
(ص ١٣٢) ، وعنوان كتابه يفيد هذا .

١٣- العلامة محمد عبد الرحمن المباركفوري :

قال رحمته في تحفة الأحوذى (٤/ ٥٣٤) في شرح حديث أبي هريرة عند
الترمذي : «من أنظر معسراً أو وضع له ، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم
لا ظل إلا ظله» : «أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه : أي أوقفه الله تحت ظل
عرشه» .

١٤- العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ :

قال رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره (ص ٤٠٩) عند ذكر العبر والفوائد الجلية التي اشتملت عليها قصة يوسف رَحِمَهُ اللهُ : «ومنها : أن الهم الذي هم به يوسف بالمرأة ثم تركه لله ، مما يقربه إلى الله زلفى ؛ لأن الهم دافع من دواعي النفس الأمارة بالسوء ، وهو طبيعة لأغلب الخلق ، فلما قابل بينه وبين محبة الله وخشيته ، غلبت محبة الله وخشيته داعي النفس والهوى .

فكان ممن : ﴿ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [الزعات : ٤٠] ، ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، أحدهم : رجل دعت امرأته ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله ، وإنما الهم الذي يلام عليه العبد الهم الذي يساكنه ، ويصير عزماً ، ربما اقترن به الفعل .

١٥- العلامة محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله تعالى - :

أورد رَحِمَهُ اللهُ في مختصر العلو (ص ١٠٥) حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ : «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل»

قال : وساق الحديث - يعني : الذهبي - وأخرجه البخاري ، ثم ساق حديث أبي هريرة : «إن الله تعالى يقول : أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي» .

ثم قال الألباني : وقد ورد في ظل العرش أحاديث تبلغ التواتر .

وأورد الألباني في الإرواء (٣/ ٣٩٥) حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ مرفوعاً : «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . . . الحديث ، أخرجه من صحيح البخاري ومسلم ومنن النسائي وموطأ مالك .

ثم قال : وللهديث شاهد من حديث سلمان بلفظ : «سبعة يظلمهم الله في ظل عرشه . . . فذكر الحديث ، رواه سعيد بن منصور بإسناد حسن كما في الفتح (٢/ ١٢١) .

فقول الألباني رَحِمَهُ اللهُ : «وقد ورد في ظل العرش أحاديث تبلغ التواتر» .

وقوله . «وللحديث شاهد من حديث سلمان يعني : حديث السبعة» -
يفيد أن الألباني يرى أن الأصل إنما هو ظل العرش ، ويرى أن معنى الأحاديث
كلها معنى واحد .

وما أعتقد أن أحداً من علماء السنة السابقين يخالف هؤلاء العلماء .
وأخيراً :

فإن المتأمل المصنف في المصوص النبوية والقواعد الشرعية لا يخالجه شك
في أن المراد من الظل الوارد في النصوص النبوية - التي مر ذكرها في هذا البحث
إنما هو ظل عرش الله ﷻ .

هذا ما يسره الله لي ووفقني له من هذا البحث ، الذي أرجو الله الرءوف
الرحيم أن ينفعني به وأن يجعلني ممن يظلمهم بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ﴿يَوْمَ لَا
يَنفَعُ مَالٌ وَلَا سُلَّةٌ﴾ [لَا مَنَ لَكَ اللَّهُ يَفْلَحُ مَيْمَنُكَ] [الشعر ٨٨-٨٩] .

وصلّى الله على نبيّ محمد وإخوانه من السّيين والعرضلين وآله وصحابه
أجمعين .

كتبه

ربيع بن هادي بن عمير المدخلي

١٤٢٧/٧/٢٥ هـ

أَسْئَلَةٌ مَهْمَةٌ

حول الرقية والرقاة

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

باسم الله ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ،
ومن اهتدى بهداه .

أما بعد :

السؤال: فضيلة شيخنا الوالد ربيع بن هادي المدخلي - حفظكم الله تعالى -:
عندنا راقٍ يأمر المرأة المصروعة بأن تضع المسك على فرجها وعلى دبرها
وحلمتي ثدييها وشفتيها، ويقول: إن هذه الوصفة تمنع جماع الجن المتلبس بها،
ويقول: إن هذا ثبت عنده بالتجربة، فهل فعله هذا صحيح؟ أفيدونا بارك الله
فيكم.

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .
وبعد :

فالتداوي مشروع وجائز : « ما أنزل الله داءً إلا قد أنزل له شفاء ، علمه من علمه
وجله من جهله » .

والرقية مشروعة بالقرآن ؛ القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا
خساراً ، ولا دواء أنجع من الرقية بالقرآن والسنة .
ولكن بشروط منها :

إخلاص الراقي وإخلاص المري - بارك الله فيك - ، وصدق اللجأ إلى الله
تبارك وتعالى .

إذا كان الطرفان مخلصين لله ﷻ ، والرقية بالقرآن أو السنة ؛ فإنه لا دواء
أنجع من هذا الدواء ، وهذا معروف عن العلماء يقولونه ويقولونه .

والرسول ﷺ يقول : « لا رقية إلا من عين أو حَمَوة » . العين معروفة ؛ وهي
الإصابة بعين العائن ، قد يكون العائن خبيثاً ؛ فينتقل من عينه الشريرتين إلى

الشخص المحسود فيضر؛ فالعين حق، ولكن بإذن الله، ولها تأثير لا شك في ذلك، والرسول ﷺ قال: «العين حق».

والسحر حقيقة، ولا يضر إلا بإذن الله، وكلها لا تقع ولا تضر إلا بإذن الله. وأبجع علاج لها - للسحر والعين والحمة وما شاكل ذلك-: هو الرقية الشرعية بالقرآن والسنة، إذا توفر الإخلاص والصدق؛ لأنه قد يكون الإنسان ما عنده الثقة بالله ﷻ، قد يكون عنده شيء من سوء الظن - والعباذ بالله -، وقد يكون الراقى دجّالاً كذاباً ولا يستعمل القرآن، فيلجأ إلى حيل أخرى!

وقد تصدر كثير من الناس للرقية، يتصدر ويعلن إعلانات عن نفسه ويشاع عنه أنه ما شاء الله راقٍ!!

وهذا من أعمال الشعوذة والدجل والنصب وأخذ أموال الناس بالباطل، فهؤلاء لا يفيدون الناس شيئاً، وأكثر ما يعتمدون على الحيل، هذا الأسلوب الفارغ!!

يعني: هذا يقول: تأتيه امرأة والثانية والثالثة ويخاطبها بهذا الأسلوب الخسيس: «حطّي لفرجك، حطّي لدبرك!! سيئ الخلق! هذا رديء! وأنا أنصح هذا الإنسان أن يتقي الله ويترك التصدي للرقية».

الرقية من أي مسلم مخلص صادق معروف بالتقوى والصلاح يرقّي، وما يُصدر نفسه ويعلن للناس أنه راقٍ ويأتيه الرجال والنساء من أماكن بعيدة وقريبة، هذا ليس مشروعاً أبداً.

الرسول ما نصب نفسه هكذا؛ كان يرقّي نفسه ويرقي غيره إذا احتاج الناس إلى الرقية، أما الإنسان ينصب نفسه ويضع نفسه في منصب الرقية - مثل منصب الإفتاء -؛ هذا علط، وخاصة إذا لجأ إلى مثل هذه الأساليب التي فيها دلالة على سوء الإرادة وسوء القصد والسفه.

يا أخي! عالج ولا تتكلف ﴿وَمَا أَنَا مِنَ التَّكْلِيفِ﴾ [ص ٨٦]

الرسول أخبرك أن الرقية بالقرآن والرقية بالسنة، والأمور بيد الله ﷻ، ابذل السبب المشروع ولا تلجأ للحيل والتجارب القبيحة والكلام الفارغ.

والاتباع الصادق للرسول أن تفعل كما فعل على الوجه الذي فعل، لا تُغير، لا في كيفية ولا في صفة ولا في شيء، افعل كما فعل، تصلي كصلاة الرسول، وتحج كما حج، وكما تتبعه في كل شيء وتفعل مثل فعله.

أما الاختراعات في هذا الباب -يعني: باب الرقية- والحاجات هذه؛ فما لها لروم، إذا لم تنفع رقيتك بالقرآن -ترقي الناس بالقرآن ما نفع، بالسنة ما نفعت-؛ إما لخلل في المرقى أو لأمر يريد الله تعالى، فلماذا تذهب لوسائل أخرى وتخترع أشياء أخرى؟ ما الذي كلّفك؟ إلا حب المال وحب الشهرة والكلام الفارغ!

أنا لا أرقى أحداً، وكرهت الرقية من أجل أعمال هؤلاء الذين ينصبون أنفسهم للرقية لأخذ أموال الناس ويلجئون إلى مثل هذه الأساليب وهذه الحيل!!

فأنا أنصح هذا الإنسان إن كان سلفياً: أن يتقي الله ﷻ ويترك طلب الشهرة، وتنصيب نفسه للرقية، يترك هذا الأسلوب، أنت واحد من المسلمين إذا احتاج إليك إنسان؛ ارقه بالطريق الشرعي وكفيك، وخل المجال لغيرك، لا تحتكر الرقية الاحتكار هذا دليل على سوء القصد -بارك الله فيكم- في المجتمع من هو أفضل منك، ويستجاب له دعاؤه أكثر مما يستجاب لك؛ لماذا تحتكر هذا المنصب وتلجأ إلى مثل هذه الوسائل؟!

أنصح هذا: أن يتقي الله ويتبع سبيل المؤمنين ويتبع سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام-، ولا ينصب نفسه للرقية، ولا يتكلف في هذه الأشياء ويمسح المجال لغيره. أي مسلم فيه خير وعنده تقوى؛ فهو مظلة الإجابة، يستجاب له إذا دعا، إذا قرأ القرآن يستجيب لله دعاءه ويشفي الله بسببه -بسبب إحلاصه وصدقه-، وبسبب الوسيلة الشرعية التي اتخذها لشفاء هذا المريض.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

السؤال: الذي لا يحسن قراءة القرآن، هل يجوز له أن يرقى؟

الجواب:

يجوز له أن يرقى إذا اضطر إلى ذلك، لكن عليه أن يتعلم: «الماهرُ بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق؛ له أجران» يعني: هو مأجور -ولو يتتعتع في قراءته-، وقد لا يستطيع الإحسان في القراءة فيقرأ ويحاول أن يحسن قراءته

السؤال: هل التجربة لها مجال في الرقية؟

الجواب:

التجربة في الطب وليس في الرقية، الطب قائم على التجارب، وفي الرقية الأحسن أن يقتصر المسلم على الرقية الشرعية، أما التجارب: ما الذي يدرئ أولاً، ومن أين جاءت تلك الفكرة هذه؟

السؤال: هل يجوز مخاطبة الجن المسلم؟

الجواب:

لا يجوز؛ ما الذي يدريك أنه مسلم؟ قد يكون منافقاً ويقول: أنا مسلم! يكون كافراً، ويقول: أنا مسلم! جني ما تعرفه وأنت لا تعلم الغيب
ما يجوز -بارك الله فيك-، يكون إنسان أمامك يدعي الإسلام قد تأخذ بظاهره، تراه أمامك يصلي و... و... ثم أنت لا تعرفه، لكن حين دخل في إنسان يقول لك: أنا مسلم، وقد يكون عاجزاً يقول لك: أنا مسلم! ولبس هناك دع لتكلف فما الذي كلفك يا أخي؟! هناك مستشفيات مفتوحة وإذا صبر المريض يشبه الله ﷻ.

النبي ﷺ يأتيه الأعمى ويطلب منه أن يدعو له بالشفاء؛ فيقول له: «إن شئت»

دعوت لك، وإن شئت؛ صبرت».

وتأتيه الجارية تقول يا رسول الله! إنني أصرع؛ فاذع الله لي. فيقول لها: «إن شئت؛ دعوت لي، وإن شئت؛ صبرت، ولك الجنة».

فليس هناك هذا التكلف! أنت أرحم من رسول الله ﷺ!؟

الله يتلى العباد بالأمراض، يتليهم: «ما من شيء يصيب المؤمن من نصب، ولا حزن، ولا وصب، حتى ألهم بهم؛ إلا يكفر الله به عنه سيئاته»

فالمؤمن معرض للأمراض ويصاب إن صبر ﴿وَتَنصِيرُ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة ١٥٥) أَصَبَتْهُمْ مُصِيبَةٌ - مثل هذه الأمراض - ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ رَبِّنَا إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ (البقرة ١٥٥)

[١٥٦]

والرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول في السعيرين الذين يدخلون الجنة: «لا يَسْتَرْقُونَ ولا يَكْتُون، وعلى ربهم يتوكلون».

لا يطلب الرقية من أحد، وهذا الذي ذهب يطبب الرقية وكذا وكذا نقص في إيمانه، نقص توكله على الله ﷻ، علمه وقوله: «صبر، لا تطبب الرقية، والجأ إلى الله، واذع الله ﷻ» لأن الرقية من نوع السؤال؛ لهذا فهي تؤثر على مسألة التوكل على الله ﷻ.

ولهذا قال ﷺ: «لا يَسْتَرْقُونَ» يعني لا يطلبون الرقية؛ لأن الرقية سؤال تنقص من إيمانه وتنقص من توكله.

فالمؤمن يتلى في هذه الحياة بالأمراض والنكبات والمصائب؛ ليرفع الله درجاته إن صبر بارك الله فيكم، «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ؛ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزَعَ؛ فَلَهُ الْجَزَعُ».

فالمؤمن أولاً عليه أن يصبر على قضاء الله، وإذا ارتفع أكثر إلى درجة الرضا بقضاء الله ﷻ؛ فهذا أعلى المراتب في الإيمان - إن شاء الله -

فالصبر واجب والجرع حرام، فلا يجوز على أقدار الله ﷻ ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَكَ﴾ [آية ٥١]، وإذا أراد الله ألا تشفى لا تمنعك رقية ولا غيرها، كل شيء بإرادة الله ومشيئته ﷻ.

فالمؤمن يلجأ إلى الله ﷻ، عليه أولاً أن يؤمن بقضاء الله وقدره، ويصر على ذلك بـ «بارك الله فيك»، وإذا وفقه الله أن يرتقي إلى درجة الرضا بهذا أمر مطلوب بـ «بارك الله فيك»، وإذا أحب مثلاً أن يتداوى، يتداوى، وإذا استرقى لا نقل حرام، لكنه مكروه ويُنقص من درجته -بارك الله فيكم-.

وأما الذي يتصدى للرقية ويعمل لنفسه شهرة، بل بعضهم ينشرون في الصحف! وبعضهم ينشرون مكاتب! هؤلاء نصّابون! والله يُتهم من ينصب نفسه للرقية، متهم في ديه، ما الذي يحمله على هذا؟! أت -يا أخي- واحد من سائر المسلمين، ما هي الخصوصية التي جاءتك؟! فيه أتقى منك وأفضل منك وأعلم منك... وإلح، كيف جاءت لك هذه الخصوصية؟! ثم لا تكتفي بالرقية الشرعية، وتذهب إلى أشياء تخرعها!! وفق الله الجميع.

سؤال: هل تجوز رقية الكافر؟

الجواب:

تجوز! أبو سعيد رقى كافراً، لما خرج في سرية ومروا بحيٍّ أو بماء فاستضيفوهم فلم يضيفوهم، فلدغ سيدهم فجاءوا وقالوا: سيدنا قد لدغ؛ فهل فيكم من راقٍ؟ قالوا: والله لا نرقيه حتى تجعلوا لنا جعلاً؛ استضيفاكم فلم نُضيفوهم! فأعطوهم قطيعاً من الغنم، ورقاه بالفاتحة، شفي فكأنما نشط من عقال! يعني الراقي مخلص -بارك الله فيكم-، وأقره رسول الله -عليه الصلاة والسلام- أقره على هذه الرقية.

الآن الراقون يأخذون الأجور والأموال من الناس -وإن لم يستفيدوا منهم!! وجواز أخذ الأجر على الرقية مشروط بشيء هذا المريض، كما في هذا الحديث: في الوقت نفسه كأنما نشط من عقال! فأخذوا القطيع، ولو كان ما شفي؛ ما أخذوا القطيع.

فالآن يلهف الراقي بالأموال ويذهب المريض بمرضه والمصاب بمصيبته، ولا يستفيد وماله منهوب، فتكون هذه الأموال التي يأخذها حراماً! بـ «بارك الله فيك»

السؤال: ما حكم قراءة القرآن في الماء؟

الجواب:

لا ينبغي، وإن قاله بعض العلماء؛ لا يوجد دليل عليه، الرسول ﷺ ما فعل هذا، والصحابة ما فعلوا، بارك الله فيكم، وهؤلاء الذين يُجيزون الكتابة وبعض الأشياء والغسل ومثل هذه الحاجات ما عندهم أدلة، وهم علمونا أننا لا نقل مسألة إلا بالدليل، فكلُّ يؤخذ من قوله ويُردُّ إلا رسول الله عليه الصلاة والسلام.

السؤال: ما معنى هذا الحديث: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»؟

الجواب:

نعم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً، الرقية بالطيب في العرح والدبر ليس منها، يعني: تدعو الله ﷻ، تقرأ آية أو حديثاً أو دعاء؛ فهذا جائز في الشرع. بعضهم يرقى بالسحر! يرقى بكلمات فيها شرك! يرقى بكلمات أعجمية تحتل الباطل والشرك! الرقية تكون باللغة العربية، والتقي الصالح ما يتجاوز كلام الله وكلام الرسول، لكن إذا توسع وزاد دعاء من عنده جائزاً؛ لا بأس.

مثل دعاء الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «باسم الله، ربِّ الناس! أذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»

أو يرقى نفسه فيقول: باسم الله، باسم الله، باسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر (سبع مرات)، وباسم الله (ثلاث مرات). هذا يعني: عثمان بن أبي العاص الثقي كان يشكو مرضاً، فقال الرسول: «ضع يدك على الموضع الذي يؤلمك، واقرأ: قل باسم الله -ثلاث مرات-، وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر -سبع مرات-». فقالها فبرأ وشفى.

أفضل شيء كلام الله، ثم كلام الرسول، فاختر الأفضل.

فيكم رقا؟ والله أنا أنصح السلفين ألا يدخلوا هذا الباب ولا ينصب أحد نفسه. الألباني، اس باز، ابن عثيمين؛ هل نصبوا أنفسهم لهذه الأشياء؟ السلف من

الصحابه، التابعين، وأئمة الهدى: أحمد، مالك، الشافعي؛ هل نصبوا أنفسهم هكذا؟! أين أنتم؟ نقول: السلف السلف، ونحن سلفيون، بعدين بخرع هذه الأشياء الرقية جائرة لكن ليست بالطرق هذه، فكونوا أهل اتع حقاً - برك الله فيكم - . اتركوا هذه الأشياء التي تشوه الدعوة، وتشوه أهلها برك الله فيكم - .

إذا جاءك إنسان يطلب منك الرقية؛ رقيه، أو يذهب عند غيرك وخلاص، والشفاء بيد الله يدعو الله ﷻ، يشفيه الله ﷻ، ويخلص ويدعو بهذه الأدعية لنفسه، والله يجعل له مخرجاً: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الملاق ٢-٣].

السؤال: نخشى -يا شيخنا- أن ينهب العوام إلى السحرة والمشعوذين؟

الجواب:

خلهم يذهبون ولا يرجعون، أنت من الذي كلفت؟! تُفسد نفسك وتُفسد حياتك ودينك؛ من أجل أنهم يذهبون للسحرة! أنت تروقي؟ نصبت نفسك للرقية؟ السائل: لا -يا شيخ-، لكن هم يأتون إليّ.

الشيخ: اترك اترك، ما يأتون إليك إلا لأنت نصبت نفسك للرقية؛ فترك هذا الشيء -بارك الله فيك-، اترك الناس لله ﷻ، ولا تتكلف: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُكْفِيرِينَ﴾ [ص: ٨٦].

هذه حجة أول راق في المدينة، كان زميلك، وكان سلفاً جيداً جداً، وكان يدرس في المسجد النبوي، والله أثر في كثير من الشباب الصوفية في المدينة، أثر أكثر من غيره، ثم جاءه الشيطان! والله استشارني قبل أن يدخل -لأنه صديقي وزميل- استشارني وقال: يا شيخ ربيع! أنا علمت فلاناً الرقية، والآن يروقي ويأخذ فلوساً قد يأخذ على الرقية (١٤) ألفاً! قلت له: أصبحك ألا تدخل في هذا الباب. قال: والله أحاف على الناس من المشعوذين والسحرة قلت والله أنت مستول. وقلت له: أنت لا تقدر على السحرة والمشعوذين؟ فقال: نعم.

فقلت له: افعل كما فعل الدعوة إلى الله ﷻ؛ الشيخ عبد الله القرعاوي جاء

عندنا في المنطقة وكثير من الناس مرضى على الفرش لا يقومون، من أي شيء؟ من الجن، من الزار، من كذا، ويخرجون ويحصلون الجن في الليل في الأشجار، في الطرق، وكذا، وتتسلط عليهم الشياطين - جهال ما عندهم توحيد -، فجاء ونشر التوحيد، لا رقية ولا شيء - بارك الله فيكم - كل هذه الأشياء انتهت، كلها انتهت لما انتشر التوحيد والعلم، ولما ينتشر التوحيد والعلم تذهب هذه الأشياء وتزول، ولما يطبق الجهل يكثر السحرة والكهنة والشياطين والنج، وفيه تعاون بين السحرة والكهنة والشياطين.

فصحته بأن يفعل كما فعل المصلحون من الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك والخرافات فتذهب عنهم الشياطين فلا يحتاجون إلى الرقاة من الشياطين من السحرة وغيرهم، فأبى ودخل في الرقية - بارك الله فيك -! ثم بعد ذلك، الناس نافسوه: واحد في الرياض، وواحد في تبوك، وواحد في جدة، فكتب في الصحيفة: إن الشيطان لا يدخل في الإنسان! وهو لما كان يرقى يضرب الإنسان ضرباً مبرحاً، يقول له: اخرج - يا عدو الله - اخرج! يعني يعترف بأن الشيطان يدخل في الإنسان! ثم لما كثر المنافسون له؛ قال: الشيطان لا يدخل في الإنسان!! ألعيب وحيل - بارك الله فيكم -.

اتباع الرسول: أن تفعل كما فعل، لا تتكلفوا، اخلصوا لله ﷻ، وادعوا الله ﷻ وينفع الله ﷻ، خير الهدى هدى محمد ﷺ، هذا هديه في الرقية، لا تتوسع، اسلك طريقه - عليه الصلاة والسلام - عقيدة وعلماً وعملاً، وحتى في الرقية اسلك طريقته، ولا تتكلف أشياء ما فعلها الرسول - عليه الصلاة والسلام -.

أوصيكم - يا إخوة : بتقوى الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

في أي باب من الأبواب؛ يجعل الله لك مخرجاً ومخرجاً، إن تقى الله ﷻ يجعل لك مخرجاً في الدنيا والآخرة، تنجو بتقوى الله من غضب الله وسخطه، تنجو من عقابه في الآخرة، أعد الله لك بهذه التقوى جنة عرشها السموات والأرض أعدت للمتقين: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَارِجَ خَدَائِقٍ وَأَعْنَابًا﴾ [كواكب الزمان: ٣١-٣٣].

كل هذه تنال بالتقوى؛ تنال الفرج والرخاء والرحمة من الله ﷻ بهذه

بالتقوى، وتنال أعلى الدرجات -بارك الله فيك- في الآخرة بهذه التقوى، كر
سليم العقيدة، سليم المنهج، سليم العبادة تعتقد ما شرعه الله من العقائد في أبواب
التوحيد، الربوبية، في الأسماء والصفات، في توحيد العبادة، في صلاتك، في
صومك، في زكاتك، في حجك، في بر الوالدين، في اجتناب المعاصي الكبائر
والصغائر.

فعليكم بتقوى الله، وعليكم بالإخلاص، الإخلاص ضروري في العبادة، في
طلب العلم، في الدعوة إلى الله ﷻ، كل الأعمال التي تتقرب بها إلى الله يجب أن
تكون مخلصاً فيها لله ﷻ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الرمر: ٢].
﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الرمر: ١١].

الإخلاص لا بد منه، وإياكم والرياء، وإياكم والشرك، الشرك الأكبر والأصغر
فأنت تتعلم تريد وجه الله، تبسط لك الملائكة أجنحتها رضا بما تصنع، وإذا
بلغت درجة العلماء؛ صيرت من ورثة الأنبياء في ماذا؟ في الإيمان، في التقوى، في
التلخيص، في الدعوة إلى الله، في الأمر بالمعروف، في النهي عن المنكر، في حمل
راية الجهاد إذا رفعت راية الجهاد، في كل خير تنفع الناس وتدفع الشر عن الناس
ولا ينتشر الخير إلا عن طريق العلم الصحيح، ولا يقضى على الشرور إلا
بالعلم الصحيح، لا يقضى على الشرك إلا بالعلم الصحيح، لا يقضى على البدع
إلا بالعلم الصحيح، لا يقضى على المنكرات إلا بالعلم الصحيح، إذا انتشر هذا
العلم وهذا الخير؛ قللت الفتن، قلت البدع، ذهب الشرك... إلى آخره، إذا ساد
العلم في مجتمع من المجتمعات؛ كل هذه الأشياء تسخر وتذهب إلا ما يبقى من
النفاق الذي يشتر أهله هذا شيء آخر، أما الأمور الظاهرة تختفي والله الحمد.
وتتقي الله في طلب العلم، وفي نشره في الدعوة إلى الله، في الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر، تخلص لله تقيه وتخلص له.

عليكم بالعلم، عليكم بالعلم، العلم الذي جاء به محمد ﷺ: كتاب الله،
وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام - بفهم السلف الصالح.

يعني إذا صعب عليك فهم الآية والحديث عندك -ولله الحمد- دُونت شروح
وتفاسير القرآن؛ تفاسير السلف: تفسير ابن جرير، تفسير البغوي، تفسير ابن كثير،

تفسير عبد الرزاق - يعني الشيء المطبوع منه ، تفسير أبي حاتم الشيء المطبوع ،
بارك الله فيكم ، ويكفيكم بعضها ، وتفسير السعدي جيد - بارك الله فيكم - .

عليكم بكتب التوحيد ، كتب العقيدة ، وشروح الحديث : الحافظ ابن حجر
في الفتح - مع تجنب زلاته في الفتح ، وهو أحسن شرح لكتاب البخاري - صحيح
لبخاري - ، لكن يساعدك في فهم كثير من النصوص لا تستغني عنه ، مع الحذر مما
ورد في هذا الكتاب من المخالفات العقدية .

ثم التآخي فيما بينكم يا إخوانه ، نحن ما عرفنا مثل هذا لتفرق ولتمزق ،
والله ، الفتنة - الآن - التي تكتنف السلفية والسلفيين في العالم ما مر مثلها ؛ لأن
الرءوس كثرت ، وحب الرعامات انتشر - مع الأسف - ، والمدسوسون بين صفوف
السلفيين كثر أيضاً ، فمزقوا السلفيين شذراً مذبذباً فاحذروا من الفرقة وتنبهوا
لهؤلاء المفرقين ، وتأخوا فيما بينكم ، كونوا كالجسد الواحد .

كما قال ﷺ : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد ،
إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »

وقال : « المؤمن للمؤمن كالبیان » يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه
أبا أظن الآن أنه كثيراً من السلفيين إذا مرض أخوه أو أصابته مصيبة يفرح
بذلك ولا يتألم ! لماذا ؟ ! لكثرة الفس التي انتشرت فيهم ، ونشرها أهل الأهواء
أما أقول - غير مرة - : إننا أدركنا السلفيين في مشارق الأرض ومغاربها كلهم
متحابون متآخون على منهج واحد لا خلافات بينهم ، فانتشرت الدعوة السلفية في
العالم شرقه وغربه ؛ فانتبه الخبثاء من اليهود والنصارى والمبشرين ورءوس
الضلال من الروافض والصوفية الذين يتعاونون مع الأعداء والأحراب الصالة ،
والله يتعاونون مع الأعداء وبينهم علاقات خفية وظاهرة ، ولا يتعاونون إلا ضد
المسح السلفي ، فنشروا ونشوا سموم الفرقة في السلفيين لما امتدت في مشارق
الأرض ومغاربها ، بنوا سموم الفرقة في أوساط السلفيين ؛ فمزقوهم شراً ممزق .

ونشأ أساس لا يفهمون السلفية على وجهها ، يرغم أحدهم أنه سلفي ! ثم لا
تراه إلا وهو يقطع أوصال السلفية ؛ لسوء سلوكه وسوء المنهج أو المنهج السيئ
التي انتشرت وتهدف إلى تفريق السلفيين وتمزيقهم . السلفية تحتاج إلى عقلاء ،

تحتاج إلى رحماء، تحتاج إلى حكماء، تحتاج قبل ذلك إلى علماء، فإذا كانت هذه الأمور ليست موجودة في السلفيين، فأين تكون السلفية؟ تضيع بارك الله فيكم - فتعلموا العلم، الذي يحسن منكم بالكفاءة، الله أعطاه موهبة الحفظ، موهبة الفقه في الدين؛ يشمر عن ساعد الجد في تحصيل العلم؛ حتى ينفع الله به، ويد بقدرا ما يستطيع شتات السلفيين على دين الله الحق، ويؤاخي ويؤلف بينهم.

وابحثوا عن هؤلاء، وشجعوهم في التعلم ونشر الأخوة والمودة فيما بين السلفيين، أما الآخرون - حتى لو كانوا يهودا أو نصارى - انشروا دعوتكم في أوساطهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

أنتم ما تقرأون قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [الحج ١٢٥]؟ الله يخاطب رسوله ليستخدم هذه الدعوة في أوساط الكفار؛ لأن الحكمة والموعظة الحسنة إذا فارقت الدعوة انتهت الدعوة، إذا استخدمنا التوحش في الأخلاق وتغيير الناس، خلاص انتهت السلفية!

«إِنَّ مِنْكُمْ مُفْسِدِينَ»، «يَسْرُوا وَلَا تَعْسُرُوا، وَيَسْرُوا وَلَا تُتْقَرُوا».

استخدموا هذه الأساليب إن أردتم لأنفسكم خيرا وللناس خيرا؛ فاتبعوا هدي القرآن والسنة في التعامل فيما بينكم، وفي نشر هذه الدعوة.

﴿تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا﴾ [الفتح ٢٩]
﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾، ﴿وَأَخْفِصْ جُنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا عَيْبًا لَلْقَبِ لَافْتَضُوا بِكَ حَوْلَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

رسول الله أكمل البشر وأفضلهم وأفصحهم وأعلمهم، لو لم يوجد فيه هذا الوصف؛ لانفص الناس عنه، وتركوه، وتركوا دعوته، كيف أنت المسكين! نحتاج إلى حسن الأخلاق وحسن التعامل فيما بيننا قبل كل شيء، والتأحي والتلاحم، ثم في دعوتنا نستخدم الحكمة والموعظة الحسنة.

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح ٢٩]، إذا ما استجابوا لدعوتنا، يعني يقاتل من يستحقون القتل، طبعاً بعد المقدمات، وبعد الدعوة، وبعد البيان، وبعد كل شيء - بارك الله فيكم -، الشدة على المنافقين يعني: نقيم عليهم الحجة والبرهان، ليس

بسوء الأخلاق .

والشدة على الكفار . بالسيف ، إذا لم يدخلوا في الإسلام ، وعاندوا ، وكابروا ، وفعلوا وفعلوا ، واعتدوا على المسلمين ؛ حيث يشرع القتال بـ «بارك الله فيكم» -

الشاهد : الآن نحن ما عندنا سيوف غير الحجة والبرهان والأخلاق ، الأخلاق هي أمضى الأسلحة في كبت أهل الضلال ودمغهم بالحجة وفي رد الكافرين ، وفي هداية الجميع إن شاء الله - بـ «بارك الله فيكم» .

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى ، وأرجو أن يجعلني الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وطنوا أنفسكم على الاستفادة مما تسمعون من الخير والحق ، ووطنوا أنفسكم على التطبيق والعمل - بـ «بارك الله فيكم» ، وإن شاء الله هذه الظواهر السيئة بالحكمة والتعقل تنتهي ، ويبأس الأعداء من تفريقنا وتمريقنا ، وإلا إذا لم نسمع ونستحدم هذه الأخلاق فسيظل الشباب السلفي لعبة بأيدي خصومهم وأعدائهم

عليكم بالحكمة وعليكم بالتعقل ، وعليكم بالصبر ، وعليكم بالتراحم والتآخي فيما بينكم ، ثم بشر هذه الدعوة بالأخلاق العالية ، وسترون كيف يقل الناس على هذه الدعوة ، نسأل الله لنا ولكم التوفيق .

أستاذتكم - بـ «بارك الله فيكم» - وليس المراد كثرة الكلام ، الإنسان قد يسمع كلمة ، وينفعه الله بها ؛ وكان لسلف قليلي الكلام ، كلامهم قليل ، ولكن كان نفعهم كبيراً ؛ لأنهم يجدون آذاناً صاغية .

فنسأل الله لنا ولكم التوفيق .

قام بتفريغها : أحمد الديواني

وقام بمراجعتها وعرضها على الشيخ :

فواز الجزائري

- غفر الله له ولوالديه -

عشية يوم الثلاثاء ١٧/٥/١٤٢٧ هـ

لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿ [لجانية: ١٢-١٣].

وشكر الله المذكور في الآية يتحقق بالقيام بتلك الغاية التي خلقت من أجلها والتفكير الحاد في هذا الكون والتدبر الواعي للقرآن والسنة يؤديان إلى القيام بهذا الشكر.

والله - تبارك وتعالى - يلفت أنظار عباده إلى حسن عاقبته بالإنسان: ﴿ثُمَّ يَمُوتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٩٩] ﴿وَلَا يَسْتَعِزُّ بِهِمْ وَلَا جَلَلٌ لَهُ﴾ [البراهيم: ٣١] فيها حض لعباده الواعين الذين أدركوا المهمة التي خفوا من أجلها أن يفتنوا الفرصة التي أتاحت لهم فلا يصيغوها

ثم بين لهم أنه قد أعد لهم كل ما من شأنه أن يساعدهم على القيام بواجبهم على أتم الوجوه، وأن لهم منزلة عظيمة عند الله بحيث إن ما يشاهدونه مما بين أيديهم وما خلفهم من السموات والأرض قد سخر لهم حتى يشعروا بعظم النعمة وجسامتها المستولية: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَسْرَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفَّارٌ﴾ [البراهيم: ٣٢-٣٤].

[٣٤ ٣٢]

* * *

موقف الإسلام من عيسى صلى الله عليه وسلم

تقتضي من النصارى أن يؤمنوا

بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه..

أما بعد:

فإن المقرر عند جميع الأمم: أَنَّ الله وحده هو خالق هذا الكون بِسَمَوَاتِهِ وأرضه وما بينهما، وما فيهما من ملائكة، وجنّ، وإنس... وأنه هو المدبّر لهذا الكون ومظمه، وكل شيء في هذا الكون حاضِع لإرادته وقهره، ومع ذلك يرحمه بلطفه ورحمته وحكمته..

وكلف العقلاء بعبادته وطاعة أمره؛ ولأجل ذلك خلقهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥١﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٢﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٣﴾ [الذاريات: ٥١-٥٣].

وزودهم بما يساعدهم على القيام بهذا التكليف «العبادة» من المطر السميّة، والعقول المدركة الواعية، وسخر لهم ما في السمّوات والأرض. وبعث إليهم الرسل الكرام كلما ما حرفهم الشيطان وأعوانه عن الغاية التي خلقوا لها إلى الشرك وعبادته والخروج عن صراط الله المستقيم وعلى رأس هؤلاء الرسل الكرام أولو العزم من الرسل محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح - عليهم الصّلاة وأكرم التّسليم -.

قال تعالى: ﴿وَشَرَعْنَا لَكُمْ فِي الدِّينِ مَا وَصَّي بِهِ نُوحًا وَالْأَيْدَىٰ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِمُوا الذِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْنَا اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْنَا مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْنَا مَنْ يُنِيبُ﴾ [النورى ١٣]

فالرسل جميعًا - وعلى رأسهم من ذكر دينهم الإسلام وحده، لا دين لهم سواه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ٨٦].
 وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].
 وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥١].
 وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

والمراد بالأمّة هنا . الملة والدين ، فدينهم واحد وهو الإسلام ، المتضمن لإخلاص الدين لله الواحد الأحد ، المعبود وحده بحق .
 ولخلق جميعاً عباده ، ومنهم الرسل الكرام ، ومنهم أولو العزم محمد ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وروح ، فهم عباده خلقهم لعبادته ودعوة الناس إلى ذلك . .

وهو الرب الخالق المعبود ، لا يشركه أحد من جميع خلقه في ذرة من هـد الكون ؛ لا في الخلق ، ولا في الرزق ، ولا في الإحياء والإماتة ، ولا في شيء مما انفرد واختص به من صفات الربوبية ، والألوهية ، وصفات كماله ونعوت جلاله .
 ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ﴿٣﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ ﴿٤﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ رُكُودٌ ﴿٥﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سُلْبٌ ﴿٦﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَمِينٌ ﴿٧﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَمِينٌ ﴿٨﴾ كَفُفُوا أَعْدَاكُمْ﴾ [الإخلاص: ١-٨].

والمقصود بعد هذه المقدمة بيان حال رسول الله الكريم عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام - ومكانته في الإسلام .
 إنّ هذا النبي الكريم له منزلة عظيمة في الإسلام جهلها وتجاهلها اليهود والنصارى في واقعهم وعقائدهم وكتاباتهم . .
 وقدم بها ، لإسلام ، وقرّرها أفضل تقرير وأكملها ، وأبصقه في كثير من آياته ، لبينة الكريمة ، وذلك الذي قرره الإسلام لا يقبل العقل السليم الصريح سواه .
 ويرفض ما عداه مما قرّره اليهودية : من قذف له ولأمه !!

وما قررته النصرانية: من غلوفيه وتأليه له تارة باعتباره ابن الله، وقدره هو الله أو ثالث ثلاثة، وثارة بتحقيقه وتشويهه مما يدل على التيه والضلال في الدين والعقل.

لقد قصَّ الله علينا أحسن القصص وأروعها عن عيسى وأمه من بداية أمرهما، وتبع ذلك في مراحل حياتهما في غاية البياض مع غاية الإكرام، فأمن بدلت المؤمنون من أتباع محمد ﷺ، وقدروا عيسى وأمه حق التقدير، واحتفوا بهما غاية الاحتفاء، كما احتفوا بسائر الأنبياء والرسل وآمنوا بهم ..

بل قرر الإسلام الإيمان بهم ركناً عظيماً من أركان الإيمان، بل من انتقص أي أحد منهم أي انتقاص؛ فقد كفر عندهم، وخرج من ملة الإسلام، فكيف بمن يكذبهم أو أحداً منهم!!

* لقد أشاد الله بعيسى وأمه مريم الطهور في كثير من سور القرآن نذكر بعضها:

١ منها. قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٩﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤٠﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ مِنْدُهَا رِذًى قَالَ يَنَتَرِمُ إِلَيَّ لَبِثٌ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤١﴾ هَذَا لَكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبِّهِ فَالْزَمْنَا بِهِ لِي مِنْ نَدْبِكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٤٢﴾ [آل عمران: ٣٧-٤٢].

فمَهْدَ لقصة مريم بهذا الربط العظيم بمن اصطفاها الله على العالمين، ومنهم آل عمران آباء مريم؛ ليسن بهذا الربط؛ أن مريم من أسرة كريمة، وأنها من ذرية الأنبياء المصطفين، وأن أمها امرأة صالحة، ومن صلاحها أنها نذرت ما في بطنها محرراً لله، وكانت تأمل أن يكون ذكر؛ فإذا بالمولود أنثى، فأرجحت أمرها إلى الله معتدرة إليه، معوذة بنتها وذريتها من الشيطان الرجيم، فاستجاب دعائها؛ فتقبلها ربها قبولاً حسناً، وأنتها نباتاً حسناً، وكفلها نبياً كريماً رحيماً هو زكريا عليه السلام، مهددة رعاية عظيمة

وذكر كريم لأم عيسى .

٢- وزيدها الله من فضله وإكرامه ، فيخبرنا بذلك بقوله -جل وعلا- : ﴿وَلَا تَقَالِبْ الْمَلَائِكَةَ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ مَبْطُلُونَكَ وَظَهَرَ رُؤْيَاكَ عَلَى بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ يُعْرَبُ عَنْكَ لِإِيَّاكَ وَاسْتَجْدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [١٦] ذَلِكَ مِنْ أَنْكَارِ الْمَلَكِ تَوْجِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفَنَسَمُّهُمْ أَبْنَاءَ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٧﴾ لَالِ عَمْرٍ . [٤٤ ٤٢]

فما كان محمد النبي الأمي ولا قومه يعلمون مثل هذه الأخبار العظيمة الصادقة عن جميع الرسل ، ولا عن مريم وأمها ، وركبها ومن خاصمه في كفالة مريم ، ولا بطهر زكريا بكفالتها بعد القرعة بالأقلام ، ولا بحفاوة زكريا بها ، ولا بما كان يأتيها من رزق من عند الله تكريماً لها ، مما دفع زكريا على كبر سنه وعقم زوجته إلى طلب الذرية لطيبة من الله ؛ ما كان محمد ﷺ يعلم هذا ولا قومه .

ولا يمكن أن تجد مثل هذا الكلام العالي في جلالته وبلاغته وحسن تركيبه وروعة عرصه في الأناجيل ، ولا في غيرها ، مما يدل على صدق محمد ﷺ ، وأنه رسول الله حقاً ، وأنه لا يطق عن الهوى ؛ إذ هو إلا وحي يوحى إليه من رب العالمين .

٣- ثم تابع الله قصة مريم الطهور واسماها عيسى عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء وسلم تسليمًا كثيرًا ، فقال : ﴿وَلَا تَقَالِبْ الْمَلَائِكَةَ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ بِكُمُومٍ مِنْهُ أَمَّهُ أَمْسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَبِالْمَعْرَيْنِ ﴾ [١٨] وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَبِالْمَعْرَيْنِ ﴾ [١٩] قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسِي مَرٌّ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْتَرُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢٠﴾ وَيُعِيْنُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢١﴾ وَرَسُولًا إِيَّاكَ نَقَى إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جَسَمْتُ بَنَاتِي مِنْ رِبِّكَمُ أَنِّي أَخْتَقُ لَكُمْ مِنْ أَنْبِيَاءِ كَهَنَتِهِ الطَّيِّبِينَ فَاتَّخَذُ فِيهِمْ حَتِيبًا طَيِّبًا يَدِينُ أَسْرَءِيلَ وَأَتْرَى الْأَكْحَمَ وَالْأَتْرَمَ وَأُنْخِي الْمَوْتَ يَدِي اللَّهِ وَأَبْنِيَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْعُونَ فِي يَوْمِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَمَعِدَا لِمَا بَيْنَ يَدَيِ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ لَكُمْ بِمَعْرِ الْوَيْدِ حَرَمَ عَلَيْكُمْ وَجَسَمُكُمْ بِرَبِّتِهِ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَقْبُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٢٣﴾

إِنَّ اللَّهَ رَبُّكَ وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ [آل عمران ٥١]

هذا حديث عن بدء أمر عيسى عليه السلام ، والطريقة التي خلقه الله به ، وعن رسالته إلى بني إسرائيل ، وما أكرمه الله به من الآيات العظيمة الدالة على صدق رسالته ، وعلى براءته وبرائة أمه مما قذفها به اليهود .

فإذا كان من سنّة الله الحارّة في الخلق من البشر والدواب أد يتم الإنجاب والتوالد عن طريق أبوين ذكر وأنثى ؛ فإنه قد سبق ذلك أن خلق آدم أبا البشر من طين - أي من غير أبوين ، وخلق أم البشر حواء من ذكر دون أنثى من ضلع آدم ، وكل ذلك من آيات الله لعظيمة الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء . .

كذلك في هذه الحقّة من الزمن من عُمر البشرية أراد الله أن يُري الناس آية جديدة من آياته الدالة على عظيم قدرته ؛ ألا وهي : خلق عيسى عليه السلام من أنثى بدون ذكر ، ولقد استغربت مريم - عليها السلام - هذا الأمر العجيب والنبأ الغريب ، فقال لها الملك - وهو جبريل - : ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

فكل المخلوقات كبيرها وصغيرها من لعرش إلى لكرسي إلى الشفوات والأرض والجمال والبحار بما فيها ، ولأفلاك وما فيها من شمس وقمر وكوكب يحدث بإرادة الله ومشيته ، ويقول له : ﴿كُنْ﴾ . فسبحانه وتعالى من ربّ عظيم قادر قاهر ، لا يعجزه ولا يستعصي على قدرته شيء ، ولا يند عن إرادته شيء ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

إن إكرام الله عيسى عليه السلام بالعلم والحكمة والرسالة والآيات العظيمة هو من باب إكرام الأنبياء والرسل جميعاً ، وكونه خُلق بكلمة الله : ﴿كُنْ﴾ من أنثى فقط ؛ هو من باب آياته الدالة على قدرته ، قد أسبقها بما هو أعظم منها وهو خلق آدم عليه السلام من غير ذكر وأنثى ، وخلق حواء من ضلع آدم من دون أنثى ، كل ذلك يدل على عظمة الله وعظيم قدرته لدى المؤمنين العقلاء ؛ فيدفعهم إلى شكره ، وحبّه ، وتعظيمه ، وتقديسه ، وإجلاله ، وإحلاص العبدية والدين له وحده .

وأعظم الناس إدراكاً لهذا وقياماً به ودعوة إليه هم : الأنبياء الكرام ، وعلى

رأسهم أولو العزم ومنهم عيسى عليهم جميعاً أفضل الصلوات وأتم التسليم ،
كما صرح بذلك القرآن وقبله الوحي المحفوظ قبل التبديل من نصوص الإنجيل !!
فلقد صرح عيسى بـ: أنه عبد الله مخلوق مبروب ، وأن الله ربه وسيده وخالقه ،
ورب المخلوقين وسيدهم ومالكهم ، فأثبت هذا أولاً ، ثم دعاهم إلى عبادة هذا
الرب العظيم السيد ، الخالق لكل شيء ، المالك لكل شيء ، فقال ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ
رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ١٥١﴾ وقال قبل : ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُواي﴾
فإن الله وحده هو الذي يُخشى ويُرهب ويُتقى ، والأنبياء - ومنهم عيسى - يَدْعُونَ
إلى هذا ، وَيَمْدُحُهُمُ اللَّهُ بِالآيَاتِ المعجزة الباهرة ؛ براهين على صدقهم ، فما على
الناس بعد كل هذا إلا أن يستجيبوا لدعوة الرسل ، ويطيعوهم فيما بلغوهم به عن
الله من الوحي المتضمن للأمر بتوحيد الله ، وإخلاص العبادة له وحده .

* والشاهد من هذه النصوص :

أنها تضمنت أن لعيسى ﷺ وغيره من الأنبياء منزلة عظيمة في الإسلام . .
وتضمنت خلقه ، وخلق أمه على غاية من الطهر ومن أرسخ الأسر في
الإسلام والطهر . .

- وتضمنت ذكر رسالته ، وآياته ، ودعوته إلى الإيمان بربوبية الله ، وعبادته
وحشيته وإتقائه ، مثل حديثه عن آدم وعن سائر الرسل وسيرهم وأخلاقهم
ودعواتهم - عليهم السلام ؛ أحاديث صدق ليس فيها خرافات ولا غلو ، وأمن
بذلك محمد ﷺ وأتباعه ، وأحوا الأنبياء من أعماق قلوبهم ، وأجلوهم ،
وأكرمهم - ومنهم عيسى ﷺ - ، واعتبروا ذلك من أصول دينهم : ﴿عَمَّا أَرْسَلُ
بِحَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَعْرِفُ نَبِيَّ إِلَّا حَرَّ
مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَوَاءٌ أَسَمَاءُ غُرَّتْكَ رَبَّنَا وَتِلْكَ أَلْمِيزَةُ ٢٨٥﴾ .

٤- وقال تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ آهِيهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ١٨١﴾
فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا نَسْرًا سَوِيًّا ١٨٢ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ
بِرَبِّمَنِّي إِنَّكَ أَنْتَ نَبِيُّ رَبِّي قَالَتْ إِنَّمَا آتَاكَ رَسُولُ رَبِّي بِالْحَبِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَّمَ قُرْآنًا ١٨٣ قَالَتْ
إِنِّي لَكُونُ لِي غَنَمٌ وَلَمْ يَمَسِّنْ لِي شَرٌّ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ١٨٤ قَالَتْ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَذِهِ

وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿١٦﴾ فَحَمَلَتْهُ فَاسْتَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَرِيبًا ﴿١٧﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ لِذِي بَعْدٍ فَأَلَمَتْ لِبَنَتَيْهَا مِنْ قَبْلِ هَذَا وَكُتِبَ نَسَبًا قَدِيمًا ﴿١٨﴾ فَأَدْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنَ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿١٩﴾ وَهَرَوَى إِلَيْكِ يَحْجِجُ لَحْنَتُهُ نَسِيطٌ عَلَيْكَ رُطْبًا حَبِيبًا ﴿٢٠﴾ فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَانْأَمِّي الْيَوْمَ إِنشِيًّا ﴿٢١﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُكَ لَعَنَ بَنَاتُ شَيْئًا قَرِيبًا ﴿٢٢﴾ بِتَأَخُّتِ هَرُونَ مَا كَانَ لَأُورِكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا ﴿٢٣﴾ فَأَشَارَتْ بِإِيَّاهُ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِمُكَ مَرَّكَانٍ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٤﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاسَى الْكَفَّةَ وَجَعَلَنِي بَنِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٢٥﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْنِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٢٦﴾ وَأَنسَلِمْتُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢٩﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٠﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْرَابُ مِنْ بَنِيئِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَنْبِئْ يَوْمَ يَأْتُوسَ لَيْكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ (مريم ١٦-٣٨).

وفي هذا القصص الحق بيان لحال مريم بعد أن أنبتها الله نبتًا حسنًا في كفالة ذلكم النبي الكريم، وبعد اشتهاها بالعبادة والطهر والشرف، لقد حان الوقت الذي حدده الله لإنفاذ إرادته بخلق عيسى ﷺ بالطريقة التي أخبرنا بها: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ وهو جبريل عليه السلام.

لقد انقطعت هذه الطاهرة لعبادة الله، واتخذت لذلك حجابًا؛ حفاظًا على شرفها وعفتها؛ ولتقوم بعبادة الله، وإذا بها تفاجأ بهذا البشر السوي بكماله وجماله، فبرهنت في هذا الموقف على حصانتها وعفتها بقولها: ﴿يَا أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا﴾. إن هذا لا يصدر إلا من قلب مؤمن؛ استعدادًا بالله ولجوء إليه في حال الكرب والشدة، وتذكير وتخويف بتقوى الله؛ لتدفع بكل ذلك ما تبدى لها من هذا الأمر المخوف الخطير.

فأخبرها هذا الرسول الكريم بما يُبَدَّد محاولتها؛ وليطمئن قلبها ﴿يَعْنَى أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾.

فأدلت استغرابها: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي فَرْشٌ وَلَمْ أَكُ بَعْثًا﴾.

وهذه هي الطريقة لمعهودة لإيجاب الولد

فأخبرها الرسول: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَذِهِ وَلِمَجْعَلُهُ آيَةً لِلَّذِينَ يَلْحَقُ بِخَلْقِ الْكَوْنِ كُلِّهِ بِمَا فِيهِ عَلَيْهِ هَبْ: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشَكُم إِلَّا كَتَبٌ وَاجِدٌ﴾ [لقمان ٢٨] فصيح فيها هذا الروح (حريل) الذي أرسله الله لهذه المهمة العظيمة متفدًا أمر الله.

فحملته فاستذت به مكان قصيًا، ثم وضعت وواحهت المشكلة التي تحس بها مثلها من ذوات الشرف والعفاف؛ فتمنت الموت، وجاء ما يُدّد مخاوفها وقلقها: ﴿مَادَنَهَا مِنْ نَجَبٍ إِلَّا تَحَرَّى قَدِّ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّنًا سَرِيًّا﴾. آيات ومعجزات تزيدها ثقة وطمأنينة وإيمانًا بأن الله قد تولى الدفاع عنها، وطمأنينة براءتها، وإطهار شرفها وكرمتها، فليس عليها إلا أن تشير إلى هذا المولود الذي أرجف عليها به المرجفون: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ !!

وفاجأهم هذا الذي استبعدوا كلامه وهو في المهد بتلك المعجزة الباهرة فـ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

إله آية عظيمة من آيات الله في طريقة حمله وولادته، وتبرته ساحة أمه البتول، ثم بيان لمهمته ورسالته التي أرحصت لها هذه الآيات العظيمة.

ومن هذه الرسالة العظيمة: بيان أنه عبد الله، ومن العجب أن يكون ذلك أول نطقه، ثم شئ رسالته ﴿ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. ثم ثلث آثار دعوته: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾. ثم رابع بيان شريعته وشرعية من قبله من الرسل ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾. ثم تحدث عن صمدته الجميلة من المر، وتنزيهه الله إياه من صفات الجبارين الأشقياء: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي شَقِيًّا﴾.

ثم قال تعالى متعقبًا على كل ما يتعلق بعيسى وأمه مما سلف ذكره: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾.

إنه القول الحق الحاسم الذي قاله الرب خالق عيسى وغيره، العليم الخبير بكل دقيقة وحيلة من أحوال هذا الكون وأحوال البشر ومنهم عيسى، فقد قال الله فيه الحق الذي لا يشوبه ذرة من شوائب الباطل الكبير الذي قاله فيه المبطلون من هؤلاء المعترين المختلفين، قال فيه الحق الذي قبله العقول السديدة الرشيدة والفطر السليمة، ونطقت به الشرائع، ودان به المؤمنون.

فتلك الأحوال التي مرت به من نفخ جبريل في جيب أمه، ثم حملها به، ثم ولادته، وما واجه أمه من أهوال ومصاعب، ثم تخليصها من تلك الأهوال بأن أنطق الله ابنها في المهد بما يدل على براءتها من جهة، وبما يدل على أنه عبد من عباد الله اصطفاها بالنبوة والرسالة والكتاب، وكلفه بالشرائع العظيمة التي كلف بها الأنبياء والرسل قبله؛ من الصلاة والزكاة والبر.

كل ذلك هو الحق الثابت، وما حالفه من الدعوى فأباطيل، فالتطعون والانتهاكات التي افترها اليهود على عيسى وأمّه أباطيل، ودعوى خصومهم من النصارى في حق عيسى بأنه هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة أباصيل وضلالات كبرى ترفضها العقول والشرائع والفطر.

والقول الحق هو الذي قاله الله الذي خلقه، وخلق الأولين والآخرين والجن والإنس لعبادته، واصطفاه عبداً ورسولاً كما اصطفى غيره لحمل رسالته وتليعها إلى البشر؛ ليحققوا الغاية التي خلقهم من أجلها، وهي: عبادته وحده، وإخلاص الدين له.

ولقد بلغ عيسى رسالته على أحسن الوجوه، وكان في طليعة العابدين الخاشعين لله رب العالمين من أمته، صادقاً بالحق من مهده وهي كهوته إلى أن رفعه الله إليه.

هذه هي منزلة نبي الله ورسوله عيسى عليه السلام ولدى أمة الإسلام، وذلك هو الحق، وما سواه هو الإفك والصلال الذي يشهد بصلاته الشرائع والعقول والفطر.

فما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه، ونسبة الولد إليه من أعظم أنواع الكفر

والضلال؛ إذ ذلك غاية السب والتقص لجلاله وعظمته وربوبيته، فلا يكون غيره
إلا مخلوقاً له، خاصصاً لجلاله وعظمته، مكلماً بعبادته، والله سبحانه مقدس منزّه
عن اتخاذ الولد؛ ولهذا قال وقوله الحق: لمن نسب إليه الولد: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً
إِذَا تَكِيدُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً ۝ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ
وَلَدًا ۝ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ
عِبْدًا ۝ لَقَدْ أَخَصَّكُمْ وَعَدَّكُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْعِيسَىٰ فَرْدًا ۝﴾ [مريم: ٨٩ - ٩٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ صَمَدٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإحلاس: ١ - ٤]

وقال تعالى في شأن محمد ﷺ: ﴿وَسَيَرِ الْأَيْمَنُ قَالُوا أَتَعْبَدُ اللَّهَ وَلَدًا ۝ مَا لَهُمْ بِهِ
مِنْ عَمْرٍ وَلَا لِأَبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾ [الكهف: ٤ - ٥].

فكل من ادّعى لله ولداً لا يقول إلا الكذب؛ سواء العرب الذين قالوا: إن
الملائكة بنات الله أو البوذيين أو البراهمة الذين يدّعون ذلك لبوذاً أو إبراهيماً، أو
النصارى الذين يدّعون: أن عيسى هو ابن الله، أو الله، أو ثالث ثلاثة.

كل ذلك كذب وافتراء على الله، وهم جميعاً يكذب بعضهم بعضاً، لا يُسلم
أي فريق لحصمه؛ فتساقطت الأكاذيب والافتراءات بتكذيب الفرق بعضها لبعض
وشكذيب القرآن والإسلام والمسلمون لهم، وبتكذيب العقول والفطر لدعاوهم
الباطلة.

ويبقى الحق الواضح الذي أحبر الله به في كتابه المعجز الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه.

ذلكم الكتاب العظيم الذي تحدّى الله الجن والإنس أن يأتوا بمثله، أو بعشر
سور من مثله، أو سورة من مثله؛ فعجزوا عن كل ذلك منذ أربعة عشر قرناً وبيف،
ولن يأتوا بذلك إلى يوم القيامة.

فأي برهان أصدق وأقوى من عجز الجن والإنس عن أن يأتوا بشيء من ذلك
الذي أتى به رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب!!؟

وإذ: فما قبه في شأن عيسى هو الحق الذي ليس وراءه إلا الباطل

والشاهد من هذا: أن القرآن أعطى عيسى حقّه كاملاً، وأنزله منزلة الكريمة اللاتفة به، وحلّد ذكره بالحق قرآنًا يتلى يُردّده المسلمون في بيوتهم ومساجدهم، ويتلونه في صلواتهم كما هو الحال مع سائر النبيين والمرسلين.

أليس في كل هذا الذي قام به الإسلام والمسلمون ما يستدعي التصاري وعلى رأسهم الحكام والساوأت والنقّس والرهبان والمثقفون إلى التمعّر والتدبر، وإعادة النظر في موقفهم من محمد ﷺ، والكتاب العظيم المعجز الذي جاء به، وموقفهم من أتباعه الذين آمنوا بعيسى نبيًا رسولًا، وبما أنزل عليه من كتاب، وبجّلوه، وكرّموه، وأنصفوه وأحلّوه المنزلة اللاتفة بالأنبياء والمرسلين؛ فأين ردّ الجميل ١١٩؟

هل من ردّ الجميل أن يصعوا أيديهم في أيدي اليهود الذين كفروا بعيسى وكذبوه، وقذّفوه وأمه بأخبث القذائف والتهم، وعادوه أشدّ العداوة من ولادته إلى يومنا هذا، وفعلوا بأتباعه ظلماً وعدواناً ما تقشعر له الجلود ١١٩؟

وأفسدوا عقيدته ودينه إمعاناً منهم في المكر والكيد، وجعلوا عيسى -نزهة الله- أسطورة من الأساطير هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة إفساداً لرسالته، وإبطالاً لها، وجعلوا ديه وأتباعه هرؤاً وضحكة للعقلاء وحتى لأسفه السفهاء، لقد حولها الكائدون إلى ديانة أسطورية وثنية يخجل العقلاء وغيرهم منها.

٥- يزيد هذا الأمر إيضاحاً قول الله تعالى: ﴿كَانَ مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٥١﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ٥٢ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَحْيِ فَقُلْ قَالُوا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَسَاءَ كُفْرًا وَنِسَاءَ كُفْرًا وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَئِنْ أَلَّيْتُ اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥٤﴾ [آل عمران ٥٩-٦٢].

فهذا المثل العظيم حُجّة قاطعة لدابر دعاوى النصاري.

فإذا كان آدم الذي خلقه الله من تراب بيده، ونفخ فيه من روحه لا يجوز ولا يصح في العقول والشرائع والفطر أن يدعى فيه: أنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة.

فعيسى أولى ألا يدعى له ذلك؛ إذ إن خلق آدم أعجب وأغرب؛ فهو مخلوق

من تراب، وليس التراب من جنس البشر.

وعيسى خلق من امرأة من جنس البشر، حملت به كما تحمل النساء وولده كما تلد النساء، فهذا من أعظم الحجج الدامغة للدعاوى الماطلة والشبه المتهافتة.

بل خلق الملائكة من نور من غير آباء وأمهات، وخلق إبليس من نار من غير أبوين أعجب وأدل على قدرة الله الخالق الباري بديع السموات والأرض.

بل خلق حواء من ضلع آدم من غير أم أعجب من خلق عيسى الذي حملته امرأة في بطنها، وولده كما تلد النساء، فلم يبق للنصارى أي متعلق عند كل دي عقل ودين وإنصاف!!

ومع كل هذا فاعيسى في الإسلام وعند المسلمين أفضل من آدم ومن كثير من الأنبياء والرسل؛ اتباعاً للقرآن والسنة الكريمة النبوية، فاعيسى في الإسلام من أولي العزم من الرسل.

فما الذي يحول بعد هذا كله بين النصارى وبين الإسلام دين الله الحق ودين عيسى والأنبياء جميعاً..

ألا فليدركوا أن أعظم الضلال والكفر: أن يدعى لله صاحبة الولد؛ لأنه أعظم السب والانتقاص لله رب العالمين..

وأن أعظم الكفر بعيسى: تكذيبه في رسالته بالقول فيه: إنه ابن الله.. إلخ. بعد تصريحه من أول يوم بأنه عبد الله، آتاه الكتاب وجعله نبياً، وجعله مباركاً أينما كان، وأوصاه بالصلاة والزكاة.

وهذه صفات مخلوق مربوب مُفتقر إلى ربه، خاضع لجلاله، مطيع لأمره. وهل يريدون من المسمعين أن يلغوا عقولهم، فيكفروا بالله وبما جاء به المرسلون جميعاً، وأن يختاروا غضب الله وشديد عقابه بالنار التي أعدها للكافرين على رضاه وجزائه للمتقين الموحدين جنّة عرضها السموات والأرض!!؟

أيها العقلاء المنصفون من النصارى، إننا ندعوكم أن تقوموا لله مثني وفرادى، ثم تفكروا في موقفكم من الإسلام الذي هو دين الله الحق، ودين عيسى

وجميع الأنبياء والمرسلين، الإسلام الذي كرم عيسى وأصفه، وأنزله المتزلة
لكريمة اللائقة به، إنكم إن فعلتم ذلك متحدين من الأهواء، واستعتم بالله، ثم
بما بقي بعد تحريف من أجيلكم؛ فستصلون إن فعلتم ذلك - إلى حق
والحقيقة وهو:

أنَّ محمدًا رسول الله، وأن كتابه الذي جاء به لا يكون إلا حقًا من عند الله،
وأنَّ ما قاله في شأن عيسى هو الحق، وأنه عبد الله ورسوله خلقه الله كما خلق سائر
البشر، ومنهم الرسل الكرام خلقهم لعبادته والحضوع لجلاله، والقوت لعظمته
وكرامته.

وإليكم ما يُصدق ما جاء به محمد ﷺ في القرآن والسنة من بعض أناجيلكم:
١ في الآية السابعة من الفصل الرابع من إنجيل متى: «لا تمتحن الرب
إلهك»^(١).

٢- وفي هذا لفصل نفسه قصة حرت لعيسى ﷺ مع شيطان وأن الشيطان
أمر عيسى ﷺ أن يسجد له، فأحابه عيسى المسيح بقوله «قد جاء في الكتب
السابقة: لا تسجد إلا للرب إلهك، وهو وحده تعده».

وهذا ما جاء به الرسل جميعًا، قد احتج به عيسى على الشيطان، فهذا دليل
واضح أن الأنبياء جميعًا - ومنهم عيسى ومحمد ﷺ - جاءوا بالتوحيد؛ بأن الله هو
الرب، والإله المعبود وحده.

فيعسى هنا احتج بما جاءت به الكتب السابقة ب: أن الله هو الرب وحده، وهو
الإله المعبود وحده، وأنه لا يُسجد إلا له وحده.

ولقد أوحى الله إلى محمد ﷺ قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ
اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُونِ أَفْئُوتَ قَوْمَهُمْ مِنْ هَٰذَا اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ فَبَرَأُوا
فِي الْأَرْضِ فَاطْفَرُوا كَيْفَ كَاكَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [العر ٣٦]

وأوحى إليه قوله ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) من نسخة "الا تحنير"

إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿[الأنبياء: ٤٢٥].

فهذا الذي جاء به محمد ﷺ يتفق تمام الاتفاق مع ما صرّح به عيسى في مجابهة الشيطان، ويتفق مع قالة عيسى ﷺ في دعوته لبني إسرائيل: ﴿وَاللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٦].

ومع قوله يوم القيامة حينما يخاطبه ربّه بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّبِعُونِي وَأَطِئُوا أَمْرِي إِنَّهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٢٨﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

٣ وفي الفصل الحادي عشر رقم (٢٥) من إنجيل متى: «أحمدك أيها الرب، رب السماء والأرض؛ لأنك أخفيت هذه الأشياء عن الحكماء والفهماء، وألهمتها الأطفال».

فعيسى ﷺ عبّد من عباد الله ورسله، عرف حق ربّه الذي خلقه، وأسبغ عليه نعمه؛ فتوحّه إليه بالحمد والإقرار بأنه رب السماء والأرض وحده؛ لأنه الذي خلقهما وما فيهما وما بينهما وما تحت الثرى وليس لأحد فيهما من شرك؛ لا عيسى ولا غيره، وما له منهم من ظهير.

٤ وفي الفصل الرابع عشر من إنجيل متى رقم (٢٣): «وبعدما صرف الجموع صعد إلى الجبل متفرّداً ليصلي».

والصلاة أعظم العبادات، ولا تكون إلّا من العبد الفقير المحتاج إلى رحمة ربّه وخالفه ومعبوده؛ كما قال تعالى: ﴿يٰكَايَاسُ الْمَاسُ أَسْمُ الْمُقَرَّرِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾ [سحر: ١٥].

وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَكْفَ السَّيِّعُ أَوْ يَكُونُ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفَ عَنْ عِبَادَتِي وَسَتَكْبِرَ فَسَخَّرْتُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

فعيسى عبّد من عباد الله، لا يستكف عن عبادة الله، ولن يستكف أبداً، وهذا شأنه وشأن الأنبياء والملائكة جميعاً.

٥- وفي الفصل السادس والعشرون رقم (٩٣) «أن المسيح خراً ساجداً لله، وقال: يا أبت، إن أمكن أن تصرف عني هذا البأس، ولكن ليس كما أريد أنا؛ بل كما تريد أنت».

ففي هذا النص: أن عيسى عبد الله لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، وأنه يذبح إلى الله في الشدائد يستغيث به، ويضرع إليه، ليدفع عنه الضر والبأس، فيسجد له متقرباً إليه، خاصعاً له، مفتقراً إليه، معتقداً أنه لا يكشف الضر إلا هو سبحانه، وهذا حال الرسل جميعاً، بل سائر البشر.

٦- وفي الفصل الحادي والعشرون رقم (٤٥): «لما أرادوا أن يقبضوا عليه خافوا من الجموع؛ لأنه كان عندهم نبياً».

ففي هذا دليل على أن الجموع من المؤمنين بالله ويعيسى أهل توحيد وإيمان خالص، وأبهم يؤمنون بأن عيسى رسول ونبى، وأن نبيهم عيسى قد علمهم ذلك ورباهم عليه، ولم يكونوا يعتقدون فيه أنه إله أو ابن الله، وحتى الناس يعلمون ذلك عنه.

٧- وفي الفصل الثالث والعشرون رقم (٨): «أما أنتم فلا تدعوا أحداً: سيّدكم؛ فإن سيّدكم - حتى المسيح - واحد».

وهذا النص يُماثل النص القرآني، وهو قول الله مخبراً عن رسوله عيسى أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلَدَ اللَّهُ رَبَّ وَرَكَّبَ﴾

فالله هو رب عيسى وسيد ومربيّه ومالكه، ورب الناس جميعاً وسيدهم ومالكهم جميعاً - عز شأنه وجل جلاله -.

وقد بيّه الشيخ تقي الدين الهلالي في رسالته «البراهين»: أن بعض المترجمين قد حرّف هذا النص، وأن الترجمة الإنكليزية قد سلمت من هذا الفساد.

٨ وفي الفصل السابع عشر رقم (٣) «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته».

وفي هذا النص إثبات ما جاء به جميع الرسل: «أن لا إله إلا الله، وأن عيسى رسول الله»، وهذا في زمانه، ولكن أمة زمان ورسول؛ كما قال تعالى: ﴿يَمَّا

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [الحج: ٣٦]

٩- وفي إنجيل مرقس الفصل الثاني عشر رقم (٢٨ - ٣٠) وما بعده ما نصه «فجاء واحد من الكتبة، وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسناً؛ سأله أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك» هذه هي الوصية الأولى..

وفي رقم (٣٢) ما نصه: «فقال له الكاتب: جيد يا معلم، قلت وقد نطقت بالحق؛ لأن الله واحد، ولا إله غيره».

وفي رقم (٣٤). «قال يسوع. لست بعيداً عن ملكوت الله».

وهذه الوصية الأولى هي وصية الله إلى كل رسوله ومنهم عيسى - عليهم السلام جميعاً -، ووصية الرسل إلى أممهم، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

والدين الذي شرعه لهم هو: التوحيد، وهو معنى «لا إله إلا الله»، وأمره جميعاً بالدعوة إليه، وهو الذي يعظم على المشركين، ويحاربون الرسل من أجله وهي وصية إبراهيم ويعقوب - وهو إسرائيل -، قال تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٦﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْ مُسِيمَةَ رَبِّكَ مِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَسَاجِدَنَا وَبُنْ عَلَيْنَا إِبْنَتَكَ رَبَّنَا وَأَنْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَتُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَتُزَكِّهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٧﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٨﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِ مَا نَقَرْنَا أَسْمَاءَ لَكُمْ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمُ الْأَعْلَى وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٠﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَسْحَقَ إِلَهُكَ وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ [البقرة: ١٢٧-١٣٣].

إنها ملة عظيمة؛ إسلام لله رب العالمين، وتوبة إليه، ولجوء إلى الله أن يجعل من ذريتهم ذرية مسلمة، وأن يبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، ويُعلمهم الكتاب والحكمة ويُرَكِّبهم، تبعداً عنهم هذه التزكية والحكمة عن الشرك والسفَه والضلال، والحكم من الله على من يرعب عن ملة إبراهيم - وهي التوحيد - إلا من سغه نفسه.

والشاهد من هذا: التقاء دعوات الأنبياء جميعاً في التوحيد والإسلام، وأنه «لا إله إلا الله»، يدعون إلى ذلك أممهم، ويوصون بها من بعدهم من ذرياتهم وأممهم... والشاهد هذا الآخر: هي وصية إسرائيل - وهو يعقوب - التي يُطابق فيها نص الإنجيل النص القرآني، وما في نص الإنجيل من المحبة داخل في الدين، بل الدين يشتمل أموراً كثيرة أو أعمالاً عظيمة سوى المحبة

هذا مع جلالة وروعة النص القرآني المؤثرة في الوجدان، ولباعثة على التعظيم والإكبار والإيمان به أن هذا الكلام لا يرقى إلى مثله الشر، وأنه تنزيل من حكيم حميد على النبي الأمي الذي ما قرأ كتاباً، ولا خطه يمينه.

نظر إلى قول عيسى عليه السلام ووصيته العظيمة، وإلى إيمان الكاتب السائل المستفيد، وقوله «نطقت بالحق؛ لأن الله واحد، ولا إله غيره».

واجابة المسيح له: «لست بعيداً عن ملكوت الله». وهذا والله أعلم وعد له بالجنة، وفيه الدليل أن غير الموحد لا يدخل الجنة؛ كما قال تعالى مخبراً عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: «أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِّلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» (المائدة: ٧٢).

* ملاحظة:

في لغة التوراة والأنجيل كل تقى بر يُسمَّى ابن الله، ولم يختص عيسى بلفظ «ابن».

١٠ - وفي الفصل الخامس من إنجيل «متى»: «طوبى لصابعي السلام؛ لأنهم أبناء الله يدعون».

١١ - وفي الفصل نفسه رقم (٤٥): «لتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء»

١٢- وفي رقم (٤٨): «فكونوا أنتم كاملين؛ كما أن أباكم الذي في السماء كامل»

١٣- وفي الفصل السادس رقم (١): «ولأفليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماء».

١٤ وفي الفصل الثالث والعشرون، رقم (٩): «ولا تدعوا لكم أباً على الأرض؛ لأن أباكم واحد وهو الذي في السماء».

ومن ذلك نعرف أن الأبوّة والبنوّة بمعنى: العلاقة بين الربّ والعبد ثابتة في الإنجيل لجميع الناس، ولا خصوصية للمسيح في ذلك^(١).

وقد يكون كل هذا من تصرف بعض اليهود والنصارى، والله أعلم!!!
ولقد قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ مَحْنُ آبِنَا اللَّهِ وَأَحْسَنُوا قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَسْرَ سَرٌّ وَمَنْ خَلَقَ يُعَذِّبُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

والعاقل المنصف يدرك مما سبقته من نصوص القرآن ما حوته في طياتها من إكرام وتنجيل وحماوة وإشادة بعيسى، وإثبات نبوته ورسالته، وأنه من كبار الرسل العظام الذين حملوا لواء التوحيد ودعوا البشر إلى هذا التوحيد (توحيد الله)، وإحلاص الدين له، وأنهم حاربوا الشرك بالله، وتوَعَّدُوا أهله بالخلود في النار وبشس القرار.

وإن الله قد رأى عيسى وأمه مما قدفهما به اليهود، ورفع من شأنهما، واعتبر قول اليهود فيه وفي أمّه كفرًا وبُهتانًا عظيمًا.

وقد تطابقت نصوص القرآن والإنجيل على أن عيسى عبد الله ورسوله، وهذا هو الكمال الذي لا يتناهى إلا الرسل العظام ومنهم عيسى عليه السلام، وقد جاءت السنة النبوية بمثل ذلك، والمسلمون يؤمنون بهذا كله، فأبي حيف في الإسلام والمسلمين!! لا شيء أبداً لدى العقلاء والمنصفين.

(١) البراهين (ص ٦-١٠).

بل حيف على الله، والأمر الإلهي تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هداً هو: خلاف ما دل عليه القرآن والسنة وما عليه المسلمون، بل وما دلت عليه نصوص التوحيد المحفوظة في الإنجيل.

أما أن للنصارى بعد كل هذا أن يهرعوا ويبادروا إلى الإسلام؛ ولا سيما عقلاؤهم ومثقفوهم وأحرار الفكر منهم.

إننا ندعوهم مرة أخرى أن يقوموا لله مشى وفرادى، ثم يتفكروا في هذا الأمر العظيم الذي لا أعظم منه بعد وإنصاف وطلب مخلص؛ لإدراك الحق والحقيقة؛ لأنها مسألة مصيرية، إما إلى جنة عرضها السموات والأرض، وإما إلى نار وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين خالدين فيها أبداً، وهذا أمر اتفق عليه الرسل جميعاً وتضمنته كتبهم، ومنهم عيسى عبد الله ورسوله - صلى الله عليه وعلى نبيه وسائر النبيين والمرسلين وسلم تسليمًا كثيرًا -.

ويجدر هنا أن نقول لكم صادقين:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّاهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَقْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آيَاتِنَا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

إنها دعوة جادة تتطلب منكم الجِدَّ، فلا يصدنكم عدو الله الشيطان؛ إن الشيطان لكم عدو مبين، وإنه إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والله الرؤوف الرحيم يدعوكم إلى الجنة والمغفرة: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِنَّ مَخِرَطَهُمْ إِسْتَفِيمٌ﴾ [يونس: ٢٥].

ووالله إن السعادة كل السعادة في الدنيا والآخرة في الإسلام العظيم الذي شرعه رب العالمين، أرحم الراحمين.

ووالله إن فيه الحلول الكاملة لكل مشاكل البشر العقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، وفيه القضاء على العداوات والأحقاد واضغائن التي تحصد حياة البشر حصداً؛ بل تحولها إلى جحيم.

فلا دين اليوم ولا منهج على وجه الأرض يتضمن ما قلناه أما بحق إلا

هذا الدين العظيم ؛ يقرّنه المعجز ، وسنته العظيمة ، وقواعده المحكمة الحكيمة ، وأصوله المتينة .

فهلّموا هلموا إلى الأسباب الحقيقية للنجاة من شقاء الدنيا والآخرة ، وإلى النجاة من الحروب المدمّرة والكروب الخائفة .

اللَّهُمَّ اهْدِ هذه الأمم إلى دينك القويم وصراطك المستقيم ؛ إنك على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

وللمحث صلة - إن شاء الله - نبين فيه عظمة الإسلام ، وصدق رسول الإسلام .
وبعده ورسالته عن الإفراط والتفريط ، وموافقته للعقول الرصينة والفطر السليمة .

نصيحة دعوية للبابوات إلى الإسلام

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع
هذه...

أما بعد:

فقد أذيع وأشيع في وسائل الإعلام -من إذاعات، وصحف، ومواقع فضائية-
ب: أن بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر قد طعن في الإسلام ورسول الله محمد
-عليه الصلاة والسلام- ووصفه ورسالته بالشر، ومجافاة العقل!!

وهذا أمر عجيب ومذهل، ومصادم للمنطق والعقل، ولحقيقة الإسلام
الناصعة؛ ذلكم الإسلام الذي أخرج الله به الشرية من الظلمات إلى النور، ومن
جور الأديان إلى عدل الإسلام، الذي شهد به عقلاء الأعداء...

ولا أطيل في مدح الإسلام ورسول الإسلام فإنه قد امتلأت به الدنيا، وزحرت
به المكتبات.

* وأختصر فأقول:

إن محمدًا رسول الله حقًا وصدقًا، أرسله الله رحمة للعالمين، أرسله بشيرًا
ونذيرًا، وداعيًا إلى الله وسراجًا منيرًا، جاء باحترام الأنبياء وكتبهم؛ بل جاء
بحبهم والإيمان بهم وكتبهم.

قال تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكِيَّهِ
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى -أمرًا محمدًا ﷺ وأمه: ﴿قُولُوا ءَاَمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى
إِبْرٰهٖمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ
رَبِّهِمْ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرٰهٖمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ

مُسْلِمُونَ ﴿آل عمران: ٨٤﴾.

حاء محمد ﷺ بالعدل والإحسان؛ ناهياً عن الفحشاء والمنكر والبغى . ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

حاء بالجهد؛ لإعلاء كلمة الله، وللقضاء على الكفر والشرك والمفسد، وقد سبقه إلى ذلك موسى عليه الصلاة والسلام، وأنبياء بني إسرائيل من بعده.

وجاء بشريعة القصاص والحدود؛ لحفظ الدين والأنفس والأعراض والأموال، وقد سبقه إلى ذلك موسى، وأنبياء بني إسرائيل من بعده، وذلك خير وإحسان وحفظ للأعراض والأموال.. إلخ؛ للإشاعة الأمن والأمان، وجلب المصالح ودرء المفاسد.

ولا يصف محمدًا ورسالته بالشر إلا كاذب كفار، طاعن في موسى ورسالته، وطاعن في الأنبياء بعده الذين كانوا يحكمون بالتوراة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّسُولُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِطُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَإِذِ نَحْنُ نَحْشُوا النَّكَاسَ وَآخِشُورَ وَلَا تَشْعُرُوا يُقَاتِلَنَّ إِثْنَا فِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ الْقَسَّ وَالنَّفِيسَ وَالْعَيْنَ وَالْأَنفَ بِالْأَدْنِ وَالْأُدُنَ بِالْأَدْنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٤-٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وقد كفر اليهود والنصارى بالتوراة والإنجيل، فلم يعملوا بما فيهما من عقائد وأحكام، وكذبوا محمدًا ﷺ الذي جاء مصدقًا للأنبياء وكتبهم ومنها التوراة والإنجيل.

كفروا بمحمد، وما تضمنته رسالته من: تصديق للأنبياء جميعًا، وتصديق به في التوراة والإنجيل، وما فيهما من عقائد وأحكام، إلا ما نسخة الإسلام.

وحاربوه أشد الحرب؛ ولا سيما أحبارهم ورهبانهم وبابواتهم؛ كسراً وبطراً وحسداً وبغياً، بعد أن حرقوا كتبهم وتلاعبوا بنصوصها، وحولوا ما فيها من عقائد وتوحيد وإيمان إلى شرك وكفران، وعطلوا ما فيها من أحكام!!

فإذا كان هذا موقفهم من كتبهم التي يدعون الإيمان بها؛ فكيف يصعب عليهم الكفر بمحمد، وبما جاء به من قرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟!

يا أهل الكتاب! توبوا إلى الله توبة نصوحاً، واتبعوا محمداً الذي بشرت به كتبكم، وبشر به عيسى - عليه الصلاة والسلام -، حيث قال: ﴿وَرَادَّ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا يَسْحَرُ بُنَيْنٌ﴾ [الصف ٦١].

﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ صَكِّمُوهَ سَوَاحٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ٦٤].

﴿يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالتَّوْحِيدِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران ٧١].
﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَقُولُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنَ ءَمَنَ تَبْعُوهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَآؤُهَا وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران ٧٩].

يا من يُسمى بـ: «بابا الفاتيكان» أسلم تسلم يؤتك الله الأجر مرتين، فإن أبيت فإنما عليك إثم أتباعك من النصارى الأوربيين وغير الأوربيين.

أسلم وليسلم أهل ملتك، يدخلكم الله جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، أتباع الرسل الصادقين، آمين بهذا القرآن العظيم الذي هيمر على كل الرسالات، وجاء بالعقائد الصحيحة، والأحكام العادلة التي تؤيدها العقول الراجحة، والفطر السليمة.

آمين أنت وأتباعك بهذا القرآن، الذي تضمن ما ذكرت لكم، وبلغ مرثته من الإعجاز لا يلحقه إعجاز مادي ولا معنوي.

تحدثى الله الجن والإنس أن يأتوا بمثله؛ فعجروا أن يأتوا بمثله؛ بل عجروا أن يأتوا بعشر سور من مثله؛ بل عجزوا أن يأتوا بسورة من مثله، عجزوا وعجروا

وعجزوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وفي هذا وحده ما يدعو البابوات وأتباعهم إلى الإيمان، لو كان عندهم حظ من العقل والتعقل والإدراك والإنصاف.

أسلموا أيها البابوات تسلموا، وتغنموا جنة عرضها السموات والأرض، وإلا فأيقنوا بالعذاب الشديد الخالد من نار أعداء الله للكافرين، حرها شديد، وقعرها بعيد.

قال تعالى في القرآن العظيم، وكتابه الحكيم: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا وَآعْتَدْنَا وَسْوَيرًا﴾ [الأنعام: ٤٤].

وقال تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَذَرِيٍّ وَالتَّكْذِبِ أُولَى الْعَصَةِ وَمَهْلِكُ قَبِيلًا﴾ [١١] إِنَّ لَدُنَّا أَنْكَالًا وَحِجَابًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْسًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَاصْبِرْ فِرْعَوْنُ الرَّسُولُ فَأَحَدْنَاهُ أَحَدًا وَيَلَا﴾ [المزمل: ١١-١٦].

أيها البابوات! لا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور، واعلموا أن أسلافكم قد حرفوا كتبكم، وأفسدوا ملتكم، وجعلوا من البشر آلهة من دون الله، وادَّعوا أن عيسى ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال الله في كتابه الخالد المعجز، المحفوظ من التحريف والتبديل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ﴿٣﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ يَمِينٌ وَلَا يَدٌ شِمَالٌ ﴿٤﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ﴿٥﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وقال تعالى -في هذا الكتاب العظيم المعجز-: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادَتْ السَّمَوَاتُ يَنْصُرُنَّ مِنْهُ تُنْقَضُ الْأَرْضُ وَجِبَالُهَا يُنْفَضُ ﴿١﴾ أَلَمْ تَدْعُوا لِلرَّحْمَنِ وَلَنَا ﴿٢﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا يَدْعُو الرَّحْمَنَ عَبْدًا ﴿٤﴾ لَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَنَّا ﴿٥﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيوْا يَوْمَ الْفَيْصَةِ فَإِذْنا﴾ [مريم: ٨٩-٩٥].

يا أهل الكتاب، ويا أيها البابوات! لقد جاء كل الرسل بالتوحيد، وحاربوا الشرك، ومنهم عيسى -عليه الصلاة والسلام-، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لَكُمْ مَسْجِدًا لَتَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مِنْ

يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٧٢﴾ [المائدة: ١٧٢]
فأمر بعبادة الله وحده، وصرح بأن الله ربه، ورب من خاطبهم وأُرْسِلَ إليهم، وأن من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

وقال تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّا زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَابْنُ مَرْيَمَ وَرُوحُ الْقُدُسِ لَشُفَعَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: ١٣٦] [المائدة: ١٧٣].
فانتهوا أيها النصاري والبابوات عما حذرهم الله من تأليه عيسى وغيره من المخلوقات، وإلا فأنتم على الكفر والشرك، وجزاء ذلك أن يُحَرِّمَ اللَّهُ عليكم الجنة، وأن يجعل مأواكم النار.

ولا تغتروا بما وجدتم عليه أسلافكم وبابواتكم ورهبانكم، فإنهم والله على الباطل والكفر، ولقد حرفوا التوراة والإنجيل كما أسلفت لكم.
ولا تظنوا أن عيسى سيشفع لكم، أو يدخلكم الجنة ويحييكم من النار؛ لأن هذا ليس بيده؛ ولأنكم قد خالفتموه وخالفتم عقيدته، عقيدة التوحيد، وتخذتموه إلهًا وهو يكفر من يفعل ذلك، وسيبترأ منكم ومن ضلالكم ومن اتخذكم إلهًا وأمه إلهين من دون الله.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَحْيَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي إِلَى اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُولِيَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ فَتَنُ فَقَدْ عَصَيْتُ نِعْمَتَكَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْمُرُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٧١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُعِمْتُ بِهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَتَى الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَتَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧٢﴾ إِنْ تَعْبُدُونَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَعْبُدْهُمْ لَهُمُ شُرَكَاءُ إِنَّكَ أَتَى الرَّقِيبَ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨]

فهذا عيسى يتبرأ من عقيدة النصاري، واعتقادهم الباطل فيه وفي أمه أنهما إلهان من دون الله، ويصرح أمام الله أنه ما أمر الناس إلا بما أمره به ربه ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. فالله ربه ورب الناس، وأنه من المستحيل أن يدعي لنفسه ولأمه الإلهية، وأن يأمر الناس بالشرك بالله.

فإن كنتم بما تصممه هذا الخطاب من حقائق، وحاجتكم، وحادثكم في ذلك، فإني أدعوكم إلى المباشرة، كما أمر الله رسوله الصادق الأمين فقال له:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ (١) مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْحِلِّ فَقُلْ قَالُوا نَدْعُ أَهْلَنَا وَأَنْسَاءَكُمْ وَأَسَاءَنَا
وَأَسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَقِنتَ اللَّهَ عَلَى الْعَكْبَرِينَ ﴿[آل عمران ٦١].
ولي ولكل مسلم في ذلك أسوة حسنة بمحمد ﷺ .
والسلام على من اتبع الهدى .

كتبها

ربيع بن هادي عمير المدخلي

٢٤/ شعبان / ١٤٢٧هـ

(١) أي: في عيسى .

الموقف الصحيح من أهل البدع

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضيلة شيخنا العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله - .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ويعد :

شيخنا - حفظكم الله - ، لا يخفاكم ما للجليل من أثر على جليسه ، سواء كان خيراً أو شراً .

ولقد وقع بعض إخواننا السلفيين في هذه الأيام في مخالطة بعض المخالفين للمنهج السلفي على سبيل الصحبة وتوافق الطبع ؛ فتجد أن هذا الأح أقل ما يصاب به هو التبلد تجاه الأفكار المخالفة للمعقيدة السلفية ، ويشتمز من ذكر القضايا المنهجية .

فتريد منكم - حفظكم الله تعالى - ذكر كلمه تربوية سلفية ؛ تبين خطورة مخالطة هؤلاء ، وذكر الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والآثار السلفية في تبين خطورة ذلك ، وذكر الأمثلة من التاريخ تبين تحول بعض أهل السنة إلى البدعة بسبب مماشاة أهل الأهواء .

بارك الله في عمركم وعلمكم ، وجزاكم الله خيراً .

أجاب - حفظه الله - بقوله :

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَكُونُوا لِلْأَنفُسِ الَّتِي أُسْلِفَتْ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَفْسٍ وَرَجُلًا مِنْ نَفْسٍ وَرَجُلًا وَرَجُلًا كَثِيرًا وَنَسَاءً وَأُنْقُوسًا لَكُمْ فَسَلُّوا لَهُمْ وَأَلْزَمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء ١٠٣] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصِيحْ لَكُمْ أَعْتَكُرْ وَيَمَيِّرْ لَكُمْ دُورَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [لأحراب ٧٠-٧١].

أما بعد:

إن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فإجابةً على هذا السؤال أقول: إن هذه المسألة مهمة جداً وشأنها خطير؛ ولهذا اهتم به الكتاب والسنة، والسلف الصالح في دواوين الإسلام، وخاصة ما يتعلق بالعقائد، وبالأذات ما يتعلق بالمواقف من أهل البدع والضلال، وأهل الفتن والاحرفات، وجلساء السوء بالأذات، ففيما ينزه الشفاء والكفاية لمن أراد لنفسه الخير، وأراد لنفسه أن يحيا حياة تُرضي ربه وتقربه إليه، وتعدده عن الشر.

لقد اهتم بهذا الموضوع سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- عدماً وعملاً وتطبيقاً -رضوان الله عليهم-، فما علينا إن كنا نريد النجاة إلا أن نتبع سبيل هؤلاء المؤمنين الصادقين المخلصين، الذين عرفوا الشريعة الإسلامية عقائدها، ومناهجها، ومقاصدها، ومراميها، فقدموا النصيح والبيان والتحذير لمن أراد الله به خيراً من هذه الأمة، وأراد له النجاة وركوب سميحة لنجاة فعلاً.

في القرآن الكريم تقرأون قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ عَلَيْكَ لِكُتُبَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَقْسِمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران ٧٠].

آل عمران ٧٠

فبين الله في هذه الآية واقع وحال أهل الزيغ والأهواء، وأنهم يتقصّدون الشر للأمة، ويتقصّدون لهم الفتن؛ لأن نواياهم ليست بسليمة، وقلوبهم مريضة، ويريدون أن يصاب الناس بأدوتهم لأنه كما يقال في المثل «كلما عمت هابت»، وفي المثل العامي: «قُطِعَ ذنب الثعلب فمُطِعَ أذنان الآخريين».

وقد قال الله تبارك وتعالى -في الكفار-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن قُطِّعُوا رِيقًا مِّنْ

الَّذِينَ أَرْتُوا الْكُفْرَ يَرْدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ [آل عمران: ١٠٠].

ويود الكفار والنصارى واليهود للمسلمين أن يرتدوا عن دينهم، ولأهل البدع نصيبٌ كبير من هذا القصد السيئ، «من إرادة السوء لأهل الخير؛ من هنا يجب الحذر منهم عاية الحذر.

وقد نبهت الله في هذه الآية التي ذكرناها أن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، يتقصّدون فتنة الناس في دينهم والانحراف بهم عن دين الله الحق إلى ما هم فيه من البدع والضلال، وما هم فيه من الشبهات والتخبطات والانحرافات، وهم يريدون السوء لمن يثق فيهم، ولمن يجالسهم ويخالطهم.

ولهذا تراهم يسلكون شتى المسالك لصد أهل الحق - ولا سيما الشباب - عن منح الله الحق، فلهم طرق قد برعوا فيها، وأسايب قد مهرروا فيها وربوا عليها شبابهم، فتحده لا يعلم كيف يتوضأ؛ ولكه يحيد عرض الشبه والتشكيك والتشويه والتفجير من الحق وأهله، قد تجده يجيد هذا إحادة عظيمة - والعياذ بالله -، ونسأل الله أن ينقذهم من هذه المسالك الشيطانية، وأن ينقذهم من أسباب الهلاك

الرسول - عبه الصلاة والسلام - تلا هذه الآية لما تلاها قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم»^(١).

فهؤلاء أهل الأهواء وأهل الزيغ هم الذين يتبعون المتشابهات، الرسول ﷺ يقصد أن أهل الزيغ الذين يتبعون المتشابه هم الذين يجب أن يحذروهم الناس، فمن علامة أهل البدع، ومن علامة أهل الريغ - أنهم لا يسلكون مسالك أهل السنة في بناء ديسهم على الآيات المحكمة، ورّد المتشابهات إلى المحكمات؛ وإنما يتعلقون بما يوافق هواهم، ويستطيعون أن يروجوا به لدعواهم الفاسدة، وبدعهم الضالة؛ كما فعل الخوارج، والروافض، والمرجئة، والقدرية؛ فربهم يتعلقون من التصوص المحملة والمتشابهة بما يوافق هواهم؛ فيضلون به ويضلون الناس.

وعلى هذه الشاكلة أهل البدع في كل زمان ومكان، مهما كان نوع بدعتهم،

(١) أخرجه البخاري ومسلم، صحيح أبو داود (٨٦٩/٣)

ولا تحتقرن شيئاً من البدع ولا تستصغرن منها شيئاً؛ فإن هذه مسالكهم، يقتن ويريد أن يقتن الناس ويزيغون مثل زيغهم، وينحرفون مثل انحرافه، ويقتنون مثل فتنه، والعياذ بالله، فأنت ترى الآية بينت حالهم والرسول ﷺ بين حالهم وحذر منهم.

وإذا كان قد أمر بهجران الصحابة الذين تحلفوا عن غروة تبوك حتى بعد توبتهم، وهم لم يركضوا بهذه فتنة ولم يتحركوا بها، بل تابوا وندموا واعترفوا، ومع ذلك لما وقعوا فيه من المخالفة لأمر الرسول ﷺ؛ لأنهم متهمون في هذه الحال وقد يكونون متهمين بالنفاق.

فإحسان الظن بأهل الانحرافات، وأهل البدع والضلالات مخالف لمنهج الله - تبارك وتعالى -، فلا بد من الحذر منهم، ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «فإذا رأيتم من يتبع المتشابه فأولئك الذين لعن الله؛ فاحذروهم»^(١)

ما قال: أحسنوا بهم الظن، كما يقول الآن كثير من أهل الأهواء: أستم تتكلمون عن الوايا، أستم تتكلمون عن المقاصد! يا أخي إذا رأينا عندك شبه وضلالات أنت متهم، الله حذرنا منك، ورسول الله حذرنا منك، كيف لا نحذر منك، وكيف نحسن بك الظن وقد نبهنا الله - تبارك وتعالى - إلى سوء قصدك، وحذر رسول الله منك!؟

فالرسول ﷺ لماذا ما أحسن الظن بهؤلاء وهم صحابة وبعضهم بدريون، وتخلفوا لعذر من الأعذار وبينوا، وهو لسبب من الأسباب، ما نقول - عذر من الأعذار، بينوا الحقيقة لرسول الله - عليه الصلاة والسلام - كما هي، فقال: «أما هؤلاء فقد صدقوا». ولكن نكل أمرهم إلى الله ﷻ، وحتى يقضي الله فيهم ما أراد ﷻ.

فأمر رسول الله بهجرانهم إلى أربعين يوماً، وبعد أربعين يوماً يرسل لهم الرسل أن يعتزلوا نساءهم، هجرهم المجتمع برمته، ما كان يكلمهم أحد أبداً، بقي

معهم زوجاتهم يعطفن عليهم ، فأمرهم رسول الله باعتزال نسائهم ، أمر الله الرحيم ، لرؤوف ، ورسوله الرؤوف الرحيم - عليه الصلاة والسلام - يعامل هؤلاء بمثل هذه المعاملة .

فالحذر من أهل البدع وبعضهم وهجرانهم ومقاطعتهم هو السبيل الصحيح لحماية الأصحاء من أهل السنة من الوقوع في فتنتهم ، والتساهل معهم وحسن الظن بهم والركون إليهم هو بداية في طريق الضلال والانحراف : ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [مرد: ١١٣] .

ومن أظلم من أهل البدع؟! أهل البدع شر من المساق وأهل المعاصي ، ولهذا يقول فقيه البصرة وعاقلمهم سلام بن أبي مطيع . «لأن ألقى الله بصحيفة الحجاج ، أحب إلي أن ألقاه بصحيفة عمرو بن عبيد» .

عمرو بن عبيد^(١) ، عابد زاهد ما شاء الله ، لكن مبتدع ضال ، والحجاج فاجر سفاك مجرم ، يرى أنه لو خيّر أن يلقى الله بصحيفة الحجاج ، وصحيفة عمرو بن عبيد ، لاختار أن يلقى الله بصحيفة الحجاج السفك لظالم الفاجر ، لماذا؟ لإدراكه لخطورة البدع وشدتها ، ويكفيت أن الرسول ﷺ كان في كل خطبة أو جلّها يصفها بأنها شر الأمور ، كما في حديث حابر رضي الله عنه قال : «كان لرسول ﷺ إذا خطب يعلو صوته ويحمر وجهه كأنه منذر جيش ، يقول : صَبِّحْكُمْ وَمَسَّكُمْ ، ثم يقول . أما بعد ، فإن خير الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها»^(٢) .

وهي تدخل في قول الله - تبارك وتعالى - ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مَنَ الْيَتِيمَ مَا لَكُمْ بِأَقْدَامِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٢١] .

وقوله : ﴿اتَّخَذُوا أَحْسَارَهُمْ رُكْبَانًا مِن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة ٣١] .

(١) سير أعلام النبلاء (٤٢٨/٧) .

(٢) رواه مسلم وغيره ، الإراء (١٠ / ٦٠٨) خطبة الحاجة

فهؤلاء أتباع أهل البدع، مهما كان هذه البدع تتناولها مثل هذه الآيات، لماذا؟ لأنهم يقدمون طاعة أمرائهم وساداتهم وقادتهم على طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وعلى طاعة الله -تبارك وتعالى- .

وكثير من هو سيلقى الله بهذه الإجابة: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ دَعَا وَكَرِهْنَا فَأَمِلْنَا
السَّيْلَ﴾ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا مَا أَتَيْنَاكَ بِشَيْءٍ كَبِيرٍ ﴿٦٨﴾ [لأحزاب: ٦٧-٦٨].

كثير منهم لا أقول: كلهم - كثير منهم سيلقى الله بهذه الإجابة، خاصة من يتبع هواه في محاربة الحق، والرصا بالباطل، بل الدعوة إلى الباطل وتشويه الحق؛ كما يجري من كثير من الناس في هذه الأيام، تراهم يلبسون مئسور الإسلام بل مئسور السلفية؛ وهم أشد الناس حرباً على السلفية وأهلها.

فإنني يحترم المنهج السنّي ويحترم العقيدة السلفية ويحترم أهل هذا المنهج سابقهم ولاحقهم، كيف يحسن الظن ويوكن إلى أهل الباطل؟! إن قلت: كتاب الله، فهو عليّ، إن قلت: سنة رسول الله، فهي حجة عليّ، إن قلت: أئمة الإسلام، فمواقفهم معروفة، ومدوناتهم وتأليفهم معروفة في مجاعة أهل البدع وبغضهم والتحذير منهم - ولا سيما أئمة السنة كمالك، والأوزاعي، والشافعي، والشافعية، وأبي حاتم، وأبي زرعة، أئمة الإسلام وجبال السنة، وهم قدوة الأمة، فمن لا يقتدي بهؤلاء ويحيد عن سبيلهم فوالله إنه لمتبع لسبيل الشيطان، ويركض في ميادين الشيطان، مهما ادعى لنفسه.

الآن هات موقف الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام ممن يسب أصحاب محمد ﷺ، الرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «لا تسبوا أصحابي؛ والذي نفسي بيده لو أفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(١).

يعني الصحابة فوق القمم، ما هم قمم بل فوق القمم، يعني هم بعد الأنبياء مباشرة لمدا تسهم، لماذا تسب أحدا منهم وأنت لو جئت بأعمال الخير كلها وأنفقت جبال الذهب كلها لو صارت جبال الدنيا مثل جبل أحد ذهب وأنفقته

(۱) أخرجه البخاري ومسلم، صحيح ابن ماجه (۱/۲۲).

بدعت مد أحدهم ولا نصيفه ، فكيف تسبهم والرسول ﷺ يلعن من يسب أحداً من أصحابه؟!

ثم تجد هؤلاء الضالين لا يقصون لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ، ويا ويلك إن تنقذت إماماً من أئمة الضلال ، السابين للأسياء والصحابة ولقائين بالحلول ووحدة الوجود ، يفضونك ويحاربونك من أجل هذا الضال لا من أجل أصحاب محمد ﷺ ، فهذا ضلال وأي ضلال .

كثير منهم يزعمون أنهم من أهل السنة وهذا ، واقعهم وهذا حالهم ، فأي احترام عندهم للسنة وقد أهين أصحاب رسول الله ﷺ فلم ينصروهم؟!

ومن كذبهم وفجورهم . أنهم رفعوا عقيدتهم بمنهج الموازنات ، ويسمونهم بمهجع العدل والإنصاف ، لماذا لا تصفون الصحابة ، لماذا ما تنصرون مواريتكم هذه أول شيء لنبي من الأنبياء ولأصحاب محمد ﷺ؟

هذا دليل أنكم ما أنشأتم مثل هذا المنهج وما تعلقتم به ، لا لنصرة الباطل ، ونصرة الضلال ، ولحماية الضلال وأهله ، ولحماية مباحح لصلاب ، والله لو كنتم صادقين ما اخترعتم هذا المنهج ، لو كنتم صادقين لدأتم بنصرة أصحاب محمد ﷺ وإنصافهم ممن افتري عليهم وطمعهم وأهانهم ورمى بعضهم بالفسق ورمى بعضهم بالردة وفعل وفعل ، ومثل هذا مقدس عندكم ، مثل هذا مقدس ، مجدد ، إمام . . . إلى آخره .

أبلغ هذا الشأو ، وبلغ هذه المنزلة بسب لأصحاب محمد ﷺ أم سب لموسى ، أم بقوله بالحلول ، أم بقوله بوحدة الوجود ، أم لتعطيله للصفات ، أم بقوله بالاشتركية؟! بلغ هذه المنزلة السامية عندكم بهذه الأشياء ، وكثير وكثير من المخازي ، ومع ذلك هو عندكم قمة ، وأصحاب الرسول ﷺ في الهامش ، ويعيدون عن الهامش ، لو كنتم تحترمونهم والله ، لو كان هذا الشخص أبكم وحدكم لحاربتموه ، ولكن إنما هي الأهواء ، وإنما هو الضلال والاحراف والاستهانة بدين الله وحملته ، مهما ادعيتكم لأنفسكم فهذا الوقع يكشفكم ويفضحكم .

على كل حال؛ أنا أحيل الشباب إلى كتب أئمة السنة لينهلوا منها مباشرة، لا يأخذون من أشرطة فلان، وكتابات فلان، وإنما يأخذوا العلم من مناهله الأصيلة، ويرجعون إلى العلماء فيما يشكل عليهم.

وإن الأمر -والله- لجد -ورب الساء- لاسيما والمشاكل بلغت حدًا لا نظير له، فالسنة الآن تُحارب، وأهلها يحاربون بمختلف وسائل الإعلام، وفي الكتب وفي الأشرطة والإنترنت وفي كل مكان، ويصورون أهل السنة بأنهم خوارح!! بل يكفرونهم، فأبي فتنة أخبت وأشد على الإسلام والمسلمين من هذه الفتنة الخطيرة التي ملأت الأرض والأجواء والمضاء؟! فنسأل الله العافية.

فتحن نحذر الشباب السلفي من محالطة هؤلاء، والاستئناس بهم، والركون إليهم، فليعتبروا بمن سلف ممن كان يعتر بنفسه ويرى نفسه أنه سيهدي أهل لصلال، ويردهم عن زينهم وضلالهم؛ ودا به يترنح ويتخبط ثم يصرع في أحضان أهل البدع.

وقد مضت تجارب من فخر تاريخ الإسلام، فأناس من أبناء الصحابة لما ركنوا إلى ابن سبأ؛ وقعوا في الضلال.

وأناس من أبناء الصحابة والتابعين لما ركنوا إلى المختار بن أبي عبيد؛ وقعوا في الضلال.

وأناس ركنوا إلى كثير من الدعاة السياسيين الصالين ومن رءوس البدع؛ فوقعوا في حبال أهل الضلال.

وكثيرون وكثيرون جدًا، ولكن نذكر منهم قصة عمران بن حطان؛ كان من أهل السنة وهوى امرأة من الخوارج، فأراد أن يتزوجها ويهديها إلى السنة، فتزوجها؛ فأوقعته في البدعة -قبحه الله-، وكان يريد أن يهديها فضل يسببها

وكثير من المتسبين إلى المنهج السلفي يقول: أنا أدخل مع أهل الأهواء لأهديهم، فيقع في حبالهم.

عبد الرحمن بن ملجم، وعمران بن حطان، كلهم كان ينتمي إلى السنة ثم وقع في الضلال، وأدى بعبد الرحمن بن ملجم فجوره إلى أن قتل علياً، وأدى بعمران

من حطان فجوره إلى أن مدح هذا القاتل سأل الله العافية قال :

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حينئذ فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا
أكرم يقوم بطون الطير قمرهم لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا^(١)
إلى آخر آيات رديئة قالها في مدح هذا المجرم، برك الله فيكم

وحصل لعبد الرزاق من أئمة الحديث أن انخدع بعبادة وزهد جعفر بن سليمان الضبيعي، وأنس إليه؛ فوقع في حبال الشيع،

وانخدع أبو ذر الهروي راوي الصحيح بروايات، وهو من أعلام الحديث، انخدع بكلمة قالها الدارقطني في مدح الباقلاني؛ فحجته هذه الكلمة في مدح الباقلاني، إلى أن وقع في حبال الأشاعرة، وصار داعية من دعاة الأشعرية؛ وانتشر بسببه المذهب الأشعري في المغرب العربي، فأهل المغرب يأنسون إليه، ويأتونه ويؤثرونه، ويث فيهم منهج الأشعري، وهم قبله لا يعرفون إلا المنهج السلفي؛ فمن لهم سنة سيئة^(٢) - فسأل الله العافية.

كما قال النبي - عليه الصلاة والسلام : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزارهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئا»^(٣). فسأل الله العافية.

والبيهقي نخدع ببعض أهل الصلال، كابن فورك وأمثاله، وكان من أعلام الحديث.

أنت جاهل وتثق بنفسك، وتفتخر بنفسك، وأنت ما عدك علم يحميك؛ فأنت أولى مثات المرات بالوقوع في البدعة من هؤلاء.

(١) سير أعلام النبلاء (٢١٥/٤)

(٢) سير أعلام النبلاء (٥٥٨/١٧).

(٣) صحيح ابن ماجه (٤١/١).

واسجدع البيهقي بآبن قورك فوقع في الأشعرية، وكثير وكثير من الناس .
وفي هذا العصر أمثلة كثيرة ممن عرفاهم كانوا على المنهج السلفي ؛ ولما
اختلطوا بأهل البدع صلوا ؛ لأن أهل البدع الآن لهم أساليب ، ولهم نشاطات ،
ولهم طرق - يمكن ما كان يعرفها الشياطين في الوقت الماضي - فعرفوا الآن هذه
الأساليب وهذه الطرق وكيف يخدعون الناس .

فمن أساليبهم : أدك تقرأ وتأخذ الحق وتترك الباطل ، كثير من الشباب لا
يعرف الحق من الباطل ، ولا يميز بين الحق والباطل ، يقع في الباطل يرى أنه حق ،
ويرفض الحق يرى أنه باطل ، وتنقلب عليه الأمور ، وكما قل حذيفة رضي الله عنه : «إن
الصلالة كل الصلالة أن تنكر ما كنت تعرف ، وتعرف ما كنت تنكر» .

فترى هذا سائر في الميدان السلفي والمضمار لسلفي ما شاء الله ما تحسن إلا
وقد استدر المسكين ، فإذا به حرب على أهل السنة ، وأصبح المنكر عنده معروفاً ،
والمعروف عنده منكراً ، وهذه هي الصلالة كل الصلالة ، فنحن نحذر الشباب
السلفي من الاغترار بأهل البدع والركون إليهم .

فانصح الشباب السلفي :

أولاً : أن يطلو العلم ، وأن يجالسوا أهل الخير ، وأن يحذروا أهل الشر ،
فإن الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - ضرب مثلاً للجلوس السوء وآثاره
لسيئة ، والجلوس الحير وآثاره الطيبة ، فقال : «مثل الجلوس الصالح والجلوس
السوء كحامل المسك ونافخ الكبر ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع
منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة - يعني : أنت رابح ومستفيد منه على كل حال من
الأحوال ، لا تجد منه إلا خيراً ، كالثخلة كلها خيراً ، وكلها نفع كما هو مثل
المؤمن - والجلوس السوء كنافخ الكبر إما أن يحرق ثيابك ، وإما ألا تسلم من
دخان» ^(١) .

(١) أخرجه البخاري ومسلم رقم الحديث (٥٨٣٩) ، صحيح الجامع وصحيح لبي (٤٦٦٥) عن أبي

فالأذى لا بد لاحقاً بك، والشر لا بد أن يلحق بك، حسيماً أو خفياً، فإذا كان لا بد من الضرر من مجالسة أصحاب السوء، فلماذا تحرص على مجالستهم ومخالطتهم؟! وما دليلك على الجواز؟! ما دليلك على الجواز؟! ما دليلك على الجواز؟!

الرسول ﷺ حذر، الرسول ﷺ أئذر، الرسول ﷺ بين الخطر مما هو عذر ك؟! وأئمة الإسلام حذروا وأئذروا، ونفذوا توجيهات الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وتوجيهات القرآن الكريم والسنة، فبأي دليل تخالف منهج أهل السنة والجماعة، وتتحدى إخوانك الذين يحبون لك الخير، ويخافون عليك من الوقوع في الشر؟! في الشر؟! في الشر؟!

فأنا أنصح الشباب السلفي أينما كانوا، وأينما نزلوا أن يدرسوا منهج السلف، وأن يعرفوا قدر أهل السنة والجماعة، وأن يدركوا فيهم أنهم أهل النصيحة، وأهل الخبرة، وما يقولونه -والله- يتحقق فيمن يأخذ بقولهم أو يخافهم، فمن خالفهم؛ فلعلاب عليه الوقوع في الساطل والوقوع في الشر، ومن استفاد منهم؛ سيم ونجا، والسلامة والنجاة لا يعدلها شيء.

وإذا كان كبار السلف من أمثال أيوب السخياوي، وبن سيرين، ومحاهد، وغيرهم، لا يطيقون أن يسمعوا كلمة أو نصف كلمة من أهل الباطل، ولا يسمعون لك أن تناظر أهل البدع؛ لأن المناظرة تجرك إلى الوقوع في الفتنة، فهم أهل خبرة، وأهل ذكاء، وأهل نصيحة، فأوصي الشباب أن يستفيدوا.

أولاً: من كتاب الله.

ثانياً: من سنة رسول الله ﷺ.

ثالثاً: من توجيهات ومواقف السلف الصالح، بدءاً بالصحابة، وعلى رأسهم عمر، والخليفة الراشد، وعلي بن أبي طالب -رضوان الله عليهم-، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر -رضوان الله عليهم جميعاً-.

ونذكر لكم مواقف بعضهم؛ لأن الوقت لا يتسع لاستقصائهم.

أما عمر؛ فقصة مع صبيغ بن عسل مشهورة ومعروفة، إذ كان يقذف ببعض

الشبهات في أوساط الناس؛ فاستدعاه عمر، وضربه ضرباً شديداً، وأودعه في السجن، ثم استدعاه مرة أخرى، وضربه، وأودعه في السجن، ثم في الثالثة قال: يا أمير المؤمنين، إن أردت قتلي فأحسن قتلتني، وإن أردت أن يخرج ما في رأسي فوالله لقد خرج، فلم يأمن جابه أبداً، بعد كل هذا نفاه إلى العراق، وأمر بهجرانه.

فهذه عقوبة سب هذه الشبهات الذي كان يقذفها في أوساط الناس، إذا قسّمها بالبدع التي تنتشر من أحف الناس بدعة نجد البون الشاسع بين ما عند صميم وما عند هؤلاء المتأخرين من الضلالات؛ لأن هذه أخطر وأشد بكثير وكثير، ولها دعاة، ولها نشاطات - مع الأسف الشديد - على كل المستويات.

وأما علي بن أبي طالب؛ فيكفي أنه قتل الخوارج، الذين قتل فيهم رسول الله ﷺ. «شر الخلق والخلقة، شر من تحت أديم السماء».

وفي هذا الوقت بزغ قرن الحوارج في غاية العنف، وفي غاية الشدة، ولهم من الوسائل والإعلام والدعايات والأعمال والفتن ما لا يعلمها إلا الله - تبارك وتعالى -؛ فكيف يأمن المسلم الصادق إلى من يحب هؤلاء ويواليهم؟! وكيف يثق بمن هذا منهجه وهذه عقيدته وهذا موقفه من الأمة؟!.

وأما عبد الله بن عباس؛ فله كلام شديد في أهل القدر رضي الله عنه، منها قال: «تتوني بواحد منهم حتى أعرض أنفه، حتى أجده»، أو كما قال، يعني - هكذا سيتعامل مع أهل البدع.

ابن عمر؛ لما بلغه أن قومًا يتقفرون العلم ويقولون: «ألا قدر، قال: «أبلغهم أنني منهم براء، وأنهم مني براء».

لم يفتح ملف وتحقيقات وإلى آخره كما يفعل الآن أهل البدع، يقذفون الناس طمًا وعدوانًا، فإذا ثبت لث شيء من صلالهم وتكلمت وحذرت منه قتلوا. ما يثبت، نعوذ بالله من الهوى، ولو يأتي ألف شاهد على ضال من صلالهم لا يقلون شهادتهم، بل يسقطونها، ألف شاهد عدل، على ضال من صلالهم لا يقلون شهادته؛ فضيعوا الإسلام وضيعوا شباب الإسلام بهذه الأساليب الماكرة، نسأل

اللَّهِ العافية.

ابن عمر؛ لَمَّا أخبره واحد، والثاني يسمع فقط؛ صدقه لأنه مؤمن، عدل، وثقة، وديننا يقوم على أخبار العدول، من قواعد أخبار العدول، فإذا نقل لك الإنسان العدل كلامًا فالأصل فيه الصحة، ويجب أن تبني عليه الأحكام، وحذر الله من خبر الفاسق، فإذا إنسان معروف بالفسق وجاءك بخبر لا تكذبه، تثبت؛ لأن هناك احتمالًا أن يكون هذا الفاسق في هذا الخبر صادق، تثبت لا بأس.

أما الآن؛ العدل تلو العدل، والعدل تلو العدل يكتب ويشهد، ما يُقبل كلامه! وينقل كلام الضال بالحروف ما تقبل شهادته يقولون: حاقده، فهذه من الأساليب عند أهل البدع والفتن في هذا الوقت -نسأل الله العافية- لا يعرفها الخوارج، ولا الروافض، ولا أهل البدع في الأزمان العاضية، وجاءوا للامة بأساليب وقواعد ومناهج وفتن ومشاكل وأساليب؛ إذا جمعتها -والله- ما يبقى من الدين شيء.

إذا جمعت أساليبهم وقواعدهم لا يُقرون من الإسلام شيئًا، ومنها: أخبار العدول يريدون أن يسقطوها، ومنهج السلف في نقد أهل البدع يسقطونه بطرق خبيثة، يسموها بالعدل والموازنة بين السيئات والحسنات. إلى آخره، وإذا أخذت بهذا المنهج صار أئمتنا كلهم فاسقين، غير عدول، ظالمين، فجرة على هذا المنهج الخبيث.

الشاهد: أننا كما ذكرنا غير مرة أن الله حذرنا من أهل البدع، ويُن أن مقاصدهم سيئة، والرسول ﷺ أكد ذلك وحذر منهم، حذر منهم -عليه الصلاة والسلام-.

فهم السلف من هذه النصوص ومن غيرها الكثير والكثير، فهموا منها المواقف السليمة والصحيحة من أهل البدع والضلال، ودَوَّنوا ذلك في كتبهم، وقالوا: إن المتدع لا غيبة له، وأنه يجب التحذير منه، وأن محاربة أهل البدع جهاد، وهو أفضل من الضرب بالسيوف لماذا؟

لأن هذا يفسد الدين مباشرة، هذا يفسد الدين، الفاسد يفسد الدين، الفاسق معترف بأنه منحرف، وأنه مخالف للدين، ويحدث نفسه بالتوبة، أما هذا لا، هذا

يُفسد الدين، ويفسد الناس.

لهذا نرى أن الله -تبارك وتعالى- حارب أحبار اليهود ورهبانهم وعلماء السوء منهم أشد من محاربته للحكام والطغاة الجبارة لماذا؟ لأن أولئك ضلالهم وفسادهم معروف وواضح للناس، لكن هؤلاء يلبسون الحق بالباطل، كما قال تبارك وتعالى: ﴿لَيْمَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ غَافِلِينَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

وهذا حال أهل البدع عندهم شيء من الحق أو شيء من الضلالة يلبسونه بشيء من الحق حتى يروح، طرق مأكرة، فالله ﷻ أعلم بعباده، تراه كم صب من اللوم والذم والتحذير والطعن لليهود وعلمائهم وللنصارى لماذا؟ لأنهم أفسدوا دين الله. وهذا شأن أهل البدع، ولهم حظ من هذا الداء الذي يوجهه الله -تبارك وتعالى- إلى اليهود والنصارى، والدليل قول الرسول ﷺ: «لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القدة بالقدة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»^(١).

فقد وقع أهل البدع في هذا الشر، وتابعوا اليهود في التأويل وفي التحريف وفي الكذب وفي نشر الباطل والدعاية في الباطل، شاركوهم في كل هذه الأشياء، فالشبه قوية جداً بينهم وبين هؤلاء، وقد أخبر الرسول ﷺ أن هؤلاء سيتابعونهم.

فنحن على كل حال بعد هذا كله ننصح الشباب السلفي. أن يقبلوا على طلب العلم، وأن يحرصوا على معاشر الصالحين، وأن يحذروا كل الحذر من مخالطة أهل البدع وأهل الشبه والفتن.

وهذه النصيحة أرجو أن تلقى آذاناً صاغية من إخواننا طلاب الحق وأهل الحق، ونسأل الله أن ينفعنا وإياهم، وأن يجعلنا وإياهم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجعلنا من أتباع محمد ﷺ الذين يؤثرون طاعته واتباعه على كل أمر من أمور الحياة هذه، إن ربنا سميع الدعاء.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

مسألة اشتراط إقامة الحجة في التبديع

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

وبيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

جواب الشيخ ربيع حول

مسألة اشتراط إقامة الحجة في التبديع

السؤال : شيخنا - حفظكم الله - هناك سؤال يدور بين طلاب العلم ، وهو : هل يشترط في تبديع من وقع في بدعة أو بدع أن تقام عليه الحجة لكي يبدع أو لا يشترط ذلك ، أفيدونا جزاكم الله خيراً ؟

الجواب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه . أما بعد :

فالمشهور عن أهل السنة : أنه من وقع في أمر مكفر لا يكفر حتى تقام عليه الحجة .

أما من وقع في بدعة ؛ فعلى أقسام :

القسم الأول :

أهل البدع ، كالروافض ، والخوارج ، والجهمية ، والقدرية ، والمعتزلة ، والصوفية القبورية ، والمرجئة ومن يلحق بهم ، كالإخوان والتبليغ وأمثالهم ؛ فهؤلاء لم يشترط السلف إقامة الحجة من أجل الحكم عليهم بالبدعة ؛ فالرافضي^(١) يقول عنه : مبتدع ، والخارجي يقال عنه : مبتدع وهكذا ، سواء أقيمت عليهم الحجة أم لا

القسم الثاني :

من هو من أهل السنة ووقع في بدعة واصحة كالقول بحلق القرآن أو القدر أو رأي الخوارج وغيرها ؛ فهذا يبدع وعليه عمل السلف

ومثال ذلك ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه حين سئل عن القدرية قال : «فإذ، لقيت

(١) الرافضي أو غيره إن كفر الصحابة كهم أو جنهم ، أو فسقهم كلهم أو حلقهم ؛ فهو كافر

أولئك فأحذرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني» روه مسلم (٨)

قال شيخ الإسلام رحمته الله في درء تعارض العقل والنقل (١/٢٥٤)

«فصريقة السلف والأئمة: أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضًا الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلًا، ومن تكلم بما فيه معنى باطل يحالف الكتاب والسنة ردوا عليه ومن تكلم بلفظ متدعٍ يحتمل حقًا وباطلًا نسوه إلى البدعة أيضًا، وقالوا إنما قابل بدعة ببدعة وردَّ باطلًا باطل».

أقول:

في هذا النص بيان أمور عظيمة ومهمة يسلكها السلف الصالح للحفاظ على دينهم الحق وحمايته من غوائل البدع والأخطاء، منها:

١ - شدة حذرهم من البدع ومراعاتهم للألفاظ والمعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل؛ فلا يعبرون -قدر لإمكان- إلا بالألفاظ الشرعية، ولا يطبقونها إلا على المعاني الشرعية الصحيحة الثابتة بالشرع المحمدي.

٢ - أنهم حرموا الدين وحمايته؛ فمن تكلم بكلام فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه.

ومن تكلم بلفظ متدعٍ يحتمل حقًا وباطلًا نسوه إلى البدعة، ولو كان يرد على أهل الباطل، وقالوا: إنما قابل بدعة ببدعة أخرى، ورد باطلًا باطل، ولو كان هذا المراد من أحاصل أهل السنة والجماعة، ولا يقولون ولن يقولوا: يحمل مجمله على مفصله؛ لأننا نعرف أنه من أهل السنة.

قال شيخ الإسلام بعد حكاية هذه الطريقة عن السلف والأئمة: «ومن هذا: القصص المعروفة التي ذكرها الحلال في كتاب «السنة»^(١)، هو وغيره^(٢) في مسألة

(١) (١٢٩/٥) (١٤١)

(٢) يعني مثل «اللائكني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/٣٥٧-٣٨٤)، و«الآجري في الشريعة» (٥٢٦/١) (٥٥٠)

اللفظ والجبر» .

أقول :

يشير - رحمه الله تعالى - إلى تدبوع أئمة السنة من يقول : «لفظي بالقرآن مخلوق» ؛ لأنه يحتمل حقًا وباطلاً ، وكذلك لفظ «الجبر» يحتمل حقًا وباطلاً ، وذكر شيخ الإسلام أن الأئمة كالأوزاعي وأحمد بن حنبل ونحوهما قد أنكروه على الطائفتين التي تنفيه والتي تثبته .

وقال رحمه الله : «ويروى إنكار إطلاق : «الجبر» عن الزبيدي وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم» .

وقال الأوزاعي وأحمد وغيرهما : «من قال : جبر ؛ فقد أخطأ ، ومن قال لم يجبر ؛ فقد أخطأ ، بل يقال : إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ونحو ذلك»

وقالوا : ليس للجبر أصل في الكتاب والسنة ، وإنما الذي قي السنة لفظ : الجبر ، لا لفظ الجبر ؛ فإنه قد صح عن النبي ﷺ أنه قال لأشج عبد القيس : «إن فيك لخلقين يحبهما الله : الحلم والأناة . فقال : أحلقين تخلقت بهما أم حلقين جبلت عليهما ؟ فقال : بل جبلت عليهما . فقال : الحمد لله الذي جبلني على حلقين يحبهما الله» .

وقالوا : إن لفظ : «الجبر» لفظ مجمل .

ثم بين أنه قد يكون باعتبار حقًا وباعتبار باطلاً ، وصرح لكل منهما مثالا ثم قال : «فالأئمة منعت من إطلاق القول بإثبات لفظ الجبر أو نفيه ؛ لأنه مدعة يتناول حقًا وباطلاً» .

وقال الذهبي رحمه الله : «قال أحمد بن كامل القاضي : كان يعقوب بن شيبة من كبار أصحاب أحمد بن المعدل ، والحارث بن مسكين ، فقيهاً سرياً ، وكان يقف في القرآن» .

قال الذهبي . «قلت : أخذ الوقف عن شيخه أحمد كره ، وقد وقف عبيد بن الجعد ، ومصعب الزبيري ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وجماعة ، وحائهم نحو من ألف إمام ، بل سائر أئمة السلف والحلف على نفي الخليفة على القرآن» .

وتكفير الجهمية، نسأل الله السلامة في الدين».

قال أبو بكر المروزي: «أظهر يعقوب بن شيبة الوقف في ذلك الجانب من بغداد، فحذر أبو عبد الله منه، وقد كان المتوكل أمر عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان أن يسأل أحمد بن حنبل عن يقلت القضاء، قال عبد الرحمن: فسألته عن يعقوب بن شيبة، فقال: مبتدع صاحب هوى».

قال الخطيب: وصفه بذلك لأجل الوقف. السير (١٢/٤٧٨).

وقدم داود الأصبهاني الظاهري بغداد وكان بينه وبين صالح بن أحمد حسن، فكلّم صالحاً أن يتلف له في الاستئذان على أبيه، فأتى صالح أباه فقال له: رجل سألني أن يأتيك.

قال: ما اسمه؟

قال: داود.

قال: من أين؟

قال: من أهل أصفهان.

قال: أي شيء صنّعه؟

قال: وكان صالح يروغ عن تعريفه إياه، فما زال أبو عبد الله يفحص عنه حتى فطن.

فقال: هذا قد كتب إليّ محمد بن يحيى النيسابوري في أمره أنه زعم أن القرآن محدث فلا يقربني.

قال: يا أبت يتتفي من هذا وسكره.

فقال أبو عبد الله: محمد بن يحيى أصدق منه، لا تأذن له في المصير إليّ. [تاريخ بغداد (٨/٣٧٤)].

القسم الثالث:

من كان من أهل السنة ومعروف بتحري الحق ووقع في بدعة خفية؛ فهذا إن كان قد مات فلا يحوز تبديعه، بل يذكر بالخير، وإن كان حياً فيناصح ويبين له

الحق، ولا يتسرع في تبديعه، فإن أصر فيبدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكثير من مجتهدى السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأى رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله: ﴿رَبِّكَ لَا تُؤَاخِذُكَ إِن كُنَّيْتَ أَوْ أَعْلَيْتَ﴾، وفي الحديث: أن الله قال: «قد فعلت»، وبسط هذا له موضع آخر». [معارج الوصول (ص: ٤٣)].

وعلى كل حال؛ لا يجوز إطلاق اشتراط إقامة الحجة لأهل البدع عمومًا، ولا نفي ذلك والأمر كما ذكرت.

فنصيحتي لطلاب العلم: أن يعتصموا بالكتاب والسنة، وأن ينصبطوا بمنهج السلف في كل ناحية من نواحي دينهم، وخاصة في باب التكفير والتفسيق والتبديع؛ حتى لا يكثر الجدل والخصام في هذه القضايا.

وأوصي الشباب السلفي خاصة: بأن يجتنبوا الأسباب التي تثير الأضغان والاختلاف والتفرق، الأمور التي أبغضها الله وحذر منها، وحذر منها الرسول الكريم ﷺ، والصحابة الكرام والسلف الصالح، وأن يجتهدوا في إشاعة أسباب المودة والأخوة فيما بينهم الأمور التي يحبها الله ويحبها رسوله ﷺ.
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

في ٢٤/رمضان/١٤٢٤هـ

أهل البدع يدخلون في جرح أئمة الحديث

دخولاً أولياً وغير أهل البدع
يدخلون في تحذيرهم دون شك

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع
هذه

أما بعد:

فقد كتب من سَمَى السَّيِّقَ الأَثَرِيَّ مقالاً في شبكة الأَثَرِيَّ تحت عنوان:
الإمام ابن باز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوافق الشيخ فالح في مسألة التفريق بين جرح الرواة والتحذير
من أهل البدع
وهذا نص مقاله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد فرح الكثير ممن يكتب في شبكة أصحاب الخراب وغيرهم من الممبغة
والحزبيين بقول الشيخ ربيع -هذه الله- في مسألة أن جرح أهل البدع كجرح
الرواة، وأن أحكام جرح الرواة لا بد "أن يعمل بها من أراد أن يتكلم في أهل
البدع، ولقد تعامل الشيخ ربيع -هذه الله- على الشيخ فالح عندما قال بالتفريق
في ذلك، وزعم الشيخ ربيع -هذه الله- أن الشيخ فالح هو أول من فرق بين جرح
الرواة والكلام على أهل البدع.

والحق في المسألة لمن أراد الحق: أن الشيخ ربيع هو أول من خلط بين جرح
الرواة والتحذير من أهل البدع، ولذلك تجد في رواية الحديث أنهم يقبلون حديث
مبتدع قوي الحفظ لا ينصر بدعته في حديثه، ويردون حديث صاحب سنة لسوء

(١) أن لم أقل إن جرح أهل البدع كجرح الرواة -إلخ-، ومن أراد أن يعرف قلبي فليرجع إلى نصيحتي،
وإلى كتاب أئمة المرح والتعديل هم حماة الدين.

حفظه، سيما تجد أهل السنة لا يجالسون رجلاً لمجرد تحذير الإمام أحمد منه لأجل بدعة ابتدعها في الدين^(١)، فهناك فرق واضح.

والشيخ ربيع لا بد أن يذكر لنا من وافقه في هذا الحنط الذي ذكره، فنحن نتظر من الشيخ ربيع أن ينقل لنا من وافقه في مقولته: لا فرق بين التحذير من أهل البدع وجرح المجروحين من رواية الحديث فلا بد من تطبيق قواعد جرح وتعديل الرواة عند التحذير من أهل البدع.

وأما الشيخ فالح - حفظه الله - فقد وافقه أهل السنة في ذلك التفريق مع اعلمه أن الشيخ فالح ذكر لفظ: جرح أهل البدع بدل لفظ: التحذير من أهل البدع في بعض كلامه، والصحيح أنه لا مشاحة في الألفاظ^(٢) ولقد أشار إلى ذلك أخرون أهر شقران الجبري في رده البيئات.

والذي أريد نقله الآن - هو أن الإمام حماد بن زيد رحمته الله قد وافق الشيخ فالح^(٣) في تفريقه بين التحذير من أهل البدع وجرح الرواة، وهذا هو حال أهل السنة كما ذكرنا فلقد نقل الإمام أبو داود رحمته الله في حديث رقم (٣٢٠٠): قال وسمعت أحمد بن إبراهيم الموصلي يحدث أحمد بن حنبل قال: ما أعلم أنني جلست من حماد بن زيد مجلساً إلا نهى فيه عن عبد الوارث وجعفر بن سليمان. انتهى.

والمعروف أن عبد الوارث وجعفر بن سليمان من رواة الحديث الثقات ومن رواية الصحيحين، فكان تحذير الإمام حماد بن زيد رحمته الله منهما لأجل ما عندهم من بدع، فانظر التفريق يا رعاك الله.

وبذلك أيضاً موافقة الإمام ابن باز رحمته الله للشيخ فالح في المسألة نفسها، والذي سوف تسمعون صوتياً بإذن الله، ولكن أكتب منه هذه العبارة

حيث يقول رحمته الله كما في شريط (شرح كتاب العلم من صحيح البخاري)

(١) الإمام أحمد وغيره لا يقصرون التحذير على أهل البدع، تجمعهم أيضاً يحدرون من العساق والكذابين وحتى من الصالحين الذين ليسوا أهلاً للاختلاط عنهم

(٢) هذا يقال في حق العلماء لا في أهل الجهل المتلاعبين بقواعد أهل العلم والسنة.

(٣) كذا.

الشريط الأول الوجه الأول كما في تسجيلات البردين الإسلامية في الرياض ما نصه : المعروف ، الأئمة عرفوا ، المجروحين ، ومحذر من أهل البدع كذلك والناصح معروف كذلك مظهر الفسق والمستفتي . . . إلخ كلامه رحمته الله .

فأنت ترى أنه فرق رحمته الله بقوله : الأئمة عرفوا المجروحين ، وقوله : ومحذر من أهل البدع ، ولقد عرضت هذا الكلام على شيخنا الفاضل فالح الحربي فوافقني بأن هذا تفريق من الإمام ابن باز رحمته الله بين التحذير من أهل البدع وبين جرح الرواية ، وكذلك وافقني شيخنا عمر الحربي وقال : هذا تفريق من الإمام ابن باز رحمته الله وهذا ما عليه أهل السنة .

التعليق :

أولاً : قوله : لقد فرح الكثير ممن يكتب في شبكة صحاب الحراب وغيرهم من الممبعة والحزبين بقول الشيخ ربيع - هداة الله - في مسألة أن جرح أهل البدع كجرح الرواة وأن أحكام جرح الرواة لا بد أن يعمل بها من أراد أن يتكلم في أهل البدع .

أقول :

أ- إن هذه الحرب التي تشنونها على صحاب إنما هي حرب على أهل السنة ومنهجهم .

ب- أنتم أخرجتم أهل البدع عن قواعد أهل الحديث وعلومهم !! وهذا شيء لم تسبقوا إليه ، ودوافع هذا الإخراج رديئة جداً وقائمة على الجهل والهوى .

ج- لقد فرح العلماء برد هذا الباطل المفترى والانتصار لأهل الحديث ممن تنقصهم وحط من منزلتهم ، وهو فالح وزمرته الجهال المشبهون ، وليست صحاب هي الوحيدة التي فرحت بما قام به ربيع تجاه هذا الباطل ، والفرح بالحق من ميزات أهل الحق ، والفرح بالباطل هو من ميزات أهل الباطل .

ثانياً : قولك : والحق في المسألة لمن أراد الحق . أن الشيخ ربيع هو أول من خلط بين جرح الرواة والتحذير من أهل البدع .

أقول : لا دخل للجهال في الأحكام ولا سيما في القضايا العلمية ، وأما

العلماء السابقون ومؤلفاتهم وقواعدهم فهي مع ربيع ، وكذلك كل من اطلع من أهل العلم على كتابة ربيع قد أيدوا ربيعاً ولم يؤيد فالحاً إلا الجهلاء ولا عرة بتأييدهم ؛ لأنه من باب شهادة الزور على طريقة الخطائية من الروافض ، فهؤلاء يدخلون بأحكامهم الباطلة في حديث : «القضاة ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار» رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ، ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار» .

فاتقوا الله في أنفسكم فقد حشرتموها فيمن يقضي بالجهل وقد عرفتم حكمه .
ثالثاً : قوله : فهناك فرق واضح والشيخ ربيع لا بد أن يذكر لنا من وافقه في هذا الخلط الذي ذكره فتحن نتطر من الشيخ ربيع أن يتقل لنا من وافقه في مقولته . إلخ .
أقول : نعم ، هناك فرق واضح بين أهل البدع وأهل السنة ، ولكن نقد أهل البدع وتجريحهم بها داخل في صميم علم الجرح والتعديل وجزء منه بل هم الهدف الأول من جرح أئمة الحديث والبقد ، ويكذب كذباً واضحاً مفصوحاً من يخرجهم من دائرة نقد أهل الحديث وجرحهم وينادي بجهله وكذبه على رؤوس الأشهاد .
فما كشف عوار أهل البدع وهتك أستارهم إلا أئمة الحديث ، والعلماء من فقهاء وغيرهم تبع لهم وعيال عليهم في هذا الباب العظيم ؛ لأن هذا اختصاصهم والمعمول في كل فن على أهله المتخصصين فيه وهذا من البدعيات عند العلماء وعقلاء البشر .

وأقول :

أولاً : إن ما يتطلبه البيان قد قمت به على أكمل الوجوه المطلوبة في نصيحتي المتعلقة بالتقليد الذي دعا إليه فالح والمتعلقة بالجرح والتعديل ، وفي كتابي أئمة الجرح والتعديل هم حماة الدين ، وبينت في الأخير مدى الاستخفاف والخط من أئمة الجرح والتعديل في الأصول الفاسدة التي اخترعها فالح وفيما بناء هو وغيره عليها ؛ فارجع إليها وتأملها إن كان لك عقل وفهم ونزاهة من الهوى والتعصب الأعمى للباطل ؛ فستجد أن الحق مع ربيع وأن فالحاً على الباطل .

هذا وليعلم الناس أولو النهى أن أول من أخرج أهل البدع عن قواعد أئمة

الحديث ونقدتهم هو فالح .

ومن أقواله الدالة على الجهل والهوى : قوله جوابًا على سؤال : هل يشترط بيان أسباب الجرح ؟

فأجاب : ما يشترط هذا بالنسبة لأسباب الجرح ، بيان أسباب الجرح والتعديل في علم الرواية وليس في كلام المخالمين في مناهجهم وسلوكياتهم .

فقال السائل : لأنهم قد يقولون قد يحرح الشيخ بما لا يعتبر جرحًا عند غيره .

فقال فالح : لا ، لا هذه قاعدتهم ، أعوذ بالله ، هذه قاعدة طائفة ضللت الأمة ، هذه قاعدتهم هذه قاعدة ابتدعوها .

وهذا من أوصح الأدلة على أن فالحًا من أشد الناس جهلًا بعلم الجرح والتعديل وقواعد أهله .

فقال السائل : إذن يكفي الجرح المجمل ؟

فقال فالح : من العالم ، ما فيه حرح ما تقول جرح ، ما هو من الجرح ، الرواية قد يكون عالمًا إذا تكلم في أهل البدع ويتكلم في المنهج يتكلم في لعقيدة يتكلم في الدين يكون إمامًا في هذا .

وقد يكون لا تقبل روايته لأن ضوابط الرواية ما تنضبط^(١) عليه ، فرق بين هذا الذي هو علم آلة وعلم وسيلة وفن من فنون لحفظ الشريعة وبيان الكلام في المذاهب وأهل البدع والنحل .

لقد اخترع فالح هذه القواعد الباطلة ولا يعرفها أهل الحديث ولا الفقهاء ولا غيرهم من علماء الأمة ، ولقد بيست له بطلانها بلطف ، فذهب يعاند ويكابر ويصر على أباطيله ، وهو رجل مسكين لا ناقة له ولا جمل في علوم الحديث ، وأكد ذلك بتخططاته المفتعلة التي لم يسبقه إليها أحد .

وجاء من يسمي نفسه بأبي عبد الله ليقول بناءً على هذا التأصيل الفاسد وتأكيده : هل الجرح والتعديل الذي في علم المصطلح هو نفسه كلام الأئمة والعلماء في

(١) يعني ما تنضبط

أهل البدع والأهواء؟

أو بمعنى آخر: هل تنطبق قواعد هذا العلم في الكلام على أهل النحل؟

ثم قال: إن علم الجرح والتعديل جانب من علوم الشريعة له ضوابط وقواعد محددة معروفة بينها أهل هذا العلم في كتبهم، أما الكلام في الرجال غير الذين في الرواية فهذا يحتاج إلى عالم محيط بالشريعة، ينظر في الأصول ويستقري الأدلة ليخرج بعدها بحكم على هذا الرجل، وهل خالف منهج أهل السنة والجماعة؟ لا.

وفي هذا الكلام من هذا الجاهل طعن في علوم الحديث وإخراج لها من علوم الشريعة وطعن في أئمة الحديث وتجهيل لهم وإسقاط لكفاءتهم، فهم عنده أقل من أن يحكموا بالبدعة على أحد، لأنهم لا يرقون عنده إلى درجة الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا مكر بعد الكفر أعظم من البدع، ولا يمتدكون أدوات النظر والاستدلال، ولا يستطيعون استقراء الأدلة بل المؤهل لذلك هو وأمثاله من مثل الشيخ فالح، فهم الذين أحاطوا بالشريعة وهم المؤهلون للنظر في الأصول والحكم على أهل البدع، وكفى بهذا التأصيل ضلالاً وخيباً وحطاً على أئمة السنة. الأمر الذي لم يقله ولم يتجرأ عليه إلا فالح وقتة الجاهلة الشاذة عن السنة وأهله والطاعة فيهم.

وقد أيد فالح هذه الأباطيل ولا يبعد أنه هو مملئها على قائلها

ثم مع هذا يتمسحون بأهل السنة ولا أثر، وما أعدهم عن السنة والأثر!! ولقد بينت فساد هذه الأصول الفاسدة في نصيحتي وكتبي أئمة الجرح والتعديل هم حماة الدين، فليرجع إليهما من يريد الحق.

ثانياً. أقول. لا حجة لي في كلام حماد بن زيد^(١) لأنه ليس بصريح ولا ظاهر في التحذير من بدعته فقط دون التحذير من روايته وسم يقل: إن هناك فرق بين حرج الرواة والتحذير من أهل البدع، ولم يوافق حماداً في هذا التحذير لمصنف

(١) انظر بعض كلام حماد في مقال السيوطي الذي سقاه سنداً

لا لإمام شعبة فقد كان يشني عليه ثناءً مطلقاً ولا يحذر منه، ولا يحيي بن معين فإنه يجعله مثل حماد بن زيد في أيوب ويفضله على عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي وابن علي في أيوب ولم يشر إلى بدعته ولم يحذر منه.

وهذا الإمام أحمد يقول: كان عبد الوارث أصح الناس حديثاً عن حسين المعلم وكان صالحاً في الحديث.

وهذا أبو حاتم يقول فيه: ثقة صدوق ممن يعد مع ابن علي ويشر بن المفضل ووهيب يعد من الثقات هو أثبت من حماد بن سلمة، وقال النسائي: ثقة ثبت، وقال محمد بن سعد: كان ثقة حجة. ولم يشر أحد منهم إلى أنه مستدع ولم يحذر منه ومن بدعته.

وقال البخاري: قال عبد الصمد: إنه لمكذوب على أبي، وما سمعته منه يقول في القدر قط وكلام عمرو بن عبيد.

وكلام البخاري هذا وأمثاله أنه يرى أنه لا بد من بيان أسباب الجرح والتبديع، لا كما يقوله فالح، ذلك القول المفتعل الذي لم يسبق إليه، انظر هذه الأقول في تهذيب الكمال (١٨/٤٨١-٤٨٣)

ونظر قول البخاري في تهذيب الكمال وفي تاريخه الكبير (١١٨/٦) رقم الترجمة (١٨٩١) وفيه: وقال أبو جعفر: حلف لي عبد الصمد: إنه لمكذوب على أبي وما سمعت قط - يعني: القدر - وكلام عمرو بن عبيد، قال أبو جعفر: وكان عند شعبة، فمما قام قال شعبة: يعرف الإتيان في هامة البصري.

فهل ثبت القواعد والفروق بينها بمثل هذه الدعوى التي لا يقولها إلا أهل الأهواء والجهل لنصرة الترهات والأباطيل.

ومن عجائب تلونكم: أنكم كنتم تقولون: إن العلماء هم الذين يبينون حال أهل البدع لا أهل الحديث، وهذا حماد من أئمة الحديث وإلى يومنا هذا لم تأتوا بعالم واحد من غير علماء أهل الحديث لإثبات دعواكم.

ثالثاً: ليس في كلام الشيخ ابن باز^(١) أدنى شبهة فضلاً عن حجة في التفريق بين

(١) ينظر من كلام ابن باز في مقال لي.

باب التبديع وباب جرح الرواة، فإذا ثبت هذا الكلام عن ابن باز فليس في قوه تفريق بين السابيين أبداً، فقلوله الأئمة عرفوا المجروحين ومحذرين من أهل البدع، لا يريد إخراج أهل البدع من باب الجرح وحاشاه من ذلك؛ بل واصلح أنه عطف قوله ومحذر على المجروحين للتأكيد ومن عطف العام على الخاص، فهو مثل قول الله تعالى ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]

فالصلاة الوسطى من الصلوات التي أمر المسلمون بالمحافظة عليها، وعطفها لتمييزها، وقد ورد في فصلها والأمر بالمحافظة عليها أحاديث، وعطف الخاص على العام أسلوب قرآني عربي لا يجهله إلا مثل هؤلاء، ومنه قول الله تعالى ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]

جبريل وميكال من الملائكة، وأفردهما ثم عطفهما من عطف الخاص على العام على الرسل والملائكة لقصد مهم: وهو بيان فضلها على الملائكة.

والشيخ ابن باز أخذ هذا الكلام من قول أحد العلماء:

القلح ليس بغيبة في سنة من ظلم ومعرف ومحذر ومجاهر فسقاً ومستفت ومن طلب الإعانة في إزالة منكر فهذه الأصناف الستة الكلام فيها قدح أي جرح ولكنها مستثناة من النصوص التي تدم العيبة وأهلها؛ لما في جرح هذه الأصناف^(١) من النصيحة للمسلمين، فأخذ الشيخ كلمة معرف ومحذر يعني من أهل البدع

وكذلك من يستشار في حاطب فيحذر من المخاطب إذا كان يعلم فيه عيباً ولو كان من علماء أهل السنة فيشمه، ومثله كلمة: محذر، وليس قصد الشيخ في هذا السياق بيان المصطلحات والتفريق بين قواعد الجرح وقواعد التبديع، الأمور التي لم تخطر ببال أحد من العلماء من محدثين وفقهاء وغيرهم.

وتشويه العلوم والعبث بالمصطلحات العلمية والتهويز عليها من أجل نصرة

(١) ومهم المبتدع.

إنسان متخبط متبع لهواء، ومن أعجب عجائب هذا العصر أن يصدر من أناس يدعون السلفية ويحتكرونها لأنفسهم ويطاردون أهلها، فأخلقوا السلفية وشوهرها وأفرحوا أعداءها بهذه الأعمال التي يتركونها.

رابعاً: قال المسكين: ولقد عرضت هذا الكلام على شيخنا الفاضل فالح الحربي فوافقني بأن هذا تفريق من الإمام ابن باز رحمته الله بين التحذير من أهل البدع وبين جرح الرواية، وكذلك وافقني شيخنا عمر الحربي وقال: هذا تفريق من الإمام ابن باز رحمته الله وهذا ما عليه أهل السنة.
أقول:

لا يسعنا إلا أن نقول: إننا لله وإنا إليه راجعون من حال أناس غرباء على العلم والفهم يلصقون جهالاتهم بأهل السنة.

لقد جاء العلماء ومنهم الإمام ابن القيم بعامة دليل من الكتاب والسنة على أن أخبار الآحاد تفيد العلم رداً على أهل الأهواء، وجاء بواحد وثمانين دليلاً لإبطال دعوى مشروعية التقليد، وأن الأصل وجوب الاتباع ولا يستثنى إلا العاجز، وأثم اثنتون عشرة أو خمسة أدلة على هذا التفريق، لا أقول: من الكتاب والسنة؛ فإن هذا أشد تعجيزاً لكم ولكن من كلام أئمة العلم، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فانتقوا الله وراقبوه وارجعوا إلى الصواب ولا تفرقوا أهل السنة بهذه التأصيلات العاسدة، ثم دعمها بتصديد الشبهات، ثم الادعاء العريض الذي ترده مؤلفات وقواعد ومصطلحات الاختصاص؛ توبوا إلى الله من إلصاق أباطيلكم في أهل السنة.

واعلموا أن للسنة وعلومها رجالاً يحمونها من ترهات وغوائل أهل الباطل ويكشفون عوار المبطلين، لأدعياء وإن أسرفوا في الدعاوى وفي الالتصاق بأهل السنة.

خامساً: ولتأكيد بطلان هذه الترهات والجهالات؛ أسوق لكم أمثلة من كلام الرسول ﷺ ومن كلام أئمة هذا الشأن:

عقد الإمام مسلم باباً في مقدمته ترجم له النووي بقوله: باب الهوى عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها:

١- وساق إسناد مسلم إلى أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم؛ فإياكم وإياهم».

وهذا تحذير شديد يشمل أهل البدع والفساق والكذابين والمتهمين والضعفاء الشديدي الضعف الذين لا تنجبر رواياتهم بروايات غيرهم.

٢- وساق إسناده إلى مسلم بن يسار أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم؛ فإياكم وإياهم». مقدمة مسلم (ص ١٢).

وهذا تحذير شديد من الدجالين الكذابين ومن أهل البدع.

لكن في أهل البدع من يروى عنه لصدقه وأمانته ويحذر من الرواية عن غير أهل البدع من الكذابين والفساق والمتروكين والمتهمين، وما أكثر الدجالين الآن الذين يأتون أهل السنة بقواعد وأصول وأقوال لم يسمعها أهل السنة ولا آباؤهم فيجب الحذر والتحذير منهم أشد التحذير.

التحذير من جلساء السوء:

٣- قال رسول الله ﷺ: «مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة».

فهذا فيه تحذير من كل أصناف جلساء السوء كالفساق الفجار وأكلي الربا والراشي والمرتشي والرائش والمامين والمغتائبين، ويدخل فيهم أهل البدع.

فأين تخصيص التحذير بأهل البدع في هذا الحديث؟

وكان السلف يحذرون من مجالسة هذه الأصناف بل قد يأخذون الحديث من أصناف أهل البدع غير الدعاة كالقدرية والمرجئة والشيعة والحوارج ولا يأخذون من أصناف أهل الفسق ويحذرون منهم.

٤- كان بشير بن كعب يحدث عند ابن عباس فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه

ولا ينظر إليه، فقال: يا بن عباس، مالي لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟! فقال ابن عباس: «إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله، ابتدئته أبصارنا وأصغينا إليه نأذانا فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف». مقدمة مسلم (ص ١٣).

أي: فلما سلك الناس كل مسلك مما يحمد ويدم لم نأخذ من الناس... إلخ، وفي رواية مثله: «فلما ركب الناس الصعب والذلول فهيات» أقول: كيف لو رأى ابن عباس وأمثاله من الصحابة ومن السلف الصالح كيف تهافت أناس على أقوال باطلة وأصول ومناهج فاسدة يقدمها أناس من أمجر خلق الله وأكذبهم على دين الله وعلى أهله، كيف لو رأوا الحمقى والسفهاء يركضون وراء كل ناعق وجاهل متعالم.

شير بن كعب من الثقات وعامله ابن عباس هذه المعاملة ليرتي الناس على التثبت في أخذ السنة والدين وليحذرهم من الأخذ عن كل من هب ودب، إلى الله المشتكى من أباس هان عليهم دينهم وهانت عليهم أنفسهم فصارو ديولاً للآف كين والدجالين والتافهين.

٥- ساق مسلم روايات ترجم لها النووي بقوله: باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، وأن جرح الرواة بما فيهم جائز بل واجب، وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرمة. من هذه الروايات قوله:

أ قال ابن سيرين: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

وهذا تحذير من أهل البدع ومن غيرهم من الضعفاء والكذابين ولمتهمين ممن لا يجوز أخذ الدين عنهم.

ب- وقال ابن سيرين أيضاً: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم.

وهذه حجة قاصمة على من يقول: إن أهل الحديث ليسوا أهلاً للتبديع وإنما

المؤهل لذلك العلماء الذين أحاطوا بالكتاب والسنة وعندهم قدرة على الاستنباط وليس أهل الحديث كذلك؛ وهذا عين الكذب.

ومن الأقوال القبيحة التي حذرنا عنها رسول الله ﷺ ومن أهلها بقوله: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم؛ فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم».

وفيه التصريح بالتحذير من الأخذ عن أهل البدع وغيرهم من الكذابين

ح- وقال مسلم رحمه الله - حدثنا نصر بن علي الجهضمي - حدثنا الأصمعي عن ابن أبي الزناد، عن أبيه قال: أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون ما يؤخذ عنهم الحديث، يقال: ليس من أهله. (ص ١٥) من المقدمة.

وهذا فيه أن أهل العلم وطلابه في المدينة النبوية كانوا يتواصلون فيما بينهم ويحذر بعضهم بعضاً من الأخذ عن هؤلاء الأفاصل المأمونين من أهل السنة؛ لأنهم ليسوا من أهل الحديث.

وقال عبد الله بن المبارك: انتهيت إلى شعبة فقال هذا عباد بن كثير فاحذروه.

وعباد بن كثير ليس من أهل البدع وهو من أهل الصلاح ولكنه ليس من حفاظ الحديث؛ فكان شعبة يحذر منه.

فسقط بهذا البيان وبغيره قول الجاهل: إن أهل الحديث يجرحون الرواة ويحذرون من أهل البدع.

وما يدري المسكين أن الجرح يتضمن التحذير وأن التحذير لا يكون إلا من المجروحين سواء كان الجرح بكذب أو فسق أو كفر أو ببدعة، كل هؤلاء يشملهم الجرح ويشملهم التحذير.

وتذكروا حديث الرسول ﷺ «سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم؛ فإياكم وإياهم».

وهذا يشمل الكذابين والدجالين ودعاة البدع الضالين ولا سيما المقعدين منهم والمؤصلين الذين يأتون بأصول وقواعد باطلة مما لم يعرفه أهل العلم والسنة

ولا آباؤهم ولا أسلافهم.

سادسًا: قال أبو حاتم بن حبان في مقدمة كتابه المجروحين:

ذكر أنواع جرح الضعفاء، ثم قال: أما الجرح في الضعفاء فهو على عشرين نوعًا يجب على كل متحلل للسنن طالب لها باحث عنها أن يعرفها لئلا يظن على كل إنسان إلا ما فيه ولا يقول عليه فوق ما يعلم.

ثم قال: النوع الأول من أنواع الجرح في الضعفاء: فهم الزنادقة الذين كانوا يعتقدون الزندقة والكفر ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر، كانوا يدخلون المدن ويتشبهون بأهل العلم ويضعون الحديث على العلماء... إلخ.

ثم ذكر النوع الثاني والثالث والرابع في الكذابين الوضاعين.

وذكر في النوع الخامس من غلب عليه الصلاح والعادة وغفل عن الحفظ والتمييز، فإذا حدث رفع المرسل وأسند الموقوف وقلب الأسايد.

ثم قال: النوع السادس: ومنهم جماعة ثقات اختلطوا في أواخر أعمارهم.

وفي النوع السابع من كان يجب عن كل شيء يسأل، سواء كان من حديثه أو من غير حديثه فلا يبالي أن يتلقن ما لقن... إلخ.

ثم قال: النوع الثامن... ومنهم من كان يكذب ولا يعلم أنه يكذب إذ لعلم لم يكن صناعته.

وذكر في هذه الأنواع: فاحشي الغلط والمعلن بانفسق والمدلسين.

وفي النوع التاسع عشر قال: ومنهم المبتدع إذا كان داعية يدعو إلى بدعته حتى صدر إمامًا يقتدى به في بدعته ويرجع إليه في ضلالاته كميلان وعمر وبن عبيد وجابر الجعفي وذويهم.

وذكر في النوع العشرين القصاص والسؤال الذين كانوا يضعون الحديث في قصصهم ويروونها عن الثقات.

وكل أئمة الجرح والتعدي على هذا المنهج يدخلون في الجرح كل أنواع

المجروحين من الرنادقة والمبتدعين والكذابين وسائر الضعفاء على اختلاف أنواعهم.

وكل أصناف أهل العلم يشعون أئمة الحديث ويقتدون بهم ويرجعون إليهم في جرح أهل البدع وغيرهم حتى جاء دالح فأخرج أهل البدع عن جرح أئمة الحديث، وزعم المسكين أن الطعن في أهل البدع وتبديعهم لا يقوم به إلا العلماء - أي دالح وأمثاله ومن لا وجود لهم -.

سابقاً: وقال الذهبي: أبا ن بن أبي عياش فيروز وقيل: دينار، الزاهد أبو إسماعيل البصري أحد الضعفاء

قال شعبة: لأن أشرب من بون حمار حتى أروى أحب إلي من أن أقول حدثنا أبا ن بن أبي عياش.

وقال أحمد بن حنبل: قال عباد بن عباد: أتيت شعبة أنا وحماد بن زيد فكلمناه في أن يمسك عن أبا ن بن أبي عياش، قال: فلقبهم بعد ذلك فقال: ما أراني يسعني السكوت عنه، قال أحمد: هو متروك الحديث

ونقل عن يحيى بن معين أنه متروك، ونقل الذهبي تضعيفه عن غيره، ونقل عن حماد بن زيد أنه قال: كسبنا شعبة في أن يكف عن أبا ن بن أبي عياش لسنه وأهل بيته، فضعف أن يفعل ثم اجتمعنا في جنازة فنادى من بعيد: يا أبا إسماعيل إنني قد رحمت عن ذلك، لا يحل الكف عنه لأن الأمر دين. الميران (١/ ١٠-١١).

وقال ابن أبي حاتم: نا محمد بن حمويه بن الحسن قال سمعت أبا طالب قال: قال أحمد - يعني: ابن حنبل - لا تكتب عن أبا ن بن أبي عياش شيئاً قلت: كان له هوى؟ قال: كان مكر الحديث، وقد سمعت أبي يقول: أبا ن بن أبي عياش متروك الحديث، وكان رجلاً صالحاً لكن بلي سوء الحفظ

ونقل عن ابن معين وأبي زرعة، الكلام فيه الجرح والتعديل (٢/ ٢٩٦).

فهذا أبا ن بن أبي عياش وصف بالزهد ووصف بالصالح وليس من أهل البدع ومع هذا يحذر منه شعبة ويبالغ في التحذير منه، ويطلب منه السكوت عن هد لرجل فيأبى ويقول لا يحل الكف عنه لأن الأمر دين، ويقره على ذلك حماد بن زيد وأحمد بن حنبل، بل يصرح أحمد بالتحذير منه وكل أهل الحديث يحمّدونه

على هذا النصح والتحذير.

وعنى منطق هؤلاء المحرفين لمنهج السف عمداً الطاعنين في أئمة حديث وقواعدهم المزعزعين لهم عن اختصاصهم ومنه حرج أهل البدع وتبديعهم عن منطق هؤلاء، هذا كله ليس من باب التحذير لأن التحذير غير الجرح والجرح حاص بالرواية لا يتناول أهل البدع وهذا تماز في تلاعبهم وجهلهم وعنادهم، وإلا فقد بينا ترهاتهم وأبطلناها وهي كثيرة في كتابت أئمة الجرح والتعديل هم حماة الدين

ألا فليعلم أن الجرح والتعديل وبيان ضلال طوائف البدع وضلال أفرادهم وبدعهم إنما قام به أئمة الحديث والناس تبع لهم، وهذا يعترف به الفقهاء وهم متفقون على أن مرجعهم في الجرح والتعديل إنما هم أئمة الحديث.

ثامناً قال الخطيب البغدادي: باب في أن السفة يسقط العدالة ويوجب رد الرواية، وساق ثلاث روايات عن شعبة ويحيى بن سعيد القطان وأبي عبد الرحمن بن كزار أحد الثقات أنهم ما كانوا يأخذون لحديث عن السفهاء أهل الفحش في الكلام ثم ساق إسناداً إلى عطف بن خالد قال: قيل لزيد بن أسلم عمن يا أبا أسامة؟ قال: ما كنا نحالس السفهاء ولا نتحمل عنهم، ثم ساق إسناداً إلى إبراهيم بن سندر قال: حدثني معمر بن عيسى قال: كان مالك بن أنس يقول: لا تأخذ العلم عن أربعة وخد عمن سوى ذلك. لا تأخذ عن سفيه معلن بالسفة وإن كان أروى الناس، ولا تأخذ عن كذاب يكذب في أحاديث الناس. إذا جرب ذلك عني وإن كان لا يتهم أن يكذب على رسول الله ﷺ، ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من شيخ له فصل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث الكفية (ص ١٨٧-١٨٩).

فهل سيعترف هؤلاء المجهدة المقلسين من بدهيات العلم أو سيسكون مسدك علاة أهل البدع في التماذي في أبا طيلهم؟ نحن نتنظر أي الطرفين سيسكون وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً

كتبه

ربيع بن هادي عمير الممدخلي

٥ ذو الحجة ١٤٢٥هـ

تكملة المقال السابق:

**أهل البدع يدخلون في جرح أئمة الحديث دخولاً أولياً
وغير أهل البدع يدخلون في تحذيرهم دون شك**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

أما بعد :

فهذا المقال تكملة الرد على قاعدة فالح في التفريق بين جرح الرواة والتحذير
من أهل البدع
أقول :

ولتأكيد بطلان هذه الثرعات والجهالات أسوق لكم أمثلة من كلام الله ومن
كلام رسوله ﷺ ومن كلام أئمة هذا الشأن

وقال الله تعالى ﴿بَنَاتِيَا أَلْيَسَ عَاصُوا إِيَّاكَ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ
فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَعَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ١١﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ
وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ آخِرُ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿التعبير ١٢ ١٥﴾ .

في هاتين الآيتين يحذر الله تعالى المؤمنين عداوة بعض الأزواج والأولاد
والأموال وفتنتهم ؛ لأن كلاً من ذلك قد يكون فيه ضرر على المؤمنين في دينهم ،
وفي ذلك تحذير من كل ما يضر المؤمن في دينه .

قال ابن زيد في تفسير ﴿فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ : يعني على دينكم .

وقال مجاهد ﴿إِيَّاكَ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ قال : يحمل الرجل

على قطيعة الرحم ، أو معصية ربه ؛ فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه .
وقال ابن كثير تفسيراً لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ
آخِرُ عَظِيمٍ ﴾ . يقول تعالى : «إنما الأموال والأولاد فتنة» أي : اختبار وابتلاء من
الله لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه . انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠١-٤٠٢)
فهذا تحذير من الله ﷻ من غير أهل البدع ؛ فإن كان فيهم مبتدع والتحذير
أشد .

وقال تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .
وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وكل الآيات والأحاديث التي تحت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
إما هي دعوة للناس إلى كل خير وتحذير لهم من كل شر ومنكر وخطأ
وقال رسول الله ﷺ «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على
خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في
أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً ،
وتجيء الفتنة فيقول المؤمن . هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة فيقول
المؤمن . هذه هذه ، فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو
يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ، ومن بايع
إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا
عنق الآخر» . [صحيح مسلم : ٣/ ١٤٧٢] .

فهذا الحديث فيه دلالة للأمة إلى خير ما يعلمه لهم وتحذير من الفتن
والشرور ، ودلالة على طريقة القضاء على بعض الشرور .
وقال ﷺ : «الدين النصيحة ، قلنا : لمن؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة
المسلمين وعامتهم» .

فدعوة المسلمين إلى الخير وتحذيرهم من كل أنواع الشرور وأهلها تدخل في

لصبيحة التي هي جامعة لكل خير .

والحقيقة : أن هذه القعدة التي أتيتم بها من أشد القواعد فسادًا وتدميرًا ومواجهة للنصوص القرآنية والنسوية ولأصول الإسلامية التي لا يقوم الإسلام إلا بها .

قتل الله الجهل والهوى ، كيف يرديان أهلهما في مهاوي الهلاك !!

وقال عبد الرحمن بن عوف لابن عباس رضي الله عنه «لو شهدت أمير المؤمنين أتاه رجل قدامي ، إن فلانًا يقول : لو مات أمير المؤمنين لسايعت فلانًا .

فقال عمر : لأقومس العشية فأحذر هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم . قمت . لا تفعل ، فإن لموسم يجمع رعاك الناس يعلبون على مجلسك ، فأخاف ألا ينزلوها على وجهها ، فيطير بها كل مطير ، فأملهن حتى تقدم المدينة دار لبحرة ودار السعة فتخلص بأصحاب رسول الله ﷺ من لمهاجرين ولأنصار فيحفظوا مقالاتك وينزلوها على وجهها .

فقال : والله لأقومن به في أول مقام أقومه بالمدينة .

قال ابن عباس : فقد منا المدينة .

فقال : إن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل آية الرجم . « صحيح البخاري (٣٦٨ / ٤) حديث رقم (٧٣٢٣) وفي مسند الإمام أحمد (٥٥ / ١) .

وفي لفظ : «فغصب عمر ثم قال : إني إن شاء الله لقائم العشية في الدس فمحدثهم هؤلاء الدين يريدون أن يغصبوهم أمورهم» . صحيح البخاري (٤ / ٢٥٧) حديث رقم (٦٨٣٠) .

وقال أبو داود : حدثني يزيد بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن موهب الهمداني حدثنا أبي ، عن عقي ، عن ابن شهاب ، أن أبا إدريس الحولاني عذّب الله أخبّره أن يزيد بن عميرة - وكان من أصحاب معاذ بن جبل - أخبره ، قال : كان لا يجلس مجلسًا لمذكر حين يجلس إلا قال : «الله حكم قسط ، هلك المرتابون» .

فقال معاذ بن جبل يوماً : «إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعدو والحر، فيوشك قاش أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، وأحذركم زينة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة للصلاة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق».

قال: قلت لمعاذ ما يدريني -رحمك الله- أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟

قال: «بلى، اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقل لها: ما هذه؟ ولا يشيك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع، وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نوراً».

وفي لفظ لأبي داود: «لمشبهات» مكان: «المشتهرات» (السنن/كتاب السنة: حديث (٤٦١١)).

فهذا الخليفة الراشد يحذر من أدس غير متدعين، فمن قال إن التحذير لا يكون إلا من أهل البدع فقد أتى بما لا يعرفه المسلمون ولا آباؤهم، فهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه الفقيه يحذر من البدع، ويحذر من زينة لحكيم، ويحذر من المشتهرات والمتشابهات من كلام لحكيم، وهذا الحكيم قد يكون إماماً من أئمة السنة والحق.

وهي كلامه رد على من يقول: به لا يحذر إلا من أهل البدع، ورد على من يقول بحمل المجمل على الممصل فإن المجمل من المشابهات، ولا يعد أن يكون معاذ رضي الله عنه تدق هذا الكلام من الرسول الكريم ﷺ فيكون له حكم الرفع.

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في كتابه معرفة علوم الحديث (ص ٥٢): ذكر النوع الثامن عشر من علوم الحديث هذا النوع من علم الحديث معرفة الجرح والتعديل.

وهما في الأصل نوعان كل نوع منهما علم برأسه، وهو ثمرة هذا العلم،

والمراقبة الكسيرة منه ، وقد تكلمت عليه في كتاب المدخل إلى معرفة الصحيح بكلام شافٍ راضيه كل من رآه من أهل الصنعة ، ثم ذكرت في كتاب المزكين لرواة الأخبار على عشر طبقات في كل عصر منهم أربعة ، وهم أربعون رجلاً ، فالطبقة الأولى منهم ، أبو بكر وعمر وعلي وريدين ثابت فإنهم قد جرحوا وعدلوا وبحثوا عن صحة الروايات وسقمها ، والطبقة العاشرة منهم : أبو إسحاق إبراهيم بن حمزة الأصبهاني وأبو علي النيسابوري وأبو بكر محمد بن عمر بن سالم البغدادي وأبو القاسم حمزة بن علي الكنتاني المصري .

وقد ذكرت في كتاب «المدخل إلى معرفة كتاب الإكليل» أنواع العدالة على خمسة أقسام والجرح على عشرة أقسام ، وتكلمت في هذه الكتب على الجرح والتعديل مما يغني عن إعادته ، واستشهدت بأقوال الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين .

وأصل عدالة المحدث أن يكون مسلماً لا يدعو إلى بدعة ، ولا يعلن من أنواع المعاصي ما تسقط به عدالته ، فإن كان مع ذلك حافظاً لحديثه فهي أرفع درجات المحدثين ، وإن كان صاحب كتاب فلا ينبغي أن يحدث إلا من أصوله .

تعليق :

في هذا المص من الحاكم أن علم الجرح والتعديل نوعان :

أحدهما : علم التعديل وقد ألف فيه كتب مثل : كتاب الثقات للعجلي ، وكتاب الثقات لابن حبان ، وكتاب الثقات لابن شاهين .

وعلم الجرح وقد ألف فيه كتب منها كتاب الضعفاء للبخاري ، والضعفاء والمتروكين للنسائي ، وكتاب المجروحين لابن حبان ، وكتب في الضعفاء للدارقطني ، وفيه تقسيم المجروحين إلى عشرة أقسام يأتي في طليعتهم الكذابون والزنادقة وأهل الأهواء والبدع ، وقد رضى عمله كل من رآه من أهل الصنعة في وقته .

وأقول : وكذلك من أتى بعده من أهل العلم ، ولم يخالفهم أحد في إدخال أهل البدع في علم الجرح والتعديل إلا فالح الذي لا ناقة له ولا جمل في هذا العلم ، بل

لو جاء مليون فالح من أمثاله فلا قيمة لهم ولا وزن لكلامهم ولا يزيدهم اعتراضهم ومخالفتهم لعلماء الأمة إلا سقوطاً .

وانظر كيف بدأ الحاكم هنا في تعريف العدالة بأن يكون المحدث مسلماً لا يدعو إلى بدعة ؛ لأن البدعة جرح في صاحبها فإذا كان داعية سقط صاحبها .

ونأسف أننا أصبحنا تجاه قوم يجهلون البدهيات ، ويجادلون فيها بالثرهات !!

وقال الحاكم في كتابه المدخل إلى الإكليل : ذكر أنواع الجرح (ص ٢٣

: (٤٩)

ذكر معرفة أنواع الصحيح

والصحيح من الحديث منقسم إلى عشرة أقسام .

خمسة متفق عليها ، وخمسة مختلف فيها . . .

ثم ذكر الخمسة المتفق عليها والخمسة المختلف فيها .

فقال : خامسها : روايات المبتدعة وأصحاب الأهواء . . . ثم قال : فإن

رواياتهم عند أكثر المحدثين مقولة إذا كانوا فيها صادقين ، وذكر بعض من قبل رواياتهم كالبخاري ومسلم وابن خزيمة .

ونقل عن مالك قوله : لا يؤخذ حديث رسول الله ﷺ من صاحب هوى يدعو

الناس إلى هواء ، ولا من كذاب يكذب في حديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله ﷺ .

ولم يذكر السفيه ولا من كان فيه صلاح ولكنه ليس من أهل الحديث .

وقد ذكرهما غيره كالخطيب في الكفاية والرامهرمزي في المحدث الفاصل

(ص ٤٠٣) ، والشاهد منه ذكر المبتدع في المعجروحين وبيان اختلاف أئمة الحديث فيه من أجل بدعته .

ثم قال الحاكم : والمعجروchon على عشرة طبقات .

ثم قال ﷺ : أول أنواع الجرح : وضع الحديث على رسول الله ﷺ ، وقد

صححت الرواية عنه ﷺ أنه قال : «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» .

ثم قال: وممن ارتكب هذه الكبيرة جماعة فمنهم:

١- قوم من الزنادقة، مثل: المعيرة بن سعيد الكوفي، وأبي عبد الرحيم الكوفي، ومحمد بن سعيد الشامي المصلوب في الزندقة، تشبهوا بالعلماء، فوضعوا الأحاديث وحدثوا بها ليقعوا في قلوبهم الشك. وذكر كلام العلماء فيهم.

٢- قال: ومنهم قوم وضعوا الحديث لهُوى يدعون الناس إليه يعني بهم أهل الأهواء والبدع وذكر منهم شيخاً من الخوارج والجاحظ وأبا العيناء. قال عبد الله بن لهيعة: قال: سمعت شيخاً من الخوارج تاب ورجع وهو يقول: إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإننا كنا إذا هربنا أمراً صبرناه حديثاً.

٣- قال: ومنهم جماعة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا- يدعون الناس إلى فضائل الأعمال، مثل: أبي عصمة نوح بن أبي مريم، ومحمد بن عكاشة الكرمانى، وأحمد بن عبد الله الجوبارى.

٤- قال: ومنهم جماعة وضعوا الحديث للملوك في الوقت مما تقرّبوا به إليهم، وذكر منهم: غياث بن إبراهيم، وميسرة بن عبد ربه، وزياذ بن ميمون، وأبو البحتري، وأبو داود سليمان بن عمر النخعي، وغيرهم.

٥ قال: ومنهم جماعة وضعوا الحديث في الوقت لحاجتهم إليه، وذكر منهم: سعد بن طريف، وذكر المتعصين للمذاهب ومنهم: مأمون من أحمد الهروي الذي وضع حديثاً في الطعن في الشافعي وفي مدح أبي حنيفة، وذكر منهم: محمد بن عكاشة الكرمانى الذي وضع حديث: «من رفع يده في الركوع فلا صلاة له».

٦- قال: ومنهم قوم من لسؤال والمتكدين يقفون في الأسواق والمساجد والمحافل فيصنعون في الوقت على رسول الله بأسانيد صحيحة قد حفظوها فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد.

ثم قال الحاكم: فهذه الطائفة بأنواعها كذبة على رسول الله ﷺ.

ثم قال رحمته الله: الطبقة الثانية من المجروحين قوم عمدوا إلى أحاديث مشهورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسانيد معروفة، ووضعوا إليها غير تدك الأسانيد، فركبوها عليها ليستغرب بتلك الأسانيد، منهم إبراهيم بن اليسع، وحماد بن عمر الصبيعي، وبهلول بن عبيد، وأصرم بن حوشب، وغيرهم.

ثم قال رحمته الله: الطبقة الثالثة من المجروحين قوم من أهل العلم حملهم الشره على الرواية عن قوم ماتوا قبل أن يولدوا، مثل إبراهيم بن هذبة، وعدد الله من إسحاق الكرمانني، وهذا النوع من المجروحين فيهم كثرة.

ثم قال رحمته الله: الطبقة الرابعة من المجروحين قوم عمدوا إلى أحاديث صحيحة عن الصحابة رفعوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي حذافة أحمد بن إسماعيل السهمي، ويحيى بن سلام البصري.

ثم قال رحمته الله: الطبقة الخامسة من المجروحين قوم عمدوا إلى أحاديث مروية عن التابعين أرسلوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزادوا فيها رجلاً من الصحابة فوصلوها، مثل إبراهيم بن محمد المقدسي، وعلى هذا النوع جماعة يستشهد به على الجملة.

ثم قال رحمته الله: الطبقة السادسة من المجروحين قوم الغالب عليهم لصلاح والعادة، لم يفرغوا إلى صسط الحديث وحفظه والالتقان فيه، فاستخفوا بالرواية فظهرت أحوالهم، قال الحاكم رحمته الله: فيهم كثرة وأكثرهم زهاد عباد.

ثم قال رحمته الله: الطبقة السابعة من المجروحين قوم سمعوا من شيوخ وأكثروا عنهم، ثم عمدوا إلى أحاديث لم يسمعوها من أولئك الشيوخ، فحدثوا بها ولم يميزوا بين ما سمعوا وما لم يسمعوا وورد حراسان جماعة من هذه الطبقة كإبراهيم ابن إسحاق الغسيل، وأحمد بن محمد بن عمر المنكدر وغيرهما. وقد رأيت في عصرنا منهم جماعة من أعيان الغرباء من أهل العلم فعلوا ذلك.

ثم قال رحمته الله: الطبقة الثامنة من المجروحين قوم سمعوا كتباً مصنفة من شيوخ أدركوهم، ولم ينسخوا سماعتهم عند السماع، ونهضوا بها إلى أن طعنوا في السن، وسئلوا عن الحديث فحملهم الجهل والشره على أن حدثوا بتلك الكتب

من كتب مشتراة ليس لهم فيها سماع ولا بلاغ، وهم يتوهمون أنهم في رواياتهم صادقون وهذا النوع مما كثر في الناس.

ثم قال رحمته الله الطبقة التاسعة من المجروحين: قوم ليس الحديث من صناعتهم، ولا يرجعون إلى أي نوع من الأنواع العشرة التي يحتاج المحدث إلى معرفتها فلا يحفظون حديثهم، فيجيبهم طالب العلم فيقرأ عليهم ما ليس من حديثهم، فيجيبون ويقرون بذلك وهم لا يدرون، ومثل بهذا موسى بن دينار وقيس بن ربيع.

ثم قال رحمته الله: الطبقة العاشرة من المجروحين: قوم كتبوا الحديث ورحلوا فيه وعرفوا به، فتلفت كتبهم بأنواع من التلف: الحرق أو النهب أو الهدم أو الغرق أو السرقة؛ فلما سئلوا عن التحديث حدثوا بها في كتب غيرهم أو من حفظهم على التحمين، فسقطوا بذلك، منهم عبد الله بن لهيعة المصري على محله وعلو قدره.

فهل هذه الأصناف والطبقات المجروحة لا يحذر منها على منهج هؤلاء؟ وهل يقول هذا إنسان يعقل أن العلماء لا يذكرون هؤلاء المجروحين على اختلاف أنواعهم إلا للتحذير منهم ومن زلاتهم وكذب من يكذب منهم على رسول الله ﷺ ١١٩

وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله في الزهدة (ص ٨٢-٨٣): وخبر الأحاد؛ ينقل عدل تام الضغط، متصل السند، غير معطل ولا شاذ: هو الصحيح لذاته.

وشرح العدالة بقوله والمراد بالعدل: من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة.

وشرح التقوى بقوله والمراد بالتقوى: اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة.

فجعل في تعريف الصحيح المقبول، الشرك والفسق والبدعة من الأمور التي سافى العدالة والتقوى، وهذا جرح شديد بالبدعة إذ هي مشتقة من الشرك وآيلة إليه.

وقال أيضًا في أسباب الطعن في الراوي -أي: الجرح- (ص ١١٤ ١١٧):

ثم الطعن: إما أن يكون لكذب الراوي، أو تهمته بذلك، أو فحش غطه، أو

غفلته، أو فسقه، أو وهمه، أو مخالفته، أو جهالته، أو بدعته، أو سوء حفظه.

فجعل البدعة من أسباب الطعن.

وقال أيضًا في (ص ١٣٦-١٣٨): ثم البدعة: إما بمكفر، أو بفسق، فالأول: لا يقبل صاحبها الجمهور، والثاني: يقبل من لم يكن داعية في الأصح؛ إلا إن روى ما يقوِّي بدعته، فيرد على المختر، وبه صرح الجوزحاني شيخ النسائي.

ثم ذكر في شرحه مذاهب أئمة الجرح والتعديل في قبول رواية المبتدع من ردها.

فانظر إلى ابن حجر لا تأتي مناسبة إلا ويذكر فيها أهل البدع في المجروحين، وقد سبقه إلى ذلك أئمة الجرح والتعديل وأيدهم وتابعهم في ذلك كل علماء الأمة. وبهذه البيانات والإيضاحات لتي سردناها يتبين للقارئ أن القرآن والسنة قد حذرا من كل ما يضر بالإسلام والمسلمين في دينهم بل ودنياهم، وكذلك الصحابة والتابعون وأئمة الهدى وأئمة الحديث قد حذرو المسلمين من كل ما يضرهم في دينهم سواء من الرواة لسالمين من لدع أو أهل البدع أو من الدخاليين والكذابين، وكل ذلك يدخل في صميم منهج أئمة الجرح والتعديل.

وبكل هذا وذاك يسقط قول أهل الجهل والهوى: إن أهل البدع لا يدخلون في قواعد أهل الحديث ولا يدخلون في جرحهم، وأن غير أهل البدع لا يدخلون في تحذيرهم.

ولا أعرف جهلاً وكذباً على أهل الحديث وأصولهم ومهبحهم يفوق هذا الجهل والكذب.

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

١٦ / ١٢ / ١٤٢٥هـ

نور السنة والتوحيد عند أهل الحديث

وتظلمات البدع والأهواء تخييرهم على غيرهم

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

إن البقاع المضئية بالكتاب والسنة في العالم الإسلامي هي بقاع أهل الحديث السلفيين .

وإن البقاع المظلمة في العالم الإسلامي هي بقاع أهل البدع والضلال المخالفين المحاربين لأهل الحديث .

وإن الأحزاب السياسية المعاصرة - بما فيهم الإخوان المسلمون وفصائلهم والفرق الضالة - بما فيهم جماعة التبليغ - يريدون أن يبقى هذا الظلام مخيمًا في العالم الإسلامي مطبقًا عليه ، لا يحركون ساكنًا صده ، وليس لهم إرادة في تبديده ، وليس لهم نهج يدفعهم إلى إزاحته وإحلال التوحيد ونور الكتاب والسنة بديلًا عنه .

فهم يحافظون على هذا الظلام - ولا سيما ظلام الرفض والتصرف - بحجة أنهم يحاربون أعداء الإسلام ، وهم ليسوا كذلك ، وبحجة نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه ، وبحجة تجمع المسلمين بما فيهم الروافض ومن غلاة السوفية لمواجهة أعداء الإسلام .

ثم هم يحاربون أهل الحديث ويضعون في وجوههم شتى العقبات والسدود التي تصد الناس عن الاستضاءة بما عند أهل الحديث من نور التوحيد ونور الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح .

فإلى متى تستمر حماية الظلام المطلق على الأمة ؟

ومتى يرى المسلمون هذا النور ؟!

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - ناقلًا كلام السمعاني رحمته الله : «فرغم كل فريق منهم أي : المبتدعة - أنه هو المتمسك بشريعة الإسلام ، وأن الحق الذي قام به رسول الله ﷺ هو الذي يعتقده ويتحله ؛ غير أن الله تعالى أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار .

لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلقًا عن سلف ، وقرنًا عن قرن ، إلى أن انتهوا إلى التابعين

وأخذوا التابعون عن أصحاب النبي ﷺ .

وأخذوا الصحابة عن رسول الله ﷺ .

وشهيرها، وعنوا عن صحة أهلها، وطعنوا فيها وفيهم، ورهدوا الناس في حقها، وضربوا لها ولأهلها أسوأ الأمثال، ولقنوهام أقبح الألقاب، عسموها نواصب أو مشبهة وحشوية أو مجسمة، فعلمنا بهذه الدلائل الظاهرة والشواهد القاطعة أن أولئك أحق بها من سائر الفرق». [مختصر الصواعق (ص ٤٢٣-٤٢٩)].

وخصوصاً أهل الحديث الجدد يرددون الطعون التي يطعن بها الشيوعيون والعلمانيون والبعثيون في خصومهم من المسلمين وغيرهم وهي: جواسيس، عملاء أمريكا، وعلماء البلاط، وعلماء الصحون.

نسأل الله للجميع الهداية إلى الحق والرجوع عن الباطل والخروج من ظلام البدع.

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

١٩ / ٥ / ١٤٢١هـ

الحقوق والواجبات على الرجال والنساء في الإسلام

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم العلامة صالح الفوزان

الحمد لله الحكيم الخبير، الذي خلق الذكر والأنثى وجعل لكل منهما حقوقاً وعليه حقوق وواجبات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه وتمسك بستته.

وبعد:

فلا شك أن الله ﷻ شرع لعباده ما يصلح دينهم ودنياهم، وأمرهم بالعدل فيما بينهم باتباع الكتاب والسنة لا باتباع الأهواء والرغبات: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْهَوَاءَ أَهْوَاءُ هُم لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

فمن لم يرض بما شرعه الله فهو غير مؤمن؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُوْمِنُونَ حَتَّىٰ يُعَكِّمُوكَ فِيهَا شَجَرًا يَنْبَهُهُ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ومن ذلك: قضية المرأة التي تُثار في هذا الوقت، ويتكلم فيها كل من هب ودب من الرجال والنساء، إما بجهل وإما بهوى، ومن ذلك: ما دار في منتدى النساء الذي عُقد في جدة منذ أيام.

وقد تعقب ذلك الشيخ، لما ضل: ربيع بن هادي عمير المدخلي - حفظه الله - وبين ما جرى في ذلك المنتدى من الخلط والجهل ودعوى أن النساء مظلومات ومهضومات حقوقهن، وهذا إن كان اتهاماً للإسلام بأنه ظلم المرأة فهو كفر بالله، وإن كان اتهاماً لبعض الرجال أنهم يظلمون النساء فهذا قد يحصل لكن لا يُنسب ذلك إلى الإسلام، وإنما يُنسب إلى من صدر منه، وكما أنه قد يقع ظلم من بعض

الرجال للنساء فالظلم الذي يحصل من النساء للرجال أكثر، وسبيل رفع ذلك يرجع فيه إلى المحاكم الشرعية لا إلى المنتديات كما ذكر ذلك الشيخ ربيع - حفظه الله - فقد أجاد وأفاد جزاء الله خيراً ونفع بما كتب

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد ظهر في هذه الأيام في بلاد الحرمين من ينادي بحقوق المرأة ويتباكى عليها، ووجد من بعض النساء من يتجاوب مع هذا النداء، وهذا أمر يضطر المسلم إلى أن يقول كلمة الحق في بيان حقوق الرجال والنساء وواجباتهم جميعاً، وأن يبين وضع المرأة عند الأمم الأخرى غير المسلمين؛ إذ بضدها تتبين الأشياء

حال الناس قبل الإسلام وحال المرأة

من حديث عياض بن حمار الطويل قوله ﷺ: «وَأَنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حَفَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَشْرَكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبُهُمْ وَعَجَمُهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»^(١).

وقد ذكر القرآن الكريم صوراً كثيرة من الجاهليات وأخلاقهم من وثنيين وأهل الكتاب.

ومنها: ظلم العرب للمرأة واحتقارهم لها وسقوط منزلتها عندهم، والتأفف والتضجر منها منذ ولادتها ووأدها طفلة وفتاة: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٩٨﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوِيمِ مِن سُوِّ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيَسْكُنُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ لِيُذْشِمُوا فِي الْأَرْبَابِ إِلَّا مَسَاءً مَا يَجْكُمُون﴾ [الحجر ٥٨ ٥٩].

وهي عند الأمم الأخرى أسوأ حالاً منها عند العرب: فكانت الأمة اليونانية

(١) رواه مسلم حديث (٢٨٦٥)، وأحمد (١٦٢/٤).

تنظر إليها بأنها من سقط المتاع، ولم يكن لها أي حقوق أهلية، وكانت تباع وتشتري في الأسواق.

وفي الحضارة الرومانية: كان للرجل السيادة المطلقة، وله الحقوق الكاملة على أهله، فله أن يحكم على زوجته بالقتل لأدنى تهمة، وله أن يقتل أولاده أو يعذبهم دون أي مسئولية.

وهي عند الهنود في غاية الهوان والذل: وإذا مات زوجها فعليها أن تحرق جسدها على مقربة من جسده.

وقد تفرح بهذا المصير تخلصاً من الاضطهاد والهوان الذي تلقاه.

وهي عند اليهود: لعنة؛ لأنها أغوت آدم، وعند بعض طوائفهم: لأبيها الحق أن يبيعها، ولا يُجالسونها ولا يؤاكلونها إذا حاضت، ولا تلمس وعاء حتى لا ينجس.

وقرر النصارى الأوائل: أن الزواج دس يجب الابتعاد عنه، وأعلنوا أن المرأة باب الشيطان، وأن العلاقة بها رجس.

وعقد الفرنسيون عام (٥٨٦م) مؤتمرًا للبحث: هل تعد المرأة إنساناً أو غير إنسان؟ وهل لها روح أو ليس لها روح؟ وإذا كان لها روح فهل هي روح حيوان أو روح إنسان؟ وقرروا أخيراً: أنها روح إنسان ولكنها خلقت لخدمة الرجل فحسب!!

وظلت النساء طبقاً للقانون الإنجليزي العام حتى منتصف القرن الماضي تقريباً غير معدودات من «الأشخاص» أو المواطنين الذين اصطلح القانون على تسميتهم بهذا الاسم، لذلك لم يكن لهن حقوق شخصية، ولا حق في الأموال التي تكسبها، ولا حق في ملكية شيء حتى الملابس التي كن يلبسها.

بل القانون الإنجليزي حتى عام (١٨٠٥م) كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حدد ثمن الزوجة بستة ستات (نصف شلن).

وقد حدث أن باع إنجليزي زوجته عام (١٩٣١م) بخمسمائة جنيه، وقال محاميه في الدفاع عنه: إن القانون الإنجليزي عام (١٨٠١م) يُحدد ثمن الزوجة

بسته سنوات بشرط أن يتم البيع بموافقة الزوجة، فأجابت المحكمة إن هذا القانون قد ألغي عام (١٨٩٥م) بقانون يمنع بيع الزوجات أو التنازل عنهن، وبعد المداولة حكمت المحكمة على نائع زوجته بالسجن عشرة أشهر.

وجاء في مجلة «حصارة الإسلام» السنة الثانية (ص ١٠٧٨): «حدث في أم الماضي أن باع إيطالي زوجته لآخر على أقساط، فلما امتنع المشتري عن سداد الأقساط الأخيرة قتله البائع».

وقال الأستاذ محمد رشيد رضا رحمته الله: «من الغرائب التي نقلت عن بعض صحف إنجلترا في هذه الأيام: أنه لا يزال يوجد في بلاد الأرياف الإنجليزية رجال يبيعون نساءهم بثمان نخس حذاً كئلائين شللاً، وقد ذكرت أي: الصحف الإنجليزية - أسماء بعضهم»^(١).

ونقل عن أحد الدارسين في أمريكا أن في الأمريكيين أقواماً يتبادلون زوجاتهم لمدة معلومة، ثم يسترجع كل واحد زوجته المعارة تماماً كما يعير القروي دابته أو الحضري في بلادنا شيئاً من متاع بيته.

وتاريخ المرأة عند الصينيين والعرس في غاية السوء.

هذه هي أحوال النساء عند الأمم غير الإسلامية.

أما الإسلام - فقد انتشل المرأة من وهديتها، وبدد عنها كوايس الظلم والظلام والإذلال والاستعباد، وأنزلها منزلاً كريماً ومكانة لا نظير لها عند الأمم، سواء كانت أمماً أو بنتاً أو زوجة أو أختاً.

فقرر الله إنسانيتها من فوق سبع سموات فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولم تحتج المرأة المسلمة إلى عقد مؤتمرات لإثبات إنسانيتها وحقوقها، فقد قررها الله ورسوله وآمن بها المسلمون.

(١) بقل من عروة الحجاب (٢/ ٤١-٤٧)، وقد اختصرت بعض نصوصه

ولها حق الهجرة والبصرة والحماية من المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَكْثَرُ يَعْلَمُ بِإِيمَانِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وحرم الله من يؤذي المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الاحزاب: ٥٨].

وتوعد من يفتن المؤمنين والمؤمنات عن دينهم بعذاب جهنم؛ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

وأمر الله رسوله الكريم أن يستغفر لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات؛ فقال تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

وإذا أراد المتحلون وأعداء الإسلام أن يعرفوا شيئاً عن منزلة المرأة في الإسلام فليمدوا أبصارهم إلى تشييع جنازتها والصلاة عليها، ولعل ميثاً يدهش الكفار والمنافقين أن يروا مئات الآلاف في المسجدين الشريفين تنظم صفوفهم للصلاة على جنازة امرأة مؤمنة أو طمعتها.

هذه مزايا أعطاها الإسلام للمرأة المؤمنة، يستحيل مثلها في أي ديانة مُحرفة أو مُختَرعة، أو قوانين مزيفة، مهما بالغت في تكريم المرأة كما تزعم.

بل الحصار المعاصرة التي يقودها اليهود والنصارى قد مسخت المرأة مسحة شنيعاً فجعلتها سلعة رخيصة وملعبة للرجال في ميادين العمل والأسواق ومعارض الأزياء والصحف والمجلات، فكم ترى في هذه الصحف من الصور النسائية الخليعة الفاضحة للنساء؛ ليتلهم بهن الفجار ويستمتعوا بهذه المناظر الفاضحة المخزية، ولعل الإحصائيات قد عجزت عن تسجيل حوادث الحمل والأولاد غير الشرعيين.

كل هذا نتيجة للقوانين التي تدعي أنها أنصفت المرأة وأعطتها حقوقها، ومنها: الحرية والمساواة!!

ونتيجة للإعلام الخبيث الذي تشجعه هذه القوانين والأنظمة التي تُحارب تشريع الله الخالق الحكيم الذي تضمنه الإسلام كتاباً وسنة، الذي أعطى كلاً من

الرجل والمرأة حقه بشرف وعدل وإنصاف .

هذه هي الأنظمة والقوانين التي يسيل عليها لعاب المنحليين من الإسلام كالعلمانيين والليبراليين والإباحيين في بلاد الإسلام ، ويريدون أن يَجْرُوا المرأة المسلمة إلى مستنقعاتها المهلكة .

لقد أعطى الإسلام كلاً من الرجل والمرأة حقه بالعدل والقسطاس المستقيم ، فشرع للرجال من الحقوق والواجبات ما يلائم رجولتهم وقواهم وعقولهم واستعدادهم لمواجهة الأخطار وتحمل المشاق وفطرتهم التي زودهم الله بها .

وشرع للنساء من الحقوق والواجبات ما يلائم أنوثتهن وضعفهن ونقصهن عن الرجال في العقل والقوة ، وضعفهن في الاستعداد لمواجهة الأخطار والمشاق . وقد رضي المسلمون رجالاً ونساءً هذا التشريع الإلهي الحكيم الرحيم ، واعتبروه من عقائدهم المُسلَّمة .

ومن تَمَلَّتْ منه فليس بالمؤمن ، ويُعْتَر مُستدِرِكاً على الله ورسوله ، وحاشا مؤمناً بالله ورسوله وكتبه أن يقع في ذلك .

وقد راعى الإسلام هذا التفاوت ؛ فبنى عليه الحقوق والواجبات لكل من الرجل والمرأة وعليهما بعد حقوق الله ، فمن حق الله على عباده رجالاً ونساءً : أن يعدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وأن يقوموا بأركان الإسلام والإيمان المعروفة .

وأن يقوموا ببر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من الأمور المشتركة بين الرجال والنساء .

*** ومن الواجبات التي تُخص الرجال :**

١- الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ونشر الإسلام ، والزيادة عن ديار الإسلام .

٢- صلاة الجمعة والجماعة في المساجد .

٣- النفقة والكسوة والسكن تُجب على الرجال لزوجاتهم بالمعروف ، وهذه وتلك أمور عظيمة تبذل فيها الأموال والطاقات والأنفس ، ولا طاقة للنساء بها إلا ما تقوم به على وجه التطوع منها .

٤- تكوين الجيوش لا يكون إلا من الرجال دون النساء .

* ومن الحقوق المشروعة التي فضل فيها الرجال على النساء :

١- القوامة : قال تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْفَضْلُ قَبْلُ فَتَيْنَتْ حَنُوطَاتُ اللَّعِيبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [نساء : ٣٤] .

٢- الولاية على المرأة في عقد النكاح : إذ لا تكون هذه الولاية إلا للرجال ، فلا تتولى المرأة عقد النكاح على نفسها ولا على غيرها .

٣- تفضيل الذكر على الأنثى في العقيقة : إذ يُعق عن الغلام بشاتين وعن الجارية بشاة واحدة .

٤- تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث : فللمرأة نصف ميراث الرجل متى كانت أو أختاً أو أماً أو زوجة .

٥- التفاوت في الديات : إذ دية المرأة على النصف من دية الرجل .

٦- يفضل الرجل على المرأة في الشهادة : إذ شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين ، وهناك أمور لا تقبل فيها شهادة المرأة كالجنائيات .

٧- ومنها : الخلافة والإمارة والقضاء وقيادة الجيوش وتدبير أمر الأمة ، فهذه للرجال وعليهم .

٨- وللرجال أن يعددوا الزوجات إلى أربع : وليس للمرأة أن تعدد الأزواج ، وهذا التفضيل حتى في الآخرة .

ولقد أعطى الإسلام المرأة حقوقاً أكثر من الواجبات التي افترضها عليها : فالواجبات الثقيلة والشاقة ومنها ما فيه بذل المال والنفس فإنما فرضها على الرجال ، أما المرأة فهي معفوة منها ، فأى نظام في الماضي والحاضر يعطي المرأة مثل هذا العطاء؟! .

* فمن الواجبات عليها :

١- طاعة زوجها في غير معصية الله ، وحق الرجل عليها أعظم من حق أبيها

٢- رعاية البيت والأسرة، «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها».

٣- ألا تصوم تطوعاً إلا بإذنه.

٤- وألا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه.

٥- وألا تخرج من بيتها إلا بإذنه.

٦- أن تحفظه في دينه وعرضه.

وهناك حقوق أخرى له عليها.

* ومن حقوق المرأة على الرجل :

١- أن يدفع لها مهرًا للزواج بها.

٢- النفقة عليها في حدود المعروف.

٣- أن يؤمن لها الملبس والسكن.

٤- وأن يعاشرها بالمعروف.

وهذا له تفاصيل : منها : أن يتحجب إليها، ويناديها بأحب الأسماء إليها، وأن

يُحترم حديثها، ويجمعها حسن الأخلاق معها.

وإنني مع إيماني بفضل الرجل على المرأة فإنني أحترم المرأة سواء كانت أمًا أم

بنتًا أم زوجة أم أختًا أو أي قريبة من القريبات.

وأرى أن على المسلمين أن يحترموها وأن يكرموها وأن يستوصوا بها خيرًا، كما

أوصاهم بذلك رسول الله وعلمهم حقوقها التي سلبتها الجاهليات فاستعدها لها.

وأوصى النساء أن يعرفن حق الرجال، وأن يقمن به على الوجه الذي شرعه

الله، ويقيام كل من الطرفين بحقوق الله وبحقوق الآخر وواجباته : يسعد الزوجان

وتسعد الأمة وتطيب لهم الحياة في الدنيا والآخرة.

ولقد اطلعت على ما نشر في جريدة المدينة في مدحها الصادر يوم الأربعاء

الموافق (٢٢ ذي القعدة ١٤٢٤هـ) تحت عنوان «المتدى النسائي لعدد من

الكاتبات في المملكة العربية السعودية».

ولهن في هذا المنتدى مطالبات باسم الإسلام ، وقد سقن خلال حوارهن آيات وأحاديث ودعوة إلى مراجعة سيرة الصحابييات الكريمات - رضي الله عنهن - .
ولي عليهن مؤاخذات لا يتسع المقام لاستقصائها وينبغي أن أذكر بعضها :
أولاً : منها الإجمال في العبارات ثم التوسع في المطالب .
• ومن هذا الإجمال :

- ١- المطالبة بالعدالة والحق والمساواة النوعية .
 - ٢- الحرية والتحرر .
 - ٣- استخراج مظاهر الحقوق الإنسانية الكامنة في الدين وإظهارها وتطبيقها بالإجراءات التشريعية والقوانين أيضاً .
 - ٤- مطالبتهم بولاية متكافئة وعلاقات متوازنة .
 - ٥- اعتبار ولاية الرجل على المرأة وقوامته عليها خدمة للمرأة وتكليفاً لا تشريعاً^(١) .
 - ٦- قالت إحداهن : «ربما أعتبر نفسي أكثر من هوجمت من قبل قراء من الرجال بسبب كتابتي عن زوايتي سلسلة تتحدث عن جهل المرأة بحقوقها ونهايتها وسلبيتها تجاه حقوقها ، وما أريد قوله حقيقة : أن لدينا الكثير ممن يجهلون الإسلام ويعتبرون أن المرأة ما هي إلا تابع للرجل ، والمرأة ليست تابعا للرجل بل ندا للرجل سواء في الحقوق أو الواجبات . . . إلخ .
 - ٧- التركيز على حقوق النساء وإشارات مقتضبة إلى حقوق الرجال .
 - ٨- التظلم للنساء دون أن يذكرن ظلم النساء للرجال .
 - ٩- اتّهام بعضهم للعلماء بقولها : «أعتقد الاجتهادات معظمها تعتمد على أدلة انتقائية ، بمعنى : ننتقي ما نريده .
- فالمرأة لها حقوق وعليها أد تطالب بحقوقها ، ولا نشعر أن المجتمع

(١) بل هي تشريف وتكليف برعاية المرأة ومصحتها .

والأعراف كبلتها وضيق الخناق عليها .

خاصة أن بعض الخطابات الدينية تنتقي بعض الآيات القرآنية والأحاديث من خلال ما يتناسب مع العادات والتقاليد؛ لكي تبرهن وتثبت أن المرأة أقل من الرجل، وأن المرأة يجب أن تكون تحت وصاية الرجل دائماً .

هذا عرض موجز لبعض ما ورد في هذا الاجتماع النسائي لا لكل ما ورد فيه . ولا يتسع وقتي لإلقاء الأضواء حتى على هذا الموجز، غير أنني رأيت أن أوضح بعض الأمور المهمة منه، وسوف أضع كلاً من الرجل والمرأة في موضعه الذي وضعه فيه الإسلام دون زيادة أو نقص، وأعتقد أن العقول السليمة والعطر المستقيمة تحترم هذا التشريع، وترى أنه هو عين العدل والإنصاف، وتقف هذه العقول مبهورة أمام هذا التشريع الحكيم؛ لأنه بلغ النهاية في الحكمة والعدل .

* الأمور التي أريد توضيحها من مطالب صواحب المتتدي :

١- المساواة بين الرجال والنساء في الحقوق والواجبات .

٢- القوامة التي شرعها الله ودان بها المسلمون وبيان أسبابها .

٣- هل أدلة العلماء انتقائية؟

٤- هل المرأة هي المظلومة فقط؟

أولاً: المساواة بين الرجال والنساء

ومنها المساواة في الحقوق والواجبات

هذه المساواة ادّعاها بعضهن -وهي زينب غاصب- لا كلهن، وصرحت بأن المرأة ليست تابعة للرجل بل هي تدُّ للرجل سواء في الحقوق أو الواجبات، واحتجت بقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَغَنِيَةٌ حَيَاتُ طَيِّبَةٍ وَلَتَمْنَعْنَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل ٩٧] .

ثم قالت: فالله ﷻ لم يجعل العمل والأجر حكراً على الرجل، ولم يجعله مضاعفاً له، وإنما ساوى بينهما في الحقوق والواجبات، وذكرت أن الله فضّل الرجل بدرجة وهي النفقة . . . واستمرت تتكلم بما فيه مجانية للصواب انطلاقاً من

رؤيتها هذه .

فأقول : إن هذه المساواة التي تدعيها هذه المرأة لم يأت بها شرع ولا عقل .
أما الشرع : فالله ﷻ قد بين في مُحكم كتابه أنه خلق المرأة للرجل ، فهي نعمة
من النعم التي امتن الله بها على الرجال في الدنيا والآخرة .

١ - قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَكُنْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَيْنَ وَحَقْدَةٍ وَرَرَفَكُمْ مِنْ أَطْيَبَتْ﴾ [سورة البقر : ٧٢] .

٢ - وقال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ حَقَّ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم : ٢١] .

تأملوا أيها المؤمنون والمؤمنات العقلاء قول الله تعالى : ﴿حَقَّ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ و﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ لتدركوا ما ميز الله به الرجل على المرأة وأنها
جُعِلت للرجل ومن أجله ، وهذه نعمة عظيمة ، ويشأ عنها نعمة أخرى : وهي أنها
تسبب له الأولاد والأحفاد الذين لا يُنسبون إلا إليه لا إلى المرأة ، فيقال : ابن فلان
ونت فلان وحفيد وحفيدة فلان .

وكذلك الآية من سورة الروم . هي نص في أن المرأة خُلقت للرجل لحكمة
عظيمة : وهي أن يحصل له السكن والاستقرار النفسي ، وأكد هذه النعمة بأن جعل
بين الزوج والزوجة المودة والرحمة ، فإيه لا تتحقق تلك النعمة وهي السكن إلا إذا
كانت في جو تحفّه وتعطره المودة والرحمة .

فإذا كانت ، لمرأة تنظر إلى الرجل بأنها أفضل منه أو نداء له وأنها تساويه في
الحقوق والواجبات تحولت الحياة إلى صراع مرير وحجيم لا يطاق ، وذهبت
السكينة والاستقرار النفسي أذراع الرياح ، وذهبت المودة والرحمة .

قال الرسول ﷺ : «الدنيا متاع ؛ وخير متاعها المرأة الصالحة»^(١) .

فالمَتَاع - هو ما يُتَمَتَع به من عرض الدنيا قليلها وكثيرها ، وخير ما يتمتع به
الرجل المؤمن المرأة الصالحة .

(١) أخرجه مسلم حديث (٣٥٣٣) ، والنسائي ، وابن ماجه

فالمراة الصالحة نعمة، وغير الصالحة نقمة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنَ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عُدُوَّكُمْ لَكُم مَّا حَذَرْتُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التعاين: ١٤]

فالمراة غير الصالحة قد تفتن الرجل في دينه وتشطه عن الطاعات وعن فعل الخير وتحمله على قطيعة الرحم وغير ذلك، فليحذرهما؛ لأن فعلها هذا فعل الأعداء، وعليه بنصحها وتوجيهها ووعظها وتخويفها بالله، ثم العفو والصفح والمغفرة عما يعاينه من تصرفاتها لاسيما إذا كانت ترى نفسها نداء له

٣ وقال تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنكُمُ الْيُسَاءُ وَالسَّيِّئُ وَالْقَسِيرُ الْمُقْطَرُ مِنكُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالْحَبْلُ الْمُسَوَّمَةُ وَالْأَنْعَامُ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَسْبُ الْعَاقِبِينَ﴾ [ال عمران: ١٤].

فجعل هذه الأشياء من شهوات الرجال ومطاميحهم ومما يتمتعون به في هذه الحياة الدني، ومن ضمن ذلك بل أولها: المراة، فهي من متاع الرجل وفي مقدمة شهواته.

فإن كان الرجل صالحا والمراة صالحة فنعم المتاع.

وكذلك الأموال إن استعان بها على طاعة الله فنعم المال الصالح للرجل الصالح.

وإن كان الرجل غير صالحين ببس المتاع والمستمتع.

وكما أن المراة من نعم الله على الرجل في هذه الحياة الدنيا فهي في الآخرة نعمة تدخل ضمن ما يُجازي الله به عباده الصالحين على إيمانهم وعملهم الصالح.

٤ قال تعالى بعد الآية السالفة الذكر ﴿قُلْ أَزْوَاجُكُمْ بِحَبْرٍ مِّنْ دَمِكُمْ وَلَئِنِ اتَّقُوا وَعِدَ رَبُّهُمْ حَسْبُ تَعْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَائِدِينَ فِيهَا وَأَرْوَحُ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعَاصِينَ﴾ [آل عمران: ١٥].

٥ - وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ حَسَنًا تَعْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرٍ رَّزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُنْتَثِرِينَ وَلَهُمْ فِيهَا أَرْوَحُ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقد ذكر الله جراء المؤمنين في الآخرة في عدد من سور القرآن ومن ضمن هذا
الجزاء: الحور العين من النساء.

٦- وقال تعالى في سورة النبا: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ مَعَارًا ۖ خَذَافٌ وَاعْتِبَارٌ ۖ وَكَوَيْبٌ أَرَاكًا ۖ وَكَأْسٌ بِهَاقًا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا كَيْدًا﴾ الآيات (٣١-٣٥).

وإذا ذكر جزاء المؤمنات فإنما يذكره تبعاً لجزاء المؤمنين، ولا يعدن برجال
من أوصافهم كذا وكذا.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعِينٌ مِنَ رَبِّهِمْ﴾ [سورة محمد: ١٥].

وقال تعالى: ﴿يَدْخُلُ الْجَنَّةَ السَّامِيُّونَ وَالْمُنَافِقُونَ جُزْءٌ مِمَّنْ فِيهَا الْأَنْهَارُ حَارِيَّةٌ فِيهَا
وَيُكْفَرُ عَنْهُمْ سَرَابٌ وَسَاءَ مَا لَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَذَابَ اللَّهِ قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٥].

ومن هذه الآيات يدرك المؤمنون والمؤمنات بالله فضل الرجال على النساء
في الدنيا والآخرة، وأن المرأة دون الرجل في الدنيا والآخرة، لا ينازع في ذلك إلا
من يجادل في آيات الله بالباطل ليدحض به الحق، فها ويل له من عقاب الله.

* يؤكد كل هذا ما يأتي من النصوص القرآنية والنبوية:

٧ قال تعالى: ﴿أَوْسَى يُنْشَأُ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ فِي الْإِصْنَافِ عَزِيزٌ مُبِينٌ﴾ [الرحمن: ١٨].
تسفيهاً وتوبيخاً لسفهاء المشركين الذين قالوا: الملائكة بنات الله، ومبيهاً
بذلك حقيقة الأنثى.

قال الشوكاني رحمه الله: «معنى يُنْشَأُ: يُرَبَّى، والنشوء: التربية، والحلية
الزينة والمعنى: أوجعلوا له سبحانه مَنْ شأه أن يُرَبَّى في الزينة وهو عاجز أن يقوم
بأمر نفسه، وإذا خوصم لا يقدر على إقامة حجته ودمع ما يُجادله به حصمه لقصان
عقله وضعف رأيه؟» ١٩.

وقال ابن زيد: «المراد: الأصنام».

وهو تفسير غير صحيح يردّه ما يكاد يجمع عليه المفسرون ومنهم ابن عباس.

وقال: وأخرج عبد بن حميد عنه -أي عن ابن عباس- ﴿أَوْمَرُ يُسْتَوُا فِي الْحَيَاةِ﴾ قال: هو النساء، فرق بين زيهن وزى الرجال، ونقصهن من الميراث، وبالشهادة وأمرهن بالقعدة، وسَمَّاهن خوالف^(١).

وكان العرب يمي جاهديتهم يعبدون الأوثان، ويَجْعَلُونَ مِمَّا شَرَكَاءَ لِلَّهِ فِي الْعِبَادَةِ، ومنها اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، وَسَمَّوْهَا بِأَسْمَاءِ الْإِنَاثِ؛ فَرَّبَّحَهُمُ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ.

٨- فقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ (١١) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۚ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۚ (١٢) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ [الحج: ١٩-٢٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «أي: أتجعلون له ولداً وتجعلون ولده أنثى وتختارون لأنفسكم الذكور؟ فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت قسمة ضيزى، أي: جوراً باطلاً، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً وسفهاً؟!»^(٢).

٩ ومن السنة النبوية: ما رواه أبو سعيد الحذري رحمته الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا معشر النساء تصدقن؛ فإني رأيتكن أكثر أهل النار. فقلن: وبيم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليست شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها»^(٣).

فهذا الحديث فيه تصريح بنقصان دين النساء وعقولهن، والظاهر أن هذا النقص من أسباب إكثارهن اللعن، ومن أسباب وقوعهن في كفران العشير.

(١) فتح القدير (٤/٦٥٨-٦٥٩).

(٢) تفسير القرآن لابن كثير (٤/٢٧٢).

(٣) رواه البخاري في كتاب الحيض حديث (٣٠٤)، ومسلم في الإيمان بحقه من حديث ابن عمر حديث (١٣٢)، وأشار إلى حديث أبي سعيد هذا وإلى نحوه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنهم أجمعين-.

كما أن الحديث صريح في أن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد سبه نقصان عقلها.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله : «وأشار بقوله : «مثل نصف شهادة الرجل» إلى قوله تعالى : ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ زُفِّتُوا مِنَ الشَّهَادَةِ﴾ [البقرة : ٢٨٢] لأن الاستظهار بأخرى مؤذن بقلة ضبطها ، وهو مشعر بنقص عقلها»

١٠ وعن أبي أمامة رضي الله عنه وغيره عن النبي ﷺ قال : «أيما امرئ مسلم أعتق امرأً مسلماً كان فكأكه من النار يجزي كل عضو منه عضواً منه ، وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكأكه من النار يجزي كل عضوين منهما عضواً منه» . قال الترمذي : هذا حديث صحيح .

قال ابن القيم رحمته الله : «وهذا يدل أن عتق العبد أفضل ، وأن عتق العبد يعدل عتق أمتين فكان أكثر عتقائه ﷺ من العبيد وهذا أحد المواضع الخمسة التي تكون فيها الأنثى على النصف من الذكر .

والثاني : العقيقة ، فإنه عن الأنثى شاة وعن الذكر شاتان عند الجمهور وفيه عدة أحاديث صحاح وحسان ، والثالث : الشهادة فإن شهادة امرأتين بشهادة رجل ، والرابع : الميراث ، والخامس : الدية»^(١) .

* وهناك أمور لا تقبل فيها شهادة النساء :

الأول . الزنا وما يوجب حده ، فلا يقبل فيه إلا شهادة أربعة رجال أحرار ، فلا تقبل هنا شهادة النساء .

الثاني . القصاص والحدود فلا يقبل فيه إلا رجلان حران .

الثالث . ما ليس بمال ولا يقصد به المال ويطلع عليه الرجال في غالب الأحوال غير الحدود والقصاص كالطلاق والنسب والولاء والوكالة في غير المال والوصية إليه وما أشبه ذلك ، فلا يقبل فيه إلا رجلان ، ولا يقبل فيه شهادة النساء ، وإذا شهد بقتل العمد رجل وامرأتان لم يثبت قصاص ولا دية

وهناك أمور تقبل فيها شهادة الرجل وامرأتين: كالبيع، والقرض، والرهن،
والوصية له، وكذلك الخيار في البيع وأجله، والإجارة، والشركة، والشفعة،
والحوالة، والنصب، والصلح^(١).

والأمور التي تختص بشهادة الرجال لا يقبل فيها العشرات من النساء،
وكذلك الأمور التي تقبل فيها شهادة الرجال والنساء لا يقبل فيها شهادة النساء إذا
انفردن عن الرجال ولو كثرت أعدادهن.

والأمور التي لا يطلع عليها الرجال كعبوب النساء تحت الثياب، والرضاع،
والاستهلال، والسكر، والثبوبة، والحيض يقبل فيها شهادة امرأة واحدة، وفي
رواية للإمام أحمد: لا يقبل في ذلك أقل من امرأتين^(٢).

قال أبو بكر المعروف بـ «ابن العربي» رحمته الله في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَشْهِدُوا
شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]:

«فَصَلَّ اللَّهُ تعالى الذكرَ على الأنثى من ستة أوجه:

الأول: أنه جُعِلَ أصلها وجُعِلَت فرعه، لأنها خُلقت مه كما ذكر الله في
كتابه.

الثاني: أنها خلقت من ضلعه العوجاء.

قال السيوطي رحمته الله: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلقت من ضلع أعوج فإن ذهبت تقيمها كسرتها وإن
استمتعت بها استمتعت بها على عوج، وقال: وكسرها طلاقها».

الثالث: أنه نقص دينها.

الرابع: أنه نقص عقلها.

وفي الحديث «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم
منكن. قلن. يا رسول الله، وما نقصان ديننا وعقلنا؟ قال. أليس تمكث أحداكن
الليالي لا تصوم ولا تصلي، وشهادة أحداكن على نصف شهادة الرجل؟».

(١) المقع وشرحه (٣/ ٧٠٦ ٧٠٨).

(٢) المقع وشرحه.

الخامس: أنه نقص حظها في الميراث، قال الله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾ [النساء: ١١].

السادس: أنها نقصت قوتها فلا تقاتل ولا يسهم لها، وهذه كلها معانٍ حكيمة.

فإن قيل: كيف تُسبب النقص إليهن وليس من فعلهن؟ قلنا: هذا من عدل الله يَحُطُّ ما شاء ويرفع ما شاء، ويقضي ما أراد، ويمدح^(١) ويلوم ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وهذا لأنه خلق المخلوقات منازل، ورتبها مراتب، فبين ذلك لنا فاعلمنا وأما به وسلمناه^(٢).

والمُتأمل فيما أوردناه سابقاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يجد أن جهات تفضيل الله الرجل على المرأة أكثر من هذه الجهات التي ذكرها ابن العربي رحمه الله.

وذلك فضل الله يختص بفضلِه من يشاء.

والمؤمن المسلم والمستسلم لله يتلقى ذلك بإيمان ورضا، وكذلك المؤمنة المسلمة، وهذا مقتضى ربوبية الله وألوهيته وحكمته، ومن يأنف ويستكبر تجاه حكم الله وآياته الشرعية والكونية فليس يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئاً وقد عرف كل مسلم جزاء المُستكبرين.

وقد ظهرت في شريعة الله آثار هذا التفاوت بين الرجال والنساء في الحقوق والواجبات، فيجب على الرجال من الأمور العظيمة ما لا يجب على النساء، مثل الجهاد بالمال والنفس، وصلاة الجمعة والجماعة في كل المكتوبات وفي المساحد، ويشتركان في حبوب الصلاة والزكاة والصيام والحج والطهارة وتوابع ذلك وتفصيله معروفة، ويجب عليه: مهرها والنفقة على المرأة وسكنها وكسوتها ومعاشرتها بالمعروف، ويجب عليه نفقة الأولاد، وهذه الأمور عظيمة وشاقة لا

(١) يمدح من يستحق المدح، ويلوم من يستحق اللوم، ولا يظلم ربك أحداً.

(٢) أحكام القرآن (١/ ٣٠٠-٣٠١).

تطبيقها المرأة لضعف تركيبها وبنيتها، وضعف عقلها ونفسها.

وله عليها . القوامة والطاعة وجلب السكن والراحة له ، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه ، ولا تسافر إلا بإذنه معه أو مع ذي محرم لها .

وحقُّه عليها عظيم ، فلقد قال الرسول الكريم مبيِّناً عظيم حق الرجل على المرأة : «لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» .

ولو باتت هاجرة لفراشه لعنتها الملائكة حتى تصبح .

وقالت زينب الغاصب : إن لدينا الكثير من يجهلون الإسلام ، ويعتبرون

المرأة ما هي إلا تابع للرجل ، والمرأة ليست تابعا للرجل ، بل ندا للرجل سواء في الحقوق والواجبات ، ويقول الله ﷻ : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَا حَيوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحر ٩٧] .

فإن الله سبحانه لم يجعل العمل والأجر حكرا على الرجل ولم يجعله مضاعفا له وإنما ساوى بينهما في الحقوق ، وساوى بينهما في الواجبات ، وكما قلت : إنه في بعض النساء يجهلن حقوقهن ، فما أعرفه أنا مثلاً أنه يكون هناك امرأة خريجة شريعة إسلامية ودراسة في هذا المجال تقول لي إن الله فضل علي الرجل بدرجة في كل شيء مع أن الله ﷻ فضل علي الرجل بدرجة واحدة وهي التي ذكرتها الأستاذة نادية وهي البقرة ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء ٣٤] . فهو ليس مفضلاً عليها في كل شيء ، فلماذا هو مفضل ، فالله سبحانه لم يعط هذه الأحقية شرعاً ، بل بعض النساء أعطينها لرجالهن تطوعاً إلى جانب تجاهل كثير من النساء لحقوقهن .

وضربت مثلاً . رجل نائم الليل والنهار وزوجه تعمل وتجتهد ، ثم تساءلت

أيهما أفضل ؟ أي : أن المرأة إذا عملت فهي أفضل من الرجل

وذكرت أن الإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة في أي حق من الحقوق ﴿وَلَهُنَّ

مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ [البقرة : ٢٢٨] . وهذا يعني معادلة تامة من الشريعة الإسلامية ، فنجد

مثلاً أن المرأة في عهد الرسول ﷺ كانت تستفسر أولاً عن حقوقها الدينية قبل كل شيء ، وهناك السيدة نسيبة المازنية بالإضافة إلى أنها مجاهدة معروفة فعندما رأت

في البدايات أن القرآن يذكر ويتكلم عن مواقف الرجال ولا يتكلم عن النساء ذهبت إلى رسول الله ﷺ وقالت: لم أر النساء يُذكرن في شيء، فلم يجبهها رسول الله ﷺ وإنما أجاب عليها الله ﷻ وأنزل آية في سورة الأحزاب تقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ثم قالت بعد كلام: أيضًا النساء كان لهن حق المشورة، ومعروف أن الرسول ﷺ أخذ برأي السيدة أم سلمى -تعني- أم سلمة- عندما غضب المسلمون ولم يحلقوا رءوسهم، فقالت: افعل أنت وهم سوف يتبعونك.

وبالتالي فإن القوامة أعطت -تعني: أعطيت- تكريماً للمرأة لِمَن يفهمها بمعنى مثلاً في حالة السفر، وهذا يُمكن أن يكون أكثر شيء، والذي يتطلب وجود المحرم، وهذا الأمر إعطاء الإسلام تكريماً للمرأة نظراً لتكويناتها الجسدية؛ لكي يكون الرجل حامياً لها في ذلك الوقت، لكن في عصرنا الآن المواصلات أصبحت سهلة، بمعنى أننا نريد ولاية تتناسب مع العصر الذي نعيشه، ليس أن تأتي بما في العصور القديمة وما لا يوجد الآن في عصرنا يطالبون به، فالمرأة ليست ناقصة الأهلية، فالإسلام أشرك المرأة في أن تنقل أخطر العلوم نقلاً وهو الفقه، وزوجات الرسول كن يُدرّسن الصحابة، وقد قال رسول الله ﷺ: «أخذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» وإن يذهب البعض إلى أنه حديث ضعيف ليرروا فقط أقوالهم.

* أقول: تضمن كلام هذه المرأة ما يأتي:

١- إن الكثير من الناس يجهلون الإسلام لأنهم يعتبرون المرأة تابعة للرجل.

٢- إعلانها أن المرأة ليست تابعة للرجل بل هي نداء للرجل سواء في الحقوق

والواجبات.

٣- نسبة هذا التشريع إلى الله مستدلة بقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَسَجِّسْهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَعْرِضَنَّ عَنْهُمْ بَآخِشِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]

٤- إنكار أن الله فَضَّل الرجل وأعطاه هذه الأحقية، وإنما أعطاه بعض النساء لرجالهن.

٥- استنطت من هذه الآية الكريمة أن الله ﷻ لم يجعل العمل حكراً على الرجل، ولم يجعله مضاعفاً له وإنما ساوى بينهما في الحقوق وساوى بينهما في الواجبات.

ونقول: إن نصوص القرآن والسنة واضحة في أن المرأة تابعة للرجل، وفي أنها خلقت للرجل وأن للرجل عليها السيادة والقوامة.

وهذا التجهيل لكثير من الناس قد يتناول المفسرين والمحدثين والفقهاء عبر أربعة عشر قرناً لأنهم لم يتوصلوا إلى ما توصلت إليه هذه المرأة من هذا المقه العظيم، وهو أن المرأة تد للرجل تساويه في الحقوق والواجبات، ويفهم من كلامها أن المساواة في كل الحقوق والواجبات.

ألا ترى أن هذه الآية التي احتجت بها قد جاءت المرأة تابعة للرجل حيث قدم الذكر على الأنثى؟ ألا ترى أن الصمير في ﴿فَلَسَّخِيَّسَهُ﴾ عائداً للذكر، وأن الضمائر في قوله: ﴿وَلَحَزِيَّتَهُ﴾، وقوله: ﴿أَجْرَهُمْ﴾، وقوله: ﴿كَأَنَّهُ﴾، وقوله: ﴿يَسْمُونَ﴾ كلها عائدة على الذكور دون الإناث؟

لماذا لم تعد الصمائر إلى الإناث، أو تكون بالمناصفة بين الرجال والإناث، إذا كانت المرأة مساوية للرجل ونظراً له في الحقوق والواجبات، خاصة إذا كانت الآية نزلت لبيان ذلك على حد زعم هذه المرأة؟

وقولها: «فأله ﷻ لم يجعل العمل والأجر حكراً على الرجل ولم يجعله مضاعفاً له، وإنما ساوى بينهما في الحقوق وساوى بينهما في الواجبات»

أقول: لم يقل أحد إن العمل الصالح حكراً على الرجال دون النساء، ومن المسلمات: أن الحسنه في الشريعة الإسلامية للرجل والمرأة بعشر حسنات إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة بحسب ظروف الحسنه وبحسب إخلاص العامل.

والآية ليست واردة لبيان الحقوق والواجبات للرجل والمرأة، ولا لبيان مجالات العمل له أو لهما ولا لبيان أيهما أفضل، فهذه الأمور لها آيات وأحاديث خاصة، وقد مضى بعضها، ولنصرب هنا مثلاً بالجهد:

فهو من الواجبات التي تخص الرجال، ويُعفى عنه النساء لضعفهن وخورهن وأسباب أخرى.

فالمُجاهد يبذل نفسه وماله لأنه قد باع نفسه لله ﷻ فله أجر المُجاهدين الذي يشمل حيزًا كبيرًا من الآيات والأحاديث تضمنتها كتب الحديث والتفسير والفقه. ومنها قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسِئَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ دَرَجَتَيْنِ بَيْنَهُ وَمَعْرِفَةٌ بَرِيَّةٌ﴾ [الباء ٩٥-٩٦].

وقال رسول الله ﷺ: «للمجاهد في سبيل الله مائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض».

وقال ﷺ: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها» ولنضرب مثلاً آخر بالصلاة في الجمعة والجماعة، هذه من الواجبات الخاصة بالرجال، ومن تخلف منهم عن القيام بهذا الواجب تعرض للوعيد الشديد، واعتُبر تخلفه من علامات النفاق، وإن قام بهذا الواجب ضاعف الله عمله إلى سبع وعشرين درجة.

فهل صواحب المنتدى يسلمن بهذه الخصوصية للرجال في الإيجاب والمواخلة ونتائجهما أو لا؟ فإِنْ سَلِمْنَ؛ سقطت دعواهن في المساواة في الحقوق والواجبات.

وكذلك في الحقوق: فالرجل والمرأة يفترقان منذ الولادة؛ إذ شرع الله أن يعق عن العلام بشاتين وعن الجارية بشاة واحدة. وفي المَوَارِيث فرق الله بين الذكر والأنثى. فللذكر مثل حظ الأنثيين أختًا كانت أو بنتًا أو زوجة على التفاصيل الواردة في الكتاب والسنة.

وفي الشهادة فشهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين.

وللرجل أن يعدد الزوجات إلى أربع، وله أن يتسرى بالإماء وليس لَهَا أن تتسرى بأحد من عبيدها، واختصه الله في الآخرة في الجنة بعدد من الزوجات وليس ذلك للنساء في الجنة.

وإذا شارك بعض النساء في العزو فلا يسهم لهن من الغنائم كما يسهم للرجال، وإنما يُرضخ لهن رَضَخًا.

فهل يسلم صواحب المتدب بهذه الأمور وغيرها مما ميز الله به الرجال وخصهم بها دون الإناث؟

فإن سلمن بذلك سقطت دعواهن في المساواة بين الرجال والنساء في الحقوق والواجبات، وعليهن التوبة النصوح وإعلان ذلك واعتذارهن إلى المسلمين وإلى علمائهم؛ لأن بعضهن طعن في العلماء وغيرهم من المسلمين في فقههم وأمانتهم. وإن أُبينَ ذلك عرف الناس ماذا يردن، وأنها لا علاقة لهن بالصحيات ولا يكملن دورهن، وإنما هن امتداد للمنظمات النسائية التي تُحارب الإسلام.

قالت هذه الأدبية:

«وكما قلت في بعض النساء يجهنن حقوقهن، فما أعرفه أنا مثلاً إنه يكون هناك امرأة خريجة شريعة إسلامية ودراسة في هذا المجال تقول لي: إن الله فضل عليّ الرجل بدرجة في كل شيء، مع أن الله سبحانه فضل عليّ الرجل بدرجة واحدة وهي التي ذكرتها الأستاذة نادية وهي النفقة: ﴿وَيَحَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء ٣٤]. فلماذا هو مفصل، فالله سبحانه لم يعط هذه الأحقية شرعاً، بل بعض النساء أعطينها لرجالهن تطوعاً، إلى جانب تجاهل كثير من النساء لحقوقهن».

انظر إلى هذه المرأة وفقهاها، فهي تُجهّل الكثير من الناس فيما هم فيه على حق وعلم.

وتُجهّل هنا امرأة متخصصة في الشريعة في اعترافها بحقوق الرجل، وتحتج بالأستاذة نادية التي لم تخصص في الشريعة، أو لم تدرسها، فتقول: «فضل الله الرجل عليّ بدرجة واحدة، وهي التي ذكرتها الأستاذة نادية وهي النفقة: ﴿وَيَحَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾».

وتقدم رأيها ورأي نادية على حكم الله الكوني والشرعي ، ومنه ما تقدم سرده من المصوص ، ومن ذلك : قول الله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّاتٌ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَصَلَكَ اللَّهُ بَنَصَهُنَّ عَلَى بَقْضٍ وَبِمَا أُنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [الباء : ٣٤] .

فقد بين الله أن حق القوامه يعتمد أولاً على ما فصل به الرجل على المرأة وهي أمور ومزايا اختص الله بها الرجال ولم يعطها للمرأة بمقتضى ربوبيته وعلمه وحكمته وحكمه الكوني والشرعي .

والثانية وهي النفقة وهي أقل من الأولى .

تجاوزت هذه المرأة ما قرره الله في كتابه وسنة نبيه ومضى عليه المسلمون طوال أربعة عشر قرناً وفرضت رأيها على الإسلام والمسلمين وحجتها قول الأستاذة نادية .

وبهذا الفقه أسقطت حقوق الرجال ومنها القوامه ، وادعت أن الله لم يعط هذه الأحقية شرعاً ، بل بعض النساء تطوعن بها للرجال تطوعاً .

ثم تقدمت خطوة أخرى فصربت مثلاً برجل نائم الليل والنهار وزوجته تعمل وتجتهد ثم تساءلت أيهما أفضل ؟ تريد أن المرأة في هذه الحالة أفضل وتصبح هي القوامه على هذا الرجل ؛ لأنه لا ينفق عليها فسقط حقه وصار الحق والفضل لها عليه .

وقد كان في عهد الرسول ﷺ فقراء ، وكانت زوجاتهم تعمل مثل الغزل وسحوه فتنفق على زوجها ، منهن زينب الثقفية زوجة عبد الله بن مسعود ؓ فلم يقل رسول الله ﷺ وعنده عهد التشريع : إن هؤلاء النساء أصبحن أفضل من أزواجهن ، فليس لهم قوامه على زوجاتهم لأنه لا فضل للرجال على النساء إلا بالنفقة .

ثم أكدت دعواها الفقهية بقولها : «إن الإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة في أي حق من الحقوق ﴿وَمَنْ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾» [البقرة : ٢٢٨] . وهذا يعي معادلة نامة من الشريعة الإسلامية .

لا يادكتورة ما هكذا الأمانة ولا هكذا الفقه «ما هكذا يا سعد تورد الإبل» فأين بقية هذه الآية ؟ وأين الآيات الأخرى والأحاديث الكثيرة التي تبين فضل الرجل

على المرأة وتبين حقوقه .

فالآية الكريمة نصها : ﴿وَمَنْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهَا بِالْمَعْرِفَةِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهَا دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] . فإذا أردت أن تتزي حقوق الرجال فلا تسندي هذا الابتزاز إلى الإسلام ، ولن تجدي ذلك في كل مصادره وعلى رأسها الكتاب والسنة .

أين هي المعادلة التامة التي جهرت بها ؟!

فالمعادلة التامة لا توجد حتى بين الرجال أنفسهم ، فهتك الرسل أفضل البشر ، وقد فاوت الله بينهم إذ فضل بعضهم على بعض .

وهناك الصديقون والعلماء والشهداء والصالحون مقدمون على غيرهم ، وهم يتفاوتون في كل مرتبة ، وفوق كل ذي علم عليم .

والعالم العامل أفضل من الجاهل : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمُونَ﴾ [الزمر: ٩] .

ولا يجوز التسوية بين المسلم والكافر : ﴿مَنْ جَعَلَ الْكُفْرَيْنَ كَالْإِيمَانِ﴾ [نجم ٣٥] .
ولا يجوز التسوية بين المتقي والماجر : ﴿أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْتَقْوَى كَالْعُجْبَارِ﴾ [ص: ٢٨] .

لا بد للمسلم أن يؤمن بهذا التفاوت في المراتب والمنازل التي اقتضتها حكمة الله التي لا يحيط بها ولا بالقليل منها أحد ، واقتضاها عدله وربوبيته .
فإن أي أحد ذلك فليس بالمسلم .

ولا أكفر هؤلاء النسوة اللاتي نصن أنفسهن للمطالبات بحقوق النساء وإسقاط حقوق الرجال أو أهمها ؛ لشدة جهلهن حتى بالبلديات في الإسلام ، بل لجهلهن بحق الله في التشريع وفي رفع من يشاء وخفض من يشاء ، وأنه يحكم في خلقه في هذا الكون بما يشاء ولا راد لحكمه الكوني والشرعي جل جلاله وتعالى حده .

أما قولها «فجد مثلاً أن المرأة في عهد الرسول ﷺ كانت تستقصر أولاً على حقوقها الدنيوية قبل كل شيء ، وهناك السيدة نسيبة المازية بالإصافة إلى أنها مجاهدة معروفة فعندما رأت في البدايات أن القرآن يذكر ويتكلم عن مواقف

الرجال ولا يتكلم عن النساء ذهبت إلى رسول الله ﷺ وقالت : لم أر النساء يُذكرن في شيء ، فلم يجبه رسول الله ﷺ وإنما أجاب عليها الله ﷻ وأنزل آية في سورة الأحزاب تقول : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ ﴾ إلى آخر الآية الكريمة في سورة الأحزاب .

أقول : من أين لك أن المرأة في عهد الرسول ﷺ :

كانت تستفسر أولاً عن حقوقها الدينية ، فكم عدد الصحايات اللاتي كان همهن وشغلن الشاغل استفسار الرسول أو غيره عن حقوقهن الدينية ؟ إن هذا تصوير سيئ لأولئك الصالحات القانتات لله ثم لأزواجهن .

فهؤلاء زوجات الرسول ﷺ ، فكم سؤالاً سألن رسول الله عن حقوقهن ؟

تأمل ما يأتي عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قد دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر فدخل ، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي جالساً حوله نساؤه واجماً ساكناً ، فقال : لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقممت إليها فوجأت عنقها ، فضحك الرسول ﷺ وقال من حولي كما ترى يسألني النفقة ، فقام أبو بكر إلى عائشة يَجَأُ عُنُقَهَا ، فقام عمر إلى حفصة يَجَأُ عُنُقَهَا كلاهما يقول : تسألن رسول الله ما ليس عنده ! فقلن : والله لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده ، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين ، ثم نزلت عليه هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ ﴾ حتى بلغ : ﴿ لِلْمُحْسِنَاتِ مِثْرُ أَجْرٍ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨-٢٩] .

قال : فبدأ بعائشة ، فقال : يا عائشة ، إني أريد أن أعرض عليك امرأة أحب ألا تعجلني فيه حتى تستشيرني أبويك ، قالت : وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألت ألا تحرم امرأة من نساءك بالذي قلت ، قال : لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معتاً ولا متعنتاً ، ولكن بعثني معلماً ميسراً^(١)

فهؤلاء الصحابيات في الذروة من الشرف والسبب، ومنهن زوجات الرسول ﷺ وابنتا الصديق والفاروق، لَمَّا طلبن النفقة وليس عند رسول الله ما طلبنه ولا ندرى ما حال عمر رضي الله عنه لَمَّا طلبن النفقة ضربن في أعناقهن، والضارب أبو بكر وعمر، ورسول الله ﷺ يغضب ويهجرهن شهراً، والله تعالى يُنزل في قصتهن قرآناً يُخبرهن في النقاء مع رسول الله مع الزهد في الدنيا ولهن الأجر العظيم، أو يردن الدنيا ورثتها فيمتعن رسول الله ويسرحهن سراخاً جميلاً، فاحترن الله ورسوله والدار الآخرة.

لا أستبعد أن كثيراً من المؤمنات يستمدن من هذه القصة والآية، وأخشى على المطالبات بحقوق النساء ألا يستفدن منها وإن دعون إلى اتباع سيرة الصحابيات الكريمات.

هذه سيرة السيدات الصحابيات زوجات رسول الله ﷺ.

ثُمَّ لِمَ أَدَا لَا تَكُونُ أَسْأَلْتَهُنَّ أَوَّلًا عَنْ حَقِّ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ عَنْ حَقِّ الرَّسُولِ ﷺ ثُمَّ عَنْ حَقِّ أَزْوَاجِهِنَّ، ثُمَّ عَنْ حَقِّ الْجِيرَانِ، ثُمَّ عَنْ حَقِّ عَمَمِ الْمُسْلِمِينَ؟

أيتها الكاتبة: إن الصحابية التي وردت الروايات بأنها سألت هذا السؤال إنما هي أم سلمة لا نسيبة، على أن في ثبوت هذه الروايات نظراً للم تأمل في أسانيدھا. لو كان استفسار النساء في عهد الرسول ﷺ من باب المطالبة بالحقوق على الوجه الذي يادي به صواحب المتدنى لكان شغلاً على الله وعلى رسوله، وكفى بهذا استعلاءً وتمرداً وتعنتاً، وحاشاً أولئك الصحابيات - رصوان الله عليهن من شيء من هذا.

نسأل هذه الكاتبة بناءً على كلامها: لماذا لم يذكر الله النساء في القرآن طوال العهد المكي وسوات من العهد المدني، وهو يذكر الرجال فقط طوال هذه العدة؟

ألا يدل ذلك على البون الشاسع بين الرجال والنساء!!

أقول هذا على حسب تصورھا والزأماً لھا، وإلا فالله يذكر النساء في القرآن،

لكن في بعض الأحيان وتبعاً للرجال؛ مما يدل على فضل الرجال على النساء .
 فالآية: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾
 [الأحزاب: ٣٥] . إلى آخرها لم يذكر النساء إلا تبعاً للرجال، ثم ختم الله الآية
 بقوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَعِيشَةً وَسْخَرًا عَظِيمًا﴾ بضمير الذكور لا بضمير الإناث، مع أن
 الآية ما نزلت إلا لأجل النساء كما تذكر الروايات، فعلام يدل هذا؟

ألا يرى العقلاء أن كل ما يحتج به هؤلاء النسوة بصير حججاً عليهن لا لهن؟
 وصدق الله العظيم القائل في حق الإناث: ﴿أَوْسَ يُنْشَأُ فِي الْحِلَّةِ وَهُوَ فِي
 الْخِصَابِ عَيْرٌ مُبِينٌ﴾ [الزعرور: ١٨] .

فهذا خبر عن خلقهن فأما به وصدقنا، وواقع النساء وتأريخهن من أقوى
 الشواهد على ذلك .

قالت: «أيضاً النساء كان لهن حق المشورة، ومعروف أن الرسول ﷺ أخذ
 برأي السيدة أم سلمة عندما غضب المسلمون ولم يحلقوا رموسهم فقالت: افعل
 أنت وهم سوف يتبعونك، وبالتالي فإن القوامة أعطت -تعني: أعطيت- تكريماً
 للمرأة لِمَن يفهما، بمعنى: مثلاً في حالة السفر، وهذا يُمكن أن يكون أكثر شيء
 والذي يتطلب وجود المحرم، وهذا الأمر أعطاه الإسلام تكريماً للمرأة نظراً
 لتكويناتها الجسدية لكي يكون الرجل حامياً لها ومدافعاً عنها في ذلك الوقت، لكن
 في عصرنا الآن المواصلات أصبحت سهلة بمعنى أننا نريد ولاية تتناسب مع
 العصر الذي نعيشه، ليس أن نأتي بما في العصور القديمة وما لا يوجد الآن في
 عصرنا يطالبون به، فالمرأة ليست ناقصة الأهلية، فالإسلام أشرك المرأة في أن
 تنقل أخطر العلوم وهو الفقه، وزوجات الرسول كن يدرسن الصحابة وقد قل
 رسول الله ﷺ: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» وإن يذهب البعض إلى أنه
 حديث ضعيف ليبرروا فقط أقوالهم» .

أقول: إذا كان النساء لهن حق المشورة في الأمور العامة من السياسة والحرب
 والسلم والعلاقات الدولية، فكم هي المجالس التي عقدها رسول ﷺ معهن خاصة
 أو مع الرجال من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً؟

وكم مجلساً عقده معهن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ؟
وكان القراء أصحاب مشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنهم كبار الصحابة
وبعض الشباب كابن عباس والحريز قيس .

فأحبرنا عن أعيان النساء اللاتي أعطاهن عمر هذا الحق سواء في مجالس
خاصة بهن أو مع الصحابة كما يحصل اليوم في البرلمانات ، وإذا كان الرجال من
الصحابة قد استأثروا بهذا الحق طوال هذه العهود ، فلماذا لم يطالب النساء بحقوقهن
من الصحابييات والتابعيات من مختلف البلدان من الحجاز والعراق والشام ومصر
واليمن وخراسان ؟

بل لماذا لم يطالبن بهذا الحق في العهود الإسلامية كلها إلى هذا العصر ؟ وما
هو السر في تحرك النساء الآن في المطالبة بحقوق كثيرة ومنها : المشاركة في
الشورى .

أما أم سلمة فما قدم لها رسول الله ﷺ الاستشارة وهي في مجلس شورى
النساء فأعطته وأبها من خلال هذا المجلس وأيدها نساء المجلس أو خالفنها .
وإنما كانت إحدى زوجاته رضي الله عنها وقد ذكر لها حالاً طارئة فقالت له : افعل كذا وكذا ،
يتابعك أصحابك ، فأخذ برأيها رضي الله عنها لكن لا يجوز أن يأخذ من هذه الحادثة أصلاً من
أصول الإسلام أو السياسة في الإسلام فنقول : وكان للنساء حق المشورة .

إذ لو كان الأمر كما تزعم هذه المرأة لقدم به رسول الله ﷺ على أكمل الوجوه ،
وقام به خلفاؤه الراشدون وأصحابه الكرام والتابعون لهم بإحسان على أحسن
الوجوه ، ولتكلم عنه الفقهاء والمحدثون والمفسرون والمؤرخون ؛ إذ لا يعقل أن
يكثروا الكلام في مؤلفاتهم عن الحيض والنفاس وسائر الأحكام التي تتعلق بالمرأة
ثم لا يتكلمون عن هذا الأصل الكبير .

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه
بالصلاة ، فقال : مروا أبا بكر أن يصلي بالناس . فقلت : يا رسول الله ، إن أبا بكر
رجل أسيف وإنه متى ما يقم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرت عمر . فقال : مروا
أبا بكر يصلي بالناس ، فقلت لحفصة : قلبي له : إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى

ما يقيم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر. فقال: إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر أن يصلي بالناس»^(١).

فإذا استنبطنا من قصة أم سلمة قاعدة حق الشورى للنساء فماذا يستنبط من قصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما علماً بأن عائشة أفضل من أم سلمة؟ رجو الإجابة العلمية القائمة على الحجة والبرهان والعقل.

القوامة التي شرعها الله ودان بها المسلمون وبيان أسبابها

قالت هذه الكاتبة وهي زينب غاصب: «وبالتالي فإن القوامة أعطت أي أعطيت - تكريماً للمرأة لمن يفهمها، بمعنى: مثلاً في حالة السفر وهذا يمكن أن يكون أكثر شيء والذي يتطلب وجود المحرم، وهذا الأمر أعطاه الإسلام تكريماً للمرأة نظراً لتكويدها الجسدية؛ لكي يكون الرجل حامياً لها ومدافعاً عنها، وهذا بسبب صعوبة السفر في ذلك الوقت».

أقول: قولها: «إن القوامة أعطيت تكريماً لها» أي: أنه حق من حقوقها على الرجل أعطاه الله تكريماً لها، فالرجل إنما يقوم بها خدمة للمرأة، وهذا فهم انفردت به هذه المرأة، أما العلماء فقد فهموا غير هذا الفهم، والقرآن والسنة يدلان على خلافه، قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فصل الله بغيرهن على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصبيحت قنيتت حنطت للعيب بما حفظ الله والتي تحافون شوهرهن فوطوهن وأفحروهن في المصاحج وأصروهن فإذا أطعكم فلا تبغوا عليهن سكيلاً﴾ [النساء: ٣٤].

* دلت هذه الآية على أمور منها:

أن الله شرع القوامة للرجال على النساء وهي سيادة للرجال عليهن، وعلل الله ذلك بتفضيله سبحانه للرجال على النساء وقد بينت هذه الوجوه فيما سلف في هذا البحث.

(١) رواه البخاري في الأدان حديث (٧١٣)، وفي موضع آخر، ومسلم في الصلاة حديث (٤١٨)

وعلة أخرى وهي . بما أنفقوا من المهور والنققات الشاقة التي لا يتحملها إلا الرجال ، وخاصة في هذا العصر الذي تشكل فيه النققات والمهور على الرجال أعباءً ثقيلة من القصور والأثاث من السجاد والكسب والمكيفات والهواتف ومطالب للنساء لا تنتهي عند حد من كثير منهن ، الأمور التي أثقلت الرجال بالديون الباهظة ، ولا شك أن هذا يؤكد حق القوامة للرجل .

ولهذا قال الله بعد هذا : ﴿ وَالْفَرْحَتُ قَدِيتُ حَفِطْتُ لِلْعَيْبِ ﴾ [النساء ٣٤] . فالمرأة الصالحة الواعية تشعر بمكانة الرجل بما فضله الله وبما يعاينه من أعباء النققات ، وما يبذله من جهود في هذا السبيل ، فيحملها هذا الوعي وهذا الشعور السبيل إلى جانب تقواها لله على بذل الفتوت وهو الطاعة في أدب وإحلال للرجل الذي تدرك وتشعر من أعماق نفسها بمكانته وبحقه عليها ، وتحملها هذا الإدراك النبيل على المحافظة على شرفها وعرضها وعرض زوجها وشرفه ، كما يدفعها دينها وأمانتها إلى حفظ ماله في حضوره وغيبته .

وقد تكون المرأة صالحة نوعاً ما ، لكنها ضعيفة الإدراك والفهم ، أو غير صالحة فيدفعها هذا أو ذاك إلى النشوز ، وهو الترفع على الزوج وعصيته وعدم مراعاتها لمكانته وحقوقه ، ومنها قوامته عليها .

إذا حصل منها ذلك فقد أعطاه الله الحق في استخدام حق القوامة ، أولاً بوعظها وبالتخويف بالله وعقابه لها على عصيانها له ، ويذكرها بحقوقه عليها فإن تابت ورجعت إلى الصواب والطاعة لزوجها فذاك ، وإلا انتقل إلى الهجر في المضجع ، فإن تمادت في غيها ونشوزها انتقل إلى آخر الدواء وهو الضرب غير المبرح ، فإن لم ترع قلبه أن يطلقها أو تفتدي منه .

كل ذلك من منطلق القوامة التي أعطاها الله الحلاق العليم للرجل على المرأة .

فهذا ما يفيد هذا النص الرباني وهذا ما يفهمه كل مؤمن عاقل عرف لغة القرآن وعرف التشريع الإسلامي .

قال المحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية :

يقول تعالى : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [الب . ٣٤] . أي : الرجل قيم على

المرأة، أي: هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا عوجت: ﴿يَمَّا فَصَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء ٣٤]. أي: لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك المثلث الأعظم لقوله ﷺ: «لن يملح قوم ولّوا أمرهم امرأة»^(١) وكذا منصب القضاء وغير ذلك.

﴿وَيَمَّا آتَفَفُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء ٣٤]. أي: من المهور والنمقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهم في كتابه وستة نبيه ﷺ، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها والإفصال، فتناسب أن يكون قيمًا عليها، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهَا دَرَجَةٌ﴾ [البقرة ٢٢٨]. الآية.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء ٣٤]. يعني: أمراء عليهن، أي: تطيعه فيما أمر الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة إلى أهله حافظة لِمَالِهِ، وكذا قال مقاتل والسدي والضحاك... وساق ابن كثير أحاديث في وجوب طاعة المرأة لزوجها وتحريم معصيته، ومنها قول النبي ﷺ: «لو كنت امرأة أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها». وفسر بقية الآية ثبوتًا حقيقة النشوز، وحكم الهجر، والضرب المشروع ولا يتسع المقام لنقله^(٢).

وبهذه المناسبة أقول: لقد قرأ الناس طعن بعض النساء هذه الأيام في حديث أبي بكرة بل في أبي بكرة نفسه وقلق أخريات منه وهذا أمر ينذر بِشَرٍّ.

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: المسألة الأولى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: ابتداء وخبر، أي: يقومون بالنفقة عليهن والذب عنهن، وأيضًا فإن فيهم الأحكام والأمراء ومن يغزو، وليس ذلك في النساء، وساق روايات فيها أن المرأة لا تقتص من زوجها إذا ضربها.

ثم قال: الثانية: ودلت هذه الآية على تأديب الرجال نساءهم، فإذا حفظن

(١) رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٠٣)

حقوق الرجال فلا ينبغي أن يسيء الرجل عشرتها .

«وقَوَّامٌ» فعال للمبالغة من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه وحفظه بالاجتهاد، فقيام الرجال على النساء هو على هذا الحد وهو أن يقوم بتدبيرها وتأديبها وإمساكها في بيتها ومتعها من اليوم .

وإن عليها طاعته وقبول أمره ما لم تكن معصية، وتعليل ذلك بالفضيلة والنفقة والعقل والقوة في أمر الجهاد والميراث والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم واصل في تفسير الآية إلى تمام إحدى عشرة مسألة^(١) .

وقال العلامة السعدي في تفسير هذه الآية :

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أي : قوامون عليهن بالزامهن بحقوق الله تعالى : من المحافظة على فرائضه، وكفهن عن المقاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضاً بالإتفاق عليهن والكسوة والمسكن . ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقال : ﴿وَمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء : ٣٤] . أي . بسبب فضل الرجال على النساء وإفضالهم عليهن ، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة :

من كون الولايات مختصة بالرجال والنسوة والرسالة ، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع .

وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس للنساء مثله ، كذلك خصهم بالنفقات على الزوجات ، بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء .

ولعل هذا سر قوله . ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ وحذف المفعول ليدل على عموم النفقة ، فعلم من هذا كله أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته ، وهي عنده عابدة أسيرة خادمة ، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به ، ووظيفتها القيام بطاعة ربها وطاعة زوجها ، فلهذا قال : ﴿فَالْفَاحِشَةُ فَوَاحِشَةٌ﴾ أي : مطيعات لله تعالى ﴿وَحَفِظَتْهُ﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٦٨-١٦٩) .

الْعَيْبِ» أي : مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب تحفظ بعلمها بنفسها وماله^(١).
ثم كررت دعواها أن القوامة أعطيت للمرأة تكريماً لها، وضربت مثلاً بحالة
السمر وقالت : «وهذا يُمكن أن يكون أكثر شيء».

وكأنها لا ترى القوامة في الحضر، وسيت قول الله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْعَهْنِ﴾ [الأحراب ٣٣]، فالأصل في حياتها القرار في
بيتها وقوامة الرجل عليها في الحضر والسفر وهي لا تستغني عن قوامة الرجل،
وحمايته في الحضر والسفر فلو احتاجت للخروج للسوق ونحوه فهي بحاجة إلى
حماية الرجل من اللذات البشرية التي إذا رأت هذا الحامي انكسرت وفُرت، وإن
رأت المرأة وحيدة دفعها الطمع إلى الاقتراب، وقد يفترسها بعضهم، فإن لم
يفترسها حام حولها ليعتمتع بالنظرات الآثمة إلى ما يشاء من جسدها، وقُل مثل ذلك
وأشد في السفر، وهي وإن اعترفت بحاجة المرأة إلى حماية الرجل في السفر نظراً
لتكويناتها الجسدية، أي : لضعفها عن حماية نفسها، ونظراً لصعوبة المواصلات
في العصور القديمة لكنها دندنت حول إسقاطها في السمر في هذا العصر لسهولة
المواصلات كما تزعم.

وكأنها لا ترى حرجاً أن تسافر المرأة المسلمة إلى أوروبا وأمريكا أو اليابان
بدون محرم لا فرق بينها وبين اليهودية أو النصرانية أو الهندوكية.

لقد تجاهلت ما في هذا العصر من الفساد وانفلات الكثير من الرجال والنساء
من الأخلاق، وأن المرأة التي تسافر وحدها قد انفلتت من حماية الإسلام لها،
حيث حرم عليها السفر بغير محرم ولو في عصر الصحابة، ولو كانت المسافرة
صحابية ورفقتها من الصحابة.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يقول : «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ وَلَا
تَسَافِرُنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ». فقام رجل فقال : يا رسول الله، اكتسبت في غزوة
كذا وكذا وخرجت امرأتي حَاجَّةً، قال : اذهب فحج مع امرأتك متفق عليه.

(١) تفسير الكرهم الرَّحْمَنُ في تفسير كلام المنان (ص ١٧٧).

ففي هذا الحديث: الحفاظ على عرض المرأة وعرض أهلها في حضرها وسفرها، فلا يخلون بها الرجل ولو كانت صحابية وهو صحابي.

ولا يحل لها السفر إلا مع محرم.

وانظر كيف صرف النبي ﷺ هذا الصحابي المجاهد عن الجهاد، وأمره أن يتحج مع امرأته، وهي في غاية الأمن، وفي رفقتها صحابة في قمة الإيمان والشرف والانتعاد عن محارم الله، وهم يؤدون عبادة عظيمة وهي الحج إلى بيت الله الحرام.

ولو كانت هناك ظروف تسقط فيها القوامة ويرخص فيها للمرأة أن تسافر بغير محرم لكانت هذه الظروف التي حجت فيها هذه المرأة الصحابية، ففي الحديث: وجوب القيام على المرأة في السفر الأمن فصلاً عن غيره.

وقد وردت أحاديث كثيرة في تحريم سفر المرأة بغير محرم منها هذا الحديث الذي سلف، ومنها حديث أبي سعيد: «لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها».

ومنها حديث أبي هريرة: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم»^(١).

هذه النصوص طبقت في عهد الرسول وصحابته الكرام وحفاته الراشدين وإلى يومنا هذا.

ولو كانت هناك امرأة تستحق أن يرخص لها أن تسافر سفرًا قصيرًا فصلاً عن الطويل لكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

فقد روى مسلم عنها أنها قالت: «قلت: يا رسول الله، أيرجع الناس بأجرين وأرجع بأجر؟ فأمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن ينطلق بها إلى التميم. قالت فأردفني حلقه على جمل له. قلت: فجعلت أرفع خماري أحسره عن عني فيصرب رجلي بعنة الراحنة، قلت له: وهل ترى من أحد؟ قالت: فأهدت بعمره ثم

أقبلت حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ وهو في الحصبة.

فهذه عائشة أم المؤمنين وزوجة أكرم البشر وبنت أبي بكر الصديق، وفضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، لم يسمح لها أن تذهب من مكة إلى التنعيم الذي لا تريد مسافته على أربعة أميال من مكة إلا مع محرماً، وكان ذهابها مع أخيها ليلاً وهي لابسة خمارها، فإذا كشفته ضربها بعله الراحلة.

قال النووي رحمه الله: «فيضرب رجلي عامداً في صورة من يضرب الراحلة والمعنى: أنه يضرب رجلها بسوط أو عصي أو غير ذلك حين تكشف خمارها عن عنقها غيره عليها، فتقول له هي: «وهل ترى من أحد؟» أي: نحن في خلأ ليس هنا أجنبي أستتر منه.

فهذا سفر قصير والأوضاع في غاية الأمن والاستقرار في عهد الرسول ﷺ وفي مجتمع الصحابة خير أمة، وانظر إلى عقلها وحلمها وصبرها وإعذارها لأخيها الذي يضربها غيره عليها.

فهل للمطالبات بالحقوق أن يقتدين بهذه الصحابة الكبيرة في علمها وكمالها وتطبيقها للإسلام، ومنها أحكام السفر والحجاب؟ وهل لهن أن يقتدين بسائر الصحابات في سائر شئون الحياة؟ أما والله لو قمنا بهذا الواجب لما سمعت الأمة هذه الأصوات ولا رأت مثل هذه الاجتماعات والمنتديات.

وقولها: «وبالتالي فإن القوامة أعطت -أي: أعطيت- تكريماً للمرأة لمن يفهمها، بمعنى مثلاً في حالة السفر وهذا يمكن أن يكون أكثر شيء والذي يتطلب وجود المحرم وهذا أمر أعطاه الإسلام تكريماً للمرأة نظراً لتكويناتها الجسدية لكي يكون الرجل حامياً لها ومدافعاً عنها وهذا لسبب صعوبة السفر في ذلك الوقت».

أقول: لقد أعطيت القوامة للرجل تكريماً له وتشريفاً لقوته ونخوته وشجاعته وحفاظاً على المرأة ورحمةً لها لصعفها، وإذا كان هذا هو حال المرأة من الضعف وشدة الحاجة إلى الرجل ليحميها ويدافع عنها باعترافك، فلماذا تعارضين بشدة في تفضيل الرجل على المرأة وتدعين ما لم يقله أحد من أنها نذ للرجل في الحقوق والواجبات وتأنفين أن تكون المرأة تابعة للرجل؟!

أيتها المسكينة الضعيفة: لا تناطحي الصوص الربانية وجبال العلم من مفسرين ومحدثين وفقهاء في قضايا مُسلّمة شرعاً وعقلاً وفطرة

إن المرأة كانت ولا تزال ناقصة عقل ودين، وغير مؤهلة للاعتماد على ذاتها ولا سيما في أهم شئونها وفي أشد الحاجة إلى الرحل حضراً وسفراً.

فلو أن بيتاً ممتلاً من النساء وخرجت عليهن فارة أو عقرباء لمعان الدنيا صراخاً، ولاحتجن إلى رجل أو صبي ليدفع عنهن هذا الخطر الكبير في نظرهن، فضلاً عن رجل مسلح أو جيش أو أسد مثلاً، وهي تحتاج دائماً إلى رعاية وحماية سفراً وحضراً، وإلا لأكلتها الذئاب البشرية من الفساق المجرمين.

وهذه الفئة التي تطعن فيها وهي معظم هذا الشعب وعلى رأسهم العلماء لم يهدروا أهلية المرأة العقلية والقانونية والشرعية؛ بل أعطوها أكثر من حقوقها التي حددها لها الشرع، أما القوانين الفاسدة فقد أعطت كلاً من المرأة والرجل ما يتنافى مع العقيدة الإسلامية والأخلاق الإسلامية الرفيعة وما لا يحسن ذكره.

وأما فرض الوصاية وهي القوامة وهو حق شرعه الله وضرورة من ضرورات الحياة لا تقوم الحياة ولا تسعد الأسر إلا به.

وللقوامة هذه شروط وضوابط من تجاوزها سواء كان الرجل أو المرأة يجب أن يوقف عند حده في الدنيا، وإلا فالله لا بد أن يأخذ للمظلوم حقه فيقتص حتى للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، هذا في الشريعة الإسلامية، أما القوانين فلها شأن آخر.

وقولها: «إتنا نريد ولاية تناسب العصر الذي نعيشه، ليس أن تأتي بما في العصور القديمة وما لا يوجد الآن في عصرنا يطالبون به»

أقول: أخبرينا بالولاية التي تناسب العصر: فهل ترين أنه من المناسب لهذا العصر أن تكون الولاية للمرأة، أو ترين سقوط الولاية عن المسافرة في هذا العصر؟

وهل ترين هذا العصر أفضل من العصور القديمة، فلماذا إذن تبين مطالبك على الآيات القرآنية وعلى ما تزعمين من مطالبات الصحابات بحقوقهن الشرعية.

وقولها: «فالمرأة ليست ناقصة، لأهلية، فالإسلام أشرك المرأة في أن تنقل أخطر العلوم نقلًا وهو الفقه، وزوجات الرسول ﷺ كن يدرسن الصحابة، وقد قال الرسول ﷺ: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» وإن يذهب البعض إلى أنه حديث ضعيف ليبرروا فقط أقوالهم».

أقول: ماذا تريدون بقولك: «فالمرأة ليست ناقصة الأهلية؟»^(١) إن أردت أنها صالحة للخلافة والقضاء وقيادة الجيوش وخوض المعارك لشر الإسلام والزيادة عن الأوطان الإسلامية والقوامة على الرجال والمشاركة في سياسة الأمة من خلال المؤتمرات ومجالس الشورى فهذه الأمور لم يعط الإسلام للمرأة منها شيئاً، وليست أهلاً لشيء من ذلك، ولو كانت أهلاً لشيء من ذلك لأعطاها، بل قل «إنكن ناقصات عقل ودين وإنكن أكثر أهل النار»، وقال «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» وبنيتهن الجسدية وواقعهن وتاريخهن كله يشهد بذلك وإن قلت إنها أقدر على الحمل والرضاع وتربية الأطفال من الرجال، فهذا حق، ولن يُخاصمها الرجل في هذه الخصائص التي خلقها الله لها، وهي تناسب تكوينها الجسدي ومطرتها وعواطفها.

فالحق يقال: إن موضعها في البيت، ولذا قال الله ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحراب: ٣٣].

وقال: ﴿مَتَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحراب: ٥٣].

ولا تقوم حياة للأمة إلا إذا قام بها لنساء على أكمل الوجوه، فأفضل ما تقوم به المرأة وتبرز فيه على الرجال: هي هذه الأمور وذلك أنفع للأمة، أما إذا تخلت المرأة عن وظائفها الأساسية، وذهبت تراحم الرجل في ميادينه الخاصة به، وتشغبت عليه باسم حقوق المرأة فإنها تكون قد جنت على نفسها وعلى الأمة، وأصبحت أداة هدم لا أداة بناء، أداة هدم للدين والأحلاق كما هو واقع بعض الأمم لصالة التي تخلت عن دينها من يهود ونصارى وحطمت أخلاقها.

(١) لا شك أنها ناقصة لأهلية إلا في بعض الأمور، وقد أعدها الشارع الحكيم ذلك كتبني العلم، وحق التمت، ونسج، وقد مر ذكر ما أعطاها الإسلام

وقد أدرك ذلك عقلاؤها فندموا ولات ساعة مندم، والسعيد من وعط بغيره
 أما احتجاجك بنقل زوجات النبي ﷺ للفقه، فنقول: من طاردك من التعلم
 والتعليم؟ لكن يجب أن تعلمي أن الله قال لهن: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
 الْعَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣].
 فقمي بهذه الواجبات على أكمل الوجوه، ومنها الاستقرار في بيوتهن، وقد تأسى
 بهن الصالحات القانتات في هذه الأمور، وكن يُحدثن عن رسول الله ﷺ من وراء
 حجاب، وما كنَّ يدرُسن الصحابة لفقه كما تذكرين وإنما كانت كل واحدة منهن
 تبلغ ما حفظته عن رسول الله ﷺ من وراء حجاب، وما كنَّ يتخبطن فيما ينقلن كما
 تخبطن أنتن

ولنقل الحديث والعلم شروط أراكن من أبعد الناس عن توفرها، فقد رأينا
 منك العجائب والله من الإخلال بالنقل، ومن الاستنباط الباطل، ومن كتمان
 الحق، ومن تجهيل الناس، ومن الاحتجاج بهذا الحديث الباطل، ومن الطعن
 فيمن يضعفه من العلماء واتهامهم بالمقاصد السيئة.

فهل يطعنون في حديث ثابت عن رسول الله ليبرزوا أقوالهم؟ وما هي هذه
 الأقوال التي تُخالف الشريعة ولا تمشي إلا بالطعن في حديث رسول الله؟
 لقد طعن في هذا الحديث ابن القيم، وقال الحافظ ابن حجر: لا أعرف له
 إسناداً، ولا رأيت في شيء من كتب الحديث إلا في النهاية لأن الأثير ذكره في مادة
 (ح م ر).

ولم يذكر من خروجه، ورأيت في كتاب الفردوس لكن بغير لمطه، وذكره من
 حديث أنس بغير إسناد أيضاً ولمطه «خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء» ويضّر له
 صاحب الفردوس فلم يخرج له إسناداً، وذكر الحافظ عماد الدين ابن كثير أنه سأل
 الحافظين الجزري والذهبي عنه فلم يعرفاه^(١).

فحديث لا يعرفه هؤلاء الأئمة الحفاظ ولا يعرفون له إسناداً، تعرفينه أنت حتى

(١) انظر المقاصد الحسنة (ص ١٩٨ برقم ٤٣٢).

تطعني فيمن طعنوا فيه، فأخبرنا بصحته، وإلا فأتركي التحدث باسم الإسلام أنت وأمثالك فضلاً عن التصحيح والتضعيف ودقائق المسائل.

وقالت إحدى المشاركات في هذا المنتدى وهي البتول الهاشمية وهي تطالب بحقوق النساء، وذكرت أن حقوق النساء قد كفلتها الشريعة ودلت عليها الكثير من النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قصة أم سلمى - رضي الله عنها - حين تساءلت عن فضل الهجرة وهل هناك تخصيص للرجال دون النساء، وقالت: يا رسول الله، لا أسمع الله قد ذكر النساء في الهجرة شيء فأنزل الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَبْصِغُ عَمَلَ عَجَلٍ يُسْكَرُ مِنَ الذِّكْرِ أَوْ أَنِّي بِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَلِذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا لَا أَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَذِيبَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَسْبُ الثَّوَابِ﴾ [الكهف: ١٨٥].

ثم قالت: فوجد أكثر ما تدل عليه الآية الكريمة أولاً حرص النساء في عصر الرسالة الأولى على أن يكون لهن مكان في الشؤون العامة للجماعة المؤمنة، وأن يذكرهن النص القرآني، وأن يخاطبهن الله ﷻ في آيات محكمات فيصبحن بذلك جزءاً مرئياً وظاهراً من حياة المجتمع الإسلامي في جوانبه الدينية والاجتماعية العامة.

كما أنها تعكس حرص النساء على أن يحظين بالمكانة والتقدير المعلن لجهدهن، وألا يتم إقصاؤهن وتجاهلن داخل المجتمع، فهن لم يترددن في طرح التساؤلات والسعي لمعرفة حقوقهن ونيلها داخل الجماعة، ولا يخجلن من التعبير عن رأيهن، ولا يترددن في أن يطعنن إلى وضع أفضل، ولم ينهرهن أحد على ذلك وترى ذلك متجلياً في سورة المجادلة - لعلها تقصد سورة - حين سمع الله قول النبي تجادل واستجاب لهن رثها على الفور، وأنزل بها آيات بيّنات بل سورة، وإنها لدلالة عظيمة للإنصات لصوت النساء في أي سياق تاريخي، وعلى تأسيس لهذا الحق والتعامل معه باحترام.

واعتماداً على ضوء ما ذكرنا: إن المرأة السعودية المسلمة عندما تطالب بهذه

الحقوق فهي في الواقع تقوم بتحسيد وإكمال أولئك النساء الصحايات - رضي الله عنهن - لما بدأ في المطالبة بكامل حقوقهن الشرعية .

وفي النهاية أحب أن أقول وأن أختتم إلى هؤلاء جميعاً الذين يتخوفون بأن ذلك قد يعكس رغبة انفصالية من النساء ، أو تحقيق هيمنة من نوع آخر : إن هذا لن ينشأ إلا عن فئة غير قادرة على فهم وإدراك حقوق الشرع الكامل للطرفين على حد سواء ، والتي ما زالت هذه الفئة تأخذ باعتبارها أن المرأة ناقصة عقل ودين ، وأنها غير مؤهلة للاعتماد على ذاتها فيهدرون بذلك أهليتها العقلية والقانونية والشرعية ، ويجعلونها لا تبلغ سن الرشد أبداً ، يفرضون الوصاية عليها وإن كان ذلك دور وجه حق .

أقول : نعم إن حقوق النساء قد كفلتها الشريعة ودلت عليها الكثير من النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة ، ولكن على غير الوجه الذي يريده أهل هذا المتدى ، ولن نجد في هذه النصوص الكثيرة شيئاً مما يردنه أو يحاولونه مثل : المساواة الكاملة بين الرجال والنساء ، ومثل الحقوق السياسية . . . إلخ .

ثم إن في كلام هذه المرأة نظراً قوياً في كل ما قالت ، فنص الآية ليس فيه أي دليل على أي من دعواها التي ذكرتها في تفسيرها للآية .

فالنساء في عصر الرسالة كن يتلقين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالإيمان الكامل والاستسلام الصادق والثقة المطلقة بالعقائد والأحكام والتشريعات العادلة الحكيمة ، فما كان عندهم أي إحساس بالظلم أو العين ، وما كانت التحسسات بالسلب والهضم إلا عبد المافقين والمنافقات فقالوا : ﴿لَوْ كُنَّا لَأَمْرٍ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا﴾ [آل عمران ١٥٤]

ولم يكن في عصر الرسالة صراع سياسي ولا صراع طبقي بين الرجال والنساء حتى يحرصن على أن يكون لهن مكان في الشؤون العامة للجماعة المؤمنة ، ولا حرصن أن يذكرهن النص القرآني حتى ينزل القرآن استجابة لمطالبتهن بهذا الحق الاجتماعي والسياسي .

إذ لو فعلن ذلك لكان ذلك استنكاراً على الله وشغباً عليه - تعالى الله عن

ذلك- وحاشا المؤمنين في عصر النبوة أن يكون عندهم هذه الأحاسيس والوساوس.

أما ذكر النساء في القرآن فقد ذكرن فيه في السور المكية بدون حرص من النساء ولا استجابة لمطالبهن التي تدعيها الكاتبة، وإنما لمقاصد أخرى تتعلق بالإيمان والعبادة والنكاح والطلاق والميراث، وعامة المخاطبات للرجال يدخل فيها النساء سواء كانت وعدًا أو وعيدًا أو أمرًا أو نهيًا أو توجيهات... إلخ.

فلا داعي إذن لِمَا نسب لأم سلمة رضي الله عنها.

وهذا الواقع القرآني الذي نوهنا عنه يشعر بصعف هذا الحديث، بل واقع هذا النص وسبقه يدل على ضعفه فالص هو: ﴿إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَحْيَاكِ الْأَنْبِيَاءِ لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ الذين يذكرون الله قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ حُسُوبِهِمْ رَتَنُكَرًا فِي خَلْقِ أَسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ رَسْمًا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَكَ قِيَمًا عَدَابَ النَّارِ ﴿١٩٥﴾ رَسْمًا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا يَعْظِمُ مِنْ أَفْعَالِكَ ﴿١٩٦﴾ رَسْمًا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يَدْعِي إِلَى الْإِسْمِ أَنْ هَلَسُوا بِرَبِّكُم فَمِمَّا رَسْمًا فَأَعِزَّ لَنَا دُونُهَا وَكَفَّرَ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّ مَعَ الْأَنْبَارِ ﴿١٩٧﴾ رَسْمًا وَعَالِمًا مَا وَعَدْنَا عَلَىٰ رُسُودِكَ وَلَا تُخَيِّبُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخَيِّبُ الْمُبَادِلَ ﴿١٩٨﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرًا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَذْنَهُمْ حَسْبَ جَعَلِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قَوَامًا مِنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَصُدُّ حَسْبُ الشُّوبِ ﴿١٩٩﴾

[الآخر من ١٩٠-١٩٥].

ففي هذا النصر الثناء على أولي الألباب بذكره لَهُمْ في كل أحوالهم قيامًا وقعودًا وعن حنوتهم، وعلى عظيم تفكرهم في خلق السموات والأرض، وتنظيم هذا الكون الهائل وتدييره، ثُمَّ الوصول إلى النتيجة: وهي أنه ما خلقه الله باطلاً وعشاً وإنما خلقه بحق، ولحكم عظمة هي مقتضى ربوبيته وألوهيته وأسمائه الحُسنى.

ثُمَّ تَوَسَّلْهُمْ إِلَى اللَّهِ بِهَذَا الْإِيمَانِ، لَوَاعِي وَضُرْعَتُهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَقِيَهُمْ عَذَابُ النَّارِ وَأَنْ يَقِيَهُمُ الْخِزْيَ فِي تِلْكَ الدَّارِ، فَاسْتَجَابَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ لَهُؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ

الصادقين المخبتين الذين ليس لهم مطالب سياسية ولا تطلعات إلى مارل اجتماعية، ورادهم ثناء عاطفًا ووعدًا صادقًا بإدخالهم جنت تجري من تحتها الأنهار.

فهذه دلالة واضحة على ضعف هذا الحديث، يؤكد هذا: ما أسلفه من ذكر الله للنساء في السور المكية والمدنية قل نزول هذا النص بسنوات كثيرة.

ويؤكد ذلك مرة أخرى: أن هذه الآيات كلها حديث عن الرجل أولي الألباب والضمائر كلها عائدة إليهم فهذه المرأة احتحت بما هو حجة عليها لا لئلا ذكرت المرأة فيها فكم نصيبها منها.

وقولها «فيصبحن جزءًا مرتبًا وظاهرًا في حياة المجتمع الإسلامي في جواسه الدينية والاجتماعية العامة».

أقول: والله ما كن مدفون ولا مهضومات لا في تعامل القرآن ولرسول ﷺ ولا في واقع المجتمع الذي يعشن فيه، الذي نجون فيه من الذل والهوان والقهر والكبت ولو أذ فلقد والله خرجن من هذه الظلمات بعد طلعات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والعزة والكرامة.

فما كان يخطر ببالهن شيء مما تقولينه.

وقولها: «كما أنها تعكس حرص النساء على أن يحظين بالمكانة والتقدير المعلن لجهدهن، وألا يتم إقصاؤهن وتجاهلن داخل المجتمع، فهن لم يترددن في طرح التساؤلات والسعي لمعرفة حقوقهن وبيلها داخل الجماعة».

أقول: ليس في الآية أي دليل أو إشارة إلى ما ذكرت هذه المرأة، ولم يلحنهن لإسلام إلى السعي لمعرفة حقوقهن، فقد أعطاهن ما لا يخطر على بهن، ثم إن كلامها الجائر يشعر أن المرأة كانت تعاني ظلمًا وهضمًا وإقصاء وتجاهلًا في ذلك المجتمع الطاهر الذي لا نظير له في لتريخ البشري سموً ونبلًا وعدلًا وجهادًا لإعلاء كلمة الله، واحترامًا للمرأة والصبي والمسكين واليتيم وحتى الحيوانات العجماء.

والآية والواقع لهذه الجماعة والقرآن والسنة كلها لا علاقة لها بهذه التخيلات

التي سطرتها هذه المرأة.

وقولها: «ولا يَخْجَلَنَّ ولا يترددن في أن يطمحن إلى وضع أفضل»

أقول: إِب الآية لا تدل على شيء من ذلك أبداً وحتى الحديث على فرض صحته لا يدل على شيء منه، ولا كذلك واقع المرأة المسلمة، ولا واقع المجتمع الذي تعيش فيه.

وَكُنَّ في وضع يُحسَدن عليه ولا أفضل منه، فكيف يسعين إلى وضع أفضل؟! إن كلامك هذا يدل على أنك ترين أنهن كر في وضع سيئ وفي وضع لم يعطها حقوقها كاملة، فهي تسعى بطموح إلى تجاوز هذا الوضع دون خجل أو تردد، ونعوذ بالله من هذه التصورات والخيالات.

أم سورة المُجادلة: فقد نزل صدرها لا كلها في شأن خويلة بنت ثعلبة الأنصارية وزوجها أوس بن الصامت، وكان قد ظاهر منها فأزعجها هذا الظهار وماكم قصتها:

قال الإمام أحمد رحمته الله: حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قالوا حدثنا أبي حدثنا محمد بن إسحاق حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت: «في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المُجادلة، قالت كنت عبده، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه قالت: فدخل عليّ يوماً فراجعته شيء فغضب، فقال: أنت عليّ كظهر أمي.

قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي، قالت: قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فيما يحكمه، قالت فواثبني فامتنعت منه فغلبت بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقينه عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه. قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في قرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم مرّ به عنه فقال

لي : يا خويلة ، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا ، ثم قرأ علي : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَالْكَبِيرُ عِذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادنة ١-٤] . قالت : فقال لي رسول الله ﷺ : مريه فليعتق رقبة ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، ما عنده ما يعتق ، قال : فليصم شهرين متتابعين . قالت : فقلت : والله إنه لشيخ كبير ما له من صيام . قال : فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر . قالت : فقلت : يا رسول الله ، ما ذاك عنده ، قالت : فقال رسول الله ﷺ : فإننا سنعيه بفرق من تمر . قالت : فقلت : يا رسول الله ، وأنا سأعيه بفرق آخر . قال : قد أصبت وأحسن فتصدقني عنه ثم استوصي بأبن عمك خيرا ، قالت : ففعلت^(١) .

* ففي هذا الحديث فوائد مهمة على النساء أن يستفدن منها :

١- في الحديث أن خويلة استعارت ثيابا لتذهب إلى رسول الله ، فهذا يفيد أنها تعيش في أسماح بالية من الثياب لا تصلح للخروج ، والثياب التي استعارتها لا تمشي اليوم عند نساء عصرنا .

٢- إن في النص القرآني : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ فجدلها في زوجها كان دافعه الحرص الشديد على بقائها في عصمة زوجها الشيخ الكبير المقير الذي شكت في قصتها خلقه معها ، ولم تجادل في قوامته عليها ، فهل عند صواحب المتدنى استعداد لأن يشابهن هذه الصحابة ويتأسين بها ؟

٣- في النص القرآني أنها تشتكي إلى الله ، وهذا يدل على مكانة عقيدتها ، إذ هي تحاور الرسول أفصل الرسل ، وفي أثناء هذا الحوار ترفع شكواها إلى الله مبتة تلقى من خلق زوجها ، ورسول الله يسمع هذه الشكوى فما هو موقفه من تعامل هذا الرجل مع زوجته ؟

هل أقامت الدنيا وأقعدتها هي وجيرانها من الصحابة كما يفعل اليوم دعاة

(١) تفسير القرطبي العظيم (٤/ ٣٤١-٣٤٢) ، وحسن الحفاظ ابن حجر فيفتح (٩/ ٤٢٣) ، وأخرجه أحمد

(٦/ ٤١٠) ، وأبو داود في الظهار حديث (٢٢١٤) ، وابن الجارود (٧٤٦) ، وابن حبان (١٠٧/١٠)

تحرير المرأة؟

هل عقدوا المؤتمرات للمناداة بحقوق المرأة لاسيما وكثير من الصحابة كانوا يضربون نساءهم؟

أما الرسول فما كان يزيد على قوله: «يا خويلد، ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه».

فهل نساء اليوم يقمن هذا ويحتملنه، وهل يرغب في الاستفادة من واقع هذا المجتمع الطاهر الذي لا نظير له في تاريخ البشرية السابق واللاحق؟

أيها المُؤادون بتحرير المرأة والمُطالبون بحقوقها: هل أنتم أعدل من مجتمع الصحابة الذي يأتي على رأسه رسول الله الشاهد على الأمة وفي هذا المجتمع الحلفاء الراشدون والمهاجرون والأنصار؟ والله إن وضع المرأة فيه لأحسن وضع عرفته البشرية، إذ كنت المرأة قد تواد صغيرة، وتورث كما يورث المتاع وتُمتن أشد الامتنان، فأكرمهن الله بالإسلام، ووضعهن في الموضع اللائق بكرامة الإنسان من غير زيادة ولا نقصان، فلما أنزل الله حكمه في القضية، وهذا الحكم في صالح المسلم والمسلمة، إذ الظهار كان في الجاهلية صلافاً، والإسلام اعتبره منكراً من القول وزوراً، وشرع فيه الكفارة قبل المسيس.

قال لها رسول الله: «مر به فليعتق رقبة» فما موقفها؟ لقد تحولت بعد شكواها من زوجها إلى زوجة رحيمة تعتذر له بصدق فقالت: يا رسول الله، ما عده.

قال رسول الله ﷺ: «فليصم شهرين متتابعين» فقالت: والله إنه لشيخ كبير ما له من صيام.

قال رسول الله ﷺ: «فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر»، قالت: يا رسول الله، ما ذلك عنده، قال رسول الله ﷺ: «فإننا سنعينه بفرق من تمر»، قالت: يا رسول الله، وأنا سأعينه بفرق آخر، قال رسول الله ﷺ: «قد أصبت وأحسن فتأذي بي فتصدقني عنه ثم استوصي بأبن عمك خيراً»، قالت: ففعلت أي: بها بعدت وصية رسول الله في مساعدة زوجها، وفي الاستيلاء به خيراً.

يا صواحب المُتديبات لقد دبت في الرجوع إلى سيرة الصحابيات، فإن كنتم

صادقات فهذه سيرة واحدة مهنة تحت إشراف الرسول ومجتمعه الطاهر، يستمد من ذلك وأفد من مجتمعه، وقفن وقوف المؤمنات في وجه المفسدين دعاء التحرير ودعاة حقوق النساء كذباً وزوراً.

وقولها: «وفي النهاية أحب أن أقول وأن أختم إلى هؤلاء جميعاً الذين يتحرفون بأن ذلك قد يعكس رغبة انفصالية من النساء أو تحقيق هيمنة من نوع آخر إن هذا لن ينشأ، لا عن فئة غير قادرة على فهم وإدراك حقوق الشرع الكامل للطرفين على حد سواء... إلخ».

أقول إن معظم الشعب السعودي رجالاً ونساء ملتزمون بالإسلام ويدركون حقوق الرجال والنساء

والمرأة في السعودية محترمة إلى درجة لا يوجد لها نظير في الدنيا، ويعبئها عليها ساء الدنيا، ومعظم النساء في هذا البلد الذي قام على الإسلام الصحيح الواعي لا يؤيد هذه الصراحت المفعلة والاتهامات المتطولة على حمة الشريعة الإسلامية.

هل أدلة العلماء انتقائية؟

وعلفت الدكتورة أميرة كشغري بقولها: «اعتقد أن لاجتهادات معظمها تعتمد على أدلة انتقائية، بمعنى تنتقي ما يريد المرأة لها حقوق فعليها أن تطالب بحقوقها ولا تشعر أن المجتمع والأعراف كبلتها وضيق الخناق عليها، خاصة أن بعض الخطابات الدينية تنتقي بعض الآيات القرآنية والأحاديث من خلال ما يتناسب مع العادات والتقاليد، لكي تبرهن وتثبت أن للمرأة أقل من الرجل، وأن المرأة يجب أن تكون تحت وصاية الرجل دائماً، ومن المفترض أن تعرف هذه الحقوق، وقد أبدأ السؤال، لأن على ما طرح من قبل الأستاذات من هذا النقاش يسؤالي وهو: ما لحالات التي تفرض الشريعة قوامة الرجل على المرأة؟ وكيف يترك في ذلك فيما هو شرعي وما هو مجرد جهادات وتأويل للنص لشرعي؟»

* أقول: في هذا الكلام:

أولاً: تَهْيِيجُ للنساء وادعاء أن للمرأة حقوقاً وعليها أن تطالب بها . . . إلخ، وهي لوقت نفسه لا تذكر أن على المرأة واجبات وأن للرجال حقوقاً على النساء.

ثانياً: فيه اتِّهام للعلماء بأن معظم اجتهاداتهم تعتمد على أدلة انتقائية، وفيديما الاتِّهام بالانتقاء أن العلماء يكتُمون الأدلة التي تنص على حقوق المرأة.

ونحن نطالب هذه المرأة بإثبات هذه الاتِّهامات التي اكتشفتها، وإبراز النصوص التي كتُموها، ومن أي تاريخ بدأ تلاعب العلماء بهذه الأدلة، نطلب منها أن تبين لنا هؤلاء المتهمين، أو إبراز أهمهم على الأقل، وإلا تفعل ذلك، ظهر للناس بطلان دعواها وجرأتها على اتِّهام العلماء، ودلَّ على أن شكواها من الأباطيل.

ثالثاً ماذا تريدون بقولك «ولا تشعر أن المجتمع والأعراف كبلتها» أتريدون الحجاب؟ والقرار في البيوت، والحفاظ على الأخلاق العالية، وعلى رأسها الحشمة والحياء، فهذا ليس من الأغلال ولا من الأعراف، وإنما شرعه الله الحائق بالحكيم ورضي به المسلمون رجالاً ونساءً؛ لأن فيه شرفاً للمرأة والمجتمع، وطهارة من الرذائل والأرجاس.

ولمَّا تحررت المرأة في الغرب أو حررها الفجار أنتت الدنيا بالرذائل والفضائح.

وما أظن نساء هذا البلد المؤمسات يوافقنك على هذا التهور الذي يؤدي إلى هاوية لا قرار لها.

ورجال هذا البلد أشرف وأنبل من أن يضحوا بشرفهم وأخلاقهم التابعة من دينهم لأنهم يعلمون أن المرأة فتنة، قال رسول الله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».

وهي ضعیمة؛ ولهذا أوصى بها رسول الله ﷺ فقال: «استوصوا بالنساء خيراً».

وقال ﷺ: «اللهم إني أخرج حقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ».

نسأل الله أن يوفق المسئولين عن هذه البلاد للقيام بدرس الفتن وتنفيد هذه

الوصاية النبوية الحكيمة .

وأن يوفق أولياء أمور النساء للقيام بهذه الواجبات وتنفيذ هذه الوصايا الحكيمة التي تهدف إلى الحفاظ على الدين والأخلاق والأنساب والشرف .

هل المرأة في المملكة العربية السعودية

مظلومة كما يصورها أنصار المرأة؟

لا ينبغي للمسلم العاقل هذا الإطلاق، فإن المرأة في السعودية أفضل وضعاً من غيرها بكثير ديناً ودنياً وهي في وضع تُحسدُّ عليه
أما الظلم: فقد يكون هناك نساء مظلومات، وقد يكون هناك نساء ظالمات، وخاصة لأزواجهن .

وصاحب المنتدى يشتكين من الأعراف والتقاليد الموجودة في السعودية، وأنها هي المنطلق في ظلمها، وأقول: إن الأمر بالعكس، فإن تقاليد النساء وأعرافهن قد أرهقت الرجال وقصمت ظهورهم، حيث حملتهم ما لا يطيقون من التكاليف غير المشروعة، فأغرقت كثيراً منهم في الديون والمشاكل .

١- فالمهور قد رغب الإسلام في تخفيفها جداً وقد وصلت في هذه البلاد إلى حد لا يُطاق ومعظم أسبابه النساء .

٢- وتكاليف الملكة ثم الزفاف كذلك، وكم يكلف النساء في هذه المناسبات أرواحهن من تكاليف الملابس التي يجب على الرجال أن يشتروا ثياباً بالأثمان الباهظة لكل مناسبة، ولو كان في الشهر الواحد عدد من المناسبات فلا بد لكل مناسبة من ملابس جديدة .

٣- ولا بد أن يكون السكن فلةً أو قصرًا أو شقة -على الأقل- في الأحياء الراقية .

٤- ولا بد أن يكون الأثاث من الطراز الرقي الذي يكلف التكاليف الباهظة، وأصبحت معظم الأسواق الراقية لمطالبي النساء، أسواق الذهب والأثاث الباهظ وأدوات التجميل والملابس الفاخرة .

٥- ولا بد لكثير منهن من خادمة ولو كانت أمية، أما المتعلمة فأصبحت الخادمة من ضروريات حياتها.

أما نتائج هذه الحياة فلا تسأل عنها من ضياع حقوق الأسرة، وفساد تربية الأطفال على أيدي الخدمات، وضياع حقوق الأرواح، وما يتبع ذلك من نكد حياتهم التي اتلوا بها على أيدي النساء اللاتي مرضن عليهم هذه الحياة.

ولم يكتف كثير من متعلمات بما وصلن إليه من ميزات على نساء العالم، ومن إرهاب رجلهن بكثرة الأعداء، فدهن يطالبن بما ليس لهن وبما هو من حقوق الرجال، ونعوذ بالله من البغي وتعدي حدود الإسلام.

مهوور الفساء وحياتهن في عهد الرسول ﷺ

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: نبي تزوجت امرأة من الأنصار. قال: على كم تزوجتها؟ قال: على أربع أواق. فقال النبي ﷺ: «على أربع أواق؟ كأنما نتحتون الفضة من عرض هذا الخبل...»^(١).

٢- وهت امرأة نفسها للنبي ﷺ فما رغب فيها، فقال رجل: فزوجيها يا رسول الله إن لم تكن لك بها حاجة. فقال: «هل عندك من شيء تصدقها؟» فقال: ما عدي إلا راري هذا. فقال رسول الله ﷺ: «إزارك إن أعطيتها جلست ولا إزار لك فالتمس شيئاً، قال: ما أجد. قال: التمس ولو خائماً من حديد. قال: فالتمس فم يجد شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «هل معك من القرآن شيء؟» قال: نعم سورة كذا وسورة كذا، لسور سمّاها، فقد رسول الله ﷺ: «زوجتكها بما معك من القرآن»^(٢).

٣- وروى أحمد و الترمذي بإسنادهما عن عامر بن ربيعة عن أمه: «أن امرأة من فزارة تزوجت علي بن أبي طالب، فقال رسول الله ﷺ: «أرضيت من نفسك ومالك بنعليين؟» قالت: نعم فأحارها. قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وضعفه

(١) رواه مسلم في النكاح حديث (١٤٢٤).

والأوقية أربعون درهماً.

(٢) متفق عليه، ورواه عدد من الأئمة منهم مالك، و شافعي، وأحمد من حديث سهل بن سعد

بعض الأئمة .

٤ عن ابن سيرين عن أبي العجفاء السلمي قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لا تعالوا صدقة النساء ؛ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى في الآخرة ؛ لكان أولاكم بها النبي ﷺ ، ما أكلح شيئاً من ناته ولا نسائه على أكثر من ثني عشرة أوقية ^(١) . »

فهل ساء هذا العصر ومنهن صواحب المنتدى يرضين بمثل هذه المهور تأسيًا بالصحابيات الكريمات اللاتي تعدل الواحدة منهن ملء الأرض من أمثالهن ؟ وهل يرضين أن يعشن مثل معيشتهن ، ويسكنن في مثل مساكنهن ، ويلبسن مثل لباسهن ، ويتخلقن بمثل آدابهن وأخلاقهن ، ويخدمن أزواجهن كخدمتهن ؟

إن المرأة في السعودية تعيش حياة لا يلحقها فيها الساء لا في الماضي ولا في الحاضر ، فالمرأة في الهدى التي تدفع المهر ، وفي أورب وأمريكا لا تكف المرأة زوجها عشر هذه التكاليف التي تكلفها هنا الساء أزواجهن ، بل يقاسمن أزواجهن في تكاليف الحياة .

وأقول : لا وجه لتجمع النساء في المنتديات للمطالبة بحقوق النساء ، ولا داعي لمطالبة بعض الأحزاب بهذه الحقوق ، فالظلم متبادل بين الرجال والنساء ، فمن له حق على الآخر إما أن يصبر ، وإما أن يرفع قضيته إلى المحاكم الشرعية ، شأن المطالب في هذا الباب شأن المطالب الأخرى الواقعة من الرجال على الرجال ومن النساء على النساء ، ولا يجوز للمسلمين أن يركضوا وراء أعداء الإسلام ؛ فإن هذه التجمعات والمطالبات إنما هي من أساليبهم وأوصاعهم السيئة المظلمة التي لا يوجد لها حلول في أديانهم المخرقة هي التي دفعتهم إلى هذه التكتلات والمطالبات ، أما ديننا - والحمد لله - ففيه من النصوص والأحكام ما يحمي كلًّا من الرجل والمرأة من الظلم في أي ميدان من ميادين الحياة ، وفيه الحلول الحاسمة

(١) رواه الترمذي في النكاح حديث (١١٤) ، وقال هذا حديث حسن صحيح ، وقد بعده أو لأوقية عند أهل العلم أربعون درهماً ، وثنا عشرة أوقية . أربعمائة ثمانون درهماً . ورواه أحمد في مسنده حديث

لكل المشكلات .

والمَحَاكِم في هذه البلاد ولله الحمد تعطي المرأة حقها قبل الرجل ،
والمُجْتَمَع يحترمها ويغار عليها ويذب عنها ، فحال المرأة هنا غير حالها في الدنيا
جميعها .

وصلّى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

٥ ذي الحجة ١٤٢٤هـ

طاقات المرأة وقدراتها العقلية والعلمية

تتجلى في شخصية «د. عزيزة الجانع»!!

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع
هذاه.

أما بعد:

فقد اطلعت على مقال للكاتبة «عزيزة المانع» نشرته جريدة عكاظ في يوم
الجمعة (٢١ محرم ١٤٢٥هـ) الموافق (١٢ مارس ٢٠٠٤) السنة السادسة
والأربعون العدد (١٣٧١٢) تحت عنوان: «الخوف من الندية».

صمته دفاعاً عن زينب غاصب التي شاركت مجموعة من النساء في منتدى
نسائي تحدثن فيه عن حقوق النساء باسم الإسلام، ووقعن في مخالفات لما قرره
الكتاب والسنة عن حقوق الرجال والنساء، وكانت أشدهن مخالفة الكاتبة «زينب
غاصب». فرددت بعض أقوالهن نظراً لضيق وقتي لكنني أعطيت كلام زينب شيئاً من
الاهتمام لكثرة مخالفتها وشذبيتها.

متصدت الكاتبة «عزيزة المانع» للدفاع عنها لكنها لم تناقش إلا بعض اعتقاداتي
لمخالفات زينب فماذا عملت د. «عزيزة»؟

لقد عقدت ثلاثة فصول في رسالتي «الحقوق والواجبات للرجال والنساء في
الإسلام» تطل دعاوى زينب غاصب ومن سبقها من دعاة تحرير المرأة، في أن
المرأة مساوية للرجل مساواة مطلقة ونذله في الحقوق والواجبات.

فإن كانت لديها قدرة وإنصاف فتوف الموضوع حقه، بمناقشة كل ما تضمنته
هذه الرسالة من أدلة وبراهين أقمتها على بطلان شبهات دعاة تحرير المرأة

ولعل سائلاً يقول: ماذا عملت د. «عزيزة المانع» التي جاءت لتدافع عن فكرها
وعن زميلتها في هذا الفكر ألا وهي زينب غاصب؟

فأجيبه:

لقد كان عملاً هريلاً حذواً يتناسب مع ضعف المرأة وضعف عقلها، ونهاقت

حججها أمام خصمها :

١- لقد انتقت بعض أدلتي القرآنية التي وقفت عليها وجفلت عن البعض الآخر ، وعن تفسيرها الذي نقلته عن بعض أئمة التفسير .

٢ انتقت بعض تعليقاتي على هذه الأدلة وحادثت عن تعليقات أخرى مهمة حدثاً فيها تقوية لحججي ، وفيها توضيح لبعض لا يفهم من القراء معاني النصوص القرآنية .

٣ قامت بشجرة بعض النصوص التي انتقتها ، فتعلق البعض الذي تظن أنها ستغالط به القراء ، وترغم أنه حجة لها ، وتهمل وتتجاهل الجزء الذي هو موضع الاستشهاد ، وحجة ناصعة عندها وعلى دعة تحرير المرأة والمنادين بمساواتها المطلقة للرجل .

٤- نقلت تفسير الشوكاني لقوله تعالى : ﴿أَوْمَن يُنَشِّئُوا فِي الْحَيَةِ وَهُوَ فِي الْحَمِيرِ عَيْرٌ مُبِينٌ﴾ [الرعد ١٨] بأن المراد به : النساء ، وذكر الشوكاني صفات النساء التي تدل على ضعفهن ، وضعف عقولهن وحجتهن ، ثم نقلت عنه تفسير ابن زيد بأن المراد بذلك : إنما هو الأصنام ، ثم علقت عليه بقولي : «وهو تفسير غير صحيح يرده ما يكاد يجمع عليه المفسرون وعلى رأسهم عبد الله بن عباس رضي الله عنه» ، ونقل الشوكاني عن ابن عباس قوله : ﴿أَوْمَن يُنَشِّئُوا فِي الْحَيَةِ﴾ قال «هو النساء» ، فرق بين زيهن وزى الرجال ، ونقصهن من الميراث ، وبالشهادة ، وأمرهن بالفضة ، وسماهن خو الف»

وتجاهلت عريضة هذا الكلام الذي ضمته قولي : «يرده ما يكاد يجمع عليه المفسرون ومنهم ابن عباس . . إلخ» ، ورعمت أن تفسير الشوكاني إنما يمثله ، وحده ، وهو عندها رأي غير ملزم لأحد .

٥ إن هذه المرأة لتتسم بالجرأة المتناهية ، فتراها تعارض النصوص القرآنية والنبوية بهواها وهوى غيرها بشكل مرعب ، وتعارض كلام العلماء .

٦- وتراها لا تعتد بكلام العلماء من معسرين وغيرهم مع فقرها المدقع في العلوم الشرعية ، وجهلها المطبق بالقرآن والسنة .

ولقد اتهمتني بالانتقاء كما هو شأن دعاة تحرير المرأة، ومهم بعض المشاركات في المنتدى المشار إليه، حيث اتهمت العلماء بانتقاء النصوص التي تسائر التقاليد والأعراف.

وإنني لأطالب الجميع بإثبات هذه الدعوى الكبيرة وأخص منهم «د. عزيزة» وهذه المشاركة المشار إليها، وأقول لهم جميعاً: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (الرعد ١٥).

وأقول بماذا نصف أعمال هذه المرأة «عزيزة»؟ أترك ذلك إلى القراء المنصفين.

وأقول لَهَا:

«أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل»
وأقول لَهَا: «رمتني بدائها وانسلت».

وليرجع القارئ إلى رسالتي: «الحقوق والواجبات للرجال والنساء في الإسلام» وإلى مقالها الذي نُشر في جريدة عكاظ بالتاريخ المذكور، وإلى تعقيبي عليها في هذا المقال؛ ليرى أحقية وصدق ما نسبته إليها من أعمال.

وإنني لأرجو من الله أن ينفع المسلمين بما تضمنته هذه المناقشات من بيان للحق وردّ للباطل.

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

وال مناقشة الدكتورة عزيزة المانع في مقالها:

* أولاً: قالت الكاتبة «عزيزة المانع»: «كتب الدكتور ربيع المدخلي في إحدى الصحف يقول إنه قرأ كلاماً لزينب غاصب فحواه أنها ترى: «أن المرأة ليست تابعة للرجل بل هي نذ للرجل، وأن الله ﷻ لم يجعل العمل والأجر حكر على الرجل ولم يجعله مضاعفاً له وإنما ساوى بينهما في الحقوق والواجبات» وأنه يريد أن يبين لها ولغيرها أن لا مساواة بين الرجل والمرأة، وأن المرأة عليها أن تعلم أنها تابعة للرجل وليست نذاً له. والذين يقرءون تعقيب د المدخلي يلحظون مدى ما بذله من احتشاد في انتقاء ما يراه أدلة صالحة لإقناع القراء ببطلان قول زينب غاصب عن ندية المرأة للرجل، وصواب قوله في تبعيتها له».

أقول:

ها يظهر عجز النساء وتهربهن عن الإجابة عن كل أدلتي وكلام العلماء في تفسير هذه الأدلة، لِمَذا لا تدافع زينب الغاصب عن نفسها وعن دعاواها؟ لِمَذا تدجأ عزيزة المانع إلى هذا الانتقاء؟

أما لم أقت الأدلة التي أراها صالحة لإقناع القراء ببطلان قول زينب الغاصب بندية المرأة للرجل وصواب قولي في تبعيتها له، وسيرى القراء أن «د. عزيزة» هي التي تعارض القرآن والسنة ثم تنتقي ما يوافق هواها

* ثانياً: قالت الكاتبة: «وأن هنا لن أخوض فيما اختلف حوله الكاتبان» فهذا شأنهما، لكنني فقط سأتوقف عند بعض ما أورده الدكتور المدخلي من استشهادات يرى أنها تدل على تعية المرأة للرجل.

(١) انظر كيف علّيت امرئ على امرأة فقالت: لكاتبان ولم تقس لكاتبين تعيناً لرجل على المرأة وسألها لِمَذا علّيت الرجل على المرأة، وهل لو فعلت هذا يترك الناس رجالاً ونساء؟ بل هل تسمح لك بعصك بذلك؟ ألا يد هذا أن تعية المرأة للرجل أمر مستقر في أعماق النفوس؟ وسألها هل يشرع أن يجعل من نساء أئمة مباحة يأمن الناس في العبلوات المكنونة، ويصلين بالناس في الجمع والأعياد وينقبن الحطب فيها؟ وهل يصح أن يكون منهن أميرات يقدن الناس في الجهاد والحج؟ إن قلت: نعم! كذبت الإسلام والمسلمون

أقول لهذه الكاتبة : لماذا توقفت عند هذا البعض وأحجمت عما اختلف فيه الكاتبان ، أليس هذا انتقاء يدل على العجز عن مواجهة كل أدلتي وما رافقها من أقوال أئمة الإسلام وهي كثيرة وقوية ودامغة ، وهي تدل على أن الكاتب قد ساق من الأدلة ما يقنع بعضه القراء فضلاً عن كله ؟ وإذا كانت هذه الكاتبة تصر على أنني انتقيت من الأدلة ما رأيته صالحاً لإقناع القراء ببطلان قول زينب الغاصب . . . إلخ فلتأت ببقية الأدلة التي كتمتها إن كانت صادقة في دعواها وإلا تُبين للناس سقوط دعواها وتُهاجمها ، وقد سبقها إلى هذه الدعوى أميرة كشعري حيث اتهمت العلماء بانتقاء الأدلة التي توافق العادات والتقاليد ، فطلبت منها الإتيان بما كتمه العلماء ، ولا أراهم أطلب منها الإتيان بما يدين هؤلاء العلماء بالكتمان ، كما أطلب مثل ذلك من الدكتورة «عزيزة المانع» .

• ثالثاً : قالت الكاتبة : «وعليه أن يأتي بغيرها إن كان مُلِحاً في إقناع القراء بتبعية المرأة للرجل» .

أقول :

- ١- إن هذه الأدلة التي تصديت لمناقشتها كافية لإثبات هذه التبعية .
- ٢- أما جئت بغير هذه الأدلة وما جئت به كثير شافٍ كافٍ ، قال تعالى : ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الاسراء : ٨٢] .
- ٣- أن هذا الطلب الذي طلبته مني لا يلزمني وإنما يلزمك ، أنت التي ادَّعيت علي أنني انتقيت من الأدلة ما أراه صالحاً لإقناع القراء . إلخ ، والبينة على المدعي وصدق الله العظيم في قوله : ﴿أَوْسَ يُسْئَلُ فِي الْحِلَّةِ وَهُوَ فِي لِيَصِيرَ عِيْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المحرف : ٤١٨] .

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول عن النساء . «إنكن ناقصات عقل ودين» .

• رابعاً : قالت الكاتبة : أولاً - استشهد بقوله تعالى . ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنَ وَحِدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [السر : ٧٢] . وقوله سبحانه ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم : ٢١]

ثُمَّ عَلَّقَ عَلَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بِقَوْلِهِ: «تَأْمَلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ لَعَنَهُ»
 قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿خُلِقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، و﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ لِمَدْرِكِهِ
 مِيزَ اللَّهِ بِهِ الرَّجُلَ عَلَى الْمَرْأَةِ وَأَنَّهَا خُلِقَتْ لِلرَّجُلِ وَمِنْ أَجْلِهِ». وَلَقَدْ تَأْمَلْتُ فِي هَذِهِ
 الْآيَاتِ كَمَا طَلَبَ مِنَّا الْكَاتِبُ الْكَرِيمُ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى اخْتِصَاصِهِ
 بِالرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، فَهَذِهِ الْآيَاتُ كَمَا يَدُلُّ ظَاهِرُهَا حُطَابٌ مُّوجَّهٌ لِلْمُحْسِنِينَ
 فَهِيَ تَشْمَلُ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ الْكَاتِبُ هُوَ مَعْنَى
 مُّشْتَرَكٍ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَإِنْ كَانَتْ الْمَرْأَةُ خُلِقَتْ لِلرَّجُلِ وَمِنْ أَجْلِهِ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ
 أَيْضًا خُلِقَ لِلْمَرْأَةِ وَمِنْ أَجْلِهَا».

أقول: قَامَلْتُ الْكَاتِبَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ فَمَا وَجَدْتُ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى اخْتِصَاصِهَا
 بِالرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ!!

وَأقول: لَقَدْ تَأْمَلْتُهَا عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ وَمَفْسَرُوها فَوَحَدُوا هَذِهِ الْآيَاتِ طَاهِرَةَ الدَّلَالَةِ
 عَلَى اخْتِصَاصِهَا بِالرِّجَالِ وَلَمْ يَفْهَمُوا أَحَدًا أَبَدًا شُمُولَهَا لِلْمُحْسِنِينَ؛ بَلِ الْأَمْرُ لَا يَحْتَاجُ
 إِلَى كَثِيرٍ تَأْمَلٍ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ عَدَمَ وَجْدَانِكَ لِهَذَا الْاِخْتِصَاصِ
 وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ أَبَدًا: إِنَّ الرَّجُلَ خُلِقَ لِلْمَرْأَةِ، فَإِنَّ فِي هَذَا الْقَوْلِ مَكَابِرَةً وَرَدَّ
 لظَاهِرِ الْقُرْآنِ.

* خَامِسًا: قَالَتِ الْكَاتِبَةُ: «وَلَا أَظُنُّ الدُّكْتُورَ الْمَدْخَلِيَّ يَجْهَلُ أَنَّ الْخُطَابَ
 الْعَامَّ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَتَى حَاءٌ بِصِغَةِ جَمْعِ الْمَذْكَرِ شَمِلَ الْإِنَاثَ»
 أَقول: هَذَاكَ اللَّهُ، هَذَا الْخُطَابُ يَقَالُ لِلصِّغَارِ مِنَ طَلِبَةِ الْعِلْمِ، وَلَا يَقَالُ لِمَنْ
 قَصَى دَهْرًا فِي دِرَاسَةِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَأقول لإِفَادَةِ بَعْضِ الْقُرَّاءِ: إِنَّ الْعَامَّ بِحَسَبِ الْمُرَادِ مِنْهُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:
 الْأَوَّلُ: الْعَامُّ الْبَاقِي عَلَى عُمُومِهِ، وَقَدْ قَالَ الْأَصُولِيُّونَ: إِنَّهُ قَلِيلٌ وَمَثْبُورٌ لَهُ
 بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء ٢٣]، فَإِنَّهُ لَا خُصُوصَ فِيهَا
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا أَهْلَ الْبَيْتِ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة ٢١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا
 رَبَّكُمُ إِنَّكَ رَكْعَةً أَلَسَّ عَوْشَةً عَصِيَّةً﴾ [الحج ١] فَهَذَانِ الصَّانِ وَأُمُّهُمَا حُطَابٌ
 لِجَمِيعِ الْعُقَلَاءِ عَرَبِيٍّ وَعَرَبِيَّةٍ ذَكَورٍ وَنَثَائِهِمْ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ فَرْدٌ وَلَا حَتْسٌ وَلَا نَوْعٌ

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠] فهل النص المراد به جميع المؤمنين ذكورا وإناثا.

الثاني: العام المراد به الخصوص مثل قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. فلفظ ﴿الناس﴾ هنا يشمل البشر جميعا، ولكن العموم غير مراد؛ إذ القائل بعض الناس بالتأكيد، بل قيل في كتب التفسير إن القائل رجل واحد من خزاعة والمقول لهم بعض الناس أيضا، ومثله قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُودِعَ لِلْقُلُوبِ مِنْ يَوْمِ الْحُجَّةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الحج: ٩].

فالعموم في هذين النصين لا يشمل النساء؛ إذ وجوب الجهاد خاص بالرجال وكذلك وجوب السعي إلى الجمعة وترك البيع خاص بالرجال؛ فلا تجب الجمعة ولا الجمعة على النساء، فالعموم في هذا النوع الثاني يراد به الخصوص فلا يدخل فيه النساء.

والنوع الثالث: العام المخصوص وله أمثلة:

منها: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَى سَبِيلٍ﴾ [آل عمران: ٩٧] فخص الوجوب على الناس بالمستطيعين دون غيرهم.

فحديثها عن العموم يدل على جهل بالعموم وأنواعه وصيغته وهي كثيرة ومنها كل وجميع وأدوات الشرط والاستفهام والموصولات.

قولها: «إن العام إذا جاء بصيغة جمع المذكر يدخل فيه الإناث» ليس على إطلاقه كما مررت بنا الأمثلة وكما هو معروف لدى علماء الأصول وغيرهم بل هو منقوض بنصوص كثيرة.

ومنها: قول الله لرسوله الكريم ﷺ: ﴿وَحَرِّصِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ حَرَّصَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةِ﴾ [التوبة: ١١١].

هذه النصوص لفظ المؤمنين فيها خاص بالرجال ولا يدخل فيه النساء
 فإن قيل : إن هذه النصوص خاصة بالجهد ووجوب الجهاد وخص بالرجال
 قلنا : وكفى بذلك فضلاً للرجال وميزة على النساء .
 ثم إن هذه النصوص أدلة على بطلان دعواها من إطلاق العموم وبطلان
 دعواها بنوعية النساء ومساواتهن للرجال وعدم تبعيتهن للرجال .
 ثم نسألها لم يدخل النساء كثيراً وكثيراً في صيغ العموم التي يخاطب الله فيها
 الرجال ويأمرهم أو ينهاهم؟ ولا يوجد العكس على الإطلاق، ألا يدل هذا على
 فصل الرجال على النساء وأن النساء تابعات للرجال؟!
 * سادساً : قالت الكاتبة . «كما أن كلمة «أزواج» تُطلق على المرأة والرجل
 فما الذي يجعلنا نفهم من الآية أنها خطاب خاص بالرجال دون النساء؟
 أقول : إن كلامك بهذا الإطلاق باطل لا سند له من كلام الله ولا من كلام
 رسوله ولا من كلام العرب .

وأقول إن لفظ «أزواج» ليس كما تصورته هذه المرأة، والمتتبع لموارده في
 نصوص القرآن يجد أنه .

١- قد يُطلق على الحيوانات كما قال تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاكُمْ مِنْ آلَتَعْمِ ثَمِيَّةَ
 أَرْوَجٍ﴾ [الرمر ١٦] .

وقال : ﴿ثَمِيَّةَ أَرْوَجٍ مِنْ الْفُضَائِنِ أَثْنَيْنِ وَمِنْ الْمَعَزِ أَثْنَيْنِ﴾ [الأنعام
 ١٤٣] .

فلفظ أزواج في هذه الآيات يتناول ذكور هذه الحيوانات وإناثها

٢- وقد يُطلق في القرآن فيتناول ذكور كل الأجناس من الجن والإنس
 والحيوانات والنباتات وما لا يعلمه إلا الله كما قال تعالى : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ
 لَأَرْوَحَ كُلِّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس ٣٦] .

٣- وإذا كان الخطاب لبني آدم وجاء هذا اللفظ منكراً، فإن كنت هناك قرينة
 تصره إلى أحد الجنسين صُرف إليه وإلا بقي على عمومه يتناول الذكور والإناث

مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ مِنْ ثَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر: ١١].
لفظ «أزواج» أطلق هنا على الذكور والإناث

٤ - وإذا جاء أيضًا منكراً وهناك قرائن تصرفه إلى أحد الجنسين؛ صُرف إليه
مثل قوله تعالى:

أ- ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٣٤].
ب - وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾
[البقرة: ٢٤٠].

ج - وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].
د - وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ
وَحَقْدَةً﴾ [النحر: ٧٢]

هـ - وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ مَائِنَتِهِ أَنْ حَقَّ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا بِهِنَّ﴾
[الروم: ٢١].

فيه يُنظر إلى ألفاظ النص وسياقه؛ إذ السياق يخصص العام ويقيّد المطلق،
والناظر في ألفاظ هذه الآيات وسياقاتها، ومساهااتان الآيتان التي دار الحوار
حولهما؛ يقطع بأن المراد بلفظ «الأزواج» فيهما إنما هو النساء، ومن هنا أطيقت
كتب التفسير على أن المراد بالأزواج إنما هو النساء.

ومن هنا قال الشوكاني عند تفسير آية النحل ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا﴾ [النحر: ٧٢]: «قال المفسرون يعني: النساء فإنه خلق حواء من ضلع آدم، أو
المعنى: خلق لكم من جنسكم أزواجاً لتستأنسوا بها؛ لأن الجنس يأبس إلى جنسه
ويستوحش من غير جنسه ويسبب هذه الأنسة يقع بين النساء والرجال ما هو سبب
للسل الذي هو مقصود الزواج، ولهذا قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ
وَحَقْدَةً﴾ [النحل: ٧٢]»^(١).

٥ - وإذا جاء مضافاً إلى ضمير الذكور فالمراد بالأزواج: النساء قطعاً كما في

(١) فتح القدير (٢/ ٢١٣-٢١٤).

قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ سَيِّئًا وَحَقَدَةً﴾ [الحجر: ٧٢]

- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَرْوَاحِكُمْ وَسَيِّئَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحراب: ٥٩].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ يَصِفُ مَا تَرَكُوا أَرْوَاحُكُمْ إِن لَّوْ يَكُنْ لَّهُمْ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٢].

وقوله تعالى في قوم لوط: ﴿وَيَقْدُرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رُوحَكُمْ مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ﴾ [الشعراء: ١٢٦].

- وقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحُكُمْ الَّتِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [الأحراب: ٤].
- وقوله تعالى: ﴿عَالِمُكُمْ لِلْكُفْرَانِ وَمُحَرِّمٌ عَلَى أَرْوَاحِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٩].
- وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَدَرَجَاتِنَا فَسَرَّ أَصِيبٌ﴾ [الفرقان: ٧٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَصِيَّةٌ لِأَرْوَاحِهِمْ مَّتَمَّنَّا إِلَى الْآخِلِ عَيْرَ بِخَرِيجٍ﴾ [الفرقان: ٢٤٠].
- وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المزمل: ٦].

- وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَلَوْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا بِحُورِهِمْ أَرْوَاحُ شَهِدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [النور: ٦].

فالمراد قطعاً وبقيناً بالأزواج في كل هذه الآيات إنما هن النساء

- ٦- وإذا أضيف لفظ «أزواج» إلى ضمير الإناث فالمراد به قطعاً: الذكور لا الإناث مثل قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَقْسُوهُمْ أَلْ يَكُونَنَّ أَرْوَاحُهُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٢].
- ٧- وإذا وصف لفظ الأزواج بوصف الإناث كقوله تعالى في سياق حزاء المؤمنين في الدار الآخرة: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَرْوَاحٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَرْوَاحٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: ١٥]. كان هذا الوصف في هذا السياق نصّاً بأن المراد بالأزواج في الآيتين إنما هو الإناث.

وبهذا التقرير الواضح المفصل تسقط مغالطات هذه المرأة ومعارضاتها

للآيات التي احتججنا بها على أن المرأة خلقت للرجل ومن أجله .

وبعد هذا تأمل أيها القارئ كل من الآيتين اللتين جادلت فيهما هذه المرأة التي تجادل بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

الأولى من سورة النحل ، والثانية من سورة الروم ؛ يتجلى لك أن الخطاب إنما هو للذكور والضمائر إنما هي لهم .

ففي الآية الأولى : أضاف الأزواج إلى ضمير الذكور : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ ﴾ [الحل : ٧٢] . وهذا يجعلك تقطع أن المراد بالأزواج هنا إنما من النساء .

وفي الآية الثانية ترى الخطاب أيضًا إنما هو موجه إلى الرجال ، والضمائر إنما تعود إليهم ، فيكون المراد بالأزواج : النساء ، وفي آخرها ما يؤكد ذلك وهو قوله : ﴿ لَيْسَ كَوْنُ إِيَّاهَا ﴾ [الروم : ٢١] . فالضمير في ﴿ إِيَّاهَا ﴾ ضمير الإناث وهو عائد إلى لفظ الأزواج ، والمراد به : الإناث .

واعتقد أيها القارئ أنك أدركت صواب ما قررناه من أن المديّة المزعومة التي تدّعيها هذه المرأة ومن وراءها لا أساس لها ، وأن المرأة تابعة للرجل وخلقته له ومن أجله .

والمؤمنة لا تتأقف من هذه التبعية التي شرعها الله ، وإنما ترى أنها شرف لها ؛ لأن ذلك ناشئ عن حكم الله الكوني وحكمه الشرعي ، والمؤمن لا يعارضهما ؛ لأنه يؤمن بأن ذلك من حق الله ومن مقتضى ربوبيته وألوهيته ، وسيأتي زيادة تقرير لهذا الحق إن شاء الله .

* سابقاً . قالت الكاتبة : « استشهد الكاتب بقول الرسول ﷺ : « الدنيا متاع ؛ وخير متاعها المرأة الصالحة » وعلق على ذلك بقوله : فالمتاع هو ما يتمتع به من عرض الدنيا قليلها وكثيرها وحير ما يتنفع به الرجل المرأة الصالحة ، وهو قول حق ، ولكن أليس أيضًا خير ما تنتفع به المرأة المؤمنة : الزوج الصالح ؟ »

أقول :

هذه المرأة المسكينة تعارض النصوص بعقلها ، والرسول ﷺ يقول عن

النساء : «إنكن ناقصات عقل ودين» .

فإن استمتع الرجل بالمرأة يختلف عن استمتع المرأة بالرجل ، فالرجل الصالح ينشد المرأة الصالحة ويبدل الغالي والرخيص للحصول عليها ؛ فإذا وجد مطلوبه حصل له السكن كما قال تعالى : ﴿لَتَسْكُوتُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم : ٢١] .

ثم إن الحديث الذي عارضته برأيها ، يلتقي مع الآية الكريمة التي حادت عنها وتجاهلتها ، وهي قول الله تعالى : ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَسْبُ الْمُنَافِقِينَ﴾ [آل عمران : ١٤] .

فالمراد بالناس هنا : الرجال ، لا يدخل فيه النساء ؛ لأنهن من جملة مطالب الرجال ومتاعهم ، والذي يطلب ويكد ويتعب في الحصول على مطالبه يحد عند نجاحه من اللذة والمتعة والراحة والسكن والهناء ، ما لا يجده المسترخي المستطر لما يأتيه ولمن يأتيه .

فالمتاع الذي يحدثنا عنه القرآن والسته غير المتاع الذي تقوله «د عزيزة» ، وقد قال الصحابي الجليل أبو هريرة لرجل : «يا ابن أخي ! إذا حدثتك عن رسول الله ﷺ حديثاً فلا تضرب له الأمثال»^(١) .

وكان الصحابة رضوا الله عنهم إذا حدثوا عن رسول الله ﷺ بحديث فعارضه أحد أو حاله ، يغضبون أشد الغضب ؛ لأنهم يحدثون عن الصادق المصدق الذي لا ينطق عن الهوى

* ثامناً . قالت الكاتبة . ثالثاً : استشهد الكاتب بقوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الْبُيُوتُ مَمْشُواً مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَنْزِلَتْكُمْ عَنْ دُرِّكُمْ فَاصْدُرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا فَتَعَفَّفُوا وَتَعَفَّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة : ٢٥] . ثم علق على الآية بقوله : «فالمرأة غير الصالحة قد تفتن الرجل في دينه وتشبطه عن الطاعات وعن فعل الخير وتحمله على قطيعة الرحم .» وهذا أيضاً يمكن القول : أليس الرجل غير الصالح هو كذلك قد

يفتن المرأة في دينها ويشطها عن الطاعات . . . إلخ؟ وواقع الحياة مليء بأمثلة ذلك، كما أن الآية لا يبدو فيها ما يفيد أنها خاصة بالرجال دون النساء، فهي تنطبق عليها ما قيل عن الآيتين السابقتين».

أقول:

إن ما قلته حق؛ لأنه مبني على قول الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

١- وقولك معارضة لقول الله تعالى: «أليس الرجل غير الصالح هو كذلك قد يفتن المرأة في دينها ويشطها عن الطاعات . . . إلخ؟».

فأقول:

لا يجوز لك هذه المعارضة وما قلته نادر قطعاً، والأحكام لا تُبنى على الأمور النادرة، والله أعلم بأحوال عباده وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فالله لا يتحير للرجال تعالى وتقدس - وهو أعلم بأحوال النساء وما يخفيه غير الصالحات من مكر وكيد.

٢- وقولك: «واقع الحياة مليء بأمثلة ذلك، كما أن الآية لا يبدو فيها ما يفيد أنها خاصة بالرجال دون النساء، فهي تنطبق عليها ما قيل عن الآيتين السابقتين».

أقول:

هذا من التحرص والمعارضة بالباطل، فما هي أدلتك على أن الواقع كذلك؟ وعلى أي الدراسات والإحصائيات اعتمدت؟ وكم من النساء، لصالحات القانتات اللاتي قد فسدن عن طريق أزواجهن؟

إن الأمور النادرة لا تُبنى عليها الأحكام ولا تُعارض بها لشرع، بل هي واضحة جداً كما بينت بطلان دعواك عدم لخصوصية فيما سبق قريباً، وأن المراد بالأزواج في هذه الآية إنما هن النساء.

* تاسعاً قالت الكاتبة: «يقول د/ المدخلي: وكما أن المرأة من نعم الله على الرجل في هذه الحياة الدنيا فهي في الآخرة نعمة تدحل صمن ما يجازي الله به

عباده الصالحين على إيمانهم وعملهم الصالح ، ثم يدل على قوله هذا بآيتين من القرآن الكريم هما : ﴿ قُلْ أَذُنْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِدَّةَ رَنبِهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ١٥] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَيَسِّرْ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهٌ وَلَهُمْ فِيهَا أَنْدَادٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

لكن هاتين الآيتين هما أيضا لا يوجد فيهما ما يدل على اقتصارهما على الرجال فقوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ و﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يدخل فيه النساء والرجال معا ، ولهذا فإنه يصح لنا أن نستعير تعليق المدخلي السابق لندلل به على أن الرجل هو أيضا من نعم الله على المرأة في هذه الدنيا وفي الآخرة .

أقول : فمع الأسف الشديد :

١- لقد حذفت هذه المرأة هنا آية كريمة من أقوى أدلتي ألا وهي قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْخَيْلِ وَالْجَنَاحِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَوْدِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَسْبُ الْعَمَلِ ﴾ [آل عمران : ١٤] .

ثم حذفت وجه استدلالي بها ومعظم تعليقي عليها وهو قلبي الآتي :

«فجعل هذه الأشياء من شهوات الرجال ومطامحهم ومما يتمتعون به في هذه الحياة الدنيا ومن ضمن ذلك بل أولها : المرأة ، فهي من متاع الرجل وفي مقدمة شهواته ، فإن كان الرجل صالحا والمرأة صالحة فنعم المتاع ، وكذلك الأموال إن استعان بها على طاعة الله فنعم المال الصالح للرجل الصالح ، وإن كان الرجل والمرأة غير صالحين فبئس المتاع والمستمتع .

ولم تبق من هذا التعليق إلا قلبي :

«وكما أن المرأة من نعم الله على الرجل في هذه الحياة الدنيا فهي في الآخرة نعمة تدخل ضمن ما يُجازي الله به عباده الصالحين على إيمانهم وعملهم الصالح»

فلا أدري لأي غرض أبقيت هذين السطرين فقط ، بعد حذفها للآية السالفة ، ومعظم تعليقاتي عليها ؟

أليس هذا انتقاءً خطيراً يهدم أمانة القائل !!!

٢- إن هذه المرأة على إعجابها بنفسها ، يتجلى في جدالها ضعف المرأة وقصورها وضعف حجتها ، فهي تنظر إلى جزء من الدليل وتنسى الجزء ، الذي هو موضع الاستدلال ، وتذكر بعض أدلتي وتغفل أو تحذف عمداً بعضها ، ولا تستحي من الله والمؤمنين ، فتذهب تعارض - بجهلها وهواها - كلام الله وكلام رسوله ﷺ بكل جراءة .

والله إنني لأكفكف قلبي عن وصف عملها هذا بما يستحق وعن تشبيه عملها بأعمال قوم خرجوا على الأمة بمثل هذه المعارضات الباطلة .

٣ لقد قالت بعد الآيتين اللتين ساقتهما وعارضتهما : « وقد ذكر الله جلاء المؤمنين في الآخرة في عدد من سور القرآن ومن ضمن هذا الجلاء الحور العين . وقال تعالى في سورة البأ : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَكَانًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا وَأُزْوَاجًا ۚ وَكَوْنًا آزَاجًا ۚ وَكَانَ وَهَافًا ۚ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا ۚ كَذَٰلِكَ ۚ وَإِذَا ذُكِرَ جَزَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ فَلَمَّا يَذْكَرُ تَبَعًا وَلَا يَعْلَمْنَ مِنْ بَرِّجَالٍ مِنْ أَوْصَائِهِمْ كَذًا وَكَذَا .

قال تعالى : ﴿ تَكُنْ لَهُنَّ الْهَيَّاتُ الَّتِي رُغِبَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُنْ مَّا عَمِرَ مَآسٍ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٌ مِنْ حَمْرٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ لَوْنُهُ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْمَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [محمد ١٥] . ثم سقت آية أخرى في هذا المعنى ثم علقت بقولي . « ومن هذه الآيات يدرك المؤمنون والمؤمنات بالله فضل الرجال على النساء في الدنيا والآخرة وأن المرأة دون الرجل في الدنيا والآخرة ، لا ينازع في ذلك إلا من يحادل في آيات الله بالباطل ليدحض به الحق في ويل له من عقاب الله ، يؤكد كل هذا ما يأتي من النصوص القرآنية والنبوية » .

ثم سقت آيتين وحديثين يدل كل منها على نقصان المرأة عن الرجل ، ومجموع ما سفته في هذا الباب عشرة نصوص قرآنية ونبوية كلها تدل على فضل الرجل على المرأة ، وسقت كلام العلماء في شرحها وبيانها .

دع عنك ما ذكرته في الباب الثاني من الأدلة والمنقشات لريب غاصب وغيرها من الأمور التي تهرت منها «د. عزيزة».

٤- وبعد هذا أعود إلى الماشقة لأبين للقارئ بقصان عقل المرأة ودينها مهما اغترت بنفسها وانتفخت إعجاباً بها وأعجب بها السهفاء

قالت بعد أن ساقّت الآيتين وأهملت الثالثة وما بعدها من الأدلة في هذا الفصل الذي انتقته - «لكن هاتين الآيتين هما أيضاً لا يوجد فيهما ما يدل على اقتصارهما على الرجال، فقله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ و﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يدخل فيه النساء والرجال معاً؛ ولهذا فيه يصح لنا أن نستعير تعليق المدخلي لسابق لدلله على أن الرجل هو أيضاً من نعم الله على امرأة في هذه الدنيا وفي الآخرة».

أقول: إني أجد نفسي مضطراً لإعادة نص الآيتين اللتين أغضت موضع الاستدلال مهم، ليرى القارئ مدى جهل هذه المرأة وضعف أميتها

قل تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلْيَذَكِّرْ بِلِلَّهِ عَذَابُ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَرْوَاحٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعَاصِينَ﴾ [آل عمران: ١٥].

فماذا فعلت هذه المرأة المسكينة، لقد أهملت موضع الاستدلال وهو قوله في هذه الآية: وأزواج مطهرة، ولأرواح المطهرة هنا: النساء اللاتي وعد الله بهن الرجال المتقين.

فقد يكون للمؤمن في الجنة زوجتان، وفي بعض الروايات سبعون زوجة من الحور العين، وذلك جزاء يخص الرجال.

أما لنساء فيدخلن في ضمن جلاء المؤمنين، ولم يعدهن الله بأزواج مطهرين فيكون للمرأة مثلاً زوجان أو سبعون زوجاً، فظهر بهذا فضل الرجل على المرأة في الآخرة.

وبصر الآية الثانية: ﴿وَنُفِثَ إِلَيْهِمْ زَوْجَاتٌ خَضِرَاتٌ فِي ظِلِّ جَنَّاتٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُفِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُفِقَ مِنَّا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَنْجَارٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

ماذا فعلت «د. عزيزة»؟ لقد تناست موضع الشاهد من هذه الآية وهو قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾. والقول فيها مثل ما أسلفنا في التعليق على الآية الأولى فلا نعيده.

ولنا أن نسأل الدكتورة: لماذا تعارضين كلام الله وكلام رسوله؟ ألسنت قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً فما حكم هذه المعارضات بالعقل والهوى؟ ولماذا تغفلين وتحيدين عن موضع الاستدلال من النصوص؟ بل لماذا تحذفين بقية أدلتي؟ ولماذا تحذفين ما لا مجال للقول فيه من قريب ولا من بعيد وهو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ يَتِمَّيْنِ مَعَارَ ۖ حَرِيقَ وَأَعْنَا ۖ وَكَوَيْبَ أَزْوَاجَ﴾. فهل الكواعب من الذكور أو الإناث؟ وهل يشترك الذكور والإناث، وإذا قلنا أنه خاص بالإناث فهل يدخلن ضمن جزاء المؤمنات حتى تساوي المرأة الرجل في الآخرة؟ أو أن المرأة المؤمنة تصير من الكواعب الأثراب لتكون من ضمن جزاء الرجل المؤمن؟

أرجو أن تكون الإجابة عن هذه الأسئلة نابعة من الإسلام لا من مناهج أوروبا وأمريكا.

وحتى الأوروبيين والأمريكان يحاربون بتر النصوص وحذفها، ويعتبرونه من الخيانة المسقطه لمرتكبيها، وقد وقعت في هذا زينب غاصب، أُلتي تحاميس عنها فوقعت في شرمها وقعت فيه من تحريف النصوص ومعارضتها وبترها وحذفها.

فتوبي إلى الله وأنبيي إليه خير لك في الدنيا والآخرة، فوالله لأن تكوني حواء لأدنى المؤمنين درجة في الجنة خير لك من أن تكوني من أهل النار، واعلمي أن أكثر أهل النار من النساء، فاحذري أن تدخل في غمار هذه الكثرة.

وقولك: «وليهذا فإنه يصح أن نستعير تعليق المدحلي السابق لدلله به على أن الرجل هو أيضاً من نعم الله على المرأة في هذه الدنيا وفي الآخرة».

أقول:

١- لا سواء، فكلامي مستمد من كلام الله وكلام رسوله مطابق لهما، وكلامك تابع من الهوى ويجري مجرى المعارضة لنصوص القرآن الكريم.

إن المرأة تستفيد من الرجل في الدنيا؛ لأنه يسوق لها مهراً ويؤمن لها السكن

والنفقات وما أستحي من ذكره، ولكن هذا لا يقتضي المساواة بينهما بل هذا يدور على علو مكانة الرجل وهو في خلقته وما زوده الله به من الرحولة ولشجاعة، وكمال العقل وحسن التصرف، فهذا وذالك لا يسمح بادعاء المساواة بين الرجل والمرأة؛ ولهذا احتار الله الأنبياء والرسل من الرجال لا من النساء، والخلافة والقضاء والوزارة وغيرها لم تشرع إلا للرجال.

وقد دلت النصوص وتطبيقات الخلفاء الراشدين وتقريرات العلماء. أن هذه المهمات العظيمة إنما تناط بالرجال.

وهذا وذالك لا يسمح بادعاء المساواة إلا من لم يرض بالله رباً وبالإسلام ديناً، والله يفعل ما يشاء ويحكم في ذلك بما يريد، فله أن يفضل بعض الرجال على بعض، بل بعض الرسل على بعض، وله أن يفضل الرجال على النساء ولا يستطيع أهل السموات والأرض مجتمعين أو متفرقين أن يقولوا: لِمَ فعلت كذا؟ ولِمَ فضلت فلاناً على فلان، ولِمَ فصلت الرجال على النساء؟ وقد جعل الله لكل شيء قدراً، وما ربك بظلام للعبيد.

* **عاشراً:** قالت الكاتبة: «خامساً يقول د. المدخلي: إن الله سبحانه: إذا ذكر جزاء المؤمنات فإنما يذكره تبعاً لجزاء المؤمنين ولا يعدهن رجال من أوصافهم كذا وكذا، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْيَمَةِ الَّتِي وُجِدَ الْمُشْكُوتُ فِيهَا أَنَّهُمْ مِنْ مَاءٍ غَيْرٍ آسِنٍ وَأَنَّهُمْ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنَّهُمْ مِنْ خَمْرٍ لَدَّةٍ لِلشَّيْرِيبِ وَأَنَّهُمْ مِنْ عَسِيٍّ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْرِفَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [سجدة ١٥].

وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جُنُودًا مُقَرَّينَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح ١٥]. وهاتان الآيتان الأولى منهما لا يظهر فيها مطلقاً تخصيص ذكر لنساء، حيث هن متضمنات^(١) في قوله تعالى: ﴿الْمُشْكُوتِ﴾ فكيف يُمكن القول أن جزاء المؤمنات جاء فيها تبعاً لجزاء المؤمنين؟ أما الآية الثانية فهي وإن كان فيها نص على ذكر المؤمنات إلا أن

جزاءهن لا يبدو تبعاً لجزاء المؤمنين، وإنما هو مرافقة ومصاحبة ويردّف الكاتب هذه الآيات بقوله: «ومن هذه الآيات يدرك المؤمنون والمؤمنات باللّه فضل الرجال على النساء في الدنيا والآخرة، وأن المرأة دون الرجل في الدنيا والآخرة لا ينافي في ذلك إلا من يجادل في آيات اللّه بالباطل ليدحض الحق».

وما يقوله د. المدخلي كلام خطير، فهو يسعى إلى أن يقنعنا بأن حزاء المؤمنات في الآخرة دون حزاء المؤمنين، مهما عملن من الصالحات، ومهما بلغ بهن الفضل. ولا أدري كيف استطاع أن يقرر ذلك، وعلى أي شيء استند في هذا الحكم؟ وهل نفهم من قوله هذا أن نساء مثل مريم، وخديجة، وعائشة، وفاطمة، هن في الآخرة دون الرجال في الأجر بسبب أنوثتهن؟ وهل يريد منا كتابنا الموقر^(١) أن نؤمن أن اللّه سبحانه العادل يساوي بين النساء^(٢) والرجال في العقوبة، ولا يساوي بينهم في المثوبة؟

أقول: لي معها وقفات في هذا المقطع:

١- إنني أتحدث إلى المؤمنات الراضيات بتشريع اللّه المسلّمات تسليماً بما شرعه اللّه في الإسلام من الحقوق والواجبات للرجال والنساء وبما فضل اللّه به بعض خلقه على بعض في الدنيا والآخرة.

وقد بيست مكانة المرأة المسلمة في الكتاب والسنة وعند المسلمين وعلمائهم وبينت منزلة المرأة في الحل والديانات الأخرى، وما لقيته المرأة في هذه النحل وعد أهلها من الذل والهوان، بما يزيد معرفة بفضل الإسلام الذي لا يلحق في تعامله مع المرأة؛ لأن فضل الأشياء يتبين بمعرفة أضرارها

وأنا - والحمد لله - ممن يكرم المرأة ويدعو إلى إكرامها، لكنني لا أكذب على الإسلام فأدعي لها ما لم يشرعه اللّه كما يفعل دعاة تحرير المرأة.

٢- أنا قلت هنا: إذا ذكر حزاء المؤمنات فإنما يذكره تبعاً لجزاء المؤمنين ولا

(١) لن أعلق على قصدها من هذه الكلمة وأترك مهمها سفارحاً

(٢) تقديم النساء هنا على الرجال مغزاه.

يعدهن برجال من أوصافهم كذا وكذا، بعد ذكرى لجزاء المؤمنين وأن المرأة تدخل ضمن جزاء المؤمن، وسقت للبرهنة على ذلك عدداً من النصوص من بين نصوص كثيرة في القرآن والسنة.

ومن هذه النصوص التي ذكرتها: قوله تعالى في وعد المؤمنين: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ذكر الأزواج المطهرة في نصين، والثالث فيه ﴿رَبُّ الْمُتَّقِينَ مَعَارًا﴾ ﴿سَابِقَ وَأَعْتَبًا﴾ ﴿وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ

فهذه النصوص الثلاثة وعد الله فيها المؤمنين بأوصاف الجزاء وفي ضمنها جزاؤهم بالأزواج المطهرة من النساء، وهذا أمر يبين فضل الرجل المؤمن على المرأة المؤمنة فضلاً عن الكافرة، وهذا أمر يُسَلِّم به المسلم والمسلمة ولا يكابر فيه إلا معاند أو مسفسط.

وكان من اللازم لها - وهي تريد أن تثبت مساواة المرأة بالرجل - أن تعيب على قولي: «ولا يعدهن برجال من أوصافهم كذا وكذا» ولكنها لم تفعل ولن تجد ولو كان ما تدعيه من المساواة ثابتاً شرعاً لوجدت نصوصاً في القرآن والسنة واضحة جلية ومستقلة تبين المساواة بين الرجل والمرأة في الدنيا والآخرة.

ومن إنصاف المؤمنين وفقههم لنصوص القرآن والسنة التي ترد خطاباً للمذكور وعداً ووعداً وأمرًا ونهيًا أنهم يقولون: هذا الخطاب يدخل فيه النساء.

وذلك الدخول إنما هو بالتبع، ولو كانت هناك مساواة مطلقة؛ لما اطردت نصوص الكتاب والسنة بمخاطبة لرجال بالوعد والوعيد والتشريعات والأوامر والنواهي.

ولو كانت هناك مساواة لوجدت الخطابات والتشريعات متنوعة ومنصفة، تارة للرجال وتارة أو تدارت للنساء. يا أيها المؤمنات قاتلن الكفار، يا أيها المؤمنات كُتب عليكم القصاص، يا أيها المؤمنات إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعين إلى ذكر الله، كتب عليكم الصيام، ويدخل المؤمنون في هذه المخاطبات.

ولما لم تجد «د عزيزة» ذلك هربت إلى المغالطات والممحكات بالطل

كما درجت عليها من أول مقالها إلى آخره .

٣- ساقط الكتابة الآيتين من سورة محمد وسورة المتح المذكورتين أعلاه ثم قالت : « وهاتان الآيتان الأولى منهما لا يظهر فيها مطلقاً تخصيص ذكر للنساء ، حيث هن مضمنات في قوله تعالى : ﴿ الْمُتَّقُونَ ﴾ فكيف يمكن القول أن حرمة المؤمنات جاء فيها تبعاً لجزاء المؤمنين ؟ » .

أقول :

نبي لم أدع تخصيص ذكر النساء ولا ادعيت الطهور في هذا التخصيص ، وإنما ادعيت أن النساء لمؤمنات يدخلن في هذا الوعد تبعاً للمؤمنين فلماذا هذا الحبط ؟ ولماذا هذه الأنفة من تبعية لرجال ؟

أليست المرأة تُزف على بيت زوجها ؛ لتكون تابعة له تاركة تبعيتها لأبيها وإخوتها وعشيرتها ، وتصبح تحت رعاية زوجها وقوامته عليها ؟
﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا نَعَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا تَوَلَّى سَوِىٌّ لِّلْعَيْنِ يَسُ حَظْفَ اللَّهِ ﴾ [النساء : ٣٤] .

فإن كنت تأبين من الشعبية فأعلمني أنه لا مهور للنساء ولا سكنى ولا نفقة ولا رجولة للرجال ولا قوامة ، ولتدفع لمرأة لمهر للرجل ولتؤمّر له السكن والفقة و . . . و . . . حتى يكون تبعاً للنساء ، أو تتم المساواة بين الجنسين ، ويتم التحرر من الإسلام .

ولا أطك تستطيعين ذلك ، ولا يرضى المؤمنون والمؤمنات بذلك ، لا من الناحية الشرعية ولا من الناحية العقلية ولا من ناحية القدرة .

وعلى ذلك ؛ فالمرأة ضعيفة تحتاج إلى من يرعاها ويحميها ويقوم عيها ، علم الله ذلك منها وهو العليم الخبير ﴿ أَلَا يَقْلَمَ مَنْ حَقَّ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] لا «عزيزة لمنع» ولا دعاة لتحرر أفراس أوروبا وأمريكا

ووالله إن تبعيتها للرجل الكفر ، المؤمن لشرف لها خاصة إذا كانت مثقفة واطلعت على نظرة لجل والمل إلى امرأة وأنها بحس ، ومدعونة ، وشيطنة . . إلى آخر الإهانات .

بل لو اطلعت على حال المرأة في العرب وهي تعيش مثل حياة الحيوانات، وكيف يلعب بها الرجال، ويعتبرونها سدة رحيصة تُعرض في الأسواق والمعارض والصحف والمجلات، وفي دور التمثيل والمسارح والمسابح، وكيف تنتقل بين الأخدان يعبث بشرفها - إن كان لها شرف الرجل بعد الآخر، وإذا لم تعمل ذلك غضب عليها أهلها واعتبروها فاشلة، وقد تُطرد من عند أهلها، فإذا لم تجد عملاً خسيماً لجأت إلى الشوارع لتكون لها مأوى.

ولقد وقفت على مقابلة صحفية لـ «عزيزة المانع» تشيد فيها بحياة الفتيات في أمريكا، وأنها بعد سن الثامنة عشرة تصبح حرة طليقة لا يعترض عليها أحد فأف لهذه الحياة التي أعجبت بها وتريدين مثلها في بلاد المسلمين والعرب وخاصة الجزيرة العربية مهبط الوحي ومعدن الشرف والعزة والكرامة والإباء لدى الرجال والنساء.

٤ - وقلت: «أم الآية الثانية فهي وإن كان فيها نص على ذكر المؤمنات إلا أن جزءاً من لا يبدو تبعاً لجراء المؤمنين، وإنما هو مرافقة ومصاحبة».

أقول:

إن الله تبارك وتعالى - يُحدثنا في هذه الآية وغيرها عن جزاء المؤمنين، وفي المؤمنين: الأنبياء والرسل، والصديقون، والشهداء، والصالحون، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ولعالب أنه لا يذكر المؤمنات.

فيسأل السائل: لماذا لا يذكر الله جزاء المؤمنات؟

فيجيبه العلماء: بأن المؤمنات يدرجن في هذه النصوص بسبب اتصافهن بالإيمان والعمل الصالح.

وفي هذه الآية تحدث عن جزاء المؤمنين وفيهم الرسل الكرام وعلى رأسهم أولو العرم ثم أتباعهم من الصديقين... إلخ، فهل تألف «عزيزة المانع» أن تُذكر تابعة للمؤمنين وعلى رأسهم الرسل، فإذا قيل لها ادخلي الجنة تابعة للمؤمنين وفيهم الرسل. قالت: لا أريد أن أكون تابعة، من مرافقة ومصاحبة للرسل، وليكن سائر أصناف المؤمنين بعد السيدة عزيزة.

إني أخشى عليك بهذا المطلق المتعالي ألا تدخلي الجنة لا تابعة ولا مرافقة ولا مصاحبة.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْكِينِ﴾ [الحس ٢٣].

«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر».

فتواصعي لله ولشرعه، واحرصي على دخول الجنة بأي صورة من الصور ولو زحفاً في آخر الناس وآخر النساء.

٥- قالت الكاتبة: «ويرد الكاتب هذه الآيات بقوله: ومن هذه الآيات يدرك المؤمنون والمؤمنات بالله فضل الرجال على النساء في الدنيا والآخرة، وأن المرأة دون الرجل في الدنيا والآخرة لا يازع في ذلك إلا من يجادل في آيات لله بالباطل ليدحض الحق».

أقول: نعم؛ وإني لأؤكد ما قلته، فإن الآيات التي ذكرتها في هذا الباب وغيرها والأحاديث الصحيحة الثابتة عن نبي ﷺ صريحة جلية في ذلك لا يثارع فيما دلت عليه إلا من يجادل في آيات الله بالباطل، وقد تبين أنك تجادلين بالباطل.

وأقول: وعلى نفسها تجني براقش: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

٦- ثم قالت: «وما يقوله د. المدخلي كلام خطير، فهو يسعى إلى أن يقصا بأن حزاء المؤمنات في الآخرة دون جزاء المؤمنين، مهما عملن من الصالحات، ومهما بلغ بهن الفضل، ولا أدري كيف استطاع أن يقرر ذلك، وعلى أي شيء استند في هذا الحكم؟ وهل يفهم من قوله هذا أن نساء مثل مريم، وخديجة، وعائشة، وفاطمة، هن في الآخرة دون الرجال في الأجر بسبب أنوثتهن؟ يريد منا كتبنا الموقر أن نؤمن بأن الله سبحانه عادل يساوي بين النساء والرجال في العقوبة ولا يساوي بينهم في المثوبة».

أقول: أنا لم أقرر نقص المرأة عن الرجل اختراعاً واعتباطاً من عندي، وإنما استندت إلى كلام الله رب العالمين، وعلى سنة رسوله سيد المرسلين وخاتم

نسين ﷺ وعلى ما قرره علماء الإسلام، من فقهاء، ومحدثين، ومفسرين، فإن المرأة دون الرجل في الدنيا، وهي لا تساويه في الآخرة، وإنما تدخل ضمن جزاء الرجل كما دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة.

وذكرت في رسالتي أن المرأة دون الرجل في مواطن:

منها: الشهادة، فإن شهادتها على النصف من شهادة الرجل استناداً إلى قوله تعالى ﴿وَأَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وعلى قول النبي ﷺ مخطئة النساء «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقلن: وبم يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان عقلاً وديناً يا رسول الله؟ قل: ليس شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل؟ قلن: بلى. قال: فذلك نقصان عقلها، ليس المرأة إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى. قال: فذلك نقصان دينها». متفق عليه

ومنها: نقصانها في الميراث؛ فميراثها على النصف من ميراث الرجل، بئنا كانت أو أختاً أو أمّاً، أو زوجة، والآيات من سورة النساء واضحة في ذلك، وفي ذلك أحاديث صحيحة.

ومنها: تفاوتهما في العقوبة؛ إذ يعق عن العلام بشاتين ويعق عن الجارية بشاة واحدة

ومنها: أن دينها على النصف من دية الرجل.

ومنها: أنها لا تملك حق عقد الزواج على نفسها وإنما يقوم بذلك ولي أمرها وعلى كل ذلك أدلة من السنة الثالثة الصحيحة عن النبي ﷺ وبقيت أمور أخرى ذكرتها في رسالتي «الحقوق والواجبات على الرجال والنساء في الإسلام».

وأما أنها دونه في الآخرة؛ فيكفي في ذلك النصوص الكثيرة في القرآن، أن امرأة تدخل ضمن حراء المؤمنين المتقين في الدار الآخرة.

منها ما ذكرته في رسالتي «الحقوق والواجبات»، ومنها ما ذكر في هذه

المناقشة، وأضيف الآن ما يأتي:

قال تعالى في جزاء السابقين المقربين: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾ (١) ﴿وَجَنَّاتُ الْيَعْقِينِ ۖ﴾ (٢) ﴿ثُمَّ لِلَّهِ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ﴾ (٣) ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۖ﴾ (٤) ﴿عَلَىٰ شُرُجٍ مَوْضُوعَةٍ ۖ﴾ (٥) ﴿مُنْتَكِبِينَ عَلَيْهَا مُنْعَبِدِينَ ۖ﴾ (٦) ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وُسْدٌ مَّعْدُونٌ ۖ﴾ (٧) ﴿يَا كُذِّبُوا ۖ وَأَدْرِكُوا أَكْبَرُ مِنْ مُعِينٍ ۖ﴾ (٨) ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَرْفَعُونَ ۖ﴾ (٩) ﴿وَفِيكِهِمْ نِسَاءٌ يَنْحَبِرُونَ ۖ﴾ (١٠) ﴿وَلَحْمٌ طَيْرٍ فِيمَا يَشْتَبُونَ ۖ﴾ (١١) ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۖ﴾ (١٢) ﴿كَأَمْثَلِ الثُّلُوفِ الَّتِي تَكُونُ ۖ﴾ (١٣) ﴿حَرَّةً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤) [الزمر: ١٠-٢٤] آيات.

انظر كيف ذكر الحور العين ضمن جزاء السابقين المقربين، بأي مؤنة ترفض ذلك، وأن تكون من الحور العين كأمثال للؤلؤ المكنون تعيش في جنة النعيم زوجة لأحد المقربين؟!

وقد تعالى في جزاء أصحاب اليمين وهم المفتصدون: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ﴾ (١٥) ﴿أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ﴾ (١٦) ﴿فِي يَمِينٍ مَحْصُورٍ ۖ﴾ (١٧) ﴿وَصَبِيحٌ مَقْشُورٍ ۖ﴾ (١٨) ﴿وَطَلٌّ مَمْدُودٍ ۖ﴾ (١٩) ﴿وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ ۖ﴾ (٢٠) ﴿وَفِيكِهِمْ كَثِيرٌ ۖ﴾ (٢١) ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْسُوعَةٍ ۖ﴾ (٢٢) ﴿وَفَرْشٌ مَرْفُوعٌ ۖ﴾ (٢٣) ﴿يَا أَشْأَنُهَا بِنَاءٌ ۖ﴾ (٢٤) ﴿فَجَعَلْنَهُمْ أَتَّكَارًا ۖ﴾ (٢٥) ﴿عُرًّا أَتَّكَارًا ۖ﴾ (٢٦) ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ﴾ (٢٧) ﴿ثُمَّ لِلَّهِ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ﴾ (٢٨) ﴿وَاللَّهُ مِنَ الْآخِرِينَ ۖ﴾ (٢٩) [الواقعة: ٢٧-٤١].

انظر أيها المؤمن إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَشْأَنُهَا بِنَاءٌ ۖ﴾ (٢٤) ﴿فَجَعَلْنَهُمْ أَتَّكَارًا ۖ﴾ (٢٥) ﴿عُرًّا أَتَّكَارًا ۖ﴾ (٢٦) ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ﴾ (٢٧).

ألا تؤمن بأن هؤلاء لنساء قد تفصل الله بهن على عباده المؤمنين، المخلصين، وجعلهن جزء عمه الصالح مع ما ذكره في هذه الآيات من الإكرام والإنعام، وذلك لا يضر المرأة المؤمنة؛ لأنها في نعيم وإكرام؟!

وهل ترى أنه خير للمؤمنة، لصداقة أن تكون في جنات النعيم مسعمة مكرمة مع هؤلاء المشآت في الجنة، أو أنها تتركب رأسها وتستكبر على تشريع ربها وتعارضه بالسفسطات، راكضة وراء أقوام يدعون إلى النار، فتكون من أهل النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين؟

يُي أدعو المسلمين وللمسلمات جميعاً إلى الالتزام بشريعة الله وحكمه في كل شأن من شئون الدنيا والدين.

وأدعو المرأة المسلمة إلى التمسك بدينها في جميع الشئون وخاصة تجاه دعاة تحرير المرأة الذين يستدرجونها إلى الانسلاخ من دينها وخلقها وعفتها وشرفها باسم حقوق المرأة وباسم المساواة بين الرجل والمرأة، وكأن القوم يرون أن للإسلام قد ظلمها وانتقص حقوقها.

وكذبوا، فوالله لا يوجد دين من الأديان أو قانون من القوانين أعطى المرأة حقها وكرمها في الدين والآخرة مثل الإسلام، لقد بسطت حقوقها وواجباتها والذي لها والذي عليها في رسالتي «الحقوق والواجبات على الرجال والنساء في الإسلام» فلترجع إليه المرأة المؤمنة لتعرف ما الذي عليها وما الذي لها فيما يختلف فيه الناس هذه الأيام.

٧ قولها: «فهو يسعى إلى أن يقنعنا بأن جزاء المؤمنات في الآخرة دون جزاء المؤمنين مهما عملن من الصالحات ومهما بلغ بهن الفضل، ولا أدري كيف استطاع أن يقرر ذلك وعلى أي شيء استند في هذا الحكم».

أقول:

قد قررت في رسالتي «الحقوق والواجبات على الرجال والنساء في الإسلام» أن الحسنة عند الله بعشر حسنات سواء كانت من الرجل أو المرأة ويستألف أن النساء المطهرات يدخلن ضمن جزاء المؤمنين في الجنة، وسقت عدداً من الآيات في بيان هذا الأمر وهذا من تفضيل الرجل على المرأة.

كما أن للرجل عدداً من الزوجات في الجنة من زوجتين إلى سبعين كما ورد في السنة، والمرأة ليس لها إلا زوج واحد، وهذا يبين فضل الرجل على المرأة وذلك من فضل الله، ولقد استندت إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أما أنت فخوية الودع في غاية الإفلاس ولا سد لدعواك من شرع ولا عقل.

وأقول: قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ فِي نَصِيبِهِ﴾ [النساء ٣٢] فلا تمنين ما فضل الله به الرجال على النساء.

٨- وقولها: «هل نفهم من قوله هذا أن نساء مثل مريم وخديجة وفاطمة

وعائشة هن في الآخرة دون الرجال بسبب أنوثتهن؟».

أقول:

قد ذكرت أن الحسنة بعشر أمثالها سواء صدرت من الرجل أو المرأة، وأذكر الآن أن جزاء السيئة سيئة مثلها سواء صدرت من الرجل أو المرأة.

وأقول فيمن ذكرت من النساء ما قاله الرسول ﷺ في فاطمة رضي الله عنها: «أنها سيدة نساء العالمين».

وأدين بما قاله رسول الله ﷺ: «كَمُلْ من الرجال كثير، وكَمُلْ من النساء ثلاث: آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت حويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

اعترف لهن بهذا الفضل لكن هذا العدد القليل من النساء اللاتي خصهن الله بالكمال دون النساء من عهد آدم إلى يوم القيامة لا يهدم القاعدة التي قررها القرآن وقررتها السنة، فالقواعد والأحكام لا تُبَيَّن على الأمور النادرة.

وأسألك: ما تقولين في تفضيل محمد ﷺ والأنبياء جميعًا على هؤلاء أئسَلَمِينَ به أو لا؟.

بل ما رأيك في تفضيل الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة على هؤلاء النسوة ما عدا مريم وحنان متوقف في أمرها وذلك لا يَحْزِمُ القاعدة؟ إن سلمت، سقط تهويلك، وإن عاندت؟ فما ذلك بمستغرب.

ثم أسألك عن هؤلاء النسوة: أليست كل واحدة منهن ستصبح روحًا لرجل من رجال الجنة؟ فعائشة لمحمد ﷺ، وفاطمة لعلي رضي الله عنه، والباقيتان لأبد لكل واحدة منهما من رجل واحد فقط، ولأرواحهن حق التعديد وهو واقع كما أحرر رسول الله ﷺ.

ومن هنا يظهر فضل الرجل على المرأة ولو من هذه الماحية، بل هناك نواح يفصل عليها الرجل مثل الميراث والدية والشهادة.

وأنت لو دخلت الجنة فليس لك إلا زوج واحد ولزوجك حق التعديد؛ فقد تصل زوجاته إلى سبعين وستكونين راضية ومطمئنة ويكون قد تماقت عنك كل

هذه الوسوس والخيالات الفاسدة .

٩- أما قولك : « وهل يريد ما كاتبت الموقر أن نؤمن أن الله سبحانه العادل يساوي بين النساء والرجال في العقوبة ، ولا يساوي بينهم في المثوبة ؟ » .
أقول :

إن الخلاف واسع جداً فلا تحصره الآن في الثواب والعقوبة ، فقد قررت قبل اعتراضاتك في رسالتي « الحقوق والواجبات » أن الحسنه بعشر أمثلها سواء صدرت من الرجل أو المرأة .

وأقرر الآن جواباً على سؤالك هذا أي أدين الله بأن حزاء السيئة سيئة مثنها سواء صدرت من رجل أو امرأة ، فإذا كنت مقتنعة بكل الفوارق بين الرجل والمرأة التي قررها الله ورسوله ودان بها العلماء ، ومنها القوامة القائمة على تفصيل الرجل على المرأة من جهة أنه رجل يعتاز بصفات لا تشاركه فيها المرأة منحه الله إياها الخلاق العليم الحكيم العدل ، ومن جهة أخرى أنه يفتق عليها ويؤمن لها السكن ويؤمن لها مطالب أخرى إيماناً بقول الله تعالى . ﴿ الْيَحَالُ قَوْمُوكَ عَلَى الْإِسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِهَا أَنْعَمُوا ﴾ [النساء : ٣٤] .

إن سلمت بهذا إيماناً بهذا النص وغيره وبما قرره الله من الفوارق الأخرى ؛ سقطت دعاوى المساواة ، وإن لم تُسَمَّ فتنطري ما عدك من الإيمان ؛ لأن الأمر حاصر جداً فالله يقول . ﴿ وَمَا أَحَقَّقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [التورى : ١٠]

وقوله : ﴿ فَإِنْ لَرَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَكْتُمُ تَوَسُّونَ لِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩]

وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَمُّوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥]

* الحادي عشر قالت الكتبة : لاسدساً يستشهد الكتب الفاضل بتفسير الشوكاني بقوله تعالى عن الإباحة : ﴿ وَأَوْمَرُ يُنْشَرُوا فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخَصَامِ عَمْرٍ مُبِينٍ ﴾ [سجدة : ١٨] . حيث يقول إن معنى يشأ : يربى ، ولشوء : التربية ، وحلية ، الرينة ، والمعنى : أو جعلوا له سبحانه من شأنه أن يربى في التربية وهو

عاجز أن يقوم بأمور نفسه وإذا حوصم لا يقدر على إقامة حجته ودفع ما يحاذله به خصمه لنقصان عقله وضعف رأيه .

وتفسير الشوكاني الذي يبرر عجز الإناث عن الإبانة وإقامة الحجة بنقصان العقل وضعف الرأي ، يُمثل رأي الشوكاني وحده وهو رأي غير ملزم لأحد؛ فوقع الحياة يُبرهن على أن هناك نساء ناجحات في مواقع قيادية أو في المُحاماة أو غيرها من الماصب التي تقتضي وجود التفكير وقوة الحجة وبلاغة العبارة مما لا يُنافي قول الشوكاني بنقصان العقل وضعف الرأي في هذه المسألة ، وإذا كان الشوكاني فهم الآية بهذا المعنى الذي يناقضه واقع الحياة ، فإذن هناك من يفهمها على أنها وصف لواقع تنشئة كانت تعيشها النساء في تلك الفترة ، حيث تنشأ النساء في عزلة عن خوض تجارب الحياة التي تكسب الإنسان الخبرة وتُمدّه بالصلاية والذراة والقدرة على المحاجة . فالآيات لا تنسب تلك الصفات في المرأة إلى فطرتها الطبيعية ، وإنما هي آيات تصف سمة اكتسبتها النساء بسبب التنشئة التي يتلقينها .
أقول :

١- إني لم أستشهد بكلام الشوكاني وإنما استشهدت بهذه الآية من كلام الله ﷻ الذي هو حجة قاطعة ملزمة ، فلماذا عدلت عن قول : «استشهد بالآية» إلى قولك «استشهد بكلام الشوكاني» أليست هذه مغالطة؟

٢ ليس الشوكاني وحده الذي فسر الآية بهذا التفسير ، بل كل المفسرين والمُحدثين والعقهاء معه في ذلك لا يخالفهم - فيما أعلم - إلا ابن زيد ، الذي بيّن أنه غير صحيح في رسالتي «الحقوق والواجبات على الرجل والنساء في الإسلام» ، وفي مقدمة هذا البحث .

وحجبتهم : هذه الآية كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

وحجبتهم : قول الرسول ﷺ عن النساء : «إنكن ناقصات عقل ودين»

(١) تريد هنا أن تقول «مما ينافي» ، لكن نقصان عقلها جاءت هنا بالنفي في موضع الإثبات ، ويحتمل أن يكون هذا من سبق القلم ولا يعد ما أشرت إليه .

وحجنتهم: الواقع التاريخي والحالي؛ فالمرأة هي المرأة، فما زالت تحيض وتحمل وتنفس وتعيش مع الأطفال والنساء؛ فهي ناقصة عقل ودين.

وقد فسر الرسول ﷺ نقصان الدين بتركها الصلاة والصيام أيام الحيض، وفي ذلك إشارة إلى توابعه من النفاس الذي قد يصل إلى أربعين وإلى ستين يوماً.

فإذا اجتمعت أيام الحيض في السنة فكم يفوتها من الصلوات المكتوبات والنوافل، وكم يفوتها في عمرها كله؟

وما مدى تأثير هذا المرض الشهري الذي يستغرق من كل شهر ربعة في الغالب؟

وإذا كانت تحمل كل سنة وتنفس، فهل ينكر أحد تأثير الحمل ومعاناته على جسم المرأة وعلى أحلاقها وعقلها وأعصابها، يتلوه أيام ألم النفاس التي تحتاج إلى راحة منه لتستعيد صحتها، وهذه الأمور يعرفها العقلاء والأطباء؟

فمن يتجاهلها يشبه من يحاول أن يغطي السماء بالمنخل كما في العثل.

٣ إن هذه الآية تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي كغيرها منصوص القرآن والسنة صالحة لكل زمان ومكان، فهي على عمومها وشمولها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لن يتغير معناها بتغير الحضارات تطوراً وهبوطاً.

فالمرأة هي المرأة حالها وواقعها ما تضمنته هذه الآية الكريمة، فهي تنشأ في الزينة منذ القرون الأولى قبل نزول القرآن، وأيام نزوله، وإلى يومنا هذا وإلى أن تنتهي البشرية.

ألا ترى ويرى الناس أسواق الذهب مكتظة بأصاف الحلبي، وأسواق الملابس مكتظة بالأزياء النسائية من الحرير ومن مختلف أنواع ما يُلبس، مما طوره الرجال الفجار ليعبثوا بالنساء المنحلات الماقصات العقل والدين؟

ألا ترى أن كثيراً من النساء على مر الأيام يرددن هبوطاً وولعاً بأنواع الزينات؛ لكي يعتن الرجال ويثرن إعجاب الشباب المنحل، وشهواتهم وغرائزهم الدنيئة؟ ألا يدل هذا الواقع الأسود على صدق هذه الآية، وأنها تنطق على ساء القرن

الحادي والعشرين أكثر مما تنطق على أهل القرون الأولى؟

٤- إن القول بهذا النجاح المزعوم يصادم تشريعات الإسلام في كثير من أحكامه وعقائده، وقد يكون من ورائه رجال مكررة يتسمون بالدهاء، وقد يتخلله ضعف شديد يصاب به تلك المصنعات بجنون العظمة من ضعف التفكير والتركيز. وفي أيام الحيض الذي يطأ عليها في كل شهر وذلك يعادل ربع حياتها العملية، فلا بد أن يحتل توازنها ويضعف تفكيرها فتشبه حالها هذه حال أدكياء المجانين الذين تأتبه نوبات الجنون فلا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً إلا أن هذه النوبات.

أصف إلى ذلك ما يصيبهن من ألوهن أيام معاناة الوحمل والحمل والولادة والنفاس وذلك يأخذ وقتاً كثيراً من حياتهن، ولذلك كله آثار سلبية على حياتها وأعمالها، فكيف يوصمن بالنجاح وهذا واقع حياتهن

والرجل الذي يتولى مثل أعمالها ليس كذلك دون شك، فظهر الفرق الكبير بين الرجل والمرأة فيما يناط بهما من أعمال قيادية أو محامة أو غيرها شهرياً وسنوياً وعلى مستوى العمر العملي.

ودعنا من هذا وذاك وما لك ولأعمال أناس لا يحسبون حساباً للقاء الله والدار الآخرة.

فحير أعمال المرأة المسلمة وأبججها أد تفر في بيتها وتتفرغ لتربية أبنائها وبناتها على الأدب والأخلاق الإسلامية وأن تشتهم على التدين الصحيح الذي يحميهم من الجهل والخرافات فيسدين إلى أنفسهم وأبنائهم وبناتهم ومجتمعهم الإسلامي خيراً كثيراً.

بل يكرّ قد أنشأن بنو فيق الله مجتمعاً إسلامياً راقياً في دينه وأخلاقه وذوقه صدقاً وأمانة وشرقاً.

فإذا تركن بيوتهن وأهلهن وأبنائهن فأى جيل ينشأ عن هذا الإهمال؟؟

أيها الفضلاء أترك لكم تصور واقع هذا الجيل.

ومن سنن الله الكونية: أنه قد فرق بين الذكور والإناث حتى في الحيوانات، فترى الحمل تظهر فيه القوة والشجاعة والبطش بمن يؤذيه إلى درجة القتل أحياناً،

وتراه يرعى ويقود الإناث من الإبل فينقدهن له ويحضن له، ويتميز عن الأشي بالهدير الذي يظهر فيه ذكريته وليست الناقة كذلك

وترى الثور يتميز عن البقرة بقوته وكبر قرويه وطولها، وتراه يخور ويناطح، ويظهر قوته وشجاعته، وليست البقرة كذلك، بل تراها تخضع له وتنقاد

ومن نعم ترى التيس له معمعة وصوله وليس ذلك للإناث، والكبش يناطح، والتيس يتميز بطول قرويه وليس ذلك للإناث من الصان والمعرز

والقروء يسيطر الذكور منها على الإناث، ودور الإناث الخصوع للذكور.

والديك يتميز عن الدجاجة بشككه وعرفه الجميل، وبصياحه في أوقات الصلوات وليست الدجاجة كذلك.

فطاهرة الفرق بين الذكور والإناث في هذه الحيوانات وغيرها ملموسة معروفة لدى الناس.

فهل دعة المساواة سيحرضون الإناث من الحيوانات على المطالبة بالمساواة بين ذكورها وإناثها؟ وهل سيعارضون الله في التفريق بين الذكور والإناث في البشر وغيرهم؟

هـ لقد أكثر من معارضة القرآن ولسنة، وهذا يدل أنك تحمين فكراً خطيراً، ففي هذا الموطن بالدات عارضت آية وثلاثة أحاديث، فالآية هي أمام القارئ، وأما الأحاديث:

أ- فقوله ﷺ عن النساء: «يا معشر النساء، تصدقن فإنني رأيتكن أكثر أهل النار. قلن: ويا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان دين وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى. قال: فذلك نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى. قال: فذلك نقصان دينها»^(١).

(١) متفق عليه، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ب- وقوله ﷺ: «رأيت النار فرأيت أكثر أهلها النساء يكفرن». قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأيت منك شيئاً. قالت: ما رأيت منك خيراً قط»^(١)

وعند مسلم من حديث جابر: «لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير»^(٢).

ج- حديث أبي بكره ﷺ لما بلغ النبي ﷺ أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»^(٣).

فهذه ثلاثة أحاديث من أصح الأحاديث وأثبتها عن رسول الله ﷺ تلفتها الأمة بالقبول إلى جانب الآية الكريمة، ومحموعها يدر على نقصان عقل المرأة ودينها، وكفرانها للعشير وكفرانها للإحسان وكثرة شكائتها؛ دليل على نقصان عقلها ونقصان دينها.

آيتها المسكينة المتعالمة؛ أمثلك يصلح لمعارضة القرآن والسنة وعلماء الأمة من مفسرين ومحدثين وفقهاء؟!

بل أمثلك يصلح لمعارضة الشوكاني؟! بل أمثلك يصلح لمعارضة طالب علم؟.

والله لو جئت أنت والآلاف من دعاة تحرير المرأة وعلى رأسهم قاسم أمين وهدي شعراوي ومادتهم من أعداء الإسلام من أوروبيين وأمريكيين ما صدحوا لمعارضة رجل واحد هو محمد بن عبد الله ﷺ في حديث واحد فضلاً عن معاندتهم لرب العالمين.

٥- قالت هذه المتعالمة: «مواقع الحية يهرن على أن هناك نساء ناجحت في مواقع قيادية أو في المحاماة أو غيرها من الماصب التي تقتضي وجود التفكير وقوة

(١) متفق عليه، من حديث عبد الله بن عباس ؓ، البخاري في الحيض حديث (٢٩)، ومسلم في النكسوف حديث (٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم في العيدين حديث (٨٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في المعاري حديث (٤٤٢٤)، وفي الفتن حديث (٧٠٩٩)، وأحمد في المسند (٥/٢٥١) وفي مواضع أخرى، كما رواه الترمذي، والنسائي.

المحنة وبلاغة العبارة».

ونسألها . ما هي مقاييس النجاح عندك أهي إسلامية أم يهودية ونصرانية؟ وما دين هذه الناجحات؟ إن كن كافات فكفرهن بالله وكتبه ورسله وبالإسلام خاصة من أقوى الأدلة أنهن لا عقول لهن ولا دين لهن؛ إذ لو كان لهن عقول لآثرن الإسلام على دياتهن الكفرة بالله ورسله واليوم الآخر، ولما آثرن الكفر على التوحيد والإيمان، فهن كما قل الله في الكفار ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُنَّ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمَ إِلَّا كَأَلْسِنَةٍ يَلَّ قَوْمٌ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

وإذ كن قد نجحن في أمور دنيوية فهذا بمقاييس الكفر الباطلة .

ثم ما قيمة هذا النجاح وقد سقطن سقوطاً فظيماً لا نظير له بإيثارهن الكفر على الإيمان والضلال على الهدى، وقد يكون عندهن من السقوط في الأخلاق المحرمة في الأديان كلها ما لا يعلمه إلا الله، وما هو واقع بلدان هذه الناجحات عندك؟ ثم بعد هذا يقل: كم عدد هؤلاء الفاشلات اللاتي تصفينهن بالناجحات، وكم نسبتهن إلى البلايين من النساء في التاريخ الإنساني والواقع الحالي؟ فلو نجحن نجاحاً حقيقياً بميران الإسلام؛ لما جار لعاقل فضلاً عن مسهم أن يعارض بهذا النجاح كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكلام رسوله الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

والأحكام لا تُبنى على الأمور النادرة، وإنما تُبنى على الأمور الغالبة والعامة.

ولقد نزل القرآن في عصر فيه نساء يتمتعن بالنجاح الحقيقي دني وعقلاً وذكاء، فلم يعتد الله ورسله ولا المؤمنون بهذا النجاح؛ لأنه نادر لا ينبغي عليه حكم، ومن تلك الناجحات خديجة، وعائشة، وفاطمة، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأسماء بنت عميس، وأسماء بنت أبي بكر، وأم سليم، وأم أيوب -رضوان الله عليهن- لقلة عددهن بالنسبة لأعداد النساء في العالم ومنهن بنت كسرى وغيرها من نساء العرب والعجم اللاتي يجاوزن الملايين والألبلايين

المستحيلات أن يتبدل كلام الله ولو عارضه الذين يريدون أن يدلوا كلام الله .
لقد انحلت المرأة وانفلتت وخالطت الرجال في الحصار اليونانية
والرومانية، بل وفي الحياة العربية الحالية، واكتست المرأة الحنكة والدربة . .
إلخ، فلم يخرجهن ذلك من مضمون الآية الكريمة، وكذلك ما تعيشه المنعلات
الآن في الحياة الأوروبية والأمريكية فلم يحرهن عن مقتضى الآية والحديث،
ولو بالغ في الانفلات فإنهن لن يرددن إلا سقوطاً وضللاً وضياًعاً للعقول والدين
والأخلاق.

ومن هنا أنزل الله الإنقاذ البشرية من هذا الانفلات المهلك في الدنيا والآخرة
راحراً عن هذه الحياة الدنية قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْعَهْنَةِ
الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَحْمِلْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [أحزاب: ٣٣].

ففضل الله ورسوله للنساء القرار في البيوت، وشرع لهن الحجاب، وأمرهن
بعبادته وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وهذه الحياة هي خير حياة وأرضاها للمرأة
المسلمة؛ فهل ترضيها للمرأة المسلمة؟

ب- إذا كنت مسلمة صادقة فلماذا تعارضين القرآن والسنة وتركصين وراء
كلام أعداء الإسلام وأذئابهم؟ وأنا أعرف هذا الكلام من زمن بعيد، وإنما أنت
مقلدة عمياء شابت شأن النساء في التقليد الأعمى .
فكيف تركصين وراء هؤلاء في معارضة القرآن والسنة ومعارضة كلام علماء
الإسلام وأئمتهم؟

أليس عملك هذا وأمثلك من النساء من أعظم الدلالات والآيات الكونية
على مصداقية قول الله ﴿أَوْمَرُ يُنْشَأُ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي أَحْصَامِ عَيْرٍ مُبِينٍ﴾ [المرحوم
١٨]. وقول رسوله ﷺ في النساء: «إنكن ناقصات عقل ودين»، ولا يجريهن في
هذا المصمار إلا أشباه النساء الذين فقدوا رحولتهم وعقولهم وأخلاقهم.

* الثاني عشر: قالت الكاتبة: «أخيراً، ما الذي يضير الرجل في أن تكون
المرأة ندّاً له؟ اللهم إلا أن تكون الغاية أن يعيش الرجل حياة سلطوية يكون فيها
وحده الأمر الناهي، أما أن يكون يرغب في اتباع الحق، فإن الحق ما جاء به رسول

الهدى الذي وصف النساء بأنهن شقائق الرجال .
أقول :

١- إن الضرر في هذا لكبير واضح جداً ، كيف والإيمان بهذه الندية يصادم نصوص الكتاب والسنة وما عليه علماء الإسلام وأئمة المسلمين ، وما أظن أن امرأة مسلحة ترعى هذه الندية ، لأنه طعن في الدين وفي الأمة وتاريخها المشرق وانسياق وراء المنحطين من الأمم الكافرة .

٢- وقولك : «اللهم إلا أن تكون العناية أن يعيش الرجل حياة سلطوية يكون فيها وحده الأمر الناهي» .

أنت بين أمرين : إما أنك جاهلة جهلاً مطلقاً بالإسلام قرآنًا وسنة وفقهاً .
وإما أنك متمردة على تعاليم رب السموات والأرض وخالفها ومدير أمرها بقدرته ومشيتته وحكمته .

فإن كنت متمردة فلا جدال معك من ناحية شرعية ولا عقلية ، ومع هذا فأينما ذهبت ولن تخرجي عن أوامر الرجال ، بل والنساء بدءاً بشرطي المرور إلى مدير المدرسة ومدير الجامعة ، وإن ظلمت أحداً أو ظلمت فلا بد أن تخضعي للمحكمة ، ولن تستريحي من هذا التسلط إلا إذا ذهبت إلى جزيرة لا يسكنها البشر ، ومع ذلك فقد لا تستريحين من تسلط الحيوانات بها والوحوش الضارية .

وأما إن كنت جاهلة فاعلمي أن الله قد نظم هذا الكون قدراً وشرعاً ، فشرع نصب إمام للأمة يحكمهم بشريعته ، ولا بد لهذا الإمام من أعوان يساعدونه على تنفيذ هذه الشريعة الغراء ، فيصب في المجتمع الإسلامي ولادة ووزراء وأمراء وقضاة ومحاسبين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

وكل هؤلاء ولادة أمر يجب عليهم تنظيم المجتمع والقيام فيه بصبط الأمن وبالعادل والحفاظ على حياة الناس وحماية أموالهم وأعراضهم وحماية رقعة الإسلام .

وقد سمّاهم الله في كتابه ولادة أمر ، وأمر المؤمنين - رجالاً ونساء - بطاعتهم في غير معصية ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْوَاقَ الْأَمْرِ وَنَكْرَ

فَإِنْ لَمَّا نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

وللرسول الكريم توجيهات وأوامر كثيرة بطاعة أولي الأمر، ونواهٍ شديدة عن معصيتهم والخروج عليهم، أذكر منها حديثاً واحداً؛ نظراً لضيق المقام.

قال ﷺ: «من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصى أميري فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله».

فهذا تنظيم المجتمع باختصار ولا بد فيه من طاعة الرجال والنساء في غير معصية لمن أمر الله ورسوله بطاعتهم من ولاية الأمور، ولا يأنف من هذه الطاعة إلا أهل الجاهلية الفوضويين.

وكذلك نظم الله الأسر التي هي نواة المجتمع، إذ لا بد لهذه الأسر من أمر ونواهٍ قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أُنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا هُنَّ حَفِظْنَ مَا كَفَىٰ عَنْهُنَّ وَالَّذِي تَخَافُونَ شُرُوكَ فَعِظُوا لَهُمْ وَأَفْجُرُوهُمْ فِي الْمَكَاجِمِ وَأَصْرُهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَتَّبِعُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

وقد فسرت هذه الآية ونقلت أقوال المفسرين في معناها في رسالتي «المحقوق والواجبات».

فماذا تعني القوام إذا كان لك عقل وإدراك؟ وما المراد بقول تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في هذا السياق؟

هل يعني بذلك: الندية والمساواة المطلقة التي تطالب بها «د. عزيزة» ومن وراءها؟!!

وما معنى: ﴿فَالنِّسَاءُ حَفِظْنَ مَا كَفَىٰ عَنْهُنَّ﴾؟ أليس المراد بالقوت الطاعة لزوجها القائم على شئون الأسرة، وسيدها الذي منحه الله السلطة على زوجته وأسرته؟!!

وقد اعترف محمد عبده وهو من رءوس دعاة تحرر المرأة برئاسة الرجل على المرأة.

وإذا شزت وتمردت على أوامره فما المشروع في مواحهة هذا العصيان والتمرد؟ لقد شرع الله لزوج القوام أن يعط هذه الناشز المثرقة على طعة زوجها وأوامره، أن يعظها أولاً، وأن يهجر فراشها ثانياً تأديباً لها، فإن رجعت إلى صوابها وتنازلت عن ترفعها المقيت فذاك، وإلا انتقل إلى تأديب آخر بحكم سلطانه عليها الذي منحه الله خالقه وخلقها وميدهما، فشرع له ضربها تأديباً لها؛ لأنها وإن ترفعت وتناولت لا تخرج عن منزلة الطفل الذي لا بد له من أمر وناو ومؤدب بالصرب وغيره.

وأقول: إن ترفعت عذيرة على زوجها فله الحق أن يؤدبها بحكم سلطته المشروعة بالضرب وما ذكر في الآية، وليزداد القارئ فقهاً للحياة وفقهاً في سنن الله الكونية والشرعية، أسوق الآيات الآتية:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مَّكَانَ الْأَرْضِ وَرَقَعَ بَعْضُكُم فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَسْأَلُكُمْ فِي مَآءِ انْتِكُرَ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الاسم ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿مَنْ قَسَمَ لَكُمْ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعَنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَسْأَلَهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرَ لَكُمْ﴾ [الحرر ٣٢].

وقال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَصَّلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآ جَرَّةَ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا﴾ [الاسم ٢١٠].

وهذا التفضيل اختبار وامتحان للعباد كما قال تعالى: ﴿لِّيَسْأَلُكُمْ فِي مَآءِ انْتِكُرَ﴾ فالؤمن يرضى بقسمة الله ولا يرفضها ولا يسخطها، فقد يكون فقيراً لا منصب له ولا جاه وفوقه بدرجات أغنياء وقضاة وأمراء ومدراء ومادة عشائر، فلا يسخط ذلك، بل يرضى بحكم الله الشرعي والكوني القدري.

والفاجر يتسخط ويتذمر - رجلاً كان أو امرأة - فلا يرضى بحكم الله الكوني ولا بحكمه الشرعي.

فأحذر المؤمنات من الانجراف وراء الدعايات المسمومة والناشئة عن التمرد على الشرع والتذمر منه، ومن ذلك المسادة لتحري المرأة وتحريها من ريق لإسلام كما يزعمون، وإن كانوا، لذلك يحفون وبالإسلام يسترون.

ولقد حذرنا رسول الله ﷺ من الفتن التي هي من أشراط الساعة ، ومنها فتنة النساء التي ينشأ عنها دعاة تحرير المرأة من رجال ونساء فقال ﷺ : «إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فاحذروا ما إذا تعمدون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» .

وقال ﷺ : «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» .

فما يقوم به بعض النساء من المناداة بالمساواة بين الرجل والمرأة إما جهلاً بالإسلام وإما تمرداً على تعاليمه فهو فتنة عظيمة ، من أعظم الفتن وأشدّها .
ولأنها لمقدمة خطيرة لفتن كقطع الليل المظلم لا ينتهي إلا بهلاك الأمة ديناً ودنيا وأخلاقاً إلا أن يتداركهم الله بلطفه وتوفيقه لهم بالعودة إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

فعلى الأمة علماء وحكاماً وأولياء هؤلاء النساء أن يقوموا بحسم هذه الفتنة وتجنب المسلمين عواقبها الوخيمة المردية للأمة في هاوية الانحطاط الأخلاقي والديني .

• الثالث عشر : قالت الكاتبة : «أما أن يكون يرغب في اتباع الحق ، فإن الحق ما جاء به رسول الهدى الذي وصف النساء بأنهن شقائق الرجال» .
أقول :

سبحان الله تدعين الرجل إلى اتباع الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ ، بأسلوب يحصر الحق فيما وصف به النساء من أنهن شقائق الرجال ، وتنسين أنفسكم ولا تأمرينها باتباع الحق الذي جاء به رسول الهدى في عشرات الآيات والأحاديث ١١٩

والفرق بينك وبين من تأمرينهم ؛ أنهم لم يخالفوا هذا الحديث وأنت تخالفين العشرات من الآيات والأحاديث ولم تفهمي هذا الحديث .

عجيباً لهذه المرأة التي تعارض كلام الله وتعارض أحاديث الرسول الثابتة المشهورة المتلقاة من الأمة بالقبول ، وتعلقت بحديث واحد فقط سلكت فيه مسالك أهل الزيغ في اتباع المتشابه والإعراض عن النصوص المحكمة .

تعلقت به لتضرب به بصوص القرآن والسنة الواضحة في تقديم الرجال على النساء في ميدان الحقوق والواجبات، الأمر العادل الحكيم من رب السموات والأرض والذي لا تقوم الحياة إلا به، والذي يحسم الفوضى والهمجية، والانحلال الديني والخلقي لو قامت الحياة على خلافه .

وكما هو حال الأمم المعروفة في الدعوة إلى حرية المرأة، فأوصلهم ذلك إلى مشاكل اجتماعية وأخلاقية ونفسية وفوضى أسرية وشذوذ جنسي، الأمر الذي جعل مفكريهم يضجون ويتململون من هذه الحياة التعيسة، ويتوقعون الدمار لهذه الأمم الغارقة في أنواع الفساد والانحطاط .

أعود فأسأل هذه المرأة: هل هذا الحديث يقتضي الندية بين الرجل والمرأة بدءاً من ولادتهما؟ فلو ولدت امرأة توأم - ذكر وأُنثى - فهل يقتضي هذا الحديث المساواة والندية المطلقة بين هذين الشقيقين التوأمين؟ كلا، لأن هذا نص مجمل وهناك آيات وأحاديث صحيحة مفصلة مبينة تنص على الفرق بينهما بدءاً من هذه النقطة .

فهناك أحاديث تنص على أنه يعق عن العلام بشاتين وعن الحارية بشاة، فإن سلّمت بهذا الفرق منذ الولادة سقطت مناداتك بالندية والمساواة .

وإذا مات أبوهما أو أمهما، فهل تُسلّمين بما نص عليه القرآن من أن للرجل مثل حظ الأنثيين؟ وإذا ماتت قبله ورث ماله كله، وإن مات قبلها ورثت النصف فهل تُسلّمين بهذا الفرق؟

وإذا تزوج شقيقها وماتت زوجته وليس لهما ولد ورث نصف مالها، وإذا تزوجت هذه الشقيقة وماتت قبل زوجها وليس لهما ولد ورثت نصف مالها، وإن مات قبلها وليس له ولد ورثت ربع ماله . . . إلى آخر التفصيل في الموارثين والورثات التي نص عليها القرآن والسنة وفقهاء الأمة .

فهل تؤمنين بهذا التفاوت بين الرجل والمرأة بدءاً كانت أو زوجة أو أمًا أو أختًا؟ فإن سلّمت بذلك؛ فقد سقطت دعواك وسقط استدلالك بهذا الحديث

وإذا قُتل الشقيقان خطأ في لحظة واحدة فقد شرع الله على لسان رسوله ﷺ أن

دية المرأة على النصف من دية الرجل، وإن قُتلا عمداً واختار أولياؤهما الدية فدية المرأة على النصف من دية الرجل، وإذا اختار القصاص فالنفس بالنفس، فيقتل قاتل المرأة قصاصاً كما يقتل قاتل الرجل.

وهذه صورة من الصور التي يتساوى فيها الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، ومنها: المساواة في التكاليف كالصلاة والصوم والزكاة والحج، وفي الحقوق مثل حق التملك والشهادة في بعض المجالات في الجملة؛ إذ شهادتها تعدل نصف شهادة الرجل، وقبول أخبارها عند توفر شروط القبول فيها، والتصرف في المال، وهذه أمور لا ينكرها مسلم.

وهناك فروق بين الرجل والمرأة لا يجوز أن ينكرها المسلم، ومنها: حق القوامة للرجل على المرأة وحقه عليها في الطاعة ما دامت في عصمته، فلا تخرج من بيته إلا بإذنه ولو إلى زيارة أبيها وأُمها، ولو إلى المسجد، ولا يجوز لها السمر مع محرم إلا بإذنه، ولا تأذن لأحد أن يدخل بيته إلا بإذنه.

ومن هذه الفروق: أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل.

ومنها: أن للرجل أن يتزوج أربعاً، وليس لها أن تعدد الأزواج.

ومنها: الولاية على المرأة في عقد النكاح، فلا يجوز لها أن تعقد النكاح على نفسها ولا على غيرها، بل ذلك من حق وليها، فيعقد النكاح لنفسه وعلى مولاته من النساء.

فإن سلّمت هذه المرأة -من منطلق إسلامي- بهذه الفروق؛ سقطت دعاواها ومطالباتها بالندية والمساواة، وسقط تعلقها بالحديث، ووجب عليها إعلان توبتها من هذه الفتنة العمياء التي افتعلها أعداء الإسلام وهي من أخطر المكاييد التي حاكها أعداء الإسلام وتلقفها الخونة المنحلون من الإسلام وقذفوا بها في أوساط الأمة الإسلامية فاشتعلت نيرانها في بلدان المسلمين.

فترى الآن في كثير من بلدان المسلمين من الانحلال والتهتك المخزي الذي لا تستطيع أن تفرق فيه بين اليهودية والمسلمة ولا بين النصرانية والمسلمة ولا بين المَحسوسة والهندوكية والمسلمة.

وقد رضي هؤلاء النساء المنحلات بالتبعية العمياء المخزية لعدوات وأعداء الإسلام في الوقت الذي ترفض فيه الشبهة لزوجه المسلم .
وستكر النساء الداعيات إلى التحرر والمساواة ورفض الشبهة التي شرعها الله أن يكن يقصدن الدعوة إلى مثل هذا التحلل .

فتقول : إن مثل هذه الحيل لا تنطلي على الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين اطلعوا على بدايات هذه الدعوات ونهاياتها بالاختلاط في المدارس والجامعات ، ومخاصرة النساء للرجال في الشوارع ، وإلى الرقص الخليع العاري في المصارح والسينما والفضائيات ، إلى كتابات الداعرات في الحمامات تصف الواحدة جسمها من أم رأسها إلى قدميها بكل خسة ووقاحة .

وإلى أن وصل الأمر في بعض بلدان المسلمين إلى مناداة بعض النساء بجواز تعدد الأزواج ، وإلى القول بأن الإسلام قد ظلم المرأة ؛ وهذا إلحاد واضح كانت نواته دعوة قاسم أمين وهدي شعراوي ، ومعظم النار من مستصغر الشرر ، فهل من مستيقظ معتبر !!

هذا وأعيد للأذهان بآتي في رسائلي السابقة قد بينت ما يجب للرجل وعليه ، وما يجب للمرأة وعليها ، ولم أحاب الرجل ولم أظلم المرأة والحمد لله .
ولقد اطلع عليه بعض العلماء وطلاب العلم وقروا به عينا ، وقد فرح به كثير من المؤمنات الصادقات .

والله أسأل أن يطفى هذه الفتنة ، وأن يتوب على من يبادون بمخالفة تشريع الله العادل مغلقين دعوتهم بخلاف الإسلام ، وأن يأخذ بتواصيهم إلى الحق والخير وإلى الرضا ولا طعنتان بما شرعه الله للنساء وقسمه لهن ، إن ربي لسميع الدعاء .
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه الفقير إلى عفو ربه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

٢٥ محرم الحرام ١٤٢٥هـ

مكة المكرمة



فهرست موضوعات

رسالة دراسة اقوال العلماء

- ١٨٣ **في حديث: «أرحم أمتي...»**
 من أبرز العلماء الذين حصل منهم أو نسب إليهم ترجيح الإرسال على
 الوصل ١٨٦
 دراسة روايات الوصل، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس ٢٠٧
 من العلماء الذين يُرجَّحون الإرسال: . . . ٢١٦
 بيان بالعلماء الذين صحَّحوا هذا الحديث . . . ٢١٨
 خلاصة هذه الدراسة وهي تتضمن كشفًا بيان رواة هذا الحديث مرسلاً أو
 متصلاً وحال رواياتهم ٢٢٧

* * *

رسالة هل يجوز أن يُرمى بالإرجاء من يقول:

- ٢٣١ **«إنَّ الإيمانَ أصلٌ والعملَ كمالٌ (فرعٌ)؟»**
 هل يجوز أن يرمى بالإرجاء هل يجوز أن يُرمى بالإرجاء من يقول: «إنَّ
 الإيمانَ أصلٌ والعملَ كمالٌ (فرعٌ)؟» ٢٣٣
 لا يجوز أن يُرمى بالإرجاء من يقول: «إنَّ الإيمانَ أصلٌ وفرعٌ» لأنَّ هذا
 يقتضي تصليل علماء الأمة ٢٣٦
 حكمة تشبيه المؤمن بالشجرة ٢٤٩

* * *

رسالة القول الواضح المبين في المراد بظل الله

الذي وعد به المؤمنين العاملين

- ٢٥٩
 ٢٦٥ ١- حديث أبي هريرة
 ٢٦٦ ٢، ٣- حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت
 ٢٦٩ ٤- حديث العرياض بن سارية
 ٢٧٠ ٥- حديث أبي قتادة
 ٢٧١ ٦- حديث أبي اليسر
 ٢٧٢ ٧- حديث سلمان رضي الله عنه
 ٢٧٢ أقوال العلماء في إثبات أن هذا الظل إنما هو ظل العرش
 ٢٧٢ ١- الإمام ابن حبان
 ٢٧٣ ٢- الإمام محمد بن إسحاق بن منده رحمته الله
 ٢٧٣ ٣- الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي رحمته الله
 ٢٧٤ ٤- الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر رحمته الله
 ٢٧٤ ٥- الذين أشار إليهم البيهقي بقوله فيما سبق
 ٢٧٤ ٦- الإمام ابن القيم شمس الدين محمد بن أبي بكر رحمته الله
 ٢٧٨ ٧- ابن قتيبة رحمته الله
 ٢٧٨ ٨- الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير رحمته الله
 ٢٧٨ ٩- قال أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في التذكرة في
 أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٢٦٤)
 ٢٧٩ ١٠- الإمام ابن رجب رحمته الله
 ٢٧٩ ١١- الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمته الله
 ٢٨١ ١٢- الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي
 ٢٨١ ١٣- العلامة محمد عبد الرحمن المباركفوري
 ٢٨٢ ١٤- العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمته الله
 ٢٨٢ ١٥- العلامة محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله تعالى -

٢٨٥ رسالة أسئلة مهمة حول الرقية والرقاة

- انسؤال: فضيلة شيخنا الوالد ربيع بن هادي المدخلي -حفظكم الله تعالى-: عندنا راقٍ يأمر المرأة المصروعة بأن تضع المسك على فرجها وعلى دبرها وحلمتي ثدييها وشفتيها، ويقول: إن هذه الوصفة تمنع جماع الجن المتلبس بها، ويقول: إن هذا ثبت عنده بالتجربة، فهل فعله هذا صحيح؟ أفيدونا بارك الله فيكم . ٢٨٧
- السؤال: الذي لا يحسن قراءة القرآن؛ هل يجوز له أن يرقى؟ ٢٩٠
- السؤال: هل التجربة لها مجال في الرقية؟ ٢٩٠
- السؤال: هل يجوز مخاطبة الجن المسلم؟ ٢٩٠
- سؤال: هل تجوز رقية الكافر؟ ٢٩٢
- السؤال: ما حكم قراءة القرآن في الماء؟ ٢٩٣
- السؤال: ما معنى هذا الحديث: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»؟ ٢٩٣
- السؤال: نخشى -يا شيخنا- أن يذهب العوام إلى السحرة والمشعوذين؟ ٢٩٤

رسالة موقف الإسلام من عيسى ﷺ تقتضي من النصاري أن يؤمنوا بمحمد

- ﷺ وبما جاء به ٣٠١
- * ملاحظة ٣١٩

رسالة نصيحة دعوية للبابوات إلى الإسلام ٣٢٣

رسالة الموقف الصحيح من أهل البدع ٣٣١

رسالة مسألة اشتراط إقامة الحجة في التبديع ٣٤٧

- رسالة أهل البدع يدخلون في جرح أئمة الحديث دخولاً أولياً وغير أهل
البدع يدخلون في تحذيرهم دون شك ٣٥٥

* * *

- رسالة نور السنة والتوحيد عند أهل الحديث وظلمات البدع والأهواء تخيم
على غيرهم ٣٨٣

* * *

رسالة الحقوق والواجبات على الرجال والنساء

- في الإسلام ٣٨٩
- تقديم العلامة صالح الفوزان ٣٩١
- حال الناس قبل الإسلام وحال المرأة ٣٩٣
- أولاً : المساواة بين الرجال والنساء ٤٠١
- القائمة التي شرعها الله ودان بها المسلمون وبيان أسبابها ٤٢٠
- هل أدلة العلماء انتقائية؟ ٤٣٧
- هل المرأة في المملكة العربية السعودية ٤٣٩
- مهور النساء وحياتهن في عهد الرسول ﷺ ٤٤٠

* * *

- رسالة طاقات المرأة وقدراتها العقلية والعلمية تتجلى في شخصية «د»
عزيزة المانع ٤٤٣

* * *

- فهرس الموضوعات ٤٨٩

* * *

